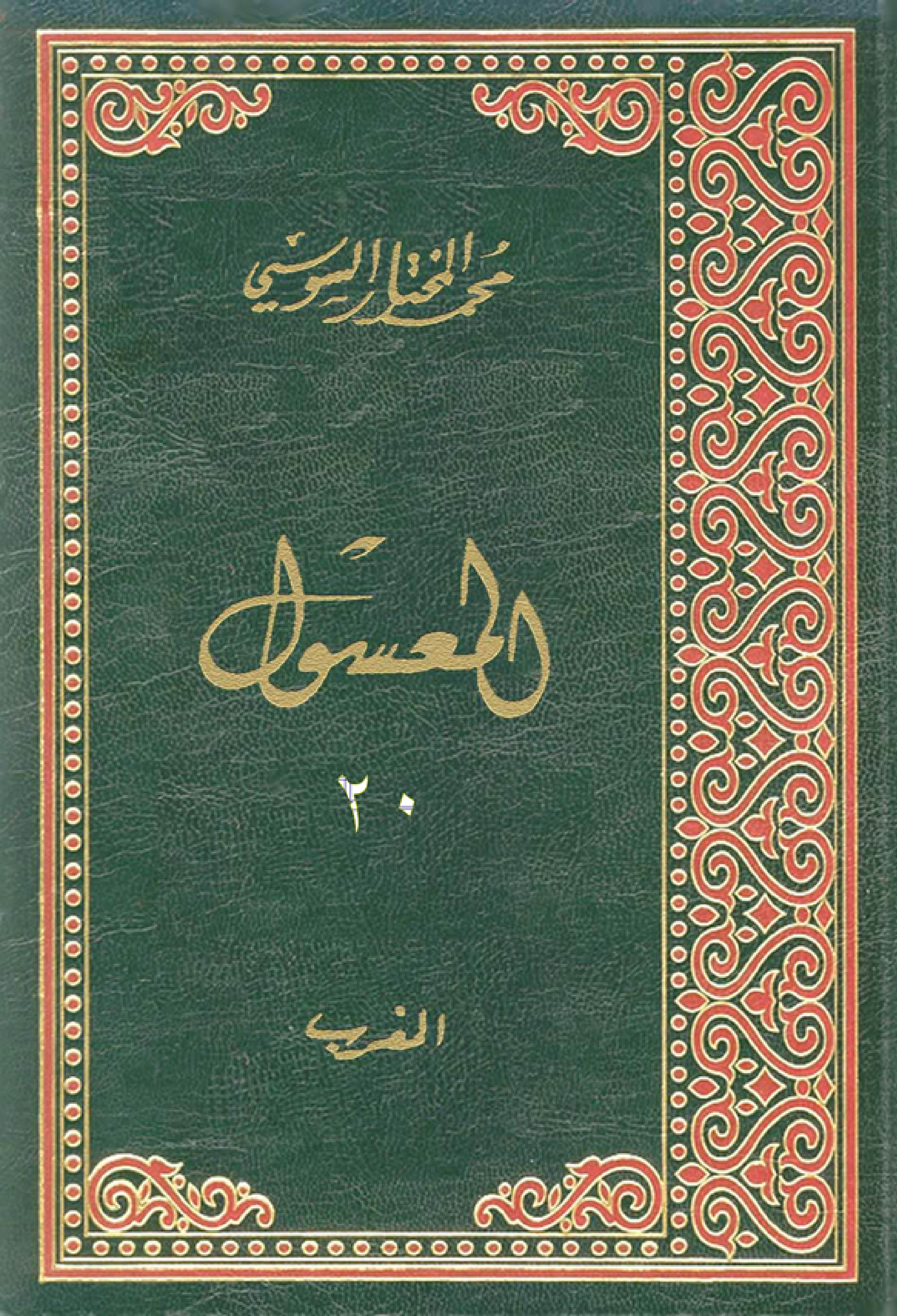

محمد المختار السوسي
المعسول
٢٠
المغرب

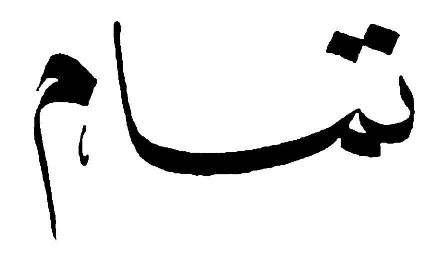
محمد المختار السوسي

المعسول

٢٠

المغرب





أصحاب

الالغيين السوسيين

وهو بقية (القسم الخامس) من الكتاب .

والمذكورون في هذا الجزء :

القائد الناجم الاخصاصي

القائد المدني الاخصاصي

القائد الحسن البَنْشيراني المجاطي

مبارك أبو الطعام الرخاوي المجاطي

أمغار محمد العلوي المجاطي

علي ندبوهوش العلوي المجاطي

الحسين الايدكوراني العلوي المجاطي

أحمد أوبخيس الموسوي المجاطي

الحسن ازكوك الموسوي المجاطي

القائد الحاج احمد التامانارتي



القائد الناجم الاخصاصي

نحو 1284 هـ حي

هذه شخصية عصامية غريبة ، ممن رضعوا لبان سوسية من قبائل الاطلس الصغير ، نشأ في بيئة لا تحلم بمثل المجد الذي جلببها شرفا وعظمة لم يحلم بهما أبناء بيئة كثيرين من أرباب الامارة . واصحاب اليد العليا . والكلمة النافذة . والرأي الاصيل .

ان الفلاسفة الذين يجولون في علم الاجتماع ، ويجتهدون ان يردوا كل شيء الى أصل خاص ، وأن ينسبوا كل ماثرة الى ما لا تنتج عنه الا المآثر ، وان يجعلوا لكل شيء كيفما كان سببا خاصا ، لا أدري كيف يقفون بنظراتهم تلك ازاء هذه الشخصية التي نشأت في اليتم والفقر ، وفي الامية وفي مسارح الغنم ثم لم يدر عليها الفلك الا قليلا حتى صار صاحبها من أبطال الجندية المقاديم ، الذين لا يعرفون أن الموت يرصد للاحياء ، ثم كان قائدا محنكا سياسيا كانما يقرأ المستقبل من خلال سجف رقيق ثم خاض طوال حياته كلها من المعارك الطاحنة ما تشيب لهوله الولدان ، ويكره معه غابر الحياة ، ثم رأيناه لا يزال يعشق الحرب في كهولته كما كان يعشقها في شبيبته ، فيطير اليها كلما سمع هيعة ، الى ان جلله الشيب بين الصفوف ؛ وتحت بوارق السيوف ، ثم لم يهدا حتى لـم يجد بعد معتركا بعد سبعين سنة من عمره ، ثم هو بعد ما استوفى الثانية والتسعين يجلس اليك جلوس الشاب اللقن الذي يستحضر كل ما مر به ، فلا ينسى موقفا ولا شخصا ولا حديثا كانما في صدره مسجل (مَانيطوفون) عتيد ،، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ثم أنه ليس الا من ابناء حام ، ولكنه في اخلاقه من خير أبناء سام ، فكانما على لسانه تكلم سحيم عبد بني الحسحاس اذ قال :

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما ... او اسود اللون انى أبيض الخلق

فالآن سر معي أيها القارىء لتقرأ صفحة رائعة مملوءة بالبطولة النادرة ، طافحة بالانسانيــة ، وبنوادر الحــوادث . ممموجة بكــل ما تتموج بــه حيــاة المغامرين الذين لا يبالون اسقطوا على الموت أم سقط ألموت عليهم ، ثم تتذكر أخيرا قولة خالد بن الوليد رضي الله عنه اذ قال : ما في موضع شبــر الا وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برمح . ثم ها انذا اموت على فراشي كالعنزة ؛ فلا نامت أعين الجبناء ، لا نامت أعين الجبناء .

نسبــه وأســرتــه

هو الناجم بن مبارك بن مسعود ، ومسعود هذا حفيد عبد كــان معتقــا لاسرة ا دْ جَلْـــولْ من أَيْـــتْ بْوياسين من قبيلة الاخصـــاص التى يبعــد موقعها عن تيزنيت بنحو عشرين كيلومترا ، صار اولاده يعرفون بالعتقــاء ؛ وكان ولاؤهم لهؤلاء السادة الجلوليين ، وقد مــات العبد المعتــق اصالة فــى مكة ، وكانت حرب بين أسياده وبين ا دْ بْودْوَهاجْ ؛ فكان هؤلاء العبيــد المعتقون هم الذين كانوا يقومون بكل ما تحتاج اليه هذه الحرْب من مهاجمة ومدافعة وخدمة ، فلما آنسوا من خصومهم ضعفا حملوا عليهم يوما على غرة فاتوا عليهم ، ثم ذهب هؤلاء المعتقون الى الشرق وقد تابوا وتنسكوا ؛ فبقوا هناك حتى ماتوا في مكة ،فبقي أولادهم وراءهم في الاخصاص مع سادتهم؛فنشأوا بينهم على حسن العهد ، ثم لما قسم سادتهم المال بينهم أعطوهم الثلث من جميع الاملاك ، فعلى ذلك نشأ الاحفاد الذين منهم مسعــود جد المترجــم وقد مــات أيضا في مكة اذ التحق بها كابيه وجده ، وقد أدرك صاحبنا من أعمامه بلعيدا ومَحمدا ـ فتحا ـ وسالما ، وقد كان لمبارك والده شأن كبيــر بين الســود الذين كانوا يجتمعون كل سنة . لاحتفالاتهــم التى لا يغبونها ، فكــان هو برأسهم ، فيكون عمدتهم في كل تلك القبائل المجاورة الى وادى نون ، وقــد مات مبارك عام 1295 هـ . وقد كان يعتني بالدردبة ، فيقرقب في كفيه صنجى الحديد (1) اللذين يضرب بهما السود عادة على دقات طبولهم (2) في شطحهم حين يلعبون العابهم الخاصة ، وحين ينشدون الحانهم بأنغامهــم الخاصــة . فيصلون فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ويذكرون صاحبه (بلالا) بما هو أهله، لان بلالا الصحابي هو بطل القداسة عند هؤلاء السود السوسيين .

وأما والدته فاسمها الزهراء بنت صَانْبَــا ، وهــى من معتقين ايضــا ، ويسمون ا د الرَّايْسْ ، وقد كــانت هذه الاسرة الرايسية مشهــورة بين

---

(1) صفيحتان من حديد متقابلتان يقارب شكلهما شكــل قــدم الرجــل ، فتربطان بخيط من أسفلهما ، ويعلق أعلى احداهما بالابهــام وأعلى الاخــرى بالسبابة والوسطى فتتقارعان على نغم الاناشيد ودقات الطبول .

(2) طبل عظيم يسمى : كانكا .

رؤساء الاخصاص ، ولها اتصـال بالرئيس سيدى الحسين بن الهاشـم ، يعسوب نحلة تاكوز ولت في العهد الماضي · وآخرهم الفقير علي الذى مات أمام ايليغ يوم حاصر المجاطيون سيدى الحسين الحصار المشهور عام 1302 ﻫ .
وفي ذلك اليوم ايضا مات مبارك بن صانبا خال المترجم ، فقد اهوى مـع سيده لاقتحام ايليغ بين المحاصرين فسقطا معا ، وقد كان اشجع الناس ، لا يصطلى بناره ، وليستحضر القارىء شجاعة هذا الخال في كـل ما سياتـي من شجاعة ابن اخته ، فان العرق نزاع . فبذلك نجد ما ربما يكون كتصديق للاخلاق المتوارثة ولكن من أين ورث السابق .

منـــشـــأه

قال : أول ما أعقل أن ابى ذهب بى الى الكتاب في قرية اد بلقاسم ، وليست بمسقط راسي ، لان القرية التي ولدت فيها هي قرية اد جلـول التى تجاور تلك ، ثم بتشديد الاستاذ المعلم على لم أبطىء في القراءة حتى انني لا أتهجى ولا اكتب ، وكان الاستاذ عمد الى يوما فعلقني في(الزكا) وهي عبارة عن حبل يعلق طرفاه بالسقف فيحمل التلميذ حتى تتشابك براجم أصابع يديه في وسط الحبل اشتباكـا لا يمكـن أن ينحل متى أرخي الجسم المعلق ، ثم يعمد المعلم الى التلميذ المعلق المسكين الذى تجول رجـلاه فـي الهواء فينزل عليه بالسوط حتى يروى منه غضبه ، وقد يـؤتى عـنـد بعض غلاظ الاكباد من المعلمين بنار فتوقد تحت المعلق ، ويجعل فيها بعض الملح فيتفرقع تحت جسم المسكين ، فيكون بين التعليق والسوط وشرر الملح في أعظم عذاب ، قال المترجم : ذلك ما فعله بى الاستاذ القاسي فهربت من الكتاب الى أطلال ازاء قريتنا ، فانخنست فيها عن أهلى وكل الناس ثلاثة أيـام ، ففتش عني والداى في كل مكـان ، الى أن اهتدت أمـي الى تلك الاطـلال ؛ فوجدتني كدت اموت جوعا ، فحلفت على أن لا أعود الى الكتاب ؛ ثـم بقيت في دار أهلي أشتغل بأشغالهم ، فالتقط حبات الهرجان (أركان) وأرعى أحيانا غنما لسادة ام امي ، فاندفع الى الذئب ذات يوم ولم أكن رأيته من قبل ، فجعل يهاجمني ويكشر عن انيابه ، فخفت وتركت له الغنم وفررت ؛ فقتل منها ثلاثة ، فصرت من ذلك اليـوم لا أرعى منفردا . بل اختلط مـع الرعاء احتياطا ، وقد جاءنا اللصوص مرة لياخذوا اغنامنا . فناموا فصادفتهم فنبهت أصحابى الرعاء اليهم فاقمنا الصراخ نحو أهالينا ، فاصرخونا فـي الحين . فهرب اللصوص ، ونجت الغنم .

في دار القـائد دحمـان

قـال : ثم جاءت مسغبة عام 1295 ﻫ . التى يضرب بها المثل في سوس، ثم أعقبتها اخرى عام 1299 ﻫ ايضا ، وقد مات والداى معا فبقيت يتيما

وحيدا ، فصرت أتقلب مع الدهر ، فذهب بعض اقاربي الى دار القائد دحمان في وادى نون فذهبت معه ، فبقيت هناك عدة سنوات كأحد خدم زوجة القائد خناثة بنت عمر بن ابراهيم ، وجاريتها مريم التى تسرى بها القائد أخيرا ، وقد كنت عندهما بمكانة . لحسن أدبى معهما (ودحمان اذ ذاك لما يكن قائدا) .

في سوق النخاسة

قال : وفي يوم من الايام وسوس الى عبد لشخص يسمى محمدا من آل يبورك أن أتسوق معه سوق الخميس في(تيغنمرت)من قبيلة ا زاقاضن لنشترى منها تمرا نربح فيه لانه هناك رخيص وفي بلدنا غال ، وبعد أن غادرنا السوق ذهب بى رفيقى الى دار انسان تغدينا عنده ، فبقيت عندهم وانا لا ادرى ما يراد بى ، فاذا به قد باعني لاناس ؛ فحاصرونى هنالك الى الليل ، فأتوا ببعير أركبونى عليه تحت جناح الظلام ، ثم أن هذا الذى اشترانى باعنى هو الآخر الى آخر من أهل تازاروالت ، وهكذا وقع على البيع مرتين في ليلة واحدة ، فأسرى بى الى محل يسمى (فاصنك) فبقيت مع التازاروالتي الذى اشترانى أخيرا في دار رجل غائب ، فاذا بصاحبى اخذ يفتش بيو ت الدار ليسرق ما عسى ان يكون فيها ، فاغتنمت غفلته عنى ، فطلعت الى السطح وقد ارتفع النهار ، فاذا جدار الدار قصير ؛ فقفزت الى حائط المسجد المجاور للدار ، فاذا ا نفلاس (رؤساء البلد) قد انتدوا في المسجد ، فسالونى عن نفسى فاخبرتهم بانى عبد للقائد دحمان، واخبرتهم بأن الذى سرقنى مختبىء في تلك الدار ، فذهبو اليه فاتوا به واعتقلوه ، وبحثوا عن صاحب الدار لينظر ماذا اخذ له التازاروالتي ؛ ثمردونى الى القائد دحمان فاعطاهم شيئا كمكافاة لهم ، فبقيت هناك نحو اربع سنين ثم تسوقت موسم سيدى احمد بن موسى بتازروالت نحو سنة 1298 ،فرايت فيه الفقيه سيدى محمد بن العربى الادوزى وسيدى على بن أحمد الالغى ، فزرت منهما ودعوا لى بخير،وكان الاخير منهما في زى الصوفية فقيرا متجردا في مرقعته .

في دار القائد بوهيا

ثم ظهر لى أن اغادر دار القائد دحمان ، فرجعت الى اهلى ؛ ثم اتصلت بالقائد بوهيا (ابراهيم) الذى هو قائد قبيلتنا أيت بوياسين ، فصرت اقوم بعملى المعتاد كمسخر ، فبقيت عنده نحو سنة ؛ وذلك نحو عام 1300 هـ . ثم لما اراد القائد ان يسافر الى مراكش سفرته الاولى بعد ان تولى القيادة عام 1299 هـ. عرض على أن اصحبه ؛ وقد عرفت العربية الدارجة لانفعهم بها مع اهل المدن ، لان القائد لا يعرفها لا هو ولا من معه من كبراء القبيلة كعلى

الرائسى ، وعبلا (عبد الله) بن حمو صهر القائد : وابراهيم من آل بلقاسم ، وعبلا (عبد الله) بن موسى : وكانوا كلهم يمشون راجلين : لا مركوب لهم ، حتى القائد نفسه : ولم يتوصلوا بعد من السلطان بالخيل ؛ وما معهم الا ناقة حملوا عليها أمتعتهم ، وقد اتصل بنا فى الطريق رجل من الشرفاء فصرت أحسن اليه بما تيسر من الخبز على كراهة أصحابى لذلك، فوقع من هذا الشريف ان سرق ما كان القائد خبأه من الكسوة التى كساه اياها السلطان على العادة يوم ولاه القيادة 1299 هـ . وهى قفطان وفرجية وجبة وشاشية ، ولما وصلنا صهريج البقرة اغتسل القائد واراد أن يلبس تلك الكسوة فاذا بها قد سرقت ، فلامنى القائد على أننى كنت أحسن الى ذلك الذى سرقها .

ولما دخلنا مراكش ومررنا بجامع الفناء ، اشترينا الخبز المراكشى المصنوع من القمح واشترينا معه الزيت لنتغدى بهما ، فصار القائد ومن معه يقلبون بين أيديهم ذلك الخبز ويتعجبون من ليونته وصفاء منظره ، لانهم لا يعرفون من قبل الا خبز الشعير الاسمر او خبز الذرة ، وقل فى بلادنا من يعرف خبز القمح فى غير بعض الدور المثرية: ثم سألنا عن مكان نزول القواد البعمرانيين، فقيل لنا انهم بدار الصابون، فقصدناهم فوجدنا القائدمحمدا الجرارى ، والقائد احمد بن هـمُّو الخلفى البعمرانى ، فجاءهما الغداء من دار المخزن ، وكان الذى يدفع الطعام عن المخزن هو المحتسب مولاى عبد الله السوّارْتْ (بمعنى المفاتيح لقب بذلك) ، والطعام المعتاد هو الاسفنج والسمن والعسل صباحا، وطواجين اللحم المتعددة وطباسيل الكسكس باللحم للغداء ، ومثل ذلك للعشاء ، وكانت تلك هى العادة الدائمة لاضياف الحكومة ، ثم طلع القواد الى دار المخزن فى اليوم الثانى ، وقد أركب القائد الجرارى أصحابنا هـؤلاء على بغاله ، فقيد القائد نفسه عند الحكومة بانه ورد هو واصحابه وان له ست عشرة بغلة يتنفج بذلك لئلا ينظر اليه بعين الاحتقار ، مع أمنه من اجراء البحث عما يدعي اصدق هو ام كذب ، فصار العلف ياتيه على ذلك القدر كل يوم من عند المخزن من الشعير ، ونفذت له الدار لنزوله والمئونة على العادة فكنت اطلع انا وصاحب للقائد فناخذ العلف من بعض اهراء الحكومة ، ونبيعه ونأتى الى القائد بالثمن ، وقد كان على راسى خصلتان من الشعر ، كل خصلة على فود، فكان الخزان الواقف على توزيع الزرع من المَرْس (محل المطامير)يناديني : يا صاحب قرون المعزة خذ ، وربما قدمنى على غيرى لاستئناسه بما يخاطبنى به .

قال : وذات يوم صادفت الشريف الذى رافقنا فى السفر . وسرق كسوة القائد فلاطفته حتى أدخلته الى الدار التى نحن فيها . واغلقت عليه الباب بالقفل ، خادعته كما خادعنى ، وهذه بتلك والبادى اظلم ؛ فبقى

محتبسا حتى جاء اصحابي ، فارينهم اياه ، فنوءا أن يفتكوا به ضربا : فاذا بالذي ياتينا بموائد الطعام اشار بعد ان عرف القضية بان نحيله على عريف الشرفاء (المزوار) ، اذ هو الذى له النظر فى شئون كل شريف : من قبل المخزن ، فرفعناه اليه فحكم عليه بأن يرد الكسوة فردها كما هى ؛ ثم عاقبه بما ظهر له .

الافلات من الاسترقاق ثانية

قال : وفى ليلة عيد المولد الذى جاء القواد ليحضروا فيه مع السلطان على العادة ، ذهب بى أصحابى أنا وعبد آخر كانوا اشتروه قبل أن ناتى من سوس ، فاشتروا لنا كسوة ، ولم اكن ادرى من قبل ما يراد بنا ؛ الا أننى استفقت أخيرافى صبيحةالعيد ، والمومن لا يلدغ من جحر مرتين ، وقد جاء الاعوان ليذهبوا بالقواد الى دار المخزن ، اذ العادة ان ياتوا الى محل نزول كل قائد فيصعدون به الى دار المخزن يوم الملاقاة ، فلبس العبد الكسوة التى اشتريت له ، وبقيت انا على حالتي وعلى زيى لم أغير منه شيئا، بل أخذت الثوب الخلق الذى كان على العبد قبل أن يلبس كسوته الجديدة ، فجعلته تحتى،لما نويته من التملص،ثم سار بنا الاعوان؛ فوصلوا الى سوق النجارين ولما سامتوا بنا سوق أهل تاكموت (حيث طريق السمارين اليوم) تسربت الى سوق التاكموتيين متسللا فتفقدنى أصحابى فانكمشت فى الثوب الخلق وتلويتفيه أمام دكان من دكاكين الصاغة ، فوقف أصحابى يمعنون فى طلبى، فثار فيهم الاعوان واستحثوهم على المشى الى دار المخزن ، فتركوا التفتيش عنى مرغمين ، فرجعت الى الدار ، فلما عاد أصحابى من ملاقاة السلطان ؛ جعلوا يلوموننى على فقدى من بينهم ، فقلت لهم انكم أنتم الذين أتلفتمونى فى الطريق ، فلم أدر ما أصنع سوى أن رجعت الى الدار كما ترون ، وهكذا افلتت من الاسترقاق مرة ثانية ، أما صاحبى فانهم قد اهدوه الى السلطان ، فذهبت حتى شاهدته بين عبيد صغار حول نافورة ماء فى ساحة دار المخزن .

ملاقاة القائد بالسلطان

دخل القائد لدى السلطان فى جملة القواد الذين مروا بين يديه على العادة المعلومة ، ولما خرج نفذ له الفرس كسائر القواد ؛ اذ العادة أن كل من تعين قائدا يعطيه المخزن فرسا وكسوة تامة ، فاما الكسوة فقد توصل بها فى سوس يوم عين عام 1299 هـ . وأما الفرس فلم يتوصل به الا اليوم ، كما خرج لفقهاء القواد الذين صاحبوهم بغلة مسرجة وكسوة بيضاء برداء (حائك) وسلهام سكرى أبيض ، وقد كان مع كل قائد فقيهه ليصلى به ويكتب عنه، وهى عادة مقررة ، فمنهم العلامة الشهير سيدى أحمد بن ابراهيم الساحلى وقد كان مع القائد ابراهيم بن سعيد ، وكذلك كان معه الفقيه سيدى الحسن

بن بلعيد المرسى – من مرس ايت باعمران –. ومنهم الفقيه سيدى الحسن الشريف ، وقد كان مع القائد الحسن بن علىات الاصنوياوى،وكان هؤلاء الثلاثة كلهم قضاة وقد توصلوا أيضا باخبية ينزلون فيها . كما أعطى القواد فساطيط مقببة . وهذه كلها عوائد متبعة من قديم .

أجنبي يدهم سوسا بتجارته

خرج في المحل المعروف بأركسيس في قبيلة اصنويتا انكليزى يسمى ("تارنت") باذن مبارك بن أحمد من اد ياكو من قبيلة اصنويتا، وكان الذى عرفه به هو رجل سباعى يسمى مولاى أحمد ، يسكن بالشياظمة. فاتصل ما بينه وبين الانجليزى في السويرة ، ثم وصل بينه وبين مبارك ابن أحمد، وكان لهذا الاخير ظهور وشفوف بشجاعته فى قبيلته . وكان يعاكس القائد الرسمى باصنويتا وهو القائد الحسن بن عليات ، فجاء مولاى الكبير أخو مولاى على الذى تضاف اليه عرصة مولاى على الكائنة بإزاء مسجد الكتبية بمراكش من عند السلطان . ومعه القائد محمد بن الطاهر الدليمى،يحملان امر السلطان بأن تنهض القبائل من ماسة وبعقيلة ومجاطة وما وراءها الى ايت بعمران ، فنزل القائد محمد بن الطاهر ازاء ذلك الانجليزىفى (أركنسيس) حيث أقبل عليه أهل تلك النواحي لايجاده لهم كل ما يريده الناس من أرز وحبوب ، خصوصا والوقت وقت مجاعة ، فصار القائد ابن الطاهر يمعن النظر فيما عسى أن يفعل مع قبيلة اصنويتا، وقد اجتمعت القبائل المذكورة فنزلت في (مستتى) مع الشريف مولاى الكبير ، ولم يتقدم الى (أركنسيس) الا القائد ابن الطاهر ، ثم داور الكلام مع القائد الحسن قائد اصنويتا فيمنله عقل حصيف وتدبير ممن يجندون فى قبيلة اصنويا من أعيانها ، فنعت له عبد السلام الحربلى . فبعث اليه القائد ابن الطاهر . فاتى فجعل يختبره ويطلب منه أن يبين له أوصاف أعيان القبيلة، فلماتوصلمنه بما أراد أكرمه بهدايا جليلة،ثمطلب منهأن يسربإليهكلواحدمن هؤلاء الاعيان على حدة ، فكان كلما ورد عليه واحد منهم يؤنسه ويلاطفه ثم يكرمه بالمال ، ولما اتصل بهم كلهم طلب من القائد الرسمى الحسن بن عليات أن يأتى هو وكل هؤلاء الرؤساء الى محله ، فلما اجتمعوا عنده نادى اصحابه فوقفوا أمام المحل الذى هم مجتمعون فيه مصطفين على العادة ، فلما طعمالناس وشربوا امر القائد ابن الطاهر بصندوق . فاخرج منه ظهير من السلطان ، فبندق (ركع مع رفع الصوت بقول : الله يبارك فى عمر سيدى) الاعوان احتراما للظهير على العادة لمافتح ، ثم صار يقرؤه عليهم ؛ فاذا فيه أن السلطان يسلم على اهل القبيلة، ويطلب منهم أن يمعنوا التامل فيما صنعوه ؛ وانه ما اتى به الى سوس أخيرا عام 1299 هـ . الا ابعاد الاوربيين عن هذه الناحية ، ثم لم يرجع حتى قمتم فاخرجتم اليكم الانجليزى النصرانى وأنتم

مسلمون وفيكم حرارة الايمان ، وذلك مما لا ينبغي في الدين ولا في السياسة ولا في الطاعة لملك البلاد . ثم دعا لهم السلطان في آخر الظهير دعاء حارا ان قاموا واخرجوا الاجنبي من بين ظهرانهم .

فلما قرئ عليهم الظهير فاتحهم القائد محمد بن الطاهر الدليمي في تنفيذ ما في الظهير ثم دفع لهم مالا مجموعا يفرقونه بينهم،فأجابوا كلهم بالتبرى، من النصراني ؛ وأعلنوا أنهم عند أمر السلطان ، ثم تكفل كل واحد منهم أن يرد من عسى ان يدافع عن النصراني من رعاع الناس ، ثم بعد ذلك استدعى القائد ابن الطاهر النصراني ، وجعل يلاطفه ويقول له باذن من نزلت هنا ؟ أعندك كتاب من سلطان البلاد ؟ فانك فتحت بهذه المتاجرة بابا لا يتفق مع العهود بين الدول من أن المتاجرة لا تفتح بين دولة واخرى الا باتفاق سابق ، فلم يجد الانجليزى ما يجيب به ، وطلب من القائد ان يؤجله ثلاثة ايام ، وفي الثالث عزم أن يهرب في زورق الى سفينته التى لا تزال مرسية في نحر البحر هناك ، ولكن الحراسة كانت في هذه الايام الثلاثة محدقة بالانجليزى تراقب ما عسى أن يصنع ، ثم في هذا اليوم الثالث بكر العلامة الجليل سيدى الحسين بن عبد الله ، والفقيه سيدى على بن همو الى القائد محمد بن الطاهر وطلبا منه أن يعجل بالقاء القبض على الانجليزى قبل ان تتم مؤامرة يحوكها في الخفاء الحبيب بن بيروك الذى يعرف أنه أصل كل بلية هناك ، فكثيرا ما يمد يده الى الاجانب على عكس أمر أخيه القائد دحمان الذى لا ينفك ينصح للبلاد وللملك ، فان الحبيب هذا لما رأى أن الانجليزى محاصر من قبل هذا القائد ، أخذ في السر يستنهض الحمقى من اهل القبائل ، ويقول لهم : انما هذا رزق مسوق اليكم . فاحرصوا على أن لا يفلت من ايديكم ، ليتمكن بهذا الدس والخديعة من ابقاء النصراني في محله ، فصادف الحال أن رمحت بغلة انسان الفقيه سيدى على بن همو في ذلك اليوم فكسرت يده ، فقال القائد محمد بن الطاهر : حسبنا اننا معشر أولاد دليم نتفاءل خيرا بالدم ، فقوموا واسرجوا ، فاعتقلوا الانجليزى ونصرانيا آخر كان معه مع الترجمان ، بعد ما كادوا يفلتون الى سفينتهم ، وقد قاربوا أن يضعوا ارجلهم في القارب ليحملهم اليها : فذهبت بهم خيل تغذ بهم الى دار القائد الحسن بن علـيّات ، وبقيت خيل اخرى اكثر من تلك في المحل الذى اعتقلوا فيه ، حتى وصل الذاهبون الى دار القائد الحسن ، والقائد محمد بن الطاهر في الخيل المتاخرة يسال هل وصلوا اولا ، فلما عرف انهم وصلوا اقلع من هناك فتبعهم .

في وشك الاسترقاق ثالثا

قال : المترجم : كنا نزلنا مع القائد بوهيا في (مستتى)في هذا الوقت، فأمرنى القائد ذات ليلة أن أذهب مع رجل لآتى من عنده بملح ، فهجس

فى نفسى ما كان ، ومن الهواجس ما يصدق ، وتوقعت انى مبيع له : ثم أصخت بأذنى فاذا بالقائد يقول للرجل سرا ، رد اليه بالك فانه (حرامى) لئلا يفلت منك أيضا ، فانه دخال حراج كالزئبق لايكاد يقبض عليه ، فادركت صدق ما هجس فى نفسى ، فاقلت منه عدوا فالتجأت الى محل الشريف مولاى الكبير ليلا ، فطلبت من صاحبه ملاقاته ، فاعتذر بانه الآن نائم : فحكيت له أننى مظلوم وأننى حر وان ظلمة باعونى ظلما،فهربت ملتجئا الى حرم الشريف فلم يجد بدا من أن يأمرنى بالاختفاء تحت برادع (أ كنف) بغال الشـريف امام خبائه ، فهناك اختبات الى الصباح ، فلما استيقظ الشريف سلمت عليه وقصصت عليه الخبر .

عند القائد محمد بن الطاهر

قال:فارسلنى الشريف الى القائد محمد بن الطاهر الدليمى ، اذ لا يقدر هو أن يقع بينه وبين القائدبوهيا شنئان مزاجل،فصادف ذلك ان ورد الى(مَستى) اثر اعتقال الانجليزى،فتفرقت حينئذتلك القبائل التى كانت تجمعت وقدقضى الله غرض الحكومة فبت مع القائد ابن الطاهر الليلة الاولى معه (بِيادْ مُوساكْنا) ومن هناك خرجنا معه ، فاردفنى أحد أصحابه على بغلــة ، فرآنـى على ابن الرايس الاخصاصى المتقدم الذكر . ، فأجرى فرسه حتى حاذانى وأنا لا ألقى اليه بالا ، فاختطفنى وكان قويا ، فجعلنى وراء قربوس فرسه الذى يَجـرى اطلاقا بملء فروجه ، فلما أمعن فى الجرى وقد أمن من جهتى ، تسللت انـا أيضا بدورى من ورائه . والفرس لا يزال فى غلواء انطلاقه ، فسلمنى الله فى تلك السقطة. فقمت سالما . فجريت حتى ابتعدت ، فجعلت أمشى متتبعا اثر القائد ابن الطاهر ، فجاء أصحاب القائد بوهيا يطلبوننى منه ، فقام القائد فى أصحابى الاخصاصيين ــ وانا أشاتمهم ــ يخاصمهم على حرصهم على بيعى ، مع اننى حر ، فأيسوا منى من ذلك اليوم ، فبتنا مع القائد ابن الطاهــر فــى دار القائد بوعزى السريفى البختارى . وقد كان السلطان تركه هناك عام 1299 ﻫ اعانة دائمة للقائد ابراهيم بن سعيد . ومعه من الجند ثمانون ، كان مرابطا فى المحل المسمى (بُوتاكْمَار ين،) ازاء دار القائد ابراهيم بن سعيد ، ومن هناك الى (بُونعمانْ) ثم الى (تيزنيت) ومعهم التاجر الانجليزى وأصحابه معتقلين ثم الى قرية (أفانسو) فى (ماسة) عند شريف يسمى مولاى اسماعيل . وقد تولى القيادة عام 1299 ﻫ ، ثم الى القائــد ابراهيــم الدليمى فى قــرية (تى القائد) فمكثنا عنده أربعة أيام ، ولعبت الخيل أمام القائد ابن الطاهر، فرحا به،وقد وجدناعنده حمامافى طبقةعليا فى الدار ، فاستحمفيه ابن الطاهر، ثم الى (انز كتان) فى (كنسيمة) عند القائد الحاج أحمد الكنسيمى ، وكـان النزول فى الفساطيط خارج القرية ، ومع ابن الطاهر نحو ثلاثين فرسانا.وكلهم

شجعان ، ومعنا القائد الحسن بن علـّيات ورؤساء قبيلة اِصـَبـْويـنا ، والقاضي سيدى الحسين ، وكانت الغايةان يصلوا الى السلطان ليكرمهم على تنفيذ اوامره، فجاء الحاج احمد الى ابن الطاهر ولامه على نزوله في الفساطيط ، وعدم دخوله الى الدار ، ثم تلقاه بكل تكرمة ، ولعبت الخيل فرحا به : ثم لما استقر المجلس بين القائدين استخرج ابن الطاهر رسالة ملكية جاء فيها أن يسلم الانجليزى ومن معه الى القائد الحاج احمد الكسيمي ان يوصل اليه . فقال له هـذا هـو التاجر الانجليزى أضعه الآن في يدك ، فتوصل به الحاج أحمد وذهب بـه الى (السويرة) ، ثم انتقلنا من هناكالى(مَاسكـينـَة) عند القائد موشاد قائدها ، وهناك التقينا بمحلة مخزنية هي الاولى من نوعها – الادالـة – جاءت حاميـة لترابط فى أيت بعمران ، بعد التى ذكرنا انها مع القائد أبى عزة السريفي البخارى ، وفى هذه المحلة(الحملة العسكرية)القائد العربى بن حمو البخارى، ومعه جنده من عبيد البخارى ، والقائد الحسن التكناني ومعه جنده ، وهذان من قواد الارحاء ، ومعهما القائد القرشي اوريكي ، والقائد الحسن السكسيوى: والقائد المحجوب الكنكولي ، ومع هؤلاء خيل ورجل من قبائلهم ممن ليسوامن الجند النظامي ، فذهب الجميع الى أن نزلوا فى (خميس أيت بوبكـر) بايت باعمران، وذلك قبل ان تبنى القصبة فى (أيت اِخلـْف) اذ لم تبن الا بعـد عام 1303 هـ ، اثر السفرة الثانية لمولاى الحسن ، فقد اشترى المخزن مكانها فبنيت فيه بأمر السلطان .

قال : ثم ذهبنا فى طريق (أَمنسكرْوض) فبتنا فى زاوية سيدى عبد الله بن عمر ، ثم فى (تَارْكَانتْ نَايْت مُوسِي) عند الشيخ امروش ، وقد كان المتوكى المتولى اذ ذاك هو القائد مسعود ، فكانت هذه الناحيـة كلهـا من ايالته ، ثم فى (اِ يمِـنـْتـانـُوت) ثم فى (مزوصة) ثم فى (وادى نفيس) ثم دخلنا (مراكش) فهناك ذهب الشريف مولاى الكبير وابن الطاهر بأهل اِصـَبـْويـنا الى السلطان فأكرمهم واحتفل بهم ، فقد ألبسهم وحملهم على الخيل بسـروج جديدة ، كما اعطاهم مالا ، فرجعوا شاكرين .

اقول : تلك هي سياسة السلطان المولى الحسن رحمه الله ، فأنت ترى هذه القبيلة التى خرقت سجاف الحكومة فئاوت اليها اجنبيا مـن جنسية متوثبـة للاستعمار تحسبه تاجرا ، ولم تدر ماذا يختبىء وراءه من الاعيب السياسة ، ثم انحلت العقدة من أصلها أحسن حل . بيد أمثال القائد محمد بن الطاهـر اللبق اللطيف ، ثم أغدقت الحكومة على هؤلاء ما أغدقت مما أنساهم العصيان ، وحلى لهم الطاعة ، فهل نعتبر نحن بهذه السياسة فى عهد استقلالنا الجديدالذى ما يزال فى حاجة الى التدعيم والتثبيت لندرك كيف توكل الكتف؟ فان مشاكل عهدنا هذا اعظم من مشاكل عهد المولى الحسن قدس الله روحـه ، ونحـن الآن أحوج الى السياسة والمسامحة أكثر مما يحتاج اليهما من كانوا يعيشون فى

ذلك العهد ، اكتب هذا في 25 نونبر 1958 م . وانا أرى ما ارى من الريف وغيـره .

فـي مـراكش

كانت دار القائد محمد بن الطاهر في درب بعرصة أوزال بباب دكالة ، فكان مترجما مسخرا عنده، يزاول الاواني بين يديه وخصوصا أواني الاتاى، يجلوها ويهيؤها على العادة ، ولم يبق هناك القائد ابن الطاهر الا ستة أشهر ثم خرجوا .

في مرافقة السلطان

تهيأ مولاى الحسن الى سفر في الغرب ، فصاحبه القائد ابن الطاهـر وفـي صحبته صاحبنا ، فلما وصل السلطـان الى (قصبة أيت الربـع) بتادلـة أرسل ابن الطاهر الى أيت ويترا ليتوصل من هناك بمال للدولة ، فصـار يدور على القبائل قبيلة قبيلة ينزلون عليها على العادة من أن من ينـزل على مغرم مخزني يكون له أيضا حظ يسمي المبيتة . يكتب له بقدرها في رسالة الاستغرام ، قال : وكان من جملة الضيافة عند هؤلاء أن يذبح لكل فـرس شاة ، قال : فبقينا هناك 44 يوما ، فلما أتممنا جمع المغارم رجعنا من عندهم فاذا بهم تبعونا بالبارود بمجرد ما أخلينا بلادهـم من قواتنـا ، فرجعنـا الى (قصبة أيت الربع) حيث لا يزال السلطان نازلا ، ثم نهض بنا الى (وادى كثرو) حيث نزل بنا أيضا 45 يوما ، وهناك وقعت واقعة ينبغي أن تسجل .

قال : بينما القائد ابن الطاهر نائم في الفسطاط قائلة يوم ، وأنا أشتغل بتهييء الصينية (طبق الاتاى) بالكؤوس والبراد واغلي الماء ، اذا بثلاثة فرسان على احدهم سمة العزة ، على فرسه سرج ممتاز براق ، فوقفوا على . وسالوني عن القائد ، وقالوا اننا نريد أن نتلاقى به ولا بد ، فادخلتهم فسطاطـا عـلى حدة ، ثم ولجت على القائد في مضجعه ، فأيقظته . فاستيقظ غضبان يقول : أو لا اجد راحة منكم ؟ فقلت له ان ها هنا من يتطلب لقياك بكل الحاح ، وبينت له أن هؤلاء بلا ريب من علية الناس ، فخرج اليهم مجردا ، فاذا بالفرسان هم القائد محمد بن حمو الزياني وصاحب له ، جاء بهما احد اصحاب القائد ابن الطاهر. وكان في زايان في جيش كان مبعوثا كحامية مخزنية هناك ؛ فطلب منه القائد محمد بن حمو أن يصحبه الى القائد محمد بن الطاهر . ليراه أولا. لثقته به ، ولذلك فبمجرد ما رآه القائد محمد بن الطاهر بادره قائلا:أأنت هذا يا فلان ؟ فقال له نعم . ومعي القائد محمد بن حمو ، فتلقى ابن الطاهر ذلك بدهش كبير ، ثم امره بادخال القائد محمد بن حمو وصاحبه بسرعة ، وتلقى القائد محمد بن حمو بكل اجلال ، فقدمت اليهم الصينيـة والحلويـات

في الحين ، فاذا بانسان معروف بأنه يتجسس للسلطان يسمى القائد سالما عشعاش ، وكان أول من اعتنى بلبس الجباب المخططة بين رجال المخزن ، وكان المعروف في لباسهم هو البياض . وكان يتنكر في تلك الجباب لئلا يتنبه له من لم يكن يعرفه من قبل ، وقد رأى الفرسان داخلين . فدخل عليهم الفسطاط وسأل عنهم ، فلما علم من هم اعتراه دهش،كما كان اعترى القائد ابن الطاهر من قدوم محمد بن حمو بنفسه ، اذ كان المظنون بهذا القائد الزءياني الطائر الصيت ان لا يقدم على القدوم على السلطان بعد أن تباعد عنه كثيرا . ثم أسرع القائد سالم عشعاش الى السلطان ، وكان لا يمنع من الدخول عليه ، فأوصل اليه الخبر فارسل السلطان في الحين يأمر القائد بن الطاهر ان يتهيأ ، وأن يصحب معه الفرسان اليه،وقد جلس لهم السلطان مجلسا خاصا ، قال الحاكي: فلما أوصلهم القائد ابن الطاهر الى السلطان تنحى عنهم ، فاختلى السلطان بالقائد محمد بن حمو،وقد اعتنى به ، واجلسه مجلس المقربين ؛ فقالا ما قالا ثم خرج في الحين ، فوجدنا قد عيانا الطعام باستعجال من الدجاج واللحوم ، فاذا به سائر في الحين ، ولم يطعم شيئا ، وكانت نقطة الاستغراب والسرور في هذه القضية ان السلطان كان يتوجس شرا من جميع البرابر منذ قضية مولاي سرور الذى فتك به هؤلاء ، ولذلك كان يظن أن محمد بن حمو لن يقدم عليه ، ولذلك فرح به لما جاءه اليوم مستسلما .

وقد استتبعت هذه القضية واقعة اخرى مما يجرى مثله كثيرا اذ ذاك في البلاطات الملكية ، فيذهب المقتدرون والمخلصون ضحية له ، وذلك ان القائد ابن الطاهر لما ساقت له الاقدار أن يكون دخول القائد محمد بن حمو لدى السلطان على يده ، غار منه الوزراء والحجاب ، فقد ثارت ثائرة ولدى الجامعي والحاجب احمد بن موسى وقائد المشور ابن العلام ، ولاءوا كلهم القائد ابن الطاهر على كونه لم يعلمهم قبل الملاقاة . ولم يحك لهم ما وقع ، فاسروها في نفوسهم ، وجعلوا يتحينون له فرصة يبعدونه فيها عن السلطان ، ولذلك اقترحوا أن يكون هو الذى يبعث لاطفاء ثائرة أناس يقطعون الطريق في (عكراش) بين مدينة الرباط وقبيلة زعير ، فذهب الى تلك الناحية باصحابه،ومن جملتهم المترجم،وذلك بعدأن أوقع السلطان بأهل(قلعةالسمأعلة) وقد حضرها المترجم مع القائد ابن الطاهر ، فذكر أن السلطان ظل ثابتا وحده في الواقعة بعد أن هرب الوزراء ، وقد وقعت الواقعة في النجد أولا ، اذ خرج اليهم من في القلعة بعد ما استداروا بها ، فهلك من الفريقين كثير ، وكان بين على أمهاوش وبين من هنا حبل متصل ، ثم صار السلطان يتتبعهم في زعير وفي الجبال ازاء زعير بدلالة شرفاء يعرفون بالمباركيين ، فاقتنص منهم ما تيسر اقتناصه ، وهنا فارق ابن الطاهر ومن معه السلطان في مفتتح رمضان ، فذهبوا الى (عكراش) حيث قضيت المهمة ، ثم اتصلوا به في

الحاجب ، ثم عيدوا معه في مكناس ، وهناك أرسل السلطان اهل الحوز الى بلادهم ، فرجع عنه القائد ابن الطاهر بينهم ، لانه حوزى وقائد رسمى على أولاد دليم ، ومن عادة الحكومة اذ ذاك ان لا يغادر القواد قبائلهم كثيرا .

صاحبنا فى أيت بعمران

قال : ظلت تلك الغضبة الماضية تحز في نفوس الوزراء ومن اليهم ، حتى أوعزوا الى السلطان أن يذهب ابن الطاهر وجنده كحامية (امالة) في ايت بعمران ، فذهب معه صاحبنا ؛ ثم اتصل بهم السلطان حين زار سوس للمرة الثانية عام 1303 هـ . فكان هناك هو ومحمد بن القرشي الوريكي الذي خلف اباه بعد ما مات هناك . وكان القرشي هذا أول من مات هناك من القواد ، ثم مات بعده القائد الحسن السكنسيوى ، ثم القائد محمد ابن الطاهر صاحب المترجم ، وقد توفى نحو عام 1308 هـ . ثم القائد ابراهيم الشركى ، ثم القائد العربى بن حمو البخارى ، ماتوا كلهم قبل موت مولاى الحسن الذى كان في مختتم عام 1311 هـ . الا ما كان من القائد العربى فانه ما مات الا بعد عام 1311 هـ . وقد خلف القائد محمد بن الطاهر أخوه يحيا في قيادته وفي مكانه هناك ، بعد موته .

فى التجارة

اراد صاحبنا أن يبدل حياته بعد موت القائد محمد بن الطاهر ، فاخذ يتجر في العطرية ، فذهب عطارا الى تسوق موسم المولود في (آسـا) فربح فى تجارته ربحا نشطه للمضي الى الامام ، فصار يتعاطى التجارة الى أن ذهب فيها الى (شنكيط) متهيئا بالزى الصحراوى ، وقد اطلق شعره . وجرر ذيوله. وتبختر في (الفراويل) السوداء المفتوحة الجانبين من الكتف الى العقب ، ثم رجع من هناك بجمال ، فوافق مرجعه عيد الاضحى عام 1311 هـ . فاجتهد ان يصل القائد يحيا بن الطاهر صبيحة العيد ليصلى معه حيث كان نازلا مع القواد في القلعة المخزنية هناك ، فوجدهم قد صلوا ، فاذا بخبر موت السلطان مولاى الحسن قد ورد ، وأول من اتى به انسان يسمى عيسى الزفاضى يسكن في (آسريرْ) وكان يكاتب تاجرا اجنبيا في السويرة ، فوصل ذلك الى الحكومة ، فامرت الناس في بلده أن يكفوه لئلا يعيد قصة ذلك (التاجر) الانجليزى ثانيا ، فقام اليه الناس فحاصروه ، فافلت من بينهم . فذهب ليتصل بالسلطان ليعتذر اليه ، فالتقى بخبر وفاته في(ا يمينتانوت) فرجع بسرعة بذلك ، فقامت قيامة القواد ، فعمد محمد بن القرشي الى متاعه يرحله الى صهره ابن بومهدى الهوارى ، واما القائد يحيا فقد بقي في مكانه غير خائف من احد ، قال كنت لما رايت الناس يثورون على قوادهم قلت له : انك

لست كهؤلاء القواد ، فلم تاخذ مغرما من احد ، وأنت صاحب السلطان ؛ والناس لا يقاومون السلطان وانما يقاومون قواده الذين انتهبوا اموالهم قال : فاتبعني فبقى فى مكانه . فلم يهجه أحد ، ثم وصل الخبر الى سوس بقيام الغوغاء فى الحوز ضد القواد أجمعين ، فذهب المترجم مع بعض اعوان القائد يحيا الى قبيلة اولاد دليم بالحوز ليدافعوا عن اهلهم الشراردة ، وقد اصبح القائد الناجم منذ اتصاله بالدليميين شراديا يجرى فى مجارى رياحهم ، فلم يعرف بعد الا بالنسبة اليهم ، قال : فكانت الحرب مسترسلة بيننا وبين الرحامنة ، لان قبائل الكيش (تصحيف كلمة الجيش) حكومية ، والرحامنة وامثالهم ثائرون على الحكومة ، حتى اجتمعت كل القبائل على (اولاد دليم) فدهمت الى خيامهم ليلا ، فقتلوا من قتلوا ، ثم فر الباقون من المداهمين : قال: فلما بوادي (تانسيفت) تزداد مياهه فصرنا نقطع النساء والجرحي ، فلما عبرنا ولم نكد ، خلصنا الى بسيط (المنارة) بمراكش ، وفيها الباشا عباس ابن داود،وفي (القصبة) الباشا و يدة ، فنقلوا لنا الكتان للباس ؛ كما اعطونا ما نجعل منه الفساطيط للسكنى ، وصاروا يدفعون لنا الخبز والزيت ليتقوت بهما الراحلون الجالون عن ديارهم ، فصار كل من لا دار له يسكن فى الفساطيط ما بين دار البارود الى (سيدى ميمون) حوالى (الكتبية) فجاءت الرحامنة بقضها وقضيضها ، فاستدارت بمراكش وقد قرب عيد الاضحى عام 1312 هـ . ولم يبق له الا نحو أسبوع ، فصاروا ينادون اهل مراكش ويعيروهم بانهم سيبقون محاصرين ولن يضحوا فى العيد الا بالكلاب والهررة ، ويندون علينا باننا انما ندافع عن صبى لا يزال يرضع اصابعه ، يعنون مولاى عبد العزيز ، قال : وكان المتوكى القائد عبد الملك قد هرب من البروج الى وفلة السلطان هو وعباس بن داود هذا الذى هو باشا مراكش الآن ، فقام المتوكى الى محاربة جيرانه من القواد ، فهدم دار القائد سعيد الشياظمى ، ودار القائد مولاى عبد الله السباعى ، ودار أحمد بن مبارك الحاحى ، ثم جاء بجيشه الى مراكش لتقوية المحصورين فيها ، فنزل بداره وجعل يحارب الرحامنة ، قال :

وقبل يوم العيد بثلاثة أيام ، خرجنا الى الرحامنة ، فواتتنا الفرصة فيهم فهزمناهم هزيمة منكرة تبجحنا بها ديارهم واستبحنا أموالهم ، فغنمنا منهم كثيرا من الغنم والبهائم ، حتى بيعت عندنا بادنى رخص فى المدينة ، فتنفسنا من تضييقهم بنا ، فصارت القبائل ترد علينا وتنضم الى جانبنا ، وتقدم (التعركيبات) اى الذبائح التى تقطع عراقيبها (وهى عبارة عن تقديم هدايا الاستسلام ، وتكون عادة بقرا او جمالا يذبحها المستسلمون امام الغالبين) .

قال : كان السلطان مولاى الحسن بعد ما رجع من تافيلالت قد اعتقل ابنه مولاى محمد وكبله وجعله فى قصبة مراكش، وقد كان ظهر منه ما استوجب ذلك

ثم عزله عن ولاية العهد ، ورشح لها ولده المدلل مولاى عبد العزيز ، فقدمه في جيش أمامه الى الرباط ، ثم خرج بعده ، فما وصل تادلة حتى مات في البروج ، فبايعه هناك احمد بن موسى ومن لف لفه ، فنزل معه في الرباط ؛ وقد كان سبق اليها قبل وفاة ابيه،قال : فبقى احمد مع السلطان في الرباط لا يدرى اين يتوجه ، فبعث الى الباشا حمو بمكناس يطلب منه ان يحتال في حل العقدة ، وقد كان هذا الباشا حمو ارسل بعد وفاة المولى الحسن الى رؤساء البربر على اختلاف قبائلهم . بقصد اخذ الامان لنفسه وليستوثق للحكومة ، فنزلوا عليه ما شاء الله ، وهو يدر عليهم الاكرامات ويخلع عليهم الحلل ويركبهم على الخيل ، ثم قال لهم اريد منكم عقد الاخوة بيني وبينكم ، فتعاطوا العمائم على ذلك ، وذلك علامة التحالف عند البربر ثم ودعهم على أن يحضروا عنده متى توقف عليهم ، وقد كان أولاد الجامعي محمد الصغير العلاف،ـوالمقصود بالعلاف وزير العسكروالنفقاتعلىالجنه أى مايقرب مما يسمى اليوم بوزير الحربية ـ والحاج المعطى الذى هو الوزير الاكبر ، أو ما يسمى اليوم بالصدر او رئيس الحكومة ، قد وقعت منهما مؤامرة على احمد بن موسى والسلطان مولاى عبد العزيز ، وذلك انهما امرا بعض قواد العسكر ان يفتكوا بهما عند صلاة الجمعة ، فذهب القائد عبد السلام بن الراضي الحسناوى ، وكان ممن دخل في المؤامرة ، ليلا الى دار أحمد بن موسى ، فطلب منه ملاقاته ؛ فوجد عبدا يسمى بنا الساهل من اخصاء عبيده ، فاعتذر له عن الملاقاة بأن سيده نائم ، فألح عليه في ذلك الحاحا ، فتحايل العبد بمساعدة الجوارى حتى أوقظ احمد بن موسى، ،افضى اليه بالمؤامرة ، وبأ نولدي الجامعي قد دفعا مالا لفلان وفلان ولى أنا نفسي لنفتك بك وبالسلطان عند صلاة الجمعة ، فجزاه خيرا وصرفه ، فخرج احمد في الحين ، لان الليلة ليلة الجمعة ؛ فوصل دار المخزن ، فايقظ من ايقظ ؛ وبعث الى كل القواد العسكريين ومن بينهم القواد المتآمرون ، فأمرهم عن اذن السلطان ان يرفعوا مطاليبهم كلها في الحين ، والمطاليب هي ما يتوقفون عليه هم وجندهم من خيل وبغال وسلاح وفساطيط ، لانهم سيذهبون في مأمورية مخزنية الآن ، فطلب كل واحد ما شاء ، ثم زاد هو من عنده مالا فرقه عليهم جميعا كعطية ، ثم بعث الى الشريف مولاى بوبكر من بنى عمومة السلطان ، وهو الذى كان السلطان دائما يرسله ليذبح على اضرحة الصالحين ، فعينه شريف المحلة (والعادة ان يكون مع الرئيس المسئول في كل جيش امير من امراء العائلة الملكية . او شريف آخر من غيرها) والى القائد محمد بن بوشتا بن البغدادى المشهور رئيسا للمحلة فامر الكل عن اذن السلطان ان يخرجوا في الجيش الى (بتقيوة) في الريف. لانهم كانوا يعتدون على الناس هناك.حتى ثارت بهم زوبعة بين المغرب واسبانيا ثم أمر أن يخرج الجميع في الليلة ، وان يقطعوا قبل طلوع الفجر وادى أبى

رقراق ، وان يسافروا من الضفة الاخرى قبل الاسفار ، ثم بعث الى الباشا حمو ليستعمل حيلته فى اخراجه مع السلطان ومن معهما الى مكناس،فاستقدم الباشا اصحابه البربر، ففرح بهم ، ثم أعلم أحمد بن موسى ليتهيأ،ثم صاحبهم الى الرباط ، فنزلوا على الحكومة بكل اكرام ، فأفيضت عليهم الخيرات ثم بعد اسابيع سافر السلطان الى (مكناس) فوصل سالما فى خفارة البربر ، وهناك ودعهم .

ثم لما عزم احمد بن موسى على اعتقال ولدى الجامعى بعد عزلهما عن الوزارات،أمر الباشا حمو بذلك،فدهمهما هذا ليلا.وهما لا يزالان فى الفراش، فقيدا وحملا الى (تطوان) مسجونين .

قال : ثم بعد حين دخل السلطان الى (فاس) فكان أول ما فعله احمد بن موسى ان اعتقل المهدى المنابهى ، ومحمد أنفلوس الحاحى ، والجيلانى الزرهونى الذى صار بعدذلك الثائر أبا حمارة ، وكثيرا من عبيد الشريف مولاى عمر ، والسبب فى ذلك أن مولاى عمر هذا كان له حرص على ان يتولى بعد ابيه مولاى الحسن . وكان عالما مقتدرا معتزا بنفسه ،فلما بويع مولاى عبد العزيز ، وطلع أهل فاس بالوفد ، ومعهم النساء يتبعن الوفد مزغردات على العادة ، لينهوا الى الخليفة السلطانى الفرح بالسلطان الجديد ، غضب مولاى عمر فى نفسه حين لم يعين هو سلطانا ، فأمر اصحابه وعبيده ان يحملوا على الوفد بالضرب والتنكيل ، فقابلوه بالهراوى والاحجار ، ولذلك جازاهم أحمد ابن موسى بما فعلوا الجزاء الاوفى،ومن بين الفاعلين لذلك من تقدم اعتقالهم ، واما مولاى عمر فقد ضاق به الحال حتى مات وشيكا .

فى قيادة الجند

كان لمترجمنا هذا فى المعارك التى دارت حول مراكش جولات عظيمة مذكورة تعجب منها الحاضرون ، وتعجب منها السامعون ، حتى لا يسمع الا أن بوشنتوف (أى صاحب الوفرة) هو الرجل العظيم الشجاع الذى لا يهاب الموت ، وقد كان شعر راس صاحبنا لا يزال موفورا كشعور الصحراويين المرسلة ، فكانت تلك المعارك وما حواليها من معاملاته لرؤسائه مما أطار سمعته فى الشجاعة وحسن الاخلاق ، وقد أعجب به الباشا عباس بن داود ، والباشا وبدة باشا قصبة مراكش ، وهما رئيساه اذ ذاك : ولذلك ما كادت هذه الحرب تهدأ حتى تنادى الباشوان وأمثالهما بأن الناجم يجب أن لا يفرط فيه ، ولا بد أن يتولى على جند يقوده بشجاعة ، ومن امثال العامة المأثورة أن مائة جمل تقودها عقرب كلها عقارب ، وان مائة عقرب يقودها جمل كلها جملان ، ولمضرب هذا المثل قال هذان الباشوان ما قالا لما اعلنا أن مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من المخزن ، وان مثله من يقود الناس فى المعارك ، ثم أظهرت الايام أن القائد الناجم اقدر رجل على قيادة الناس فى المعارك

قال : فطلبوا منى ان أكون قائد رحى اى فيلق ، فابيت وقدمت رجلا آخر يسمى القائد محمدا منو يدة، وأكون أنا رديفا له ، ثم صرنا اولا نجمع طابورا يبلغ نحو خمسمائة ، ثم بعد ذلك صرت أنا القائد .

في ملاقاة السلطان

قال : ثم بلغنا اعلام برسول خاص (هو عبد من عبيد السلطان يسمى القائد بلخير الحمرى قائد العبيد) ، ان يخرج كل القواد أمثالى ، كالقائد عمر المراكشى والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى ، والقائد عبيد اليمورى ، والقائد الحسن اليمورى ، والقائد أحمد المجاطى ، والقائد المحجوب المطاعى ؛ والقائد الحاج على البعمرانى ، والقائد الحاج أحمد الزناكى الهنتيفى ، والقائد احمد بن كبتور الزمرانى ، والقائد خليفة الزمرانى ، وكلهم قواد ارحاء ؛ وقد أعلموا بأن يتلقوا السلطان القادم فى مشرع الشعير،لكن لم يكن الجند كله مسلحا عند هؤلاء القواد ، الا جندى أنا فانه مسلح التسليح التام ، وماذلك الا لان الثقة فى وفى جندى تامة ، بخلاف غيرنا من جنود القبائل لانهم ياخلون السلاح ويفرون الى قبائلهم به .

قال : ثم خرجنا كلنا فتلاقينا مع السلطان هناك،وقد قطعنا بلاد الرحامنة التى كنا وطأناها وعيدنا بغنمها بدل الكلاب والهـررة التى توعدنا اهلهـا بالتعييد بها فى العيد الذى تقدم ذكره . فبتنا مـع السلطـان وراء مشـرع الشعير فى الشاوية ، ثم امرنا ان نسير امام المحلة (الجيش) فعبرنا وادى ام الربيع قبلها . وقد كان عبد الحميد قائد الرحامنة مع السلطان فى فاس ، ثم جاء معه الآن ، ثم امرت الرحامنة أن يعطوا المرهونين أولا ، فياتى الفارس فيؤخذ فرسه وسلاحه الى مخزن السلاح ، ثم يذهب به هو الى السلسلة ، حتى وصلوا مئات ، وكان الذى يرأس هذه الفتنة الرحمانية الطاهر بنسليمان ملتجئا الى مشهد سيدى على بن ابراهيم بتادلة،فجىء به هو فى الامان تحت غطاء السيد،ثم اعتقل وجعل فى القفص على جمل اعرج ليطوفوا به ، قال : وكنت وقفت أمام الجمل ،فلم يكد يقف حتى جاءته الاحجار من كل جهة ، وقد كان سيفى فى يدى فضربت به راس الجمل فبرك ، فقال قائل ان الناجم هو اول من رمى الجمل بالحجر ، وقد كان الوزير انكـر ان يكون الجمـل قد ضـرب بالحجارة ، فوقفت أنا مكانى ، وبعد ساعة جاء من قال لى ان نحو عشرين عونا يبحثون عنك عند معسكر اصحابك ، وقد اتهمت بكذا وكذا ، فلويت راسى تحت ذيل ثوبى فانخنست ازاء المعسكر الى العشى ،فذهبت الى اصحابى وقد انطفأت الجلوة ، ونسى ذلك ، وكان الذى بعين الطاهر بن سليمان دحانا الصنهاجى ، وحموشا من دمنات وقد هرب الثانى ، واما الاول وهو دحان الصنهاجى فقد اعتقل وطيف به فى المحلة ، ثم مات فى الحين فـوق حمـار

بالحجر الذى يرمي به ، ثم فرقت فيالق الجيش ثمانية على أطراف كل قبيلة الرحامنة ، قال : فذهبت أنا والقائد عبد السلام بن الراضي ، والقائد ابن الفكاك ، والقائد صالح الزمراني،والقائد خليفة المطاعي،نحن خمستنابجنودنا زادنا الوزير على الحاج ابن عيسى ولد الباشا حمو ، الذى معه القائد ولد العسولي ، والقائد العربي الزمراني ، والقائد عبد السلام بن الشكسراء ؛ والكل مرابط على راس العين فى بلد البرابيش ، والفرق السبع الاخرى نزلت كل واحدة منها فى محل عين لها ، وهكذا اديرت الجيوش بكل ارض الرحامنة، وفى يوم معين زحفت هذه الجيوش من كل ناحية ، فالتهمت كل ما فى الرحامنة ، فقتل من قتل ، وأسر من اسر؛ ونهب ما نهب . حتى تلاقت فى وسطها ، فثابت بثالاف من المسجونين فى السلاسل ، فيصبح الاموات فيها كل يوم ، وقد كانت تجر بالجيوش نحو مراكش ، فلا تسال عما وقع اذ ذاك للرحامنة ، قال : ثم من وسط الرحامنة الى (زاوية ابن ساسي) وقد انهمرت الامطار ، فبقينا حتى دخلت سلاسل المساجين الى (مراكش) وقد رايت سلاسل نصف من فيها اموات يجرهم من لا يزالون احياء ، ثم فى مراكش يعزل الاموات فيدفنون ، ويذهب بالاحياء الى الدفن فى السجون ، ثم دخل السلطان الى مراكش فى عهد شديد الامطار ، حتى أننا قبل ان نقلع من زاوية ابن ساسي لا نجد مضربا لاوتاد الاخبية ما لم نصادف سدرا تاصلت جلوره.

فى الجيش الى سوس

رايت ما صنعه الباشا حمو فى تاييد أحمد بن موسى فى سياسته ، وانه هو الذى اجاره من الرباط الى مكناس ، وانه هو الذى تولى اعتقال اعدائه الجامعيين ، ولكنه جزاه جزاء سنمار ، ففعل به كما يقال فى المثل العامى : ان طلعت بسلم فاكسره لئلا يطلع اليك به غيرك ، فقد راى قوته وحنكته وحسن حيلته ، فزعزعه من مكناس . وارسله كالمنفى الى تارودانت ، فى جيش فيه الشريف مولاى عثمان بن محمد بن عبد الرحمان ، ومعه محمد بن سليمان (والد سفيرنا فى العراق الآن السيد الفاطمي بن محمد بن سليمان) قال : فاعلمتني الحكومة ان اتهيا بجندى لاذهب معه ، انا والقائد عبد السلام ابن الراضي، والقائد البشير بن السنّاح الشركى ، والقائد صالح الزمراني؛ والقائد مولاى عمر المراكشي ، والقائد ولد الحاج المعطي التادلاوى ، قال : خرجنا معه من مراكش ، فنزلنا فى (مزوضة) ثم فى (ايمنتانوت) ثم فى (ار"كانة اينت منوسبى) ثم فى (امنسكروض) ثم فى (أكافاى) ثم الى (النين اولاد تيشة) فى هوارة ، ثم فى) (دار هاشم) القريبة، وكان الوقت وقت مسغبة شديدة ، قال سرق فرسان من امام فسطاط الشريف مولاى عثمان ، وكان السارقون من جندى انا ، فباعوهما فى هشتوكة،ثم استدعانى

الباشا حمو يوما فسالني من السارقون فقلت له انهم من جند السلطان فقال وهم تحت يد من ؟ فقلت انهم تحت يد من وضعهم السلطان في يده ، فقال : لا بد أن يلقوا في السلسلة ، حتى ياتي قواد مئاتهم ، فلم أجبه لذلك ؛ فقلت له ان المجرمين قبضوا عندك ولا يمكن أن تزر وازرة وزر أخرى، فكنت كلما اراه يقول لي ان اصحابك لا يطلقون البتة حتى يحضر قواد مئاتهم ، فاقول له لا والله لا أعمد الى أناس برءاء في ايديهم سلاح الحكومة فاجعلهم في سجن يضيعون فيه فتضيع أمانة الحكومة من السلاح في ايديهم ، قال : وكان الباشا حمو لا يتم تمييزه احيانا، وقد عرفت منه ذلك في اول اتصالي به ، ثم ابتدات المهاجمة ضد الجيش من جهة هشتوكة ، فاغار بعضهم على خيل لنا في (أدْميم) ثم تتابعت المهاجمات فثارت هوارة، ، فقمت في اثر الخيل التي أغير عليها فركبت في أصحابي فرددناها ، ففرح الباشا حمو بفعلتي وخرج الى في رداء أبيض بزيوي يتلقاني ويهنئني على ذلك، فاقترحت عليه اطلاق سراح أصحابي فاطلقهم ، وقد كان المهدي المتوكي خليفة القائد المتوكي نازلا بجيشه في (تارْكَانتْ تاينْتْ مُوسى) فأتى اليوم فصادف هذه المداعسة أمامه، وقد نوى أن يصالح بين الباشا حمو وبين خصومه ، قال المترجم : فسمعته يقول وقد رأى الرصاص يندلع : اتينا لنخيط دربلة هؤلاء فاذا بهم يزيدونها تمزيقا.

ثم بلغنا ان هشتوكة وهوارة قد جاشوا علينا متوافقين ، فباتوا فرقا فرقا في القرى حوالينا ، فارسل الى الباشا حمو قائلا : الآن نريدك ، فلكل ميدانه وهذا ميدانك انت ، فقلت لست انا وحدي هنا ، فقال عندنا كثيرون . ولكنك انت انت في المعامع ، فقلت له على شرط ان تأمر كل القواد ان ياتي كل واحد منهم باربعين من أصحابه ، من أهل الفر والكر - هذه عبارته - وأن ياتي أصحاب الابواق والطبول كلهم معنا ، فلما اجتمعوا تقدمتهم الى القرى التي فيها المتربصون بنا ، فلما توسطناها وسط الليل والناس غارقون في نومهم امرت أصحاب الطبول والابواق . فنفخوا وضربوا نفخة وضربة ممتزجتين ، فاهتزت الارض والقرى بمن فيها ، فانزعج النائمون انزعاج المشدوهين ، فلم ينظر منهم الغادي الرائح ، وصاروا يتسللون كالارانب . ونحن ننظر اليهم وهم فارون ، فرجعت عند السحر ، فوجدت الباشا حمو واقفا . وقد توضأ على عادته في التبكير بالوضوء في الاسحار ، فقال هل تم الغرض ؟ فقلت له نزع الله الشوكة بلا دم - هذه عبارته - فقال هل أنت متوضىء ؟ فتوضأت ثم صلينا الصبح معه ، ولله دره من محافظ على أوقات الصلاة لا يعرف في ادائها التاني او الهويني .

قال : ثم تحولنا عن منزلنا الى دار ولد بوعكّاد ، فنزلنا فيها ونحن زهاء الفين ، ثم صار الهشتوكيون والهواريون يتقوون علينا، حتى صاروا يعقدون مجامعهم امام أعيننا ثم يمرون بنا فيقولون: الا تجمعون عنا يا هؤلاء البخاريون

فما طيطلكم ؟ ويسبون ، ولا يسمون الباشا حمو الا الامة الوتعاء ، وذات يوم نزل شاب من أصحابنا الى ذرة في الوادى . فقطع منها شيئا . وقد اضر به الجوع ، فجاء بعض المجتمعين في المجمع امامنا من الهواريين ، فضربوه ضربا مبرحا ، فافلت من أيديهم ، فلاقاه خليفة لى . فسأله عما عراه . فاخبره بالخبر .فلم يصبر فاطلق هو ومن معه الرصاص على المجمع ، فثار كل المجتمعين نحو جيشنا ، وصاروا يلقون علينا الرصاص ، فثار الجنود يحاربونهم ، فجمعت أنا أصحابي واخذنا نشرب الاتاى في فسطاطنا ! فاذا بصاحب الباشا قد جاء الينا فقال ما تصنعون انتم ؟ فقلت له انك ترانا مجتمعين ، وجاءت رصاصة أمامنا حفظنا الله منها ، وانما قلت له ذلك لانى اعلم أن بعضهم سيقول للباشا ان أصحابى هم الذين أثاروا الخصوم ، ورغما عن كون ذلك هو الواقع فانى لا اريد ان أتحمل المسئولية ،ثم اشتدت الحرب فامرت أصحابى بالركوب ، فاستدرنا وراء الخصوم ، فحملنا عليهم من نحو ظهورهم حملة شعواء تشتتوا بها شذر مذر ، ثم في الصباح المبكر ادلجت الى (المَنْيَـزْلة)
ودار ابن ضـالِي وأولاد سعيد ، ودواوير أخرى ، فالقينا بذلك درسا مفيدا على الهواريين،فعرفوا حينئذ مع من هم ، ثم صاروا ياتوننا تائبين (منصَركبين) ثم انتقلنا الى أولاد سعيد ، ثم الى (تارودانت) وقد كان الحاج ابن عيسى ولد الباشا خليفة لابيه فيها بمجرد ما حل في هوارة ، وقد تقدم قبله خليفة عنه الى هذه المدينة ، فكنا نجتمع في الاغذ يَة عند ولد الباشا في (قصبة)تارودانت ثم ارسل الباشا ولده هذا الى (سكتانة) في بعض جيشه ليجمع منها المغارم الحكومية ، وذلك بعد ما تمهدت له قبائل رأس الوادى من هوارة الى (أَوْلُوزْ) فيفرض المغارم كما يشاء ، فيلمم كل شيء مما يدفعه له الناس من الخيل والبغال وغيرها ، وقد كان الجيش الذى مع ولد الباشا عتيدا قويا ، ثم خرج الباشا بعد ولده فنزل في (أولاد يحيا) بجيشه الكبير الذى فيه الشريف مولاى عثمان والامناء ، قال : ثم من هناك الى (اولاد بْرحيل) بعد ما زرنا (مشهد) سيدى عياد السوسى في (تَامَازْتْ) واذ ذاك تعين حيلة بن ميس شيخا على اخوانه أولاد برحيل،وكذلك الحاج على بن حماد من سكان ناحية (البْرِيوِيكة) من أولاد ابن عيسى بأولاد يحياصار شيخا عليهم،ومن هناك الى(ادَاوْكْمَّاضْ) وقد كان القائد العربى الضارضورى وخليفته هاربين الى الكنتافى ، والذى تولى في محلهم خال لهم بطين - كما وصفه الحاكى - هو الذى وجدناه في (ادَاوْكْمّاضْ) .

قال : وكان قواد الارحاء الذين معنا يخرجون الى القبائل فيجمعون المغارم ، ويفوزون بالمبيتات ، وقد ينزل القائد فلا يقوم الا بخمسمائة ريال فاكثر أو اقل على حسب مقامه ، وعلى مقدار غيبته . وعلى قدر المال الذى يجمعه من المغارم ، ولما وصلتنى النوبة ذهب جنودى وأصحابى الى (هَوْزِيوَة) وارسلت

معهم خليفتي واعواني الخصوصيين، وكان من عادة القواد ان لا يذهبوا بانفسهم وانما يبعثون خلفاءهم ، وقد كان الكنتافي يطلب الهوزيويين من الوزير احمد بن موسى صهره ، وقد كان موسى والده وقف حتى صالح والد الكنتافي مع السلطان مولاي الحسن . فاهدى له محمد الكنتافي بنته فزوجها موسى من ولده احمد فكانت له بذلك مصاهرة مع الكنتافيين ، فنفذ له الوزير احمد هذه القبيلة ، فلما جاءه الظهير بذلك صادف الحال ان اصحابي هناك يجمعون ما يجمعون ، فاوعز الى الهوزيويين أن يأمروا اصحابي بالانتقال ، فان ابوا يحاربونهم ، قال : فأنهض الهوزيويون الجبليون عنهم الاعولين من الجبل ، فكتب الى اصحابي بذلك ، فاخبرت الباشا ، فأمرني ان أذهب بنفسي وانظر ما في ذلك بسياسة وحكمة ، فلما وصلت أهل السهل من القبيلة ، ناداني احدهم الى ناحية انفرد بي فيها . فاخبرني بالحقيقة ، فعلمت أن امر هذه القبيلة أصبح بمقتضى ذلك الظهير في يد الكنتافي ، واذا بالجبليين يأتون بالمئات لمدافعتنا ، فامرت باسراج الخيل وجمع المتاع ، ثم استدعتني القبيلة مجتمعة ، فوصلت اليها ، فقال لي قائل منهم : ايها القائد اننا راعينا أصحابك ووفيناهم مبيتاتهم ومبتة العون من ريال الى خمسة لكل ليلة على القرية او على الفخذ جمعاء ، وقد رايت أن العام مجدب ، فنحب منك أن تقلع عنا الآن بفضلك ، فقلت لهم حبا وكرامة ، ودعوت لهم بخير ، ثم أقلعت بأصحابي فلم اكد افارقهم حتى دهمت مئات أخرى من الجبليين تنادينا ان اجمعوا شراويطكم يعنون الفساطيط ، فلاينتهم حتى خرجت من بينهم وابتعدت ، فاذا بالامطار تنصب علينا ولم تزل علينا كذلك حتى وصلنا معسكر الباشا ليلا، فقصدت فسطاطه ، فلما عرف من أنا ، امر أن أدخل عليه راكبا فرسي . وأن لا انزل الا امامه لعلمه باني مبتل بالمطر ، فلما مثلت بين يديه سالني الا باس ؟ فقلت له لاباس ولله الحمد ، ثم أمرني أن أذهب الى محلي الى الغد ، فرجعت عنه وأنا اسمعه يقول : غدرني أحمد غدرني احمد ، يعني الوزير احمد بن موسى الذي نبذه الى سوس . ونزل منه القبائل وبعطيها لغيره .

في سكتانة

ثم أن ولد الباشا الذي في سكتانة ضعف امره،وانقطعت عنه المواد ، وثارت حواليه الامواج ، وقد فر عنه كثيرون ممن كانوا معه ، فاستدعى الباشا صاحبنا هذا وطلب منه أن يذهب ليشد عضد ولده ، فامتنع امتناعا قائلا : انكم لا تستدعونني الا اخيرا ، مع انني ما كنت الا واحدا من قواد الارحاء ، ولكنكم دائما تؤخرونني ، فقد أرسلتم فلانا وفلانا وفلانا الى محلات استفادوا منها اموالا ، واما أنا فلا تستدعونني الا أخيرا كما استدعيتموني في الامس القريب الى محل جبلي لم البث ان طردت منه ، ، فمتى دارت النوبة فوصلتني

فها أنذا موجود ، قال : فلما استعصيت عليه ، طلب من الشريف مولاى عثمان ان يطلب مني ذلك ». فلم يصرح لى الشريف بشيء الا انه ارسلني الى الباشا لما وقفت أمامه ، فلما بلغت الباشا ازددت امتناعا معيدا ما قلته آنفا كان لسان حاله يقول :

واذا تكون كريهة أدعى لهـا   واذا يحـاس الحيس يدعى جـندب
هذا وجدكم الصغـار بعينـه   لا أم لى ان كـان ذاك ولا اب

ثم ان الباشا لم ييأس ، وعاود طلب الشريف مولاى عثمان ان يكلمني ، فاذ ذاك الح على الشريف ، وأعانه وزيره ابن سليمان ، فبعد لاى لبيت الطلب مشترطا ان اعطى كل ما اريد ، فلما قبلت سالنى الباشا عن كل مطالبى ، فطلبت الجباب الغلاظ للجند لان الوقت وقت برد ، والاحذية ، وتعويض نعالها اذا انخرقت (الملغ) وتجديد الفساطيط والامتعة وادوات السفر كلها ، فتم لى كل ذلك بعد ما جاء الجميع من (تارودانت) بعد ايام ، ثـم زدت على ذلك ان يعطى جندى مؤنة 45 يوما اقبضها كلها ناضة بيدى ، ولما نلت كل ما طلبت استدعيت جندى وقلت لهم:يا اخوانى وجواشنى ودروعى ،» اننا ذاهبون اليوم فى مهمة مخزنية لا مناص منها ، وقد دافعت لئلا نذهب،ولكننى غلبت على امرى، ثم قلت لهم بمجرد ما نقطع الوادى فلكم ان تجردوا كل مـن تصادفونـه من القبائل العاصية ، ولكم ان تركبوا كل بهيمة تصادفونها من اهلها ، الا اننى لا آمركم بقتل احد ، ثم خرجنا لطيتنا فبتنا فى (نتـلـيت) با نداوزال ، فوجدنا المئونة كلها حاضرة عند ابراهيم بن ابراهيم الانـداوزالى ، ثـم فـى (دلو تاورير ت) بايالة الشيخ عبد الله من سكتانة » فلم يبيتنا خير بيات فامرت باعتقال كل من حضر . وتجريدهم من ثيابهم وخناجرهم . لان مئونتهم ضئيلة جدا . كأنهم يسخرون منا ،وقد فرقت فيها الدجاجة الواحدة على اناءين مع خبزة ارق من ورقة ، ثم لم اطلقهم حتى ادبتهم تاديبا لم ينسوه ، وقد قمت انا بنفسى بضيافة رؤساء جاءوا مع تلك المئونة الضئيلة ؛ وقد بينت لهم لما تشكوا من اعتقال اصحابهم سبب ذلك.والفعلة التى اتوا منها ، وقلت لهم : اهكذا يقابل اصحاب السلطان وجنده؟وقد حاولوا ان يخوفونا بالتجمهر على ثنايا الجبال ورؤوس الكدى ليلا ، فتخوف من عاقبة ذلك بعض اصحابى وجعلوا يلومونني على اعتقالهم ، فقلت له ان عندنا ثمانين من اخوانهم . فليفعلوا ما شاءوا » ثم بعد ان راونا لا تنمشى علينا الحيل . ولا نستخذى للتهديد ، تابوا فجاءوا بالاكباش والسمن والتبن والشعير للبهائم ، ثم لم نطلقهم حتى وصلنا محلة ولد الباشا ، ليكونوا رهائن فى ايدينا ،» وضمـانة لوصولنـا بسلامة ، فقال لى الشيخ عبد الله لما وصلنا » وقد وجدته عند ولد الباشا : ماذا فعلت بقبيلتى يا فلان . مع أننى ناصح دائما ، فاسأل عنى ولد الباشا ، فقلت له اباربعين ديكا يمان جند السلطان ؟ فقال لا فقلت له لم حينئـذ

قبيلتك لا نحن ، ثم ماننا ولد الباشا ببقرتين وحملين من السكر ، وفي الغد عزمنا على السفر والرجوع بكل ما في المحلة . وما في يد ولد الباشــا من الكثير الوثير من الزعفران والبغال والعبيد والزرابي ، ثم تقدمنا الشيخ عبد الله ، والشيخ التّازْولْتِي ، فمررنا اولا (بْاِنْتَـاوْنْ) فخرج اهلها خائفين وقد قدموا ثلاث بقرات ، فقبلت منهم ، ولم يهاجوا ، لانهم ليسوا مقصودنا ، ثم زدنا حتى وصلنا قرية (دْوُوزْورْ) وهناك محل يسمى (ايغيل نوغو)فيه ثائر عاص رفع راية العصيان على الحكومة وهو مقصودنا ، فاذا باناس فارين خرجوا من داره ، فصرنا نضربهم بالرصاص ويضربوننا،ثم تمكنا من الاحاطة بالدار التي هي مقصودنا . فنزلنا حواليها ، وحاربنا حتى اقتحمناها بعد ما ضربنا الابراج بالقنابر . فيصاب اصحاب المدفع واحدا بعد واحد برصاص من في الدار ، وقد حفظني الله ذلك اليوم مرتين:مرة وانا على فرسي وقد تقطع حزام سرجه ورميت بأربع رصاصات لتخطئني ، والاخرى رميت بفردة رحى من سطح الدار وانا ازاء حائطها . فأصيب بعض راسي ، ثم لما عرفت انه انما هو جرح خفيف لويت عليه عمامتي ، ثم نقب بعض الهواريين حائط الــدار . فوافق هري التبن ، فاوقد فيه النار ، فاذ ذاك صار المحاصرون يطلبون الامان ، ولكن لم ينج الا رب الدار والباقون ماتوا ، ثم لم يوف له ولد الباشا بالامان حين رآني مجروحا تحت داره . فامر بقتله ظلما وعدوانا . ثم طلــع الينا الباشا في جيشه ، فسرنا حتى وصلنا معه الى (زناكــة) وكــانت من ايالة القائد المدني الاكلاوي ، فهناك ادى عن زناكة مغارمها ، واذ ذاك تمهدت كل القبائل فاستبحرت المغارم ، ثم رجعت الحملة الى (آوْلْوزْ) وقد كان الكنتافي نزل في (هَوْزِيوة) بجيشه ، وقد ساق امامه كل ايالته من اهل (وادي نْفْيسْ) وآيِنتْ سْمكْ) و (اْوتَايْنْ) فنزل مع جيش الباشا حمو ، ولكنه لم يكد يستقر وياخذ مغرما او مغرمين من هَوْزِيوّة حتى ثارث عليه ، وقد زحف يوما اليها فلم يصادف نجاحا ، مع أن من معــه غيــر قليلين ، والنصر لا يكون في الحرب الا باستماتة . قال : ثم وقع بيني وبين بعض القواد هناك شنئان تجاذبنافيه السباب ، وقد علم كل من هناك ان ذلك القائد هو الظالم ، وانما انفت أن اتحمل الظلــم ، فصــادف ذلك ان وردت رسالة لاطلع من سوس مع قواد آخرين ، فاستدعاني الشريف مولا عثمان فقرا على الرسالة ، ثم سالني الباشا حمو عما اتوقف عليه في سفــري ، فذكرت له خمس بغال فاعطانيها وامرني ان ادفعها لولده الحاج احمد الســاكن في (عرصة اوْزال) بمراكش حيث توجد داري . وقد كنت اشتريتها قبل ذلك الوقت .

هذا ، وقد ذكر ان من جملة من في جيش الباشا حمو (اْ'تَسْوكَا) خليفة القائد سعيد الكيلولي ، ثم لما هاجم الهشتوكيون والهواريون الباشا حمو طلب

من الحكومة مددا ، فامرت القائد سعيد الكيلتولى أن يهبط الى (سوس) باخوانه، فلما وصل (أكادير) تلاقى مع الذين انهزموا من (تابنوحتايكتة) من قواد سوس الجنوبية ، فطلبوا منه أن يذهب معهم الى جهتهم ليستعينوا بـه فقال لهم لا تطلبوا منى ذلك،ولكن اطلبوه من السلطان ، فكتبوا اليه فأسعفهم، وكان الذين انهزموا من هناك ثلة صغيرة فيها الشريف مولاى عبد السلام الملقب (الاتاكنرى) قال انه من احفاد مولاى سليمان ، ومعهم قـواد الجنوب السوسيون ، ومعهم القائد ابن يطو الشركى،وكان غنيا مشهورا فى قبيلة اولاد جامع ، يحرث بنحو مائة زوج ، ومعهم الامين العربى العبدى الكاتب ، والقائد خليفة الزمرانى مع القائد الحسن اليمورى،والقائد رحال بن التونسى الرحمانى.

رجوعه الى مراكش

قال : سافرت من تارودانت أنا والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى،والقائد مولاى عمر المراكشى ، والقائد بوعلام الزمرانى ، قال : فلما قاربنا مراكش ، تلقانا رسول فامرنا أن ناتى نحن قواد الارحاء سابقين . وأن نترك وراءنا من معنا حتى يصلوا ، فوصلنا دار العلاف (أى ما يقرب بما يسمى اليـوم بوزير الحربية) السيد سعيد بن موسى ، فارسل معنا صاحبه السيـد ابن عيسى . فمثلنا بين يدى الوزير الكبير احمد بن موسى ، فامرنا ان نجلس امامه فى القبة التى يجلس فيها ، وهى مكتظة بالكتاب عن يمينه وشماله على العادة،وكل واحد مكب على شغله فى صموت وهدوء ، كأنهم لا يتحركون ، فجلسنا امام مكتبه . وقد رددنا سيوفنا الى وراء ، ومقابضها ازاء أذرعنا على العادة التى يقعد بها القواد امام الوزير ، قال : فظل يسألنا عن أسمائنا ، فسكت الذين معى مندهشين ، فبادرت أنا أجيبه عن كل واحد ، حتى سألنى عن اسمى ، فقلت له الناجم بالله بارك فى عمر سيدى ، فانجفل حين سمع اسمى . فاعاد السؤال فاجبته ثانيا بمثل جوابى ، فتناول ورقة فيها اسمى على ما يظهر ، ثم سألنى ثالثا ، فاثار الحاحه فى السؤال اهتمام الحاضرين، فرايت وجوه السيد عباس الفاسى ـ وهو جالس عن يساره ومولاى الطاهر البلغيثى ، وهو جالس عن يمينه ، تعلوها صفرة ، كأنما يتوجسان ان يأمر بنا للتنكيل ، ثم امرنا بالخروج ، فلم يزد على ذلك ، ثم رجعنـا الى السيـد سعيد وزيرنا ، فامرنا ان نجلس فى المحل الذى يجلس فيه عادة قواد الارحاء فى دار المخزن على زربية ، ثم امرنا ان ندفع كل ما عندنا من السلاح ، وكل ما تحت ايدينا من الدواب والجند ، وما فعلوا ذلك بنا وبجميع قواد الارحاء الا للاتهام باننا لا نقوم كلنا بالمهمة المنوطة بنا،فلا نمثل بمجموعنا دورا جديا فى العسكرية ، وغالب القواد منا حيناء حضريون لا يعرفون ما يصنعون » فارادوا ان ينقوا الجندية بذلك ، فاضافوا جندنا الى طوابير اخرى ، وسلبونا من تلك

القيادة ثم ضمنى انا سى سعيد اليه ، فأكون أنا والسيد محمد الكباص فى موكبه . فنركب معه دائما ولا نفارقه ، فيقضى بنا اغراضه الخاصة يبعثنا اليها، وقد آنست منه انه يعتمد على كثيرا فى مهماته ، لاننى احسن التأدب معه كما ألفته من صغرى مع سادتى ورؤسائى .

فى رحلة أخرى الى سوس

قال : جمع من الشاوية جند وظفته الحكومة على الناس يبلغ زهاء ثلاثة الالاف ، فبعثه الوزير سى سعيد معى لاوصله الى القائد سعيد الكيلولى بتزنيت، فذهبت انا والقائد بلخير الحمرى ، والامين الذى فى يده النفقات هو السيد عبد الله الايكيدرى الحاحى الزلطنى ، وكان معى اربعة من أصحابى على خيولهم ، ومع القائد بلخير اربعون من عبيده ومعنا شريف صاحبته معى لله يسمى سيدى محمدا الاسماعيلى ، وقد كان نازلا عند الشريف سيدى محمد بن الرشيد القاطن فى القصبة ، لاوصله الى تيزنيت لغرض له فيها، وهو شريف عليه لوائح الخير ، قال : فلما اوصلنا الجند الى الكيلولى ، دفعناه له عددا أمام الذين حضروا من القواد السوسيين وغيرهم ، وقد جلسوا كلهم لعرض هذا الجند ، وكان مع الكيلولى من قواد الارحاء ، القائد ابن الفكاك ، والقائد علال ابن الحسن الرحمانى ، والقائد عبد الله المهارسى الحاحى ، والقائد عمر بن المصوبر الزمرانى ، قال : وجدنا الجيش الكيلولى يقوده الحاج أحمد الكيلولى الى جزولة،بوجنان،وقد اجتمع كل الولتيتيين (اداولتيت) عليه وحصنوا الجبال بذلك السور الشهير المستدير بتلك النواحى والمسمى هنالك ضرناس— قال : ففى حضرة القائد سعيد كنا نتغدى ونتعشى دائما ، بعد ما أنزلنا فى دار القائد العربى بن حمو البخارى وقد أخلاها لما انزلته الحكومة فى ايت بعمران لخلاف بينه وبين الكيلولى ، فنحن فيها الآن مع القائد بلخير ، قال : وفى عشية مر بنا عبد رأيت الزبد الابيض على طرف سرج فرسه متلبدا ، ورأيت وجهه متقلصة شفاهه . ومتغيرة سحنته ، فقلت لجليسى ان لهذا العبد لنبأ ، ثم لم يكد يدخل الى دار القائد حتى سمعنا ثلاث صرخات عالية مدوية، فقلت لجليسى أسمعت ؟ ثم بعثنا من كشف لنا الخبر ، فاذا بالهزيمة وقعت فى جيش الكيلولى ، وان الرئيس الحاج احمد قد أصيب فى الحرب وان الحسين ابن الصالح ، التكنز يريغى ، والقائد احمد بن سعيد قائد الرحى الحاحى ، وأمثالهم من كبراء حاحة قتلوا ، فرجعنا الى منزلنا ، وفى الليل سمعنا جلبة الحوافر الكثيرة مرت بدارنا وهى واقعة على ظهر الطريق لمن يخرجون الى خارج المدينة ، فقيل لى انها لجيش للقائد سعيد فقد ذهب الى محل المعركة لينظر كنه الواقع،فطلبت من القائد بلخير أن نذهب معا فى اتباع القائد . لانه لا ينبغى لنا ان نتخلف عن مثل هذا ، ونحن حاضرون ، فتأبى ما شاء الله ، فلما

راى مني الجد ، أمر ان تسخن له طواجين ، وكان اكولا نهما . فالتهم منها :
ثم خرجنا حتى لحقنا القائد في محل المعركة ، ازاء (تاساوْنحتْ نْدرْيس) في بعقيلة ، قال : أوجئتم ايضا وانتم أصحاب سيدنا ؟ فلمته على ان لم يعلمنا ، فقال : لا اريد أن ازعجكم في الليل ، وقد وجدناه واقفا وأمامه في الجبل البعقيليون يصيحون به،وقد حملوا جثث الموتى الحاحيين فتترسوا بها،وقد عمدوا اليها يطعنونها حتى ما تركوا فيها مسلكا لخنجر،ثم صار القائد يفرق (القرطاس) فاخذنا منه لاصحابنا ، فرأيت القائد كانه جاءليتفرج، فقلت له ايها القائد : اما أن تباشر الحرب مع هؤلاء واما أن ترجع ، فان هذا الوقوف ليس من سياسة الحرب ، ثم نويت ان أحمل مع فرسان اخترتهم من الحاحيين فقال لي قائل : ان هؤلاء الجبليين لا يضربون الا في الراس أو في الكبد ، ثم شننت غارة على اشباار (المترس) لهم ، فاذا به قد خلا ممن كانوا فيه ، ثم جاء القائد الطاهر ابلاغ ، فقال له القائد سعيد : أهذا ما يليق بكم فقد جئناكم أنتم معشر القواد السوسيين ، فاذا بكم ترون اخواننا يمزقون هكذا بأيدي اخوانكم ثم لا تحركون ساكنا ؟ فقال له القائد الطاهر : انني كنت سبقت لاخوانك حتى دخلنا وسط بعقيلة ، فوصلوا الى (تيغمي) فامتلأت ايديهم بالغنائم،فارادوا أن يرجعوا في طريقهم،فدللتهم على طريق (تامْاشْتْ) الآمن لكل من يسلكه، ، فالذين وافقوني فسلكوه نجوا . ولم يصب أحد منهم بجرح ، وأما الخليفة الحاج احمد فقد خالفني وسلك الطريق الآخر الضيقة،فقعد له الاعداء فتمكنوا من اصابته هو ومن معه ، ثم التفت انا الى القائد الطاهر فقلت له : أليس هنا من يحترمون فياتون من عند هؤلاء بهذه الجثث ، فقال بلى عندنا علماء ومرابطون يحترمون ، فأرسل الى الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي وآخرين ، فضمنوا أن يسلوا الجثث من القوم ، ثم قال ان أردتم دفنها في (تامْاشْتْ) وان اردتم الاتيان بها اليكم أتينا بها فامر القائد أن يوتى بها ، فبعثنا عشرين بغلة فيحمل على كل بغلة ثلاث جثث أو اربع ، فدفنت في (وجّانْ)قال : ثم رجعنا الى (وجّانْ) فرأينا المجروح الحاج احمد جالسا . وفي يده خرقة صر فيها قطرانا وشيئا آخر . فسخنها على نار في مجمر فيضعها على الجرح في جبهته ، ثم لا يكاد يمس الجرح حتى يثور قائما ، فخرجت فقلت لصاحبي ان هذا قد أصيب في دماغه ، فكأنك به ميتا ، فلم نكد نصل تزنيت حتى مات .

قال : ثم كتب الى القائد سعيد الاجوبة عن الرسائل التي اتيت بها ، بعدما استعجلني القائد سعيد بلخير الى الذهاب،فرجعنا وقد انعم علينا القائد بمال كثير ، فكان من جملة ما اعطى لصاحبي خمسمائة ريال وجملين واربعين كبشا وثيابا وبخورا سودانيا ، الا أنه قليل الادب فلم يقنع ، فكتب القائد سعيد بقلة ادبه معه الى الحكومة . فسلبته كل ذلك ، ثم كتبت انا رسالة

الى سي سعيد وزير الحربية بينت له فيها أمر الهزيمة كما هي ، فبعثتها على يد رسول خاص أعطيته عشرين ريالا فذهب يطوى الليل والنهار حتى اوصلها فذهب بها سي سعيد الى أخيه أحمد بن موسى ، فساله عمن له هذا الاعتناء ، فذكرني له ، فازددت بذلك عنده شفوفا ، ثم مررنا بخليفة القائد سعيد في (تمانار) بالحاحة.وهو مبارك الكيلتولي في طريقنا ، فاعطى كذلك للقائد بلخير ثلاثمائة ريال ، ولكن اين من يشكر ؟ ثم وصلنا الى مراكش بسلام وقد غنمت الخير الكثير الذي أفاضه على القائد سعيد الكيلتولي لحسن ادبي معه،والادب كنز لا يفنى أبدا .

في مراكش أيضا

قال : لازمت سي سعيد حتى مات قريبا من هذا الوقت ، ثم أخاه ادريس الذي قام مقامه ، وقد كان حاجبا للسلطان من قبل ، ولم يبطىء ان مات أيضا ، قال ويشاع أن أطباء هؤلاء هم الذين قضوا هكذا عليهم نكاية بالامة ، لانهم هم الذين ابعوا فيها الرمق بعد موت المولى الحسن ، وقد كان الاطباء من المانية واسبانية وانكلترة ، ولكن المتهمون هم الانكليزيون وحدهم ، ثم بعد ادريس لم ينشب الوزير أحمد أن مات هو الآخر بعد مرض غير طويل ، قال: حضرت دفنه ، ودخلت قبة مولاى على الشريف مع الداخلين ، وقد كان فيها السلطان فمن دونه ، فرأيت المنابهي قد ازال نعله وجعلها وراءه ، فتناولتها بيدي ونفضتها وجعلتها تحت أبطي ، فأراد صاحب له ان يزيلها مني ، فراجعته الكلام ، فالتفت المنابهي ، فلما علم سبب المراجعة ، وعلم ان ذلك لتعظيمي له لما يجمعنا من النسبة الى الشراردة ، قال لصاحبه دع الرجل ، ثم اخذت أنا برجلي احمد بن موسى عند انزاله القبر ، واخذ شريف علوى بجهة راسه ، قال : وكان أحمد جد هذا الوزير يسمى احمد الاتاى ، وهو مهرى من هوارة بسوس ، قال وكان المنابهي مقربا عند هذا الوزير محظيا عنده كأنه روحه ، وقد جعله عاملا كبيرا على قبائل شتى ، وينوب عنه في ملاقاة الناس العظام ، وبعد ثلاثة أيام من موت احمد صار المنابهي يظهر ظهورا بينا، فاذا به سمي وزيرا للحربية ، وسمي غريط الذى كان وزيرا للخارجية وزيرا أكبر ، ثم اتصل المنابهي بالسيد حمان كاتب أحمد بن موسى ، فأخذ منه الكناش الكبير . واعطاه لعبد الكريم بن سليمان يعاونه زنيبر السلاوى ، وقد كان هذا امينا ، واليه تضاف دار زنيبر المشهورة الآن بحارة رياض الزيتون بمراكش ، ومعهم عبد الوهاب التازى ، فجعلهم أمناء ، ثم صار يخلي دار احمد ابن موسى مما فيها ، وقد كان أحمد أعطى مفاتيح الخزائن لمن يوصلها الى السلطان لما احس بالموت ، وكان عباس ولده صغيرا ، ولم يزل المنابهي ينقل من دار الوزير احمد بن موسى الى دار المخزن ، والى داره هو (كما شاع وذاع)

وظهر اثر هذا الاحتلاس من كثرة الاموال التي صار يبددها بلا حساب ، ولم يزل ينقل من دار الوزير أحمد حتى لم يبق فيها شيء ، وقد كان الحاج المختار بن عبد الله بن أحمد جعله الوزير احمد بن موسى معه ، فلما مات طرده المنابهي ، وكان عالما جليلا ، فذهب به الى تافيلالت هو وكل أفراد اسرة آل احمد بن موسى .

وقد وقع اثر ذلك أن عباس بن داود باشا مراكش دخل على المنابهي فاستدعى الطاس فغسل يديه بالصابون ومسحهما بالمنديل ، فقال له المنابهي : لماذا غسلت يديك ولم تاكل بهما شيئا ؟ فقال له : انني غسلت يدي من داري ومن دارك ومن دار المخزن منذ أتيتنا بغريط الفاسي الوزير الاكبر ، فانه سيقضي على الجميع ، فاسرها المنابهي في نفسه ، ثم بلغ ذلك غريطا ، فبعث ذات ليلة الى عباس ليطلع الى السلطان ، فصحب معه خنشة فيها خمسمائة من اللويز ، فاذا به اعتقل ، ونقل في الحين الى تيزنيت ، وكان فيها القائد محمد أنفلوس ، فوجده الرسول في (أيتبومريم) بمجاط ، فسلكوا اليه طريق (تازار و الت) فطلعوا الى القائد، فامرهم برد المسجون الى تيزنيت ، فادخل السجن ، فاذ ذاك فقط حل حزامه فانتشر منه ذلك اللويز ، فبقي هناك الى أن سرح ، فراجع الباشوية قليلا، ثم كان في فاس، ثم في طنجة حيث توفي عام 1326 هـ .

في الجندية أيضا

قال : بسبب معرفتي بالمنابهي طلبت منه في فجر ظهوره بعد موت أحمد بن موسى ، ان أرجع الى الجندية وأكون أيضا قائد رحى ، فأنعم علي بذلك ، فصرت ادخل الجند على يدي من جديد ، قال : والعادة اذ ذاك أن يعطى قائد من القواد الاذن ، ثم يتطلب من يتجند معه ، ويحسب على الحكومة جميع من معه من الجنود ، وكذلك فعلت الى أن وصل ما عندي من الجنود سبع عشرة مائة ، قال : ثم اشتغل غريط بالمنابهي وغيره ، فتسبب عن ذلك ان ذهب المنابهي الى انكلترة ، كما ذهب عبد الكريم بن سليمان والكباص الى فرنسة ، ثم تولى ابن الشكرا الزمراني وزارة الحربية بعد المنابهي ، قال : وكنت نزلت بجندي في قصبة الحاج منو الكائنة حول جامع الفنا ، وهي مستندة الى عرصة ابن القرن، قال : وفي عشية كنت جالسا مع بعض من اعتدت مجالستهم لقضاء العشايا في المحادثة ، فاذا برسل المنابهي قد أبلغوني أنه يطلب أن أرسل اليه خنزيرين كان أحد القواد الذين سبقوني هناك تركهما صغيرين ثم كبرا ، فقمت لمحاولة قبضهما ، ولكن لم نقبضهما الا بالحيلة والاقتناص وجعلناهما على بغل ، فدخلت بهما دارا كان المنابهي يجلس فيها ، وبينه وبين دار السلطان باب يدخل عليه منه متى شاء لما بينهما من المصافاة ، قال فدخلت على المنابهي .

فاذا بالسلطان مولاى عبد العزيز معه ، فاطلقا على الخنزيرين سلوقيين يجريان عليهما ، وهما ينتعلان وراء شباك يمنع عنهما وصول الخنزيرين الشرسين ، تيتبعانهما مع السلوقيين فيتفرجان على تطاردهما في ساحة واسعة ، حتى قتل السلوقيان الخنزيرين ، وكذلك يفعل السلطان في غالب اوقاته لعبا لصغره ، والصغار معذورون :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

فلا ترى في الليل الا الحراقيات تعلو في السماء فتتراءاها العيون، فتمتلىء بالدموع على الملك الصغير اللعوب،وقد كان للمنابهي يد طولى في هذه الالاعيب التي عدت سحبا دكناء حول الملك الصغير اذ ذاك ، وقد كان هذا من الاسباب الداعية الى ابعاد المنابهي عن السلطان بحجة أنه يفسد عقليته ، ثم استقدم غريط ادريس بن يعيش الذى كان باشا في تطوان فجعله قائدا للمشور، وقد كان قبل تطوان في وجدة قائدا عليها وعلى قبائلها حتى استغنى .

قال : ثم التفت غريط الى كل من له ادنى ملابسة مع المنابهي فطرده الى أن لم يبق منهم أحد ، وقد منعت كل الرسائل المعنونة باسم المنابهي الذى سافر الى أوربة ان تبعث اليه باسمه وبعنوانه الخاص حيثما كان ، وصدر الامر البات بالنهي عن ذلك في جميع المراسي ، وقد كان هناك منابهي آخر يسمى احمد الحراب ، تحت يده 15 مائة من الفرسان ، وثلاثة آلاف ونصف من الجند ، فطلبوا منه أن يبعثوه برسائل الى المنابهي في أوربة ، ومقصودهم ابعاده ، فاستجار بحرم الغزواني ، قال : فذهبت اليه فعاتبته على الخلاف للحكومة ، فاستخرجته من هناك ، وقدته الى دار المخزن عند الشيخ التازى ، وهو أخو عمر التازى الذى كان اذ ذاك عونا عند المنابهي معدودا من المسخرين بين يديه ، ويسمى عمر الافرع عند من يلمزونه ، فاخرج اليه الرسائل ، فذهب بها الى الجديدة ، لكنه لم يسافر بها ، بل التجأ بها الى حرم أيت أ رمغارفي دكالة ، فبقي هناك ما شاء الله ، قال : ثم أن انسانا يسمى ابن المعروفي أحد قواد دكالة على الزمامرة ، أرسل رسالة الى بعض من مع المنابهي ، فزج فيها بطاقة أخبره فيها بكل ماوقع لاصحابه وانهم أزيلوا كلهم ثم ابعدوا او سجنوا، فركب المنابهي في الحين باخرة تجارية ، فمر بطنجة ، وقد كان فيها الكنتافي الذى كان رافقه من مراكش يوم ذهابه الى أوربة ، فبقي وراءه في طنجة ، فارسل اليه الآن ، فركب معه من طنجة ، فلما ارست السفينة في الجديدة ، وكان الباشا فيها ابن الحمدونية ، طلع هذا الباشا الى السفينة فحاول أن ينزل عنده المنابهي ضيفا ، وكان عنده امر باعتقاله ان طرق الجديدة ، فاعتذر اليه بأن البحر اثر فيه ، وأنه لا يقدر ان ينزل الآن ، ثم خاتله حتى نزل في وقت غفلته الى البر ، فمال الى أصحابه الذين كان تركهم يوم سافر ، وفيهم نحو خمسمائة بغلة حمل عليها اثقاله ، وقد كانوا ضربوا اخبيتهم خارج

المدينة منذ سافر عنهم ، ناوى الى فسطاط من فساطيطهم ، فأتى اليه ايضا الباشا ليذهب اليه الآن ، فاعتذر أيضا بانه لا يزال مسترخيا، ولكنه سيأتيه غدا ليدخل الحمام ، فاطمأن الباشا الى ذلك ، وحين ارخى الليل سدوله ، ركب فيمن خف من أصحابه على عتاق الخيل ، فوجد أمامه من ينتظره بخيول أخرى مستريحة، كان ارسل لتهيئتها في صباح ذلك اليوم، وقد تعرض له كثيرون من أودائه، منهم القائد بوعلي الفرجي ، فقد وجده مع أصحابه في (سيدى أبي النور) ثم من هناك الى السونية في المنابهة، ولم يكن معه الا الكنتافي وخاصة اصحابه على خيول مسرعة ، ثم قدم رسولا الى بواب باب الخميس ، أحد ابواب مراكش ، وبعث معه الى البواب مائتي ريال لئلا يغلق الباب حتى يدخل عيال قائد مخزني سيبطىء قليلا عن وقت اقفال الباب ، فوقف البواب يترصد ، ولم يجف الباب اجافة تامة انما رد مصاريعها ، وهكذا دخل المنابهي مراكش على غفلة من الاعين الراصدة وقد كان رجل في سويقة ابن صالح ، فمر به فارسان عليهما آثار تلفت الانظار ، فاذا به يعرف المنابهي ، قال المترجم : كنت ذلك المساء صليت المغرب في المسجد الكبير بباب دكالة عند بابه المنفتح الى المدرسة القديمة ، أنا والقائد ابن احمد أحد قواد الارحاء ، والسيد عباس بن المختار الجامعي ، فقال القائد ابن أحمد : ان المنابهي لطخنا بالعسل وتركنا للذباب ـ هذه عبارته فاننا الآن مهددون من كل ناحية ، قال : والسبب في قوله هذا أنه بعث اليه ليطلع الى دار المخزن في الغد ، ويخاف أن يزال منه جنده ، وكذلك طلبوا مني أنا أن أذهب الى (تارودانت) لاكون باشا فيها ، قال فلما خرجنا من المسجد جلسنا أمام الباب ، فاذا بانسان استدعاني فقال لي كم تعطيني بشارة ان اخبرتك بخبر يسرك فقلت له البشارة على قدر سببها ، فقال ان هذه البشارة من أعظم البشارات عندك ، ثم قال : انني جلست الآن في سويقة ابن صالح ، فمر بي فارسان أحدهما صاحبك المنابهي والآخر لا أعرفه ، قال : فكدت أثور من الفرح ، فأرسلت خليفة لي الى دار المنابهي ، وقد كانت عليها المراقبة من الحكومة ، وكان المراقب عليها هو القائد محمد العبدي مع أصحابه ، حتى لا يتصل بها أحد ، قلت له اذهب الى القائد العبدي ، فسلم عليه مني ، وقل له يسلم عليك فلان ويطلب منك أن تعطيه ما عسى أن يكون هناك من جديد الاخبار ، فخاف هذا الخليفة على نفسه، وقال : أتريد أن يقطع رأسي ان ذهبت الى دار المنابهي فأمرته أن يتنكر في شملة اعرابي وسخة ، فذهب على تثاقل منه ، فرجع الى بسرعة ، وقد خلع الشملة التي تنكر فيها وجعلها على كتفه وهو يجري ، فقال : ان المنابهي قد جاء ، وهو الآن عند السلطان ، وقد أمرك بوابه أن تاتي في الحين ، قال : فقلت للقائد بن أحمد : رح مطمئنا الى دارك ، ثم لا تأتني الا في العاشرة غدا ، فافرح ونم ملء جفنيك فقد طويت همومك طيا.

دع المقادير تجرى في أعنتها ولا تبيتن الا خالى البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها   يغيـر الله مـن حـال الى حـال

ثم اننا لن نطلع مبكرين الى دار المخزن بل عند العاشرة فقط ، لئلا نظهر بمظهر من استخفهم الفرح ، فلما دخلنا دار المخزن في الغد وجدنا المخزنية عامرة ، فأرسل الى وزير الحرب ابن الشكرا ، فطلب مني أن أرسل اليه فرسا وبغلة مسرجة ، ليأتي بعياله من فاس ، فامتنعت واعتذرت بأن ليس عندي الآن ما يصلح لذلك ، فأعاد علي فأعدت عذري فاغضي ، قال : وكان عيسى بن عمر العبدي مسجونا بعد ذهاب المنابهي . وقد كان من أصحابه ، ثم أطلق سراحه في هذه الليلة نفسها ، فاذا به جاء معه في موكبه ، فلما قرب الموكب قمت اليه فسلمت عليه ، فلامني اصحابي من القواد الذين لا يهبون بريحنا حين سلمت عليه وحدي ، ويرون ذلك سوء أدب مع وزير الحربية وقد كان حاضرا ، ثم دخل المنابهي عند السلطان ، فاذا بالحاجب ينادي وزير الحربية ابن الشكرا ، فدخل الى السلطان ، ثم لم يخرج الينا من الباب الذي يسامتنا ، فقد خرج من باب آخر الى داره ، ثم ارسل الى (تازة) باشا عليها ، هذا والوزير الاكبر غريط جالس ينظر وكأنه غير موجود ، لان الامر عاد كله الى يد المنابهي كما كان قبل أن يسافر ، ولا يذكر الا هو ، وهو الذي يبرم وينقض في كل شيء ، ثم عمرت المخزنية الى ما بعد وقتها المعتاد ، ثم خرج المنابهي فقام القائد الحاج علي الباعمراني فسلم عليه ، فقال له : أحتى أنت رجعت من ماموريتك التي أرسلتك اليها ؟ فأجابه : ان كلام المخزن ذهب بنا ، وان كلام المخزن رجع بنا ، وما نحن الا مؤتمرون بالاوامر العليا ، وقد كان مرسلا في عهد المنابهي الى جهة الغرب في جيشه لمامورية خاصة ، ثم بعث اليه بعد ذهاب المنابهي فرجع ، قال : ثم جمعنا بيننا نحن أصحاب المنابهي نحو ثلاثة آلاف ريال ونصف ، فذهبنا بها لنسلم عليه بها ، ونحمد له السلامة ، لان السلام اذ ذاك على الاعيان السلطان والوزراء لا بد فيه من المال ، حتى ان كل من أراد ان يدخل على السلطان أو الوزير يسال عما يسلم عليه به ، فيجعل في تقييد يعلن للسلطان أو الوزير ، ولكل مقامه ، فليس السلام على السلطان مثلا كالسلام على الوزراء ، قال : ثم اننا ذهبنا اليه بجماعتنا وقد رفعنا رؤوسنا وتباهينا ، فوجدناه يتغدى ، فقابلنا بكل تجلة ، ووجهه يطفح بشرا ، وقد استرجع مكانته بسرعة خارقة للعادة ، واقتحم كل العراقيل فنجا منها ، وكذلك عاد المنابهي الى الوزارة الحربية على رغم الانوف ، واعداؤه ينظرون ، فرجعت مياهه الى مجاريها .

في بني مَسْتَارَة

قال : وقفنا يوما في هذا العهد لعرض الجند ، وكان الكباص هو العارض ، فوقعت بيني وبينه مراجعة في واحد معروف من أصحابي غاب عن العرض ، فقد قلت له ان الرجل معروف ، وهو الآن موجه لقضاء غرض لي ، فبالغ في

التعنيف على ذلك . وواجهني بكلام مر . فقلت له انني لا اخدم بخمس ريالات يومية ثم احتمل هذه الاهانة ، وما ضربي الا ان يهينني من لا أراه فوقي بل هو دوني ، فاتخذت ذلك عذرا لاظهار التأفف من الخدمة كلها ، واحتججت واتاني قود الامراء – على قلة ما نأخذه يوميا وادلينا بالحجج والبراهين على أنه لا يكفينا في التكاليف الخاصة المنوطة بنا،وبعد اخذ ورد مع الوزراء ،رفع مرتبنا الى ثماني ريالات يومية ، ثم امرنا أن نتهيأ للسفر في جيش تحت قيادة مولاي عبد السلام الامراني ، فذهبنا حتى بلغنا (سيدي بودومة) في قبيلة (بني مستارة) فبقينا هنالك ما شاء الله ، والقواد الذين معنا هم بهذا الترتيب في مكانتهم في الجندية ، لان لكل واحد مقاما خاصا . فيقال فلان ثم فلان الخ ، فالاول القائد العربي المنابهي ، ثم المترجم القائد الناجم الذي يقص علينا خلفا ، ثم القائد المولودي السرغيني ، ثم القائد صالح الزمراني ، ثم القائد سعيد الدمناتي ، ثم القائد الحسين اليمنوري ، ثم القائد أحمد البزيوي ، ثم القائد بارك الهواري ، ثم التحق بنا القائد الحاج علي البعمراني وليس هذا الا بين اذ ذاك من يشملهم النظام الخاص الذي أتانا به المنابهي فيما أتى به من التنظيمات الاوربية ، وكان من هذه التنظيمات ان تجمع أموال الرعية تقسيطا على الاشجار ورؤوس الغنم وكل ذي روح وعلى المزروعات بالخرص ، وعلى الرؤوس ، على العادة التي سار عليها الامر بعد الاحتلال ، ووقعت محاولة تنظيم جميع الجند على تلك القواعد .

قال : وقد كان في هذا الجيش الذي كنا فيه ، القائد عبد الملك المتوكي ، والقائد الحاج الجيلاني الدمناتي ، فقدما الا فارين من هذه الخدمة في هذه الناحية ورجعا بعد أن كانا هنا ما شاء الله ، ثم توجه القائد العربي المذكور الى (بني مزكلدة) فانهزم فيها ، فالحقوني به ، فهزمناهم حتى وصلنا مشهد (سيدي انزغاري) فأوصيت جندي باحترام مقام السيد ومن اليه ، ثم جاء المنهزمون بهداياهم تائبين ، ثم رجعت الى (بني مستارة ثم جاءنا الامر أن ننتقل الى (وزان) فافاض علينا الشرفاء كل خير مدة ستة ايام ، ثم الى مدينة (القصر) الكبير ، ومن هناك اعطيت لنا ثياب ملفية ، وبقينا في القصر ثلاثة أيام ، ثم امرنا بالرجوع ، وكان السلطان اذ ذاك قد انتقل من مراكش الى فاس ، فالتحقنا به في فاس .

في حروب أبي حمارة

قال : في هذا العهد كان يطرق آذاننا فيما يتداوله الناس ، ان انسانا خرج في بلاد الحياينة معه بركة عظيمة ، وهو الجيلاني الزرهوني الذي كان مخزنيا عند مولاي عمر ثم سجن ما شاء الله كما تقدم ، كما كان ايضا عونا عند والد ابنا محمد الشركي ، ومنشاه من أولاد يوسف بجبل زرهون ، وقد

قيل لنا اذ ذاك انه حلف ان يكون اميرا بعد ما أصبح المنابهي وزيرا (مما يقال : انه رحل على المنابهي فلم يأذن لملاقاته . فقال لئن كان المنابهي وزيرا لا كونن انا اميرا)

قال : ويتداول كثيرون أن المنابهي ومحمد أنفلوس الحاحي دفين تيزنيت، والجيلاني الزرهوني هذا ، حين اجتمعوا في السجن كما سبق ذكره ، كانوا يستخرجون بالزيرجة ما هو مستقبل كل واحد منهم ، فيقول محمد انفلوس انه سيكون كبيرا متبوعا ، ويقول المنابهي انه سيكون وزيرا ، ويقول له الجيلاني الزرهوني هذا انني سأكون ملكا وأفسد عليك وزارتك،ونسمع كذلك أن هذا الثائر زار المنابهي في مراكش بعد خروجهم من السجن ، فترفع عنه المنابهي فغضب هذا وعزم على ما عزم عليه من الثورة ، وانه زار فاسا وصلى صلاة جمعة مع مولاي عبد العزيز ثم خرج على حمارة من فاس الى القبائل ، ولذلك يسمى أبا حمارة ، هكذا كان الناس يتحاكون اذ ذاك ،

قال ثم لما وصلنا فاسا نزلنا بمحلتنا في ظهر المهراس ، فوجدنا أمامنا (أبا حمارة) متمكنا في تازة ، بويع فيها ، ويصلى به الناس يخطبون به في الجمع ، وقد فرطت الحكومة في امره بادىء ذي بدء حتى انتشر بسرعة ، وكان أساس دعوته انه يحكي انه مولاي محمد ابن السلطان مولاي الحسن الذى كان أبوه غضب عليه (كما سبق أن ذكرناه) واول ما ابتدأ بها مره فيما سمعنا أنه اشترى سبعة ثيران سود فذبحها كلها في مشهد سيد ومحمد ابن الحسن الذى يقام له موسم بقبيلة الحياينة قرب فاس ، وقد كان جال كثيرا في تلك الناحية حتى عرف كل كبار أهلها ، كما كان في كثير من مدن المغرب والجزائر ، ينتحل التصوف والمخاريق ، وقد صح في يده السحر فيبهر به من حضر عنده ، وبعد ما ذبح تلك الثيران جلس ازاء الموسم وقد امتلأ بالناس فصار يبكي ويقول للناس الملتفين حوله : ارايتم ما وقع في دارنا التى استولى عليها النصارى . فالقاموا فيها اخي الصغير عبد العزيز المولع بالاعيب معهم ذكورا واناثا ؟ ثم يعطى لكل من حضر اليه اللويز الكثير . ولا يدرى الناس من أين ياتيه في أول أمره - اقول : ياتيه من صندوق فرنسة التى اثارته فيما يقال - قال المترجم : فيسلب عقول الناس ، فقام بعض غياثة والحياينة بمبايعته ، فأركبوه على فرس واعطوه فسطاطا ، ثم توجهوا به مع من التف حوله الى تازة ، بعد ما فر عاملها الحاج عبد السلام الزمراني المعروف بابن الشكراء ، وقد اغلق الباب دونه ذلك اليوم . فبات في قبة امام الباب مبنية على بعض الصالحين ، وفي الغد دخل المدينة فصار الناس يلتفون حوله بسرعة . والحكومة معرضة عنه ، ثم توجه بمن التفوا حوله الى فاس ، فارسل المخزن جيشا يلاقيه . وعليه مولاي الكبير ابن السلطان مولاي الحسن ، وفيه القائد البشير بن السناح ، والقائد الفاسي ، والقائد يرعى

السباعي قائد الرحي ، والقائد محمد بن العربي بن حمو البخاري ، والقائد الجيلاني الشرادي ، فنزلت هذه المحلة في بلاد (الهبارجة) في الحياينــة . فوقعت الحرب بينها وبين جيش الثائر فظهر عليها ظهورا ما ، ثم انهزم ، ولكن هزيمته لم تكن تامة ، وقد جرح القائد يرعى اذ ذاك . فأرسل مولاى الكبير والقواد الذين معه الى الحكومة يطلبون النجدة بالمدافع،قال : فاستدعاني المنابهي فطلب مني ان أذهب بالمدافع ، فان من في المحلة يقولون ان الثائر التجأ بعد انهزامه الى قلعة ، فاحتاجوا الى ما يهدمها عليه ، فاقترحت ان اختار من يذهب معي ، وذلك بعد أن ذكر لي هو من لا ارضاهم لميدان الحرب من القواد الذين لا يصلحون الا في حين الاستعراض ، فلبى طلبي ، فذهبت بالقائد صالح الزمراني وحده كمعاون لي لشجاعته ، فاستدعى المنابهي عمر التازي الذي أصبح بعد ذلك الحاج عمر التازي والذي كنا نعرفه من قبل بعمر الاقرع(1)،وهومن أعوان المنابهي الذين يقفون له على مئونة داره . فيشترى له من السوق ما يتوقف عليه ، فأمره أن يشتري للجند خمسة الاف خبزة وتينا وتمرا ، قال : ثم لم أذهب الا بنحو مائة وخمسين مع مدفع واحــد . فسافرنا في الحين ، فلما وصلنا (بني سَادَنْ) نزل علينا مطر كثير ، فاثر ذلك في بعض من معنا فقدمت من معي الى المعسكر ، وتأخرت انا مع المدفع خوفا عليه ، فبت معه في الخلاء تحت الامطار ، ثم اتصلنا بالمحلة صباحــا ، فذهبنا بالمدفع الى تلك القلعة ، فاذا بها ليست سوى أكواخ وباب مقوس ، فقد درت بالمكان وتحققت كذب من أخبروا بأنه قلعة محصنة وطلبوا مــا طلبوا ، (حتى أبو حمارة فانه ليس في المكان ،) بل هو في (تازة) ثم نزلنا في (دار الدبان) حيث تضاربنا مع غياثة والتسول والبرانس ، وقد انخرطت قبائل كثيرة زيادة على هذه في بيعة الثائر بسرعة ، حتى عمت ايالته كل تلك القبائل يمينا وشمالا ، وقد استفز الناس بالنعرة الدينية التى تدور اقواله على محورها ، قال : وكانوا يعيروننا باننا نصارى كرُونيون – نسبة الى الكروني النصراني الانجليزي الكبير على الجند – ثم كتبت الحكومة الى أنا أن أعود الى فاس ، ثم خطر للمنابهي أن يرجع مع السلطان الى مراكش وقد قال له مولاى عبد السلام الامراني : لا عليكم في هذا الثائر المنهار . فاني سأنسفه نسفا بالمحلة التي كنت ذهبت بها الى (بني مستارة) فلذلك عين الامراني كبير كل الجيش المحارب للثائر ، قال : فكنا معه ، فذهب بنا حتى نزلنا على جيش مولاى الكبير ، والامراني هو المفوض له رسميا في الجميع ، قال : وكان ابن الشكراء الزمراني الذى فر من تازة لما دخلها (أبو حمارة) قد نزل بفاس وبين للحكومة قوة ابى حمارة ، وان كل القبائل قد اخلصت له بسرعة ، فلما سمع السلطان والمنابهي ذلك تاخرا عن السفر الى الحوز ، بعد ما كان السلطان عازما على الرجوع الى مكانه المحبب اليه مراكش البهجة .

(1) لولا أمانة النقل لحذفت الكلمة لانني لا أحب مثل هذا في الناس الا اضطرارا.

حيث ألفها الف منذ صباه الباكر ، ثم صار الامراني النازل في (أوطابنوعثمان) يخالط خصوصا من تلك القبائل وشذاذها ويستميلهم بالمال ، فاطمعوه في أن تنقلب تلك القبائل على أبي حمارة متى كان الزحف ، قال : فداول الامراني ذلك مع القائد صالح ، والقائد الحاج علي البعمراني والقائد المولودي ،وتركني أنا عمدا فلم يحضرني ، لانني كثيرا ما أقول لهم ان للحرب وسياستها لرجالا، فظن أنني لا استأنس لما يقول من افن الراي الذي يبديه ، وفي الصباح امر بالتعبئة والزحف ، فوقف الامراني في موقف الاستعراض ، فصرنا نمر به طابورا طابورا ، وقد كان السحاب يكفهر ، وابتدأ الرذاذ ، فأمرت جندي أن لا يعبروا الوادي وأن يقفوا دونه ، فعبرت أنا وحدي كما عبر كل الناس من الجنود غير جندي ، فاذا بالعابرين قد انهزموا امام العدو بكل سهولة كالارانب أمام السلاقي ، فوقعت الواقعة في لحظة واحدة ، فانهزم الجميع ، ولو كان هناك من يتبعهم لما وقفوا الا في فاس ، وقد كان الامراني متكلا على ما بينه وبين من يكذبون عليه من اولئك اللصوص الفتاك ، فقد طمع أن ينصروه كما وعدوه . فاذا بهم قد خذلوه خذلانا فاضحا في وقت الزحف ، قال : فقلت للحاج علي أرايتم ما أداكم اليه رأيكم المأفون ؟ فها نحن أولاء لا تقوم لنا قائمة منذ الآن امام هؤلاء ، فقد هنّا في أعينهم هوانا لا عز بعده ، قال : ثم تأخرنا عن معسكرنا منسحبين متجلدين ، وقد تجرأت علينا القبائل ، فنزلنا في (كعدة الارانب) من الحياينة ، ثم صارت المحلات تتوارد على محلتنا ، فقد جاء عيسى بن عمر بمحلته ، ومولاي عبد السلام الوزاني وجيشه ، وسيدي محمد الامراني بمن معه ، وهو أخو مولاي عبد السلام ، وعباس المنابهي أخو الوزير بمحلته قال : فما أكثر الجيوش بلا فائدة ، ثم زحف الثائر يوما آخر فلم تكد الحرب تشتعل حتى كان كبار المحلات أول من هرب من المعمعة ، كمولاي عبد السلام الامراني ومولاي الكبير ابن مولاي الحسن ، ومولاي عبد السلام الوزاني ، هكذا هرب هؤلاء الشرفاء أولا ، قال : وكنت في الطليعة أحارب مع بعض الشجعان ، فلما رجعت وقت المغرب ، وجدت رؤساء المحلة قد خلت منهم مراكزهم ، وكذلك الضعفة الرعاديد من القواد ، فلم يبق الا القائد صالح والقائد المولودي ، قال : فطلبا مني أن نذهب كذلك اثر المنهزمين ، وقد كان اليوم يوم رمضان ، فبقيت الفساطيط قائمة مفعوعمة بالخيرات والاثاث والمتاع والقرطاس . كل ذلك فيها متراكم ، وقد كانت خمسمائة بغلة كما وصلتنا من فاس محملة بكل شيء ، فتركنا كل ذلك لقمة سائغة في يد العدو ، ولم يبق أخيرا الا أنا في أصحاب لي قليلين نحو سبعة ، هذا مع أن العدو لا يزال بعيدا عنا بعدا ما ، كأنما ينتظر أن نفرغ له المحلة ليدخلها ، ثم دهمت القبائل التي معنا المحسوبة من جانبنا وجيوشنا تجمع من عتادنا ما قدرت عليه بدورها اغتناما للفرصة . قبل أن يستأثر دونها العدو بذلك . ولما شم

الذيب في الذنبة ، صار الكل ذئبا ، - هذه عبارته - قال : كنت يوم ذاك مجروحا ، وركب احد اصحابي على بغلتي . وكان لي عليها مال ، فكان دليلي، فاذا بعباس اخي الوزير وقد بقي معه اثنان فقط من اصحابه ، وكذلك الطبيب ابن عيسى بن عمر ومعه ابن دحان الذي اشتهر بعد ذلك في تيزنيت ، وقد كان من المستبعد أن ننتصر ، لان شرفاءنا الثلاثة يتنافسون ، ويدعي كل واحد منهم انه رئيس المحلة ، حتى انهم في عشايا رمضان يطلق كل واحد منهم عند المغرب مدفعه ، فتسمع ثلاثة مدافع ، قال : فلما اشرفنا على فاس آنسنا نارا بعيلة في الافق ، فاذا بها نيران محلة جاء بها محمد بن بوشتا ابن البغدادي هيئت لتفيئنا ، فاذا بها قد انهزمت ايضا بالسماع فقط لما سمعت بانهزامنا، فاوقدت النار في أكواخ كانت قد اتخذتها لنزولها ، فلما راى رفقائي تلك النار اندهشوا ، فقلت لهم : الواجب علينا ان نقف هنا في وسط هذا الليل الحالك حتى يطلع النهار ، فنعرف من يقاتلنا ومن نقاتله ، فابوا علي ، فبقيت انا مع أصحابي الاخصاء . وقد الح علي ذلك الجرح ، واما رفقاؤنا الآخرون فقد ساروا فاذا بهم في وسط جيش كبير جاء من الحوز تحت قيادة القائد المدني الاكلاوي ومعه اخوه الحاج التهامي ، وقد تخلف القائد عبد الملك المتوكي عن هذه الحرب . ولم يحضرها البتة مع قواد الحوز ، فأمر المدني باولئك المنهزمين فادخلوا عليه . فأتاهم بالحريرة وبالنار ليصطلوا حتى انتعشوا ، ثم ذكروني له . وقالوا انه تخلف وراءنا ، ولم اتحرك أنا من مكاني حتى طلع النهار ، فسرت امامي . فلما وصلت هذا الجيش استقبلني اصحاب القائد المدني وادخلوني عليه ، فوجدته كانما كان ينتظرني ، فأجلسني ازاءه ، وأتاني بأدوية لجرحي ، وقد كان وردت معه حاحة واهل الدير ومسفيوة من الحوز ومتوكة تحت امر خليفة غير قائدهم ، وكانوا كثيرين ، وبينما أنا عنده اذا بكبار جيشه دخلوا عليه ، فتصايحوا به : ان قم بنا نهرب فان الناس كلهم قد هربوا،وماذا تنتظر بنا بعد؟فان كل من امامنا قد هرب الى فاس - وكان منزله ذلك تحت (القنصرة) وهي كدية ازاء (سادنْ) - فقال لهم : اسرجوا الخيل وأوكفوا البغال ، واجمعوا المتاع ، ولكن لا تقلعوا الفساطيط ، فقلت له : أيها القائد لا يستعجلنك هؤلاء ، فيجب عليك الثبات ، فان ما تركناه للعدو وراءنا سيشغله عدة أيام ، والضباع متى وجدت الفريسة لا تشتغل الا بها حتى تنقضي ثم تتطالب غيرها ، - هذه عبارته - فاعجبه كلامي ، فقال لي ما العمل اذن ؟ فقلت له ارسل الى الحكومة واستاذنها فيما تفعل ، فأرسل رسالة الى الوزير يخبره بالواقع ويستاذنه فيما يفعل ، فجاء الامر بأن يتأخر الى فاس ، وكان الذي ذهب بالرسالة الفقير ناصر الاكلاوي ، وهو خال المنابهي ، فهو سبط الاكلاويين ، ولكن هؤلاء ليسوا من اسرة القائد المدني وانما تزوجت امه هناك عرضا ، وهي ابنة رجل منابهي لا شان له ، قال :

ثم وصلنا دار المخزن ، فنزلنا بالامر أيضا في (ظهر المهراس) فأخرجت الينا فساطيط جدد ، وسلاح جديد ، وكل ما يحتاج اليه الجيش ، وقد ضاع الجند كثيرا في الهزيمة بأيدي القبائل ، فذهب السلاح المخزني الكثير . فلما تم الاستعداد ، نزلنا في المحل المسمى بـ(المطافي) قرب وادي فاس ، وفي وسطنا فسطاط المنابهي نفسه ، وهناك اجتمع جميع من حضر . فلما غنم الثائر كل ما تركناه ضرى علينا ، فدب الى فاس ، فنتزحزح متأخريـن عن منازلنـا خوفا من مهاجمة الثوار ، فقد نزل الثائر في (ثلاثاء النخيلة) فبكرنا اليه يوما تحت قيادة المنابهي ، وهو شجاع جرئ - فنظم الجيش ، فجعل عيسى بن عمر والمدني الاكلاوي وزرعي السباعي ومن معهم في الميسرة ، وثلاثة طوابير مقدمة، وعمر اليوسي ومن معه من البرابرة في الميمنة ، ثم هاجم الجيش الثوار مهاجمة صادقة ، فلم تكن الا لحظة حتى انهزموا هزيمة منكرة ، وقد وقع البربر على كل ما غنمه منا الثوار قبل اليوم ، فهرب الثائر مجفلا ، قال فتبعناه وزدنا قدما ، فنمر بجثث جندنا الذي كان هلك منا منذ أيام ، حتى نزلنا (عين القرع) في الحياينة ، فاستدعاني المنابهي انـا والقائد صالـح . والقائد الحسـين البعمراني ، فأمر أن نكون دبادب (جمع دَيْدَبان وهو الرقيب) في الطليعة دائما ، فكذا نحن ومحلة من الشراردة أول من يصدم لو اغار على الجيش مغير .

ثم أن الثائر ذهب الى (عين مديونة) من صنهاجة مع من التفوا حوله ، فصار يتعهدهم بالتمائم ، وينصحهم بان يحتاطوا دائما،وجعل اهم كلمة السر (سالم) ثم أنه بيت محلة الشراردة ليلا فنهبها وذهب بالمدفع الذي فيها ، ولم يهاجم غيرها ، قال : حتى نحن الذين كنا ازاء هذه المحلة لم يهجنا ، فبقينا فـي موضعنا خوف الدسيسة وراءنا لو تزحزحنا عن مكاننا لنعينهم ، وقد أدركنا أن للرجل مكايد ودسائس حربية فصرنا نتحرز منها .

قال : وفي الصباح المبكر ، قامت المحلة فتبعت الثائر فأخرجناه من (عين مديونة) فافتككنا الاسرى الذين كان اعتقلهم في الليلة الماضية من الشراردة، كما استرددنا المدفع الذي استولى عليه أيضا ، ثم رجعنا الى محلنا الذي كنا فيه ، فبقينا فيه أياما ، فرجعنا الى (فاس) حتى عبدنا عيد الاضحى ، قال : ثم رجع الجيش كله مع المنابهي ، فرابطنا في بلاد شراكة بمحل يقال له (البغل) ومن هناك الى فاس البالي ، فانشبنا البارود مع قبائل جبالة حتى مهدناها ، فغرموا ما وظف عليهم ، وقد كان قائد المشور ادريس بن يعيش مع المنابهي في هذه الحركة ، وقد بقينا هناك نحو شهر ونصف ، ونحن في جمع كل ما يراد من قبائل هذه النواحي .

قال : ثم كتب الى المنابهي من دار المخزن بان ما هو فيه هو ومن معه من الاشتغال بقبائل جبالة وتغريمها ، واختلاف عائلاتهم بينهم وبين فاس كانهم يتنزهون لا تريده الحكومة ولا تحبه ، وان المقصود هو الصمود الى (أبي حمارة)

حتى يؤتى عليه ، فان على المخزن في كل مطلع شمس مائة وخمسين القربال.
أفتذهب هذه الاموال في الاشتغال بجبالة التي لا ينتفع منها المخزن دائما بأي شيء ؟ وورقات كناش خراجها دائما بيضاء ، قال : فقمنا عن جبالة لاجل ذلك ، فاذا بقبيلة منهم تعرضت لنا فحاربناها ، فجرحت هناك الجرح الثالث في عمري ، ولم تتجاوز جرحاتي خمسة في حروبي كلها مدة حياتي ، ثم ذهبنا قدما والثائر (ابو حمارة) مول وجهه شطر(وجدة)، فقد احتلها وخطب له فيها ، وانما نلاقي القبائل التي تهب معريحه فنحاربها الى أن وصلنا (تازة) التي انتزعناها من غياثة فاحتللناها احتلالا وقع فيه بعض حيف على الملاح وبعض المسلمين على ما هو معلوم من عبث الجند الغير المضبوط،فمكثنا فيها كثيرا ، وقدكان شريف يسمى سيدى المدنى السملالى يكرهه (أبو حمارة) كما يكرهه هو أيضا فانتهب داره وزاويته ، فأوى الى المخزن ، فكان معنا حتى في وجدة ، فهو الذى حث المنابهى على أن نحتل قصبة (مسنولة) وهي وسط هوارة فجادة،أو هوارة الحجر ـ الشك منه ـ فان الثائر اذا احتلها قبلنا سيتمكن في هذه الجهات ، فانتدب المنابهى قواد الشراردة لاحتلالها ، وهم القائد الحبيب الشرادى ، والقائد الحافظ ، والقائد ابن ادريس ، والقائد ولد السيد مولود ، والقائد عمر ، ومعهم القائد محمد ابن العربي بن حمو البخارى ، والقائد السفياني ، والقائد المالكى ، وقائد الحاط ، والقائد صالح الزمرانى ، وعلى رئاستهم الشريف المذكور سيدى المدنى ، قال : فاستدعانى أنا ليرسلنى معهم فاعتذرت بالجرح الذى أصابنى فعزم علي ، فقلت له : أتريد أن أتكلم معك بالحقيقة ؟ فقال : لا بأس ، قل.
فقلت له وهو متكىء على مخدة لدماميل في مقعدته ، الا تزال تستحضر ما كتب اليك به من دار المخزن بأن المقصود منك هو أن تذهب قدما حتى تقضي على (أبي حمارة) ؟ وهل ذهابنا الى هذه القصبة هو ذهابنا الى (أبي حمارة) الذى هو الآن في محل آخر ؟ ثم انك قدت من القبائل ما قدت ، فالواجب عليك أن تحافظ على من معك من أولاد القبائل حتى تردهم سالمين ، ثم أن الرأى السديد في مثل هذه الحالة هو أن تخلي (تازة) وتدك سورها لانك لا تقدر على المحافظة عليها حتى لا يحتلها أبو حمارة ثانيا ، كما لا تقدر أن تخرجه منها متى احتلها ثانيا ، ثم بعد ما تدك سورها ترجع الى السلطان والى من معه من ارباب الكلام (لا من أرباب الحسام) فتطلب أن يخرج السلطان ليراه الناس فيومنون بأن سلطانهم موجود ، وليس بخيالى كما يذيعه الثائر بين الناس حتى صدقوه ، ويخرج كذلك من لا يعرفون ما تلاقيه أنت ومن معك في هذه المعارك ، ليذوقوا حظهم من مرارة الحرب ، ثم ان خرج السلطان فان الناس سينقادون اليه بلا ريب،وان لم يخرج فقد قمت بواجبك ، وحافظت

على من معك حتى رددتهم سالمين ، قال : فأمعن في بعينيه مليا متأملا فيما قلت ، فاذا بالقائد عمر اليوسي يناديني يا فلان : ان المحلة قد قامت وأصحابك لا يزالون جالسين وانت لا تزال هناك ، فطلب مني المنابهي ان اذكر مطالبي. فقلت له بغضب لامطلوب عندي، فتبعت الاوامر، فتهيأنا فذهبنا مع الذاهبين، قال : فلما وصلنا تلك القصبة، وجدناها عامرة ببعض من يجاورونها ، فذهب سيدي المدني فلاطف من وقفوا ازاءها . ففتحوا لنا الابواب فاحتللناها ، وقد كان طلب مني مالا يعطيه لهم ، فقلت له : انت هو كبير الجيش فان كان عندك رصيد لمثل هذا فانفق منه ، اما انا فليس عندي الا القنابر والرصاص، فولى عني عابسا باسرا .

قال : ثم أن المنابهي مكث بعدنا في تازة سبعة عشر يوما ، ثم في ليلة أعلم خيلا من بني عمومته ، فلم يصبح الا مسافرا الى فاس، فلما وصل اقترح على السلطان أن يخرج لنراه القبائل ، فاذا بغريط وأمثاله وسوسوا للسلطان وراءه بأنه ترك الجيش في تازة وجاء يطلب منك الخروج فبأي جيش تخرج الآن في أعين الناس ان اردت ان تخرج ؟ فاصاخ لهم السلطان فأجاب المنابهي بمثل ذلك الجواب ، فأرسل هذا الى الشريف مولاي الطيب الوزاني ، وكان البرابر وأهل المغرب ينصتون لهذا الشريف ، فقال له : أريد منك ان تعلم القبائل لتاتي الينا بخيلها ورجلها بريالين للفارس وريال للراجل ، عن كل يوم ، ولهم السلاح الجديد نعطيه لهم بدل سلاحهم المعتاد ، فاجتمع بذلك كثيرون فخرج بهم السلطان من فاس مع المنابهي . فنزلوا في(اوطابنوعثمان) وقد كان محل نجوى المنابهي في تازة عيسى بن عمر ، وادريس بن يعيش، والطيب الكنتاني ، وعمر اليوسي ، ومحمد الكتاري ، الا أنه لم يشاورهم يوم غادر تازة .

ثم ان (أبا حمارة) الذي عرفنا أنه في جهة (وجدة) صار يدب الى جهة(تازة) من جديد في هذا العهد . بعد ما ظن أنه مهد تلك الناحية ، فلما وصل ملوية بلغنا الخبر نحن الذين في قصبة (مسنون) انه في محل يسمى (ملولو) فاجتمعنا نحن القواد الذين في القصبة ، ،فاقترح الشريف سيدي المدني أن يذهب جند منا على البغال التي معنا بكراء أربعين ريالا لكل بغلة ، وعلى كل بغلة ، جنديان ، ليعارض الثائر هناك ، قبل ان يصل ، ولم يكن المحل الذي هو نازل فيه بعيدا عن القصبة كثيرا ، فلما ذكروا لي ذلك اعتذرت بأني مجروح ، وبأن من معي لا يفيدون في ذلك ، ثم اعلنت معارضتي في ذلك المقترح ، فانفش ذلك بما قلت ، قال : ثم بينما احلق راسي يوما امام القصبة اذا بمن أخبرني أن خيل الثائر قريبة منا ، يقول انها تهاجمنا قبل أن استتم حلق راسي ، فقمنا فكان الهالك من العدو اكثر من الهارب ، وفي الغد حمل علينا أيضا الثائر نفسه، فأردنا أن ننحاش الى تلك القصبة فاذا بابها مسدود

بأمر القائد محمد بن العربي بن حمو صيانة لها في زعمه ، فيتراكم الناس امام الباب وهم يدافعون مصاريعها.وهناك سقط فرس القائد مبارك الكيكولى ومعنا القائد عمر السكتاني ، فصرنا ندافع العدو أمام الباب ، وكذلك بعد ما دخلنا مقتحمين ، وقد تركنا المدفع أمام الباب بعد دخولنا ، فيتربص بنا العدو المنكمش وسط الوادي ، فصرنا نستغيث بمن في(تازة)بالرسائل التي نلقيها في الظلام وراء السور للرسل ، فلم يغثنا أحد ، حتى أن خيلا نحو ستمائة من هوارة فحامة ، اصحاب هذه الارض ، وقفوا يتفرجون علينا ولم يعينوا أحدا من الطرفين . وقد كان دخل معنا القائد حدو الورايني ، فلما رأى البارود قويا ذهب الى الرئيس المدني فقال له انني ساخرج ، وقد خامره الرعب وظن أن هناك مقبرتنا اجمعين.فجاء الى الشريف سيدي المدني يستشيرني في ذلك ، فقلت ان شاء أن يذهب فليذهب الى حيث ألقت رحلها ام قشعم ، فطلب مني مالا يعطيه له لعله يهدا ، فانكرت عليه من ذلك كما انكرت عليه في مثله من قبل ، ثم فتحنا الباب فخرج القائد الرعديد خائفا يترقب ، فما ابتعد قليلا من الباب حتى وقف ، فتعجبت انا حين تركه الثائر واصحابه فلا يطلقون عليه الرصاص ، فأمرت بعض أصحابي فخرجوا فنظروا ، فلذا بالثائر واصحابه لا أنيس منهم الا من ماتوا ، ثم تبين ان الثائر كان مجروحا فحمله اصحابه . وفروا به الى قبيلة البرانس ، فامرنا اذ ذاك بخروج البهائم لترد الماء ، فتنفسنا تنفس الحياة ، وفي الغد جاءت محلة تازة باعلام عظيمة ، كغابة النخيل ، قال : فقلت لهم ان الثائر مجروح وهو نازل هناك ، فان اردتم أن نزحف اليه زحفنا . فقالوا انما جئناكم بذخيرة البندقيات بسبب رسائلكم التي والتموها الينا ، فقلت لهم أمس الدابر هو يوم المحاربة لا هذا اليوم الذي لا حرب فيه ، ثم ان (أبا حمارة) لما رأى هو واصحابه الجيوش، وقد كانوا نزلوا به في (الشمياحنة) امر فنقل من هنالك الى (عين القرع) فوق(مكناسة الكبيرة) ثم ارسل طابور قبيلة حمر تحت امرة قائدهم ، وطابور القائد يرعى السباعي الى (مكناسة الكبيرة) فاحتلوها ، فهم تحت منزل الثائر وهو فوقهم ، وفي الليل طرقهم جيشه ، فهلك كثير من جيش يرعى ، وهرب هو في ثلاثة من أصحابه ، كما هلك جميع الحمريين ولم يبق منهم أحد، فغنم منهم العدو سلاحا كثيرا ، وقد كان عدد الجميع خمسمائة، فاذ ذاك انتعش (ابو حمارة) ثانيا بما غنمه من هؤلاء ، وقد برىء من جرحه، فصارت القبائل تاتيه ايضا ، وفي ذلك المحل وصل الى الثائر عبد الملك بن عبد القادر بن محيى الدين من الجزائر ، فيتعاون معه ، وقد كان عبد الملك هذا عارفا بادارة الحرب على ما بلغنا ، فصارت الحروب تترى في هذا العهد بين المخزن وبين الثائر ، وهي سجال بينهما ، هذا والسلطان لا يزال في محله، ولا يلبث كل جيش ياتي من عنده أن ينهزم ، وقد صمد الثائر للمقاتلة بحيله

ودساسه قبل خيله رجله ، قال : ثم ان من في (تازة) من كبار الجيوش تنامروا دحدعهم على الاقلاع عنها الى محلة السلطان من غير من معهم من الجند فاذا بالقبائل نزلت عليهم في (وادى الحضر) فهلك منهم كثيرون، فوصل من نجا الى محلة السلطان ، وحوصر من بقي في (تازة) حصار افاقة والخوف ، فهلك فيها كثير من الاف الخيل والبغال والجمال ، فعادت صولة الثائر جذعة ، هذا ونحن لا نزال في قصبتنا في (مسنول) قال : فاعلنا الامان لكل من يصل الينا من القبائل المجاورة لنفوز بالمبايعة في البضائع معها ، ولما آنسوا الامان اقبلوا علينا فنبيع دههم ونشترى بالغلاء الفاحش ، حتى اننا نشترى صاعا من شعير بأربعين ريالا احيانا ، ولفافة الدخان بربع ريال ، واما ما بين تازة وفاس فان الحصار ممكن فيه ، والسبل مقطوعة ، حتى لا يمر الا من له قوة تجيزه ، فقد اتى المدنى الاكلاوى مع أخيه التهامى من فاس بمال مخزني الى تازة ، فعورضوا في (وادى الحضر) فدافعوا عن انفسهم وعن المال المخزنى المحمول على خمسمائة بغلة ، فلم يجيزوه الا بمشقة ومقاتلة شديدة ، وقد جرح هناك القائد المدنى ، وبسبب جرحه تخلف عن القواد الذين غادروا تازة فارين الى محلة السلطان كماذكرنا ، فكان هذا المال هو الذى نفع من في تازة ومن معنا في تلك القصبة، وقد كان التهامى اذ ذاك يتردد مع اخيه القائد المدنى .

قال : فبقي الامر كذلك ازيد من سنة،لا يصل الينا شيء من فاس الا بقوة، او بحيلة . كما فعل المنابهي مرة ، اذ استدعى البرابر وطلب منهم أن يوصلوا بالكراء مئونة الى من في(تازة) وفي قصبة (مسنول) التى نحن فيها ، فملأ امامهم الاواني بالغريبة وبكعب الغزال وامثالهما ، فلما ناموا على أن يبكروا الى السفر عمد الى المصرورات من ذلك ففتحها وملأها بالمال الا ما يجعله في أعاليها من ذلك سترا وتغليطا ، فلما اصبحوا حملوا ذلك على انه طعام ، فأوصلوه الى أماكنه وهم لا يشعرون،فنفع الله به أيضا مدة ، وبهذه الطريقة يمضى علينا أحيانا ما ينقع غلتنا بعض النقع .

قال : ثم جاء الامر بأن نرتحل من (القصبة) ومن (تازة) فان قدرنا ان نقطع من هناك الى (فاس) فعلنا ، والا فلنذهب الى (وجدة) حيث ستلاقينا السفن لتحملنا الى المراسي الاخرى ، فاخترنا أن نتوجه الى وجهة (وجدة) وهكذا امضينا ما امضينا في مكاننا هذا ، وقد تيسر لنا بعض المعاش ، على حين أن من في (تازة) لا يزالون دائما في ضيق ، ثم اننا لم نجد ما نحمل عليه الاثقال . لما عزمنا على الارتحال ، فقد ماتت البهائم التي كانت عندنا كلها بالجوع لعدم التبن او الكلا ، فصرنا نوقد النار في المتاع الذى معنا اسبوعين . وتلك عادة الحرب ، تقضى بافساد ما يخاف أن ينتفع به العدو . وقد غادرنا هنالك كثيرا من السلاح الذى لم تسمح نفوسنا بأن نفسده بايدينا ، ثم وصل الينا من في (تازة) فاقاموا معنا حتى انتعشوا بما وجدوه عندنا من الحبوب ، ثم

اقلعنا معهم ، فحملنا اعباء (القتال) بين تلك القبائل ، وقد نظمنا سيرنا ميمنة وميسرة وساقة ومقدمة ، قال : ومعنا القائد المدنى الاكلاوى وأخوه التهامى ، والقائد يرعى ، والقائد صالح ، وهؤلاء وانا هم الساقة ، وبيننا المدافع الى ما بقي فى الحياة من الدواب التى تحملها ، فسرنا هكذا منزلة منزلة بتؤدة وتحرز ، حتى وصلنا بلاد الاحلاف ، فانتهب الجند الذى فى المقدمة ملاح (وادى زا) فانكرنا عليه ذلك ، ولكن ما العمل مع الجند الجائع العريان ؟ وقد وجد الجند الذرة كما افركت فى الحقول هناك ، فصاروا يشوونها وياكلون ، وقد بقينا هناك ثمانية عشر يوما ننتظر حمادة البوزكاوى ، وكان مصاهرا للسلطان مولاى الحسن ببنته . ولم يتبع هو (أبا حمارة) لذلك ، فانتظرناه فلم يات ، فاقلعنا ، فلاقتنا حرب من بعض شذاذ القبائل امامنا ، فكنت انا والتهامى الاكلاوى نرجع الى المهاجمين فنردهم وحدنا - ثم أثنى على شجاعة التهامى وثباته - الى أن وصلنا (عيون سيدى ملوك) قال وهناك ورد علينا السيد عبد الرحمان بن عبد الصادق باشا طنجة ، مع احمد بن كروم البخارى الذى كان باشا فى (وجدة) وفى الغد جاء ولد حمادة البوزكاوى الينا عوض أبيه ، وبعد مكثنا هناك ما شاء الله ذهبنا الى (وجدة) التى افلتت قبلنا من يد(أبى حمارة) وقد رجع اليها باشاها المذكور ، فبقينا ننتظر هناك ما شاء الله ، فاذا بالامور تنقلب فى الحكومة ، وقد سقط نجم المنابهى ، وكان عمر التازى يتولى كبر ذلك مع أنه ولى نعمته ، فجازاه كما نرى ، واعانه عليه الكباص وغريط وعبد الكريم بن سليمان ، فاتفق الكل عليه ، فغادر يوم عيد فاسا تحت مطر منهمر. فقصد (طنجة). وقد كان محميا بحماية الانكليز، فكان ذلك آخر عهده بالحكم العزيزى ، فتولى عمر التازى المالية ، فاذ ذاك تمزق السلف الذى تسلفه المغرب كما هو مشهور ، وما يوم حليمة بسر .

قال : أبطانا فى وجدة ، فكان يتسرب الينا أن كل من فيه رائحة المنابهى تنصب الشباك حوله ، ونحن هنا منهم ، ولذلك لا يهتم بنا ، بل حتى المئونة تقطع عنا كثيرا ، حتى كنا فى ضيق شديد ، وربما لا يعيش بعضنا الا بالحلزون ، هذا زيادة على الحرب التى نلقاها صباح مساء من أصحاب ابى حمارة .

قال : ومن الوقائع التى وقعت انا معه ، وقعة (ماجن بغتة) ، فقد انهزم فيها عسكرنا ، وقتل منا جيش الثائر ست عشرة مائة،وقطع منا من الرؤوس ما حمل على اربعين بغلة،واخذ من الاسرى مئات ، فارسل الجميع مع ثلاثين فارسا الى محله . فراى القافلة رجل يزناسنى يسمى عيسى ، فتعرض لها ، فردى قائدها ، ثم آخر ، فهرب الباقون ، فسأل الاسرى من هم ، فلما عرفهم اطلقهم كلهم ، ، فكان انتصارا غريبا برجل واحد ، قال : وكان الثائر ينوى أن يعلق تلك الرؤوس على الديوانة التى فى يده ، وهى المجاورة

ا(مليلية)، وكلن يستغلها واخذ دخلها الى آخر أيامه ، ولم نستطع أن نحول بينه وبينها .

قال : كان ابو حمارة خطب بنت البوزكاوى المذكور ، فلم يمكن له الا أن يخطبه فيها ، فلما زفت اليه ردها قائلا انما غرضى في بنت ولدك السيد محمد الجميلة ، أفتعطون لمولاى الحسن ما يريد لما زوجتموه وتعطوننى أنا ما أكره ؟ فقال له : ان مولاى الحسن أرسل من اختار له ، فارسل أنت أيضا الينا من وزرائك وممن تثق بهن من عريفاتك ليخترن لك ، فأرسلهم وكانوا نحو سبعين ، قال : وقد كان البوزكاوى أرسل الينا سرا ان نرسل اليوم الفلانى مائة بغلة مع مئونتها ومئونة من معها ، ثم أن أصحاب أبى حمارة جاءوا فاضاف الوزراء منهم ، وفرق غيرهم على اخوانه ، ثم جعل بينه وبينهم امارة ، ثم صار يستدعى الوزراء في العشية وقد أخرج لهم الكسوة ، فيامر كل واحد أن يستحم أولا ، فكل من أدخل الى الحمام يذبح هناك ، ثم أعلن لاخوانه الامارة التى تآمر معهم عليها ، فذبحوا أيضا كل من عندهم ، فحمل اثقاله على بهائمه وبهائمهم وعلى البهائم التى وردت اليه من عندنا ، فتم الدست بذلك على أبى حمارة .

قال : فتلقيناه ومن معه ، ففرحنا بهم واتينا بهم الى (وجدة)، ثم اغار أبو حمارة على تلك القبيلة ففتك بها .

قال : ثم جاءنا أحمد الركينة التطوانى الذى تعين حاجبا للسلطان أخيرا ، وقد بعث بمال عظيم من فاس ، وقد سبق الينا العلم بما جاء به فينا ، فبعد أيام طلب منا أن نلبى دعوته . وأن نتهيأ لعرض الجند عليه ، هذا وقد تناجيت أنا والحاج على ، والقائد صالح ، واحمد الخراب ، والمدنى الاكلاوى ، فيما نحن نقدمون عليه ، وقد راودنى بعض أهلى أن أفرط في المدنى الاكلاوى، وأن لا أقف دونه لانني شرادى وهو كلاوى ، فأبيت أنفة، ثم خرجنا الى سيدى عيسى خارج المدينة ، وهناك ضرب الركينة فساطيطه ، واتينا بجنودنا كما طلب ، والمقصود أن يعتقل المدنى الاكلاوى كما فهمناه بما وصلنا ، فلما جلسنا كلنا أخرج رسالة فيها ان كل من في وجدة يذهب مع الركينة ، ويبقى الناجم والحاج على وأحمد الخراب والقائد صالح ، فقال له القائد صالح اننا ما جعلنا قط حامية في أى محل ، بل نحن جيش الكر والفر ، وانما يكون حامية من كان مستضعفا من الرجال ، ثم قمنا كلنا فامرنا ابواقنا فأطلقت صرخات زاعقة ، وذهبنا عنه وتركناه أذل الناس .

قال : ثم صرنا لا نذهب الى دار الحكومة التى يحتلها ، وندير الحرس بدار المدنى خوفا عليه ، ويكون معه يرعى . وان كنا نعرف أن يرعى غدار ، حتى اننا ان اراد المدنى الحمام نحرسه فى الازقة وفى الحمام نفسه ، ولا نفارقه حتى يرجع ، وكل ذلك مراعاة لكون الاكلاويين أخوال المنابهى ولى نعمتنا .

قال : فلم نزل في حرب مع أبي حمارة سنين ، والحرب بيننا وبينه سجال، حتى أيس من احتلال(وجدة)فذهب الى (سلوان) ثم أعطى المدني مائة ألف ريال لعمر التازي ، فسرح الى فاس ، ثم الى داره ، وذهب من عندنا ، وكان مروره على الجزائر ، وفي تلك السفرة وصل الاسلاك مع فرنسة ، ثم كان ما كان بعد ذلك مما يعرفه التاريخ . .

قال : كان المدني ويرتي قبيلي الدين غير مصونين في أخلاقهما ، يعرف ذلك كل من عاشرهما أمثالنا - هذه عبارته ، وعليه عهدتها .

قال : كان أبو حمارة احتل(وجدة)ما شاء الله ، حتى انجلى عنها لما بلغه خبر احتلالنا لتازة ، فورد علينا فوقع بيننا وبينه ما دبرناه ، فوجدنا نحن في وجدة أحمد بن مرخوم وعبد الرحمان بن عبد الصدق ، ولم نجد فيها رائحة للناس ، وانما الذى لا يزال يهذب بريحه بعض القبائل هنا وهناك ، وهي التي لا تزال تحاربها ، على أن القبائل لا تحارب عنه وانما تحارب دفاعا عن مالها الذى تخاف أن يبتزه الجيش منها، فلا ريب أن ما فعله الجيش يوم دخل تازة باليهود وبعض المسلمين ، وما فعله أيضا بالملاح الذى ذكرنا نهبه في (وادي زا) سيثير شعور الناس بالخوف ، وذلك زيادة على المغارم المخزنية (الفرايض) ، ثم ان أحمد الركينة لم يات الى(وجدة) الا اخيرا بعد ما كنا فيها ما شاء الله ، ثم بعده سافر القائد المدني الى الجزائر بعد أن ذهب قبله أخوه التهامي الذى ذهب بسلاح كثير . كان هو وأخوه يشتريانه من الجند لما جاع ، بقينا نحن في وجدة ما بقينا . حتى جاءنا ايضا أبو حمارة،وقد عرف انا نحن الشوكة في حلقه . فحاربناه ما شاء الله في(عين، انصفا) من بني يزناسن ، وفي (وادي زردين) حيث انهزمنا امامه . وكنت أنا وكبراء القواد نوخذ بالايدي ، وقد ضرب فرسي فكدت اسقط من فوقه، لولا أصحاب لي أعانوني حتى علوت فرسا آخر ، وقد استمرت هذه الحرب التي كانت سجالا من عام 1321 هـ الى 1325 هـ . وقد انكسرت رجلا القائد الحاج على الزعراني أخيرا في احدى المعارك ، فهناك بقي بذلك ، وقد دهم الثائر (عيون سيدي ملوك) بعد ما نسف السور،فقتل من كان فيها بعد ما حاصرهم ما شاء الله ، وما أكثر الوقائع هناك ، ولكن لكونها تتشابه لا يستطاع ضبطها (من الحاكي) ، ولذلك اختصرناها ، قال : وقد كدنا نهلك كلنا في بعضها ، فلولا أن انسانا افضى الينا بأن بني يزناسن سيزحفون الينا، فاتخذنا الاحتياط لقضي علينا ، لانهم لما زحفوا الينا وجدونا مرتحلين .

قال : ثم جاءنا الامر بأن نقلع من (وجدة) الى (الريف) يوم انقطع أبو حمارة الى الريف ، ولم ندر سبب هذا الامر الا بعد حين ، خرجنا متوجهين لما أمرنا به ، فنزلنا في (وادي ملوية) وبعد ثلاثة أيام احتلت فرنسة مدينة (وجدة)، فعرفنا أن هذا هو السبب ، وكان هذا الاحتلال بعد وقعة الطبيب

(موشان) الشهيرة بمراكش ، وقد خرج اهل وجدة مرحبين بالحملة الفرنسية، كأنهم لا يعرفون أنها فاتحة احتلال عام لكل البلاد ، فخرج معهم الحاج علي على بغلته رغما ، لكونه وحيدا بينهم ، وهو كما تماثل من شفاء رجليه ، فيقدر ان يمشي عليهما بعكازين ، وحين كان الناس يحيون رئيس الجيش الداهم لم يرفع الحاج علي يده للتحية ، فنادى هذا الرئيس الباشا احمد ابن كروم . فسأله عن هذا الذي لم يحي كما يقتضيه الادب،. فقال له انه من بقية الجيش الذي كان مرابطا هنا ، فجاء ترجمان فترب على الحاج علي ، فاطرق هذا برأسه ولم يجبه . فاذا كان جواب الاحمق السكوت فكيف لا يكون السكوت جواب من لا تومن بوادره من الطغاة ، ثم دخل داره ، فاذا ببعض من هم مع الفرنسيين قد وغلوا عليه فانتهبوها ، فبقي هناك الى حين فقيرا وقيرا

قال : ثم صرنا بعد نزولنا في (ملوية) نتطلع من الكدى ومن ثنايا الجبال وشعفها نحو الريف ، حتى عرفنا الطرق اليه والشعاب فركبنا يومابفرساننا، وقد تركنا أثقالنا واخبيتنا وراءنا في محلها ، فولجنا في طرف الريف ازاء (كبدانة) فبنينا اخصاصا اتقاء للمطر لنسكنها ، وفي كل يوم يركب طابور منا ، فيذهب حتى يتقابل مع طابور يرسله أبو حمارة ، دمنا على ذلك بلا قتال ما شاء الله،قال : ونحن كثيرون اكثر من عشرة آلاف ، وهي البقية الباقية من السبعين الفا التي خرجنا بها من فاس ، وفي يوم ثار البارود بين طابورنا وطابور الثائر ، فاغثنا أصحابنا ، فدهمنا محل نزوله في (مرشيكة) فغنمنا منه ما غنمنا ، وكان هناك يتوصل من فرنسة واسبانية بما يريد ، فيقيم هناك سوقا لقبائله فاستحوذنا على كل ما في معسكره فرجعنا به ، فبنينا الاخبية التي غنمناها منه، وفي يوم زحف الينا أيضا من منزله الجديد الذي ينزله هنالك ، وأما محله الخاص فهو (سلوان) ازاء الناضور ، وكان قصبة مخزنية فاحتلها واتخذها دارا ، وهي حصينة ، قال : ولم ارها وانما وصفت لي ، قال : ثم لما عرفنا مسالك الريف وطالت فيه اقامتنا ، ارتحلنا باخبيتنا ومتاعنا وكل أثقالنا من ملوية الى غيرها، ثم زحف الينا أيضا فدحرناه ، ولكننا لا نتمكن من القضاء عليه ، وانما ندرك منه قتلى نقطع رؤوسهم ، ثم تقدم جيشنا فنزلنا في (مرشيكة) نفسها ، ازاء (الجزيرة) في سيف البحر الابيض ، ثم صار يلم أيضا جيشا آخر ، وهو يتوصل بالسلاح التام وبالمدافع وبالمئونة وبالمال الكثير من أصحابه فرنسة واسبانيا كما كان يقال ، فكان يعيش هو ومن معه في سعة ، واما جيشنا ففي شظف عيش ، فلا نقتات الا بالسنابل نقتطفها من الزرع فنشويها ونلتهمها ، وكان الوقت وقت ادراك الزرع ، فلما اجتمعت له القبائل بحزمه وعزمه واخافة الناس، حتى انه قتل في يوم واحد سبعين من الطلبة أنكروا عليه ، يجمعهم

خمسة خمسة ويوقفهم امام المدفع ويطلقه عليهم ، قال : بكر الينا يوما مع الفجر زاحفا فقمنا اليه ، فظلت الحرب بيننا وبينه الى ما بعد المغرب ، وقد حزرنا من معه بأكثر من ثلاثين الفا خيلا ورجلا ، وقد التف هذا اليوم حوله كل من انضاف اليه من غياثة الى الريف ، فوقف اليوم بنفسه يقدم القبائل ، ويعين الفرسان ، ويتبين مواقع الضعف من بين أصحابه . فيرسل اليها من يسدها ، فلما نزل الظلام ، وانقطعت الحرب بيننا وبينه ، وقد تواقفنا النهار كله ، ظننا أنه لا يزال مرابطا علينا ، فخفنا أن يهاجمنا في الليل،فدسسنا الى جهته من رجع ، فأخبرنا بأنه لا أثر له ، وانما صار وجه الارض حوالى موقفه مكسوا كله بالقتلى والجرحى،والخيل الميتة والمنكسرة، قال : فذهبت الى صاحب ذخيرة الحرب فسألته عن الباقى فى الخزانة ، فقال : ان اليوم أتى على كل ما عندنا ، فكنت أعطى الى كل من أتى الى بلا حساب، لانه لم يكن في امكانى الا ذلك ،فلم يبق الا ستة عشر صندوقا.قال:فدهشت وقد علمت أن (القرطاس) لم يطلق كله على الاعداء ، بل خبىء بعضه عند الجند ليبيعوه من الغد للقبائل ليتوصلوا منهم بما يقتاتون به ، لان الضيق والفاقة قد بلغا بهم الغاية ، وقد انقطعت عنا المئونة من أزمان ، وقد تمر ثمانية أشهر فلا نتوصل الا بمئونة شهر ، وقد نعطى عن هذا الشهرأكياسا من السميذ يحسب علينا في ثمنها كل ما سنتقاضاه ، فيريد أحدنا أن يبيعها ليقضي بثمنها بعض أغراضه ، فيشتريها منه نفس من دفعها اليه بنصف ما حسبها به عليه ، وربما يردها علينا هى نفسها فى حساب آخر بضعف ما أخذها به منا ، وهكذا دواليك ، قال فاستخرجنا تلك الصناديق الباقية من القرطاس ، فاستدعينا القواد ، وسألنا كل واحد عما مات من خيله ورجله ، فلما قيدنا ما قال كل واحد منهم ، أمرنا بحفر الخنادق حول المحلة ووضعنا متارس وراءها تحصينا لموقعها ، ثم عمدنا الى التقييد لنرسله الى كبير محلتنا عبد الرحمان بن عبد الصادق الذى أوى الى (مليلية) فيتصل بنا بواسطة اخوانه الريفيين المتحاشين اليه يترددون بيننا وبينه بالفلائك ، فلما هيأنا للدفاع عن المحلة أوصيت كبار الجند أن لا يفرطوا فى الدفاع ان رجع اليهم الثائر غدا ، فان لم يجدوا مناصا فالجزيرة المنقطعة عن البروهي وراءهم ينحاشون اليها ، قال : فدخلت أنا فى القارب الذى يقوده الريفيون أصحاب عبد الرحمان بن عبد الصادق فكنت أنا هو الرسول ، فلما قاربنا مليلية ليلا نادانا الحرس من الاسبان ، فأجبناهم بأننا قادمون على رئيسنا ابن عبد الصادق ، وطلبنا منهم أن يستاذنوا لنا ، فأذن لنا بالدخول الى المرسى، فدخلت على الرئيس فوجدته نائما ، وكان توجهنا فى الليلة التى وليت يوم الحرب ، فأيقظناه من النوم ، وقد عرف من أنا ، فخرج الى وهو حاسر وله اذنان طويلتان تبينتهما فى الليل على ضوء القمر ، فقلت له لا كلام قبل

ان توصلني بطنجة . لابرق اليها بما أتيت من اجله ، فامليت البرقية بخبر ما وقع لنا في المعركة ، من موت ما هلك لنا من الخيل والرجل ، وأنه لا قرطاس ولا مئونة عندنا ، فقد زحف الينا الثائر بنفسه ، فقاومناه النهار كله ، فاما أن تغيثونا والا فوداعا بينكم وبين جيشكم هذا ، ثم جاء الجواب في الحين بأن السفينتين المخزنيتين اللتين تسميان (المعدنوس) و(الجبل الكبير) موجودتان الآن في مرسى طنجة ، وسيوسق عليهما في الحين كل ما طلبتموه، زيادة على ثلاثة طوابير أخرى من الجند ، فسيأتيكم الجميع في الحين ، فكونوا رجالا كما يراد منكم ، فان عليكم وحدكم الاعتماد في مقاومة الثوار .

قال : وهناك سفينة أخرى ثالثة تمام سفن المخزن الموجودة عنده اذ ذاك تسمى (التريكي)

قال : فلم آكل ولم اشرب ، وسرت ألقي، كل ما في بطني بتاثير هواء البحر ، حتى جاءني الجواب فكتبت رسالة مع الريفيين بذلك ، فذهبوا بها فبكروا عند أصحابنا في المحلة ، ثم بعد صلاة الصبح استلقيت نائما من الاعياء ، فظللت ثم بت هناك،وفي اليوم التالي شاهدت السفينتين أمام(مليلية) فرتبت احداهما ، فأتيت اصحابي ، بكل ما طلبناه ، واما المئونة فلم تصلنا الا مئونة خمسة أيام فقط دراهم ، ولكننا فرحنا بالقرطاس ليمكن لنا الدفاع عن انفسنا لئلا ياخذنا العدو باليد ، قال : ثم قطعنا ضحل الماء الذي يعبر به الى الجزيرة فبنينا فيها الاخبية ، فأمنا فيها أن يبيتنا العدو ، وقد كان الثائر استولى هناك على المحل الذي تعشر فيه السلع ــ الديوانة ــ فاردنا ان نحول بينه وبينه بحملة منا على محلها ، ولكنه دافع عنها دفاع المستميت، فقنعنا من الغنيمة بالاياب ، ثم صارت اجوبة الرسائل التي نواليها بطلب المئونة من الحكومة لا تتضمن الا قولها : صار بالبال ، صار بالبال ، فاين ذهب السلف الذي دخل اذ ذاك الى المغرب ؟ أم لعبت به ايدي تجار فـاس وغيرهم ؟ فلا حول ولا قوة الا بالله ، قال : وهكذا بقينا فـي مسغبة عظيمـة حتى رقت لنا اسبانيا قبل أن نجد الرقة في وزرائنا ، فأعطتنا دفعة مئونة شهر ، فقد دفعت لنا التبن والشعير للبهائم ، والدقيق والـزيت والحـوت والقهوة،ثم اننا متى أردنا أن نكتال من قبيلة (بني يـزناسن) بما نتمصصه من الدراهم بمخالطة بعض القبائل نذهب بنحو الفي بغلة ، مع نحو ذلك من الخيل حراسة لها ، فبقينا هناك أكثر من سنة والحرب متصلة الحلقات ، وهناك مات القائد المولودي عم القائد العربي الذي هو الآن في عهد الاستقلال قائد للمشور الملكي ، فقطع راسه وذهب به الى (سلوان) عاصمة الثائر فعلق هناك ودارت حوله ألعاب الخيل ثمانية عشر يوما فرحا بالظفر به لمكانته عندنا ، فتولى القائد العربي المذكور مكانه ، وكانا معا تحت نفوذ القائد الناجم الذي يحكى لنا .

في مليلية

قال : وذات يوم وردت علينا رسالة جاء فيها : الم نامركم مرة بعد مرة ان تنسحبوا من هناك وان تدخلوا الى الجزائر لتاتيكم السفن لتردكم الى داخلية البلاد ؟ فدهشنا وتساءلنا متى وردت علينا مثل هذه الرسائل بهذه الاوامر؟ فعلمنا حينئذ ان من يلون شئون الحكومة يريدون أن يخلو الجو للثائر لينتصر ويعلو شأنه تنفيذا لخطة فرنسة التي تعين الثائر وتسخره لفائدتها ، فاتصلنا نحن اذ ذاك باسبانيه ، فقال لنا من نتصل به منها : ان حكومتكم قد غدرتكم ، وأرادت من قبل اليوم أن تضمحلوا . افلا ترون انكم امرتم ان تخرجوا من (وجدة)أولا ، ثم لم تكادوا تغادرونها حتى احتلتها فرنسا ، وان المئونة قد قطعت عنكم كل هذه الاحقاب ؟ أنم تكن لكم عقول تفكرون بها ؟ ثم كتبنا الى الحكومه أنه لا يتبعنا أحد من جنودنا اذا أردنا الان ان نذهب الى الجزائر ، كما أمرنا به ، لنركب من هناك . هذا ونحن نريد ان تقف معنا اسبانية حتى تحملنا الى حمى (مليلية) فلبت اسبانيا مطلبنا ، وهيات لنا ما نحتاج اليه من العلائك والسفن التي حشرتها الينا حشرا ، فكنا حين سفرنا من الجزيرة في حالة سيئة، وثياب خلقة فاجتمع اتباع الثائر في ساحل البحر يشيرون الينا ، ويسخرون منا ، شامتين ، وقد هددتهم اسبانية ان هم حركوا ساكنا ضدنا ، فانتقلنا بكل امتعتنا ومن معنا ، فتلقتنا العساكر الاسبانية في (مليلية) ترحيبا بنا ، وقد أثنوا على شجاعتنا وتضحيتنا في مواقفة الثوار في كل هذه السنين ، رغم اعراض حكومتنا عنا ، ثم دفعنا للاسبانيين اسلحتنا بالتقييد لناخذها منهم كذلك يوم نخرج من عندهم ، فانزلونا هناك ، في بسيط أمام مدينة (مليلية) وصاروا يمونوننا كلنا مئونة كافية بالدقيق والحوت والزيت والتبن والشعير والكل على نفقة اسبانية .

وبعد مدة جاء الامر من الحكومة ، وقد خجلت لما حل بنا من الضياع لولا اسبانية ، بأن يدخل الجند من (مليلية) الى الايالة المغربية ، فتاتي البواخر فتحمل الجند شيئا فشيئا ، فتذهب به الى (الرباط)حيث مولاى عبد العزيز، بعد سفره من فاس ، وقد أراد أن يستعين بجنودنا في زحفه الى مراكش ، فذهب الجميع حتى لم يبق من القواد الا أنا ، والقائد صالح ، والقائد محمد ابن الجيلاني ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد بريك ، وعيالهم وأصحابهم الخصوصيون ، والجميع نحو السبعين ، والسبب في تأخرهم انهم يسمعون بانهم متبوعون من قبل فرنسة ، وانها بمرصد لهم ، لحنقها عليهم من وقوفهم في سبيل الثائر بوحمارة الذى تعينه هي ، وتشجعه على ثورته على الحكومة المغربية ، سعيا في تمزيق وحدة البلاد ، ولذلك اضطررنا الى الالتجاء الى اسبانية ولم نرد ان نفارق منطقة نفوذها . اذ هي التي لنا فيها وحدها الامان ، فذهبنا الى حاكم (مليلية) بعد ذهاب جيشنا كله ، فقصصنا عليه خبرنا واعلمناه بأننا مستجيرون بهم ، فاستشار حكومته ، فاجيب بالموافقة،

فرحب بنا واحتفل ومانتنا وانزلنا كما ينزل الكبار الملحوظون الى ان يظهر لنا ما نريد ، فكذلك بقينا هناك . ونحن الذين كنا من بين قواد الجيش على فكرة واحدة وشعور ممتزج ، خلافا للقواد الآخرين الذاهبين .

قال : هذا وكان امر قيام مولاى عبد الحفيظ يصلنا مجملا ، ولم نستبن بعد حقيقة الامر عنه ، بل كان القائد المدنى الاكلاوى يكاتبنا أن نتسرب الى الحوز ، بل أوعز الى بعض الريفيين ان يقفوا معنا حتى نتملص مما نحن فيه ، قال : ولكننا لا نريد أن نضيع الامانةالتىفى أيدينا من الجند والسلاح، بنفض أيدينا مما نحن فيه بدون تامل ولا تعقل ، وذلك ما يقتضيه منا الشرف العسكرى ، ولذلك صبرنا حتى ادينا الامانة بالتى هى أحسن ، ثم اخترنا السلامة من ذلك الجو المعتكر ، حتى تبين لنا الخيط الابيض من الخيط الاسود، ففعلنا ما فعلنا ، فصرنا هكذا ملتجئين حفظا لشرفنا العسكرى والشخصى.

قال ثم لما بايعت غالب الحواضر السلطان الجديد مولاى عبد الحفيظ ، واتفق الناس عليه ، صرنا نتأمل فى أمرنا فعولنا حينئذ أن ندخل فيما دخل فيه الناس ، فاكترينا سفينة انجليزية على حسابنا ، فذهبنا الى رئيس (مليلية) فافضينا اليه بعملنا ، بعد ما قابلنا بكل جميل واحتفال تام على عادته ، ثم ودعنا ، ، فارسل الى حارس المرسى ان يتغاضى عنا فيخلى المرسى وقت خروجنا لئلا يوخذ باية مسئولية ، فادخلنا فى السفينة ما معنا من العيال ومن الخيل ومن المتاع ، واقلعنا الى سواحل المدن الداخلية .

على وشك الاعتقال فى آسفى

قال : سافرت بنا السفينة ، وكنا نقصد آسفى التى كان بلغنا أنها دخلت فى ايالة السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ الذى عرف بغيرته على الاسلام وكراهة فرنسة عدوتنا ، حتى اذا سامتنا هذه المدينة ، وقد انقشعت ضبابة غرتنا حتى تجاوزناها وكأنالاقدار تحذرنا منها ، فرجعنا اليها ، فاذا بقارب اتصل بسفينتنا ، فقال لى أصحابى اذهب أنت اولا حتى تتلاقى مع باشاالمدينة ولد عيسى بن عمر صاحبك ، لتهيىء لنا عنده النزول ،، فلما نزلت من سلم السفينة ووصلنى القارب قلت لسائقه ، كيف الباشا ولد عيسى بن عمر ؟ فقال لى واين ذلك الباشا ؟ فقد غادرنا منذ اسبوع ، وقد صارت آسفى فرنسية اذ احتلها جيش مولاى عبد العزيز ، وطرد منها اصحاب مولاى عبد الحفيظ ، وقد جىء اليها بذلك العسكر ـ وأشار اليه امام المرسى ـ ، وهذا الباشا الجديد وهو ابن عيسى العبدى ، ظالم جبار يضرب ويسجن ويذر الفلفل فى أعين كل من ينكل بهم ممن فيهم غيرة على الاسلام ، قال : فتركته يتكلم من غير أن أجيبه الا بكلام حسن ، وحمدت الله على أن ساق الى من اطلعنى على الحقيقة ، فرددت رجلى من طرف القارب بعد ما اهويت بها اليه لانزل فيه الى المدينة ، وعزمت على الرجوع الى مكانى فاذا باحد اصحابنا ينزل

من السلم ، فقال لي : اريد أن أذهب معك الى المدينة ، فقلت له انني نسيت شيئا أمام صاحب القارب ، فطلع فتبعته فحكيت لاصحابي ما سمعت،واعلمتهم بأن القائد ابن عيسى الذى تركنا في (مليلية) هو الباشا هنا ، ومعه جنده ذلك،وأريتهم عسكرا متهيئا امام المرسى ، وبينما نحن واقفون اذا ببارجة فرنسية وقفت ازاءنا في تلك اللحظة ، فاذا بها كانت تقتفي آثارنا من (مليلية)، ولكنها لم تصادفنا في البحر ، فصارت تبادل الاشارات مع من في اسفي من أصحاب القنصلية الفرنسية ، ولا ريب أن خبر مقصدنا قد تسرب الى آسفي ، فلذلك تهيأ ذلك العسكر لاعتقالنا ، ثم راودنا صاحب سفينتنا الانكليزية أن يرجع بنا الى مأمننا ، فأبى علينا كل الاباء ، وقد خاف لما توجس من حولنا ما عسى أن يمس به ، فاذا برجل جاء في فلوكة، فطلع الينا فاستدعاني فاسر الى سلام الباشا ابن عيسى ، وطلبه مني على وجه الاخوة أن ارجع وان لا اورطه هو وأهل آسفي ، قائلا : ان كل من هنا من جندك ، وأنهم متى رأوك فسيقفون بازائك ويقتلونني ، فتثور الفتنة في المدينة ، فلا يعلم الا الله ما سيقع ، قال : فقلت له رد عليه السلام ، وابلغه اني ذاهب الى حال سبيلي ، ولكن لماذا بقي هو ازاء النصارى ضد المسلمين؟ ولماذا يبيع آخرته بدنياه ؟ ثم جاء ايضا انكليزى على قارب وطلع الينا ، فسأل رئيس السفينة من هو ؟ ومن هؤلاء ؟ فأخبره أنه انكليزى وأن السفينة انكليزية ، وأن هؤلاء قد حملهم من مليلية الى هنا باجرة ، وأنهم مضمونون عنده ، فصار يخاصمه ويقول له : الم تر البارجة الفرنسية تقف ازاءك ؟ الم تر المدافع موجهة الى سفينتك ؟ أما تخاف أن ترمى سفينتك بالقنابر ؟ فلماذا لم ترفع الراية الانجليزية ؟ فرفعها ، فامن بذلك على نفسه وعلى سفينته ، فاذ ذاك اكترينا من عنده ايضا على أن يردنا الى جبل طارق ، فرجعنا اليه ، قال : وهكذا كان ستر الله وحفظه وتوفيقه علينا حجابا ، ومن حفظه الله فانه لا يخاف ، ثم بعد وصولنا الى جبل طارق اتفقنا معه أيضا على أن يردنا الى مليلية حيث كان لنا الامان التام تحت ظل اسبانية .

في اسبانية ثم في مليلية

قال : كنا خيرنا اصحابنا وهم نحو اربعين أن يذهب كل واحد منهم الى حيث يشاء من البلدان ، فأبوا مفارقتنا الا واحدا هو الذى ذهب ، فقبلناهم وحسبناهم من عيالنا ، فذهبوا على تلك السفينة مع العيال الى مليلية فبقوا على نفقتنا كما كنا معهم من قبل،ثم ركبنا نحن مركبا بخاريا آخر ونحن ثمانية الى الجزيرة الخضراء،ومن هناك ذهبنا في القطار الى مالقة ، حيث بقينا أياما، فاصاب القائد صالحا مرض ، ثم برىء منه قريبا،وكان الفصل فصل الصيف، قال وكنت أبكر الى سيف البحر ، فالتقى برجال من بني ورياغل يترددون

بالتجارة الى مالقة ، فيعطوننى خبر مولاى عبد الحفيظ . وانه دخل فاسا ، وكان دخوله اليها عام 1326 ﻫ .

قال : ثم رأينا حوالينا فى النزل جواسيس يحومون حولنا ، ثم اتصل بنا احدهم وأفضى الينا بأن الحكومة الاسبانية التى تتبعنا بعيونها قد عرفتنا، واننا عندها بمكانة ، ثم ابلغنا أن حاكم المدينة سيستدعينا وقت كذا ، ثم استدعانا الحاكم فعلا وقد أرسل الينا المركوبات ، فأبلغنا ترحيب حكومته بنا، ثم سافرنا الى مقر الحكومة بعد استئذانها ، فاتصلنا فى(مدريد)برجال الحكومة فرحبوا بنا ، ثم ردونا الى مليلية،وقد افرغوا جهودهم فى ايناسنا نحن وأولادنا وكل من معنا ، فنزلنا فى الدور التى كنا فيها من قبل ، ثم استدعانا حاكم مليلية صاحبنا الاول ، فتأسف كثيرا على ما وقع لنا فى آسفي ، وقال : انه لم يكن يعلم بالانقلاب الذى وقع هناك الا بعد سفرنا بكثير ، ثم قال : ان فرنسة عاتبة عليه كثيرا لما فعله معنا ، واخيرا رحب بنا وأخبرنا بأن حكومته أوصت علينا كثيرا .

فـــى تطوان

قال : صارت اخبار مولاى عبد الحفيظ تتوارد علينا من كل ناحية ، وأن تطوان دخلت فى ايالته ، فاستدعينا القائد بريكا مع رجل آخر كان تاجرا فى مليلية ، فطلبنا منهما أن يذهبا حتى ينزلا فى سبتة ، فودعناهما على أن يبرقا الينا بردوز اتفقنا عليها ، فان وجدا تطوان كما سمعنا أبرقا بكلمة (الرخاء) ، والا فبكلمة (الغلاء) فأبرقا بالرخاء ففرحنا ، وفى العشى طلعنـــا عند الحاكم فحكينا له معنى البرقية ، فضحك من حيلتنا ، ثم بعث الى حاكم معه ، فأعطاه البرقية ، ثم بين له معنى الرخاء فأعجب أيضا بذلك ، فقالا معا : هكذا ينبغى أن يكون من يعرفون كيف يدبرون الامور ، قال : ثم فاوضناه فى الالتحاق بتطوان ، فوافق على ذلك ، وقال : انه لا ينبغى أن تعملوا كما عملتم فى المرة الاولى ، فاذهبوا بانفسكم أولا ، ، ودعو عيالكم ومتاعكم هنا ، فان أرسيتم فعلى أنا أن اوصل اليكم عيالكم وأصحابكم ومتاعكم، فاخبرناه باننا قد هيأنا بالكراء فلوكة توصلنا الى (تطوان) فأوعز الى حارس المرسى أن لا يحضر لخروجنا كما سبق له أن فعل فى المرة الاولى ، ثم ودعنا بكل احتفاء .

قال : ركبنا عشية فما اصبحنا الا فى (مرتيل) حيث مرسى (تطوان) فلم نجد فى المرسى الا كوخين فقط ، ولا بناء فيه ، فجلسنا فـــى ظل احـــد الكوخين ، واستخرجنا سلاحنا فنظفناه ، وقد كنا لويناه فى الاخبية ، كما هيانا فطورنا ، ثم كتبنا الى الباشا القائد عبد السلام بن الحسين البخارى الذى ارسله مولاى عبد الحفيظ باشا الى هذه المدينة .

قال : فلما تقلص عنا الظل ازاء الكوخ قمت لاريق الماء ، فاذا بانسان وقف علي وقال لي : ان الشمس قد وصلتكم ، وفي هذا الكوخ الآخر محل مفروش وظل ظليل ، فذهبت معه ، فدخلت المحل ، فاذا بفراش حسن وطعام مهيىء، ثم اجلت بصري في انحائه ، فاذا بسلاح كثير جديد نحو ستين بندقية اوربية (منابهية) وهذا نوع من البنادق الانجليزية جاء على يد الوزير المنابهي فصار يضاف اليه ، فسألته عن اصحاب السلاح ، فذكر أنهم لا ياتون الا كل عشية، ثم يركبون في الفلائك عشرة عشرة ومعهم رئيسهم فيبيتون يدورون على ما يجاور المرسى من البحر ، وقد أوصوا أن لا يفلت منهم أناس ينتظرون ورودهم وبما يطرقون المحل ليلا ، فان أمكن اسرهم فذاك ، والا فيقتلون بالرصاص ، سمعت ذلك ففهمت المقصود ، ثم غيرت مجرى الحديث ، فخرجت معه ، فاستدعيت القائد صالحا فأعاد نفس السؤال على رب الكوخ لما راى السلاح ، فسمع نفس الجواب ، ولكنه لم يملك نفسه ، فجعل يقول هذا هو جزاؤنا من اخواننا المغاربة ، وقد ضحينا بانفسنا امام هجوم الثوار الذين ما أثارهم الا الاعداء ، فدهش صاحب الكوخ وكاد يذوب ، ثم قال : الحمد لله الذي انقذكم، قال : وقد كانت هذه التوصية من قبل في عهد اصحاب مولاي عبد العزيز الذين كانت تسيرهم فرنسة ، فينصبون لنا ولامثالنا الفخاخ ، أما وقدانقلبت الصحيفة ، وجاء عهد السلطان الجديد ، وذهب تاثير فرنسة ، فقد عاد الينا الامان ولله الحمد ثم لم نلبث أن جاءت بغال مسرجة من عند الباشا فركبناها، فدخلنا تطوان قال : فوجدنا سفراء مولاي حفيظ كما رجعوا من(برلين) وهم: السيد محمد بن عزوز ، والهاشمي بن السيد عيسى بن عمر العبدي ، ومكوار وبنيس ، فقامت بنا وبهم تطوان اكراما واحتفالا واحتفاء فقل أن تكون هناك دار كبيرة لم تكرم فيها ، وقد كان للسيد عبد القادر الرزيني الشفوف في ذلك على الجميع ، وقد كان (الفدان) له ، ولا تزال تجري حلباتنا مع أولاده كل يوم فيه وكانت له مودة مع المنابهي ، فهو الذي اهدى لاولاده هذه الخيل ، وقد انزلونا في دار عشعاش ، ثم التحق بنا كل من في مليلية ، وقد وفى حاكم مليلية بوعده ، فسكن كل واحد منا في دار اكتراها .

قال: ثم جاءنا الحاج مبارك اخو القائد الحاج علي البعمراني الذي تركناه ، في وجدة بخمسة وثمانين بغلة ، مع رسالة سلطانية لنطلع عليها الى فاس ، ثم اعقب ذلك الامر بأن نبقى في تطوان،وأن ندخل الجنود على يدنا كما كانت عادتنا من قبل ، فاعطيت لنا الاخبية والسلاح ، ثم أمرنا ان نكون تحت طاعة الريسوني والمهدي المنابهي .

في جبالة

قال : ثم أمرنا ان نخرج من تطوان ، وأن ننزل في (بوصفيحة) فلما كنا في

هذا المكان كتبنا الى المهدى نقول له :تأمر مولاى أحمد الريسونى أن يرسل الينا من ايالته الاشياخ ومن قدر عليهم من الرجال والفرسان ليرابطوا معنا، فان من معنا الآن قليلون ، ولا يزال من ينضمون الينا دون القدر المطلوب ، وبعد ذلك صار كل من سمع بنا من جندنا القديم ، ياتى فينخرط معنا من جديد ، ثم تتابع الجبليون يردون في كل يوم ، حتى أصبحنا جيشا كبيرا،ثم انتقلنا الى محل يسمى (الفنتيديق) ثم الى (نزالة الطلبة) .

ثم بينما انا جالس هناك على (فرتالة) أمام خبائى ،اذ تراءى لى رجل انكرته عينى ، فأرسلت اليه أساله فادعى انه شركى ، ثم زاد من تلفيقات كلامه ما أثار منى الريبة حوله ، ثم صرفته عنى فرجع الى مقعده ، فاذا بانسان ملثم وقف ازائى فحسر اللثام عن وجهه فاذا به شخص أعرفه يسمى أحمد . كان فارقنا لما كنا بوجدة،ثم حكى أنه صار جاسوسا عند الفرنسيين منذ فارقنا، وانه يتتبعنا الآن كما يتتبع غيرنا من قبل ، فأدركت أن الاخر مثله ، فشكرت اليه ما أفضى به الى ، ثم أمرت بعض أصحابى أن يذهب به الى خباء الطعام ليطعمه ، ثم استدعيت الآخر فاستجوبته فابى أن يقر بأى شىء ، فأمرت بالماعون (ماعون الجلد) فمده الجند فصارت الاسواط تختلف عليه حتى اغمى عليه ، فصببنا عليه الماء البارد حتى أفاق ، فراجعناه جلدا مبرحا ، وهو مصمم على أن لا يصارحنا بالحقيقة،فأمرت أن يلوى فى تليس ثم تجعل حلقات الحديد فى ركبتيه ، فيعلق بها فى شجرة ، ثم أمرت بحراسته لئلا يقتله الجبليون ، ثم لم نطلقه الا عند رحيلنا ، ثم جاء صاحبه أحمد ، فقال ان هذا صاحبى،وأنا معه دائما فى التجسس،وأنا تائب الى الله،ثم صاحبنا فتحسنت حاله .

فى العقبة الحمراء

قال : ثم وصلتنا رسالة رسمية أن نجتهد فى احتلال العقبة الحمراء قبل ان يحتلها جيش فرنسى يتجه اليها ، قال : فميزنا أهل جبالة فساروا فى طريق على حدة تحت رئاسة ابن أخت الريسونى ، وقد قل فيهم الفرسان ، وسرنا نحن فى طريق آخر ، فتواعدنا العقبة ، فاذا بهم سبقونا ، فوجدناهم قد كادوا ياتون على جيش الفرنسيين وليس فيه الا المغاربة ، وما فيهم من الفرنسيين الا بعض الرؤساء ، فصاروا كلما قبض واحد منهم يقول : أنا اخوكم ، أو انا كنت جنديا عندكم ، وما أضر بى الا الجوع ، فأسرع القتل فى بعضهم نحو ثمانية عشر رجلا ، ثم نهينا عن القتل ، فانتهب كل ما فى الجيش الفرنسى ، ثم مال الناس الى كل ما فى القرى جوار طنجة ، من النعم فلم يبقوا منها شيئا ، ثم أتتنا رسالة المنابهى يقول : ان ما نهبه جيشنا غالبه للمحميين الاجانب ، فصدنا ذلك عن أن نستمتع بما فى ايدينا من

ذلك ، فرددنا كل الغنائم الا ما سبق اليه الجند من الغنم فذبحه فأكله ، قال: ثم أقام لنا المنابهي والريسوني حفلة في المحل المعروف بالقهاوي طفحت بالخيرات ، فصار المنابهي يقدمنا واحدا واحدا الى الريسوني ودموعه تتساقط تذكرا للعهود القديمة معنا ، فأكرمنا بمال ، ثم أمرنا المنابهي ان نكون تحت طاعة الريسوني . فقطن معنا ، ثم بايعت العرائش واصيلا للسلطان الجديد .

في الاثنين بسيدى اليماني

قال : بينما نحن جالسون عشية اذا بالمنابهي وقف علينا ببغلته وحده ، فأنزلناه فصرنا نهيىء له ما أمكننا مما نحسن طبخه ، فاذا به اكتفى ببيض وحليب وسكر ، ثم امرنا نحن الفرسان بالركوب معه ، فركبنا فمررنا بالريسوني فاذا به على بغلته وأمامه نحو مائتين من رجال جبالة كأنهم فهود أو غزلان خفة وقوة ، فكانت بغال المنابهي تمشي مشيا عجيبا بالهملجة السريعة المستمرة ، ونحن وراءها في جرى الخيل ، وأولئك الشبان الجبليون يقفزون أمام البغال كأنهم لا يعيون ولا يحسون في الجرى بأى تعب ، وسلاحهم في أيديهم كأنهم لا يحسون له ثقلا مع جريهم المتتابع ، فسرنا حتى وصلنا بعد نحو مسيرة يوم معسكرا بسيدى اليماني ، يراسه ولد لمولاى عبد السلام الامراني ، ومعه قواد ، وهم جيش كثيف رابط هناك باذن السلطان الجديد ، فنزلنا عندهم ، فاذا بطلقات الرصاص تدوى في الفضاء ، فقال لنا المنابهي : الحقوا مولاى احمد الريسوني ، فذهبنا مسرعين فوجدناه قد اعتقل القائد بوسلهام الرميقي الخلطي ، واللالى ابن أخيه ، ثم أراد أن يعتقل خليفة له اسمه العيتور فدافع عن نفسه بالرصاص الذى سمعناه، ثم اعجزهم هربا ، ولم ندر السبب الذى اعتقل من اجله الريسوني القائد الرميقي ، مع ان هذا قائد كبير . وهو قائد الخلط ، وقد أتى بقبيلته فرابط بها مع ابن عبد السلام الامراني ، ثم أخذ النهب في متاع الرميقي ، فانتهبنا بين المنتهبين ما قدرنا عليه ، ثم دفع لنا الريسوني اسيريه لنوصلهما اليه في (طنجة) ، ثم أطلقا بعد نحو اسبوعين فقط ، لان الرميقي كان تحت الحماية الالمانية . والمحميون اذ ذاك لا ينالهم أدنى ضرر حتى اذا نالهم فسرعان ما يزول .

في وادى الدجاج

قال : تحولنا الى وادى الدجاج ، وهو غير بعيد من طنجة ، فرابطنا هناك بجيشنا ، ثم لم نبطىء فوصلتني رسالة من ادريس منّو ، يطلب مني أن القاه وهو مار ازاءنا وقد أتى من آسفي الى طنجة ، فهيانا الطعام ، فاذا به قد وصل لما متع النهار ، فقلت له : انني ما أتى بى من اسبانية الا أننا سمعنا أن سيدك هذا - يعني مولاى عبد الحفيظ - ما قام الا غيرة على الدين

والدفاع عن كيان الامة ، فالآن ابلغه سلامي وقل له : لا يدعنا هنا بعد اليوم، وليبعث الينا لنطلع عنده ، هذا ملخص ما قلناه .

ثم أن المنابهى صار يتأهب للذهاب الى فاس ، ثم بدا له لسر لا أعرفه ، ولعله خاف من الجو الذى تعيش فيه فاس اذ ذاك، وفى يوم ارسل المنابهى الى القواد الذين معى فوصلوه ، فأمرهم ان يذهبوا الى محمد الكباص وهو اذ ذاك فى طنجة ، بعد ما كان وزيرا للحربية اثر المنابهى زمنا ، وأما أنا فلم اذهب معهم ، فطلب منهم أن يقدموا مطاليبهم لانهم سيذهبون الى فاس ، فقيدوا له مطاليبهم فسأل عنى فاعتذر اليه بأنى فى وعكة ، فلما افطرت فى الغد،بكرت الى المنابهى ، فسألته عما طرا فقال ان الامر جاء لنذهبوا الى فاس .

قال : فقلت للمنابهى لما اخبرنى بورود الأمر بذهابنا الى فاس : ما هذا الحال الذى أنت عليه ؟ أفى كل يوم تدفعنا الى مهاو عميقة ؟ فالى متى تتركنا يتصرف فينا غيرك ؟ فاننا قد نقبل الذل لك ولامثالك ، ولكن كيف نقبل الذل لاذلاء اخرين (كأنه ينظر بذلك الى قول الشاعر :

واذا لـم يكـن مـن الـذل بـد   فالق بالذل ان لقيت الكبـارا
ليس بالـذل أن تجـل كبيـرا   انما الذل أن تجـل الصغارا)

فقال : اصبر فانك ستراهم جميعا هنا أذلاء مثلى ـ يعنى سيعزلون كلهم ويقطنون مثله فى طنجة ـ فقلت له : أوكلما انتهب واحد منكم أموال المسلمين ياتى الى طنجة فيقاسم الكفار ما فى يده ؟ فقال : انك أيها الناجم لوقوح ، فقلت له طالما نصحتك للاخوة الشرادية التـى بيننـا ، وأنت لا تصدقنـى، أتقتحمنى عينك لكونى أسود ؟ أو لكونى فقيرا مملقا ؟ أو لكونـى قويـدا بسيطا ؟ فقال الحنين هو الذى يرث ، ـ هذه عبارته ، ـ وذلك مثل عامى مغزاه أن الصالح هو الذى يرث الارض ، وذلك مأخوذ من الاية الكريمـة «ان الارض يرثها عبادى الصالحون» ، والمقصود بالمثل العامى أن الذى يراف بالناس ويتحمل أذاهم ويتواضع لهم هو الذى سيفوز فى النهاية ، كأنما يقول له ان تحملت أذانا فانت الذى ستبقى بعدنا!، قال : ثم ذهبت الى الكباص فلما دخلت عليه قال : أين كنت أمس ؟ فقد كنت أظن أن أول من يفرح بى هو انت ، فانك رفيقى فى خدمة السيد سعيد بن موسى ، فقلت له : الا تزال تستحضر ما كنت كتبت به فى رسالة الينا كجواب حين هنأناك يوم عينت وزيرا للحربية بعد المنابهى ، ثم تناولت الرسالة عينها ـ وقد كنت هيأتها ـ فاريته اياها ، وفيها بعد أن ذكر أنه توصل بثلاثة آلاف ريالمنا : (لا تعودوا لمثلها ابدا ، لا تعودوا لمثلها ابدا) ، فقال : انما كان مقصودى الرافة بكم ، وأنتم الذين تستحقون الاعانة اذ ذاك ، فقلت له من لا يفرح باحسان اخوانه ، فانه فى الحقيقة لا يفرح بهم ، وهذه هى المخزنية ، وهذا هو ادبها ، فهل نفهم ممن لا يريد احساننا الا أنه لا يريدنا ؟ فقال : حقا ،

انك لمخزني صميم ، ثم اظهر الفرح بي فهش وبش ، فقدمت اليه مطالبي كلها باقتراحه ، هذا وقد استقدمنا نحن على يد المنابهي أخانا المصاب في رجليه الحاج على البعمراني من وجدة ، فكان معنا من جديد ، لكنه بلا جند ، ولا يمشي الا بعكازتين لعطب رجليه .

الى فـــاس

قال : ثم ذهبنا بجندنا الذى جددناه تجديدا الى فاس ، وقد استحدث عندنا التنظيم الجديد بالمشي بقدم واحد صفا صفا ، والخفة في الحركـات ، والموسيقى الحديثة والابواق والانفار وما الى ذلك من كثير من الاسماء والالقاب، كان جندي اذ ذاك نحو خمسمائة فقط ، وصعدت مئونة القائد من ثمانية ريالات الى عشرة في اليوم ، ومئونة الجندي من نصف بسيطة الى ربع ريال.

قال وبمجرد وصولنا الى باب السناكمة (احد أبواب فاس) أرسل القائد الحسين دوابه لترد الماء ، فاذا ببربر قد وقعوا عليها فساقوها امامنا ، وقـد وجدناهم ضروا هناك على الغارات ، فتبعناهم في الحين فانتزعناها منهم وراء وادي النجاء .

ثم لاقانا السلطان بمجرد ورودنا في باب البوجات ، فرحب بنا ومنانا كل خير ، وقد وقف ازاءه صاحبه ونجيه ادريس منّو ، ومحبوب خادمه الاخر لما كان يحادثنا ، فقلت له بعد ما استتم كلامه معنا ، : يـا سيدنـا ، ان المصائب التي مرت بنا لا يعلمها الا الله وحده ، فقد عشنا سنين في مسغبة حتى لا ناكل الا الحلزون ، ومشينا راجلين يوم ماتت دوابنا جوعا حتى نقبت ارجلنا ، وقد انقطعت عنا المئونة سنين فلا نراها الا لماما ، ثم نحن في كل ذلك صابرون محتسبون اعمالنا لوجه الله،ولم نخرج قط عن الاوامر السلطانية التي ترد علينا ، فقد حاربنا في السهل والجبل ، وتحاربنا مع أبي حمارة في كل محل طرقه ، وما استطاع لا هو ولا غيره ان ينال من سلاح دولتكم ومن مدافعها ما يمكنه ان يباهي به ، وقد غدر كثيرون ممن في الجيوش ولكن لم يستطع أحد أن يزعم اننا خسنا قط للمخزن عهدا ، او نقضنا وعـدا ، أو أننا تأخرنا قط امام عدو للدولة ، فالآن ها نحن أولاء بين أيديكم يا سيدنا، فلا يسمعن فينا سيدنا آلام الحسدة والمنافسين ، فان كثيرين من المتاجرين في اللحم والاعراض ممن لا يرقبون في أمثالنا الا ولاذمة من أبناء فاس وغيرهم قد اطلقوا فينا الالسنة يوم كنا نحارب في الميدان ، فكنا بين نارين : نار العدو امامنا ، ونار الكاذبين والمرجفين وراءنا ، ولولا تثبيت الله لنا وتوفيقه لكنا بدورنا ممن نفضوا أيديهم من داركم هذه ، ولكن نحمد الله تعالى على أن احيانا في طاعتها ، وجعلنا من جنودها ، الى ان توجتها سلطنتكم السعيدة الموفقة ان شاء الله ، فقال السلطان : والله لا ترون مني الا كل خير ان شاء

الله فاربعوا على نفوسكم ، فقد عرفت منكم كل شيء ، فليياس كل من توسوس له نفسه حواليكم أدنى همس ، فاطمئنوا وزيدوا في الخدمة ، قال : وقد كان السيد العباس الفاسي واقفا حين كنت أقول ذلك للسلطان ، وكان بينه وبين الكباص صحبة . حتى ليقال أنه متبناهم ، والله اعلم ، فخفت أن يكتب فينا الكباص على يده بما يسوءنا ، وقد كان سيدي العباس الفاسي خليفة الوزير المدني الاكلاوي لما رجع الى مراكش ، فهوالذي يزاول كثيرا من الامور كالوزير الاكبر ، قال : ثم رجعت القهقرى على العادة فيمن ينفتلون من بين يدي السلطان . فلا يولونه أدبارهم ، ثم نزلت من قبة زجاجية فيها كانت الملاقاة .

ثم ذهبنا الى وزير الحربية ـ العلاف ـ وهو محمد بن القائد المدني الاكلاوي، فحييناه التحية العسكرية ، لانه الآن رئيسنا الرسمي ، وفي اليوم الثاني جمعنا بيننا نحوخمس عشرة مائة ريال ، فسلمنا عليه بها ، وقد ظهر لنا من ملامحه أنها لم تقنعه ، فقد رفعها بيده ثم وضعها كأنه استخفها ، وهو لا يزال غرا صغيرا ، ثم ذهبنا الى عمر أعندي الاكلاوي ، وقد كان المدني تركه ازاء ولده هذا لياخذ بيده ، وهو الذي يستدعيه السلطان كلما أراد شيئا من محمد بن المدني ، وقد كان عمر هذا مربني عند القائد محمد ولد طبيبينت (لقب باسم لطائر كالعصفور احمر الجسم يميل عنقه الى الزرقة يألف المساجد والمنازل منتشر في الحوز وسوس ولا يتخطى وادى أم الربيع وهو من الطيور الضعيفة المستصغرة الشان) ، والد القائد المدني ، فلما دخلنا عليه لاقانا بشاشة ، مع أننا لم نأته الا بستمائة ريال ، ولم يفعل بها بيده كما فعل مخدومه محمد ولد المدني الاكلاوي ، بل قال اعذرونا فما نحن الا بدويون ، وأنتم اهل المخزن والادب والراى،فعسى أن تروا منا ما لا تقبله عقولكم أو تنكره عيونكم ، فارشدونا ونبهونا ، فما نحن هنا الا خدم للسلطان ، فعرفت أن الرجل عاقل .

قال : ثم أمرنا نحن قواد الارحاء ان نرابط في وسط المحلة ـ المعسكر ـ ثم أرسل الينا السلطان ، فوجدنا عنده سعيد بن البغدادى باشا فاس الجديد اخو القائد محمد بن البغدادى الشهير،وذاك ابن حرة وهذا الباشا ابن امة، وادريس منو والعبد الذى اسمه رزوق ،وهو عبدللسلطان،ومحبوب،فخرج السلطان الى خارج مجلسه الخاص ، فوقففيه،وهناك من قواد الشراردةوأنا معهم ، وقد اصطف القواد أمامه .

في أيت يوسى

قال : فامرنا السلطان ان نصبح قبيلة أيت يوسى بغارة ملحاح ، لنقضى عليها ، وحثنا على قضاء الغرض كما ينبغى ، فبندقنا له وقد اعلنا

السمع والطاعة ، ثم صرنا نمر به واحدا واحدا باذنه ، نقبل يديه واحدة فواحدة ، وكان هو يودع في يد كل واحد منا غلافا فيه لويزات من الذهب نحو 25 ، ثم خرجنا لطيتنا مستبشرين بهذه الحرب الجديدة على عادة الجندى القح ، فاذا بابن البغدادى الاسود ذهب في صبيحة اليوم المعهود مع القواد اصحابي سابقين الى ناحية من ايت يوسى ، ومعهم رزوق بوهو ، وتركني أنا بؤخرا عمدا مع قواد الشراردة ، لنذهب الى ناحية اخرى ، الا اننا سبقناهم الى ناحيتنا . فنلنا المقصود ، فقد طرقنا أيت يوسى في الليل وهم لا يزالون في مضاجعهم،فقضينا على دن وقعنا عليهم قضاء مبرما،وقد كان المحل الذى ترك لنا هو الذى تظن به المشقة الفادحة،ولذلك تركوهلنا كيادا وختلا، ولكن الله خيب ظنهم ، فلما أصبح الصباح ، طلع السلطان الى برج يسمى الفيل في دار المخزن ، فصار ينظر بالمنظار المقرب،فتراءى له سواد مقبل من ناحية أيت يوسى ، فظن الجيش منهزما ، فارسل الخيل تباعا لترجع بالاخبار ، فاذا بجندنا قد رجع بالبقر والغنم والخيل والبغال والمتاع ، فيسأل الرسل من أى جند انتم ؟ فلا يسمعون الا جند الناجم،فرجعت اليه الرسل بخبرنا. فعلم أننا نحن الذين قضينا الغرض كما ينبغي ، ثم نزلنا ازاء السور فاذا بالآخرين لم ياتوا الا بالقليل من المتاع الذى لا يعد شيئا » قال : وكان ابن البغدادى هذا الاسود حاضرا معنا في وجدة ، وكان اذ ذاك كبيرا على المحلة ، فزحفنا هناك يوما الى بنى يازناسن ، فنزلنا في (عيون الصفاء) والوقت صيف ، فكان يأمرنا باسراج الخيل في حمارة القيظ ، فنذهب الى بسيط أنكاد ، فيامرنا باحراق السدر ، فتكرر منه ذلك في الهواجر ، فتهلك خيلنا بالحرارة ، فقل يوم لا نترك فيه هناك فرسا أو فرسين ، وفي يوم ذهبنا الى هناك أيضا ، فلحقني وقال : الست بمعي ؟ فأنا لست بمعي، فاجبته جوابا بسيطا ، ثم قلت له ما هذا العمل » فان خيلنا في هلاك كل يوم في حمارة الهواجر ؟ فان كان الغرض احراق السدر فقط ، فلنات في العشايا وفي أوقات البرودة بمناوبة ، وان كان المقصود شيئا آخر فما هو ؟ فقال لى ان المقصود اظهار القوة للعدو ، لكنه لما أغار علينا بنو يزناسن كاد هو يهلك مع الهالكين ، فكان ذلك هو السبب حتى فسد ما بيني وبينه، فلا احبه ولا يحبني ، وقد وقع لى أيضا معه مثل ذلك في زحف آخر في (وادى برديل) حيث كان ابو حمارة لايزال يحاربنا يوم قتل القائد الرتلطني الماحي والقائد على السادني ، والقائد ابن الجريف ، وكثيرون امثالهم . فقد كان اليوم عصيبا علينا ، فقد كدنا نوخذ باليد لولا فرارنا من العدو الذى هاجمنا على غرة ، وكل ذلك من ابن البغدادى هذا المنحوس ، ولذلك لا يقربني ولا اقربه ، ولاسيما حين نوى أن يعتقل هناك بعض القواد ظلما وتعديا ، فعارضته ، فتفرقنا اقبح تفرق من ذلك اليوم .

قال : ثم أمر السلطان ان نرجع أيضا الى أيت يوسى ، فنزلنا فى (مزدغ الجرف) ازاء مشهد سيدى الحسن اليوسى ، وكبير الجيش هو محبوب خال مولاى الكبير ولد مولاى الحسن ، قال : فلم نزل هناك حتى أذعن اليوسيون كلهم واعطوا المغارم المخزنية ، والعسكر الذى وظف عليهم ، ثم نزلنا أيضا فى (كيكو) ، هنالك . وكان السلطان جهز اذ ذاك جيشا آخر تحت رئاسة القائد بوخبزة،وفيه القائد الطيب ولد عيسى بن عمر والقائد العربى بن عيسى بن عمر ، واخوه ، والقائد عبد الله الرحمانى ، والقائد عنو الذى كان القائد ابراهيم الحاحى الساكن وقته بسلا كجندى تحته ، فخرجوا الى بلاد بنى مطير ، واذ ذاك أمر كل من كانوا فى (كيكو) أن يرجعوا الى فاس بسرعة ، فرجعوا ، قال : فاذا بنا لقينا أحد قواد أيت يوسى وفى يده المدفع الكبير نهبه من الجيش المنهوب فى بنى مطير ، فنزعناه منه ، وتعجبنا فى كونه يطمع أن يخفى المدفع الكبير عن العيون،كما يحكى عمن يسرق الصومعة دون أن يفكر فى حفر بئر يخبؤها فيه .

فى بنــى مطيــر

ثم اننا أمرنا أن نذهب الى بنى مطير لناخذ بثار الجيش المنهزم المنهوب ، وقد جهزنا السلطان بكل ما نحتاج اليه خير تجهيز ، قال : فاذا بالمدنى الا كلاوى أقبل من مراكش ، مع المتوكى ، ويرعى السباعى ، وقد انقادا الى مولاى عبد الحفيظ ، بعد ما كانا يدافعان عن السلطان السابق أخيه مولاى عبد العزيز فى حروب كثيرة وقعت فى الحوز ، وقد أعطى المدنى العهد للمتوكى عن السلطان ، فجاء به الآن فى جيش كبير . يقصدان الى فاس ، ولكن رأى المدنى أن يأتى الينا نحن أولا ، فسبق الى المدنى بعض الاكلاويين الذين يتزعمون ، وهو المسمى أكرار عبد الرحمان ، فأفضى اليه بما أفضى عنا ، قال له : ان قوادا جاءوا بعدك ، فاستولوا على ناصية الحكومة ، فصاروا يحتقروننا نحن الاكلاويين ، فلم نعد نساوى شيئا أمامهم ، قال : فاعلمنا القائد المدنى بأنه سيعرج علينا قبل أن يصل الى فاس ، فتهيانا لملاقاته . كما هو الواجب على أمثالنا لامثاله ، فلما جاء رأى ما لم يكن فى حسبانه من جند منظم كثير ، تحت قواد محنكين ، وهم رجال آخرون غير من كانوا يتبصبصون له . وممن يعرف أنهم لا يحنون الرؤوس أمامه ، وقد كنا هيانا نزوله هو عند رئيس المحلة محبوب ، وأما رفقاؤه فينقسمون على قواد الطوابير ، لكنه لم ينزل عند محبوب ، بل ذهب عند ابن عمه عبد الرحمان أكرار،ذلك الذى وشى اليه عنا بما وشى، قال المترجم:ثم أرسل الى ، وقد عرف القارىء ما تقدم من الصحبة بيننا ، فوجدته مع المتوكى ، فاظهر ما كان معهودا منه من حلاوة اللسان . وحسن اللقى ، وطلاقة المحيا،

ولطافة المسايلة ، وهي عادة له ولاخيه الحاج التهامي . ثم قال : منذ الآن لا ترفعوا قدما من مكانكم هذا الى الامام، فهنا يحد سير جيشكم فلا تتوغلوا، فسأرسل اليكم القائد المختار الكمداني المطيرى ، وقد كان صديقه ، فاتخذوه مستشارا متبوعا ، وسنذهب نحن الى هذا الرجل - يعني السلطان - لنرى من أين هذه الجيوش التي تنتهب كل يوم ، فالتفت اليه القائد المتوكي قائلا : اهذا هو القائد الناجم الذي تثني عليه ؟ فقال المدني : هذا هو فلان الذي من نعته وصفته كذا وكذا ، واطال في الاوصاف الحسنة ما شاء ، فقال المتوكي : انك عزيز لدى الوزير ملحوظ ، يملا بذكرك مجالسه : فلا يزال يذكرك فيها بكل احدوثة حسنه ، قال المترجم : ثم فارقتهما فخرجت مما هما فيه، فوجدت كل رفقاء الوزير قد دخلوا عند أصحابنا قواد الطوابير الا ما كان من المتوكيين والسباعيين ومعهم يرعى ، قال فعتبت على يرعى الذي كنت صاحبه من قديم ، فقلت له الا تعرف اخبيتي ؟ الا تعرف أصحابي ؟ فما منعك أن تذهب توا انت وكل من معك اليها ؟ فقال كأنه يداعبني : اننا ثائرون وما اتينا الا بامان ، فمن ذا الذي يقبل أن ينزل عنده الثائرون على السلطان ؟ فقلت له أنا الذي أقبلكم ، وأريدكم تيفما كنتم ؛ ثم أدخلت الجميع الى أخبيتي ، ثم قلت ليرعى : استدع لك على انفراد كبراء متوكة للجلوس معك ، فاستدعاهم الى محل خاص وبقي غيرهم في محلات أخرى ، فطعم الجميع طعاما كافيا ، وقد كنت هيأت كل شيء من الطواجين والشواء والكسكسو ، ثم لما هيأت لهم كل ما يتوقفون عليه ، ونظمت اطعامهم كما ينبغي ، أسرعت حتى تلاقيت مع محبوب ، فأخبرته بما قال الوزير المدني الانلاوي من عدم التقدم الى بني مطير ، فقال اذن ما هو العمل ؟ فقلت له العمل أن نكتب الآن للسلطان أن يرسل الينا رسالة توبيخ يقول فيها : (انني أرسلتكم لتقضوا غرض المخزن ، لا أن تجلسوا وتتنعموا هناك ؛ فزيدوا قدما في الحين حتى يتم الغرض) فأرسلنا رسولا لم يبت الافي فاس، ثم لم يصبح الصباح حتى ورد الجواب بذلك الاقتراح ، فاجتمعنا على قراءة الرسالة كأنني انا ومحبوب مفاجئان بها ، وفيها ازعاجنا للتقدم بالجيش في الحين الى بني مطير ، وأن لا نقف حتى نصل الى الحاجب ، فهناك نقف، قال : فلما تبحبحنا بلد بني مطير ، اذا بهم ساقوا ما ساقوا من خيلهم ورجلهم كثيرا لمدافعتنا ، فدافعناهم مدافعة شديدة حتى هزمناهم هزيمة منكرة ، فأمعنا فيهم ، ففروا أمامنا ، فاستفقت وانتبهت الى ما سبق أن عرفته من كون البربر يحتالون في محارباتهم ، فرددت جندي الى الوراء . وأبقيت الفرسان فقط في مواجهة العدو ، فلم أكد أرسي الجند في المتاريس المحصنة . حتى رجعت الهزيمة على جيشنا ، فانهزم كل من فيه ، حتى وصلوا الى جندي الذي كنت أرسيت به في المتاريس ، فوافقهم حتى انحصرت

الهزيمة ، ولولا ما فعلته لقضى علينا جميعا القضاء المبرم ذلك اليوم،ثم ادرك الليل بني مطير فرجعوا عنا ، وفي الصباح تلاقينا معهم أيضا ملاقاة تكافأت فيها الكفتان ، وفي اليوم الثالث ظهرنا عليهم فصاروا يطلبون المهادنة ، فتلاقينا أنا وآخر معي ، وقد خرج منهم كذلك اثنان ، فتبادلنا العمائم ، ثم أعلنوا بيعة السلطان ، فقلنا لهم ان بكرت الينا هديتكم فان كلامكم مقبول والا فلا ، وفي الصباح جاء تلاميذهم وثلاثة ثيران ، ثم طلبنا منهم أن يذهبوا الى السلطان بفاس ، فذهبوا بخمسة ثيران مع تلاميذهم ، فقبلهم السلطان وضيفهم وكساهم ، ثم طلعنا نحن الى الحاجب ، فاستقررنا هناك ، فاستولى الجيش على كل ما فيه،وجعلنا نحمل ألواح الارز التي وجدناها هناك بكثرة، فاذ ذاك صاروا يغرمون المغارم المخزنية ، ويعطون العسكر الموظف عليهم بين القبائل ، قال : ثم جاء الينا وزير الحربية محمد بن المدني الاكلاوي -العلاف- فنزل معنا لانه رئيسنا الرسمي ، وقد اراد أبوه أن يتمكن فينا بواسطته .

مع أبي حمارة ثانيا

قال : في هذه الايام ولى أبو حمارة أيضا وجهته شطر فاس ، وقد استرد قوته وضرى على الحروب ، وتكون له جيش يلازمه في تنقلاته ، وضبط أموره ، وأوى اليه شجعان يخلصون له ، فنزل في (عين القرع) وامامه عبد مشهور في حروبه يسمى الجيلاني صاحب الوضوء ، وكان اولا عبدا لمولاي عرفة عم السلطان - وهو والد محمد بن عرفة الذي وضعه الفرنسيون والاكلاوي على العرش أيام الأزمة المغربية - فهرب منه والتحق بأبي حمارة ، فوجده شجاعا،فصار يقدمه بين يديه ، لان ناصيته محظوظة،ورايته منصورة، فما توجه في حرب الا انتصر انتصارا باهرا حتى صار ذكره ملء الافواه ، وحديث المجالس ، وكان جيش عظيم من الحوز فيه القائد العيادي ، وعبد الملك المتوكي ، والقائد خبئان وأمثالهم من كبار الحوزيين ، يقاتلون هذا العبد.فلم يقدروا منه على شيء، وكانت المعارك تدور بين بني سادن وبين الحياينة . وفي جوار تلك النواحي ، فلما أعياهم امره ، أرسل السلطان من الجيش النازل في الحاجب من يشد عضد ذلك الجيش ويغيثه ويعينه في مهمته ، فذهب القائد محمد بن الجيلاني السرغيني ، والقائد صالح ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد ابراهيم بوعودة المرابطي الرحماني ، والقائد عبد الرحمان اكرار الاكلاوي،قال : فبقيت أنا بعدهم مع الحاج احمد الكريسي، والقائد محمد بن سعيد الفاسي الشرادي،والقائد سعيد الدمناتي ، بين الباقين من قواد جيشنا،فمثل أولئك أمام السلطان . فندبهم أن يلتحقوا بجيش الحوز المحارب لابي حمارة ، والوزير المدني جالس ، فالتفت اولئك القواد الى السلطان فطلبوا منه أن يلحق بهم القائد الناجم -يعنونني- فوعدهم بذلك،

ثم كساهم كسوة جيدة ، وحملهم على خيول عتاق ، فلما جلس الوزير في مكتبه ، ذهب اليه القواد ليسلموا عليه ، فلامهم على أن طلبوا التحاقى بهم من السلطان ، فاعتذروا له بأنهم ما فعلوا ذلك الا (رحمة بولد لـه رآوه يبكي شوقا الى ابيه ، فارادوا أن يدخل فاسا ليراه ولده) ـ وهي كذبة مكشوفة لفقوها ـ ثم كتب الي أحدهم بما وقع ، لكنى لم اذهب معهم ، ثم التحقوا بجيشهم فالتقوامع ذلك العبد ، فهيأ الله لهم ان هزموه بعد ما جرح، ولولا جرحه ما انهزم ، ثم انتهبوا معسكره عند (حجر الكحيلة) من (وادى سبو) ، فتقدم اليهم أبو حمارة بنفسه ، فالتقوا في بلد بني ورياغل ، فوقعت ملحمة عظيمة استمات فيها الفريقان ، فظهروا عليه وانتهبوا ما معه، واعتقلوا كثيرا من أصحابه ، فكانت حادثة عظيمة على أبي حمارة في الوقت الذى ظن فيه أن أمره قد تمكن ، وقد استمرت الحرب الى الليل ، فاستدار الجيش بالثائر الثابت في موقفه ، ولم يرد ان يفر هو ومن معه ، وفي وسط الليل انسل من الحصار وقد حمل عبده المجروح ، ثم تبعه الجيش الى واد يسمى (أوضير) فوقعت هناك ثانيا معركة أخرى تواقف فيها الفريقان أيضا متلازين مستميتين ، قال : ثم جاءنا الكلام نحن أن ننتقل من (الحاجب)فأمرنا أنا واصحابي القواد الباقين أن نذهب الى ذلك الجيش لننضم اليه في مقابلة الثائر ، فبتنا في (اخناذوف) وفي الصباح وصلنا الى الجيش ، فذهبت أنا الى كبير العسكر محبوب ، فصار يقول لى مباهيا : يا بنا الناجم ، هذه راية أبي حمارة ، وهذه موسيقاه ، وهذه كنوزه ، قد استحوذت انا بنفسى عليها كلها ، ورأيت أحجار الذهب الصامت الذى كان يحمله معه في جوالق البغال حيثما ذهب ، كما كان يفعل بكل ما عنده ، يفعل ذلك من الحزم الذى حنكه به الدهر ، وقد ألف أن لا يستقر في محل خاص ، فيريد أن لا يترك وراءه ما يلتفت اليه ، قال : فقلت لمحبوب وأين ابو حمارة الآن ؟ فقال انه مات وضربه الله ، وانقضى أمره ، وذهب مع الذاهبين ، فقلت لـه : اذن وداعا ، قلت له ذلك لما رأيت من غروره وثرثرته وتبجحه بما فعله غيره من الشجعان ، وأما هو فلا يقدر أن يفلي القمل في ثوبه ـ هذه عبارته ـ فهو لم يذق من الرجل وحيله ما ذقته منه أنا ، فخرجت من عنده ، فوجدت أصحابنا لما يبنوا الاخبية بالاطناب والاسباب فأمرت بخيل وبخيل بعض أصحابنا ، وبكثير من البغال ، فحملت على كل بغل جنديين ، فقمنا لاتباع أبي حمارة ، لانني أوقن بأننا اذا لم ننتهز هذه الفرصة فسرعان ما ينتعش، فتمادينا أمامنا ، فوجدنا الوادى الذى وقعت فيه المعركة مضرجا كله بالدم، ومفروشا بجثث الناس وجيف الخيل ، وقد انتن جوه انتانا لا يطاق ، فسددنا أنوفنا حتى تجاوزناه ، فوصلنا قبيلة بني زروال ، فاذا بزاوية الشيخ سيدى عبد الرحمان الدرقاوى حيث مشهد مولاى الطيب ، وقد كنت عرفت

مولای عبد الرحمان قبل اليوم ، وعرفني ، وقال يا فلان : اريد أن تكون زاويتي في امان ، فقلت له يا سيدي عليك وعلى زاويتك وعلى كل من معك امان الله ، ثم سألته عن أبي حمارة فقال انه لا يزال حيا ، وأنه بات امس في (خولان) وقد ضيفه بنو زروال هناك ، فاعتقل منهم أناسا ، فثاروا عليه بالبارود ، فخرج فارا من بينهم ، ثم لا أدرى أين ذهب ، فاستدعيت من كتب لى رسالة الى السلطان ذكرت فيها الواقع ، وأنني الآن وراء ابي حمارة ذاهب ، وطلبت منه أن يتبعني الجيش ، وان ينزل قريبا مني ، وأن يرسل الى ما أتوقف عليه من المدفع وبعض جند آخر ، ثم طلبت من الشيخ ما أسد به رمقي ورمق من معي ، لاننا لم نذق الطعام منذ صباح الامس ، وكنا ثلاثمائة ونصفا من الخيل ، وأما الرجال الذين على البغال فنحو أربعمائة ، ومعنا مدفعان على البغال ، فهيأ لنا الشيخ ما هيأ ، وما كان اكثر ما هيأ لنا الشيخ من الخبز واللحم والدجاج والكسكسو ، ثم سرنا قدما بعد ما دعا لنا الشيخ ، نسأل عن أبي حمارة كل من نصادفه ، فقيل لنا انه في بلاد (بني قيس) فصمدنا الى تلك الناحية ، فنزلنا في محل هناك يسمى (الاربعاء) وقيل لنا انه في مشهد يسمى المدفون فيه (مولای عمران) وانه صار من جديد يرسل الى القبائل يستنهضها ثانيا لمناصرته ، ولمدافعة الجيوش التي ستستبيح ديارهم ان تلكؤوا عن نصرته ، وعن الدفاع عنه وصار يجد في الدعاية التي يعرف كيف يصوغها ولا ييأس ، قال : فجاء الينا أهل جبالة خائفين على أنفسهم ، فنقول لهم لا غرض لنا الا أبو حمارة وحده ، فلا يخافن أحد ، ثم جاء الجيش الذى طلبته من السلطان حتى نزل قريبا منا ، فطلع الى من كل طابور حظ وافر ، وجاءتني المدافع ، فبقيت هناك نحو أسبوع ، ونحن نستيقن أمر الرجل لنتحقق أين هو ، والتأني في الحروب قبل انتشابها مما يجمع الرأى ، ويهيىء للانتصار ، ولا يصلح للحروب الا المكيث (كما قال عمر بن الخطاب) واذ ذاك كان القائد عبد الرحمان اكرار الاكلاوى يسأل عمن غنم شيئا من ابى حمارة له بال يلفت الانظار ، فذكر له أن رجلا غنم بغلة عليها جاريتان جميلتان بارعتان فاتنتان رائعتان ، فارسل من انتزع الجاريتين من غانمهما ، فاتى بهما على تلك البغلة نفسها ، فجاءني صاحب الجاريتين حتى وقف أمامي ، فقال لى : هل أنت تكذب ؟ فقلت له حاشا ، وفي اى شيء كذبت عليك ؟ فقال : انك ذكرت لنا ان مقصودكم هو ابو حمارة وحده ، وأنا غنمت منه جاريتين فنزعتموهما مني ، مع أن كل من غنم شيئا فهو له ، فكيف أظلم وتنتزع مني غنيمتي ؟ فقلت له : ومن الذى انتزعهما منك؟ فذكر أن رجلا من المعسكر هو الذى انتزعهما مني بالقوة ، فأرسلت من يبحث لى عن ذلك ، فعاد الى الرسول بما فعله عبد الرحمان اكرار صاحبنا الواشي ، فارسلت من

انتزعهما منه بالقوة ايضا مع البغلة ، ولا أبالي بما عسى ان يكون ، فاتاني اكرار هذا يقول : انهما جاريتان جميلتان تصلحان للوزير الاكلاوي ، واما هذا الجبلي فماذا يصنع بهما ؟ فقلت ألم يشبع الوزير الاكلاوي من رائعات الجواري وعنده المئات منهن؟ فغضب مما فعلت وقلت وأوعد أن يوصل الخبر الى وزيره ، ولكني ما باليت بأي واحد منهما في سبيل القيام بالواجب ، ثم بلغني أن رجلا يسمى ابن الخمسية كان متبوعا في قومه ولا يسألونه عن اى سبب اذا استفزهم لحرب ، قد اتصل بأبي حمارة . فصار يتردد عليه طمعا فيما يصله من مال منه ، فعرفت أن الامر جد ، وانه يجب أن نبادر بالضربة الاخيرة ، وعند ظهر يوم سمعت صراخ النفار والابواق من الجهة التي فيها ملجا ابي حمارة ، فاذا بجيشه ينبعث من جديد أمامنا متموجا يزحف اليناء فقلت لجندنا ولكل من معنا : تهيئوا وانتظموا وكان الوقت وقت الغداء في انبوادي ، فنصبنا المدافع والرشاشات لظننا ان الثائر سيهاجم جيشنا ، وقد كانت مساحة بسيط متسع من واد عميق بيننا وبينه ، قال : وقد كنت منفردا مع جيشي الخاص عن الجيش الذي جاءنا به محبوب جوابا عن رسالتي التي كتبتها الى السلطان ، فوقفت أنظر ، ثم علمت بعد ذلك أن الثائر قال لمن معه : انني لا اقصد تلك الشرذمة التي مع الناجم ، بل أذهب صامدا الى الجيش الكبير، يظهر بذلك لمن معه انه على قمة أمره ، وأنه لا يزال يملك مقادة الحرب ، فتنكبنا وسار على طريق بني مزكلدة ، فاقلعنا وحملنا ما معنا وسايرناه الى الجهة التي يقصدها . فسرنا معه متوازيين ، حتى سقط علينا الليل ، فبات في بني مزكلدة ، وبتنا في بني زروال ، فقمنا قبله وسبقناه الى جيشنا ، فقلت لرئيسه محبوب قم لترى ابا حمارة الذي زعمت أنه ذهب مع الذاهبين ، فها هو ذا يزحف اليكم ، فكنت اول من أعلمهم به ، لانهم لا علم عندهم بزحفه شأن أمثال محبوب الذي لا يعرف الحزم ، فقام القائد أبو خبزة ومن معه كالقائد مبارك الدليمي ، والقائد عنو البعمراني ، والقائد عبد الله الرحماني ، والقائد الحبيب باقا الفطواكي الاسلامي الام (وقد كانت امه يهودية فأسلمت) فلاقوا الزحف وكان اليوم يوم سبت ، فلم يزيدوا على أن تعاطوا الرصاص بينهم وبينه من غير أن يتلاحموا تلاحم الحروب فلم يروا منه ولم ير منهم ما يجدي ، قال : وفي اليوم الثاني تهيأ الجيش كله ، ما معي ، وما مع الرئيس محبوب ، وما مع غيرنا من القواد ، فتلاقينا مع الثائر في موقعة عظيمة انهزم فيها – بعد استماتة – انهزاما شنيعا ، فنهبنا قبيلة بني مزكلدة وكل ما وجدناه أمامنا ، فولى عن الثائر اذ ذاك كل من معه فتركوه منفردا ، فرجعنا نحن عن المنهزمين عند نزول الليل، فئاب الثائر الى محله في مشهد (مولاي عمران) ولم يتبعه احد ، لا منا ولا ممن كانوا معه ، وقد تفرق عنه حتى أصحابه الاخصاء،وقد كان العبد المجروح

قد مات . فمات معه الذيل الاخير من بخته ، قال وفى أثناء الليل جاء رجل من جبالة يسأل عنى ، فدل على خباءى ، فقال : اريد أن أتلاقى مـع القائد الناجم ، قال : فاعلمت به ، فأمرت بادخاله ، فرايته فى ضوء السراج ، فاذا هو صاحب الجاريتين اللتين انتزعتهما من عبد الرحمان اكرار الاكلاوى ، فقال: انك قد أحسنت الى ذلك اليوم.وأسديت الى معروفا ، والاحسان يملك الانسان وقد جئت اجزيك احسانا باحسان ، وأردت لك أن تحوز وحدك شرفـا لا يشاركك فيه أحد من هؤلاء القواد ، وان ابن الخمسية الذى كـان يناصر أبا حمارة قد ولى عنه بعد ما قتل أصحابه . وجرح كثيرون من قبيلته ، فلم يبق عند الرجل الآن الا اهله فقط ، وليست معه أية قوة تدافع عنه ، فبادر اليه الآن ليكون لك وحدك شرف القاء القبض عليه ، فانك أهل لكل شرف، فهيا اليه بسرعة قبل ان يفلت منك ، فانى تركته وليس معه من الخيل الا خمس وسبعون فرسا،تركها له فرسانها وقد هربوا عنه،وقد ادخل سروجها البراقة المذهبة الى مشهد مولاى عمران ، فقم واسرع ، ولا تنس فى حياتك ان اسداء المعروف لا ينساه الرجال أهل جبالة الاحرار ، فقمت فى الحين فأيقظت اصحابى من القواد ، القائد سعيد الدمناتى والقائد محمد بن سعيد القرقورى، فذهبنا ثلاثتنا مع جنود انتقيناهم من بقية جنودنا الثلاثة ، فلم نختر الا من نعلم منهم الرجولة والمغامرة والبسالة ، وقد كان جندى اذ ذاك يصل الى 1200 وربما بلغ جند القائد سعيد 800 ، أما ما عند القائد محمد بن سعيد فيبلغ 3000 ، فذهبنا من غير ان يعلم رئيس الجيش محبوب بأى شىء ، فتقدمنا ذلك الرجل الجبلى يهدينا الطريق ، فسبقت أنا بالفرسان ، وتبعنا المشاة مع المدافع ومعهم القائد محمد بن سعيد ، فهاجمت أولا الجهة التى فيهـا مشهد مولاى عمران ، فوجدت المكان كما وصفه لنا دليلنا ، فقد وجدت فيه الخيل مصطفة وحدها دون ركابها حول المشهد ، فلم نكد نقرب من المشهد عنـد طلوع الشمس حتى اطلقت علينا ثلاث طلقات من المشهد ، عرفنا بعد ذلك ان الذين اطلقوها هم ثلاثة عبيد صغار ، هم وحدهم من بقى لابى حمارة ، فسقط احد افراسنا ، فتحرزنا وتنحينا ، ثم خرجت عجوز من المشهد تصرخ فينا وتقول : ما تريدون من بلادنا ؟ فقلت لها لا نريد الا أبا حمارة وحده ، فقالت انه قد خرج آنفا وليس هنا ، فتجاوزنا المشهد قليلا ، فرأينا تساقط الرجال علينا من القرى التى تجاور تلك الناحية ، فتراكموا على مقربة منا مبتعدين ، يتصايحون بنـا قائلين : (نحن بالله وبالشرع معكـم يا اصحـاب السلطان) وقد علاهم الخوف من الجيش ، فقلت لهم وقد رفعت عقب البندقية وأنا اسير اليهم – وتلك علامة المسالمة – : أخرجوا الينا منكم من نتكلـم معهم ، وعليكم الاءمان التام، فاننا لا نطلب الا طلبة السلطان أبا حمارة الفتان، فقيل لنا : انكم تركتموه وراءكم فى المشهد ، فقد اختبا فيه عنكم ، فرجعنا

فدهمنا المشهد ، ولما اردنا ان ندخل اليه من البــاب ، أطلق علينــا اولئك الغلمان النار فقتل واحد منا ، فاذا بأصحابى انتشلونى بأيديهم من امام الباب وهم يقولون : كأنك لا تريد دائما الا ان تموت ، فأبعدونى عنه ، فرغنا الى ناحية أخرى فاقتحمنا المكان واوقدنا حوله النار ، وقد كان غير مقبــو كالعادة ، وانما هو مسقف بأعواد فوق الجد ران المرفوعة ، ثم على الاعواد تراب ، فشبت النار فى السقف ، فلما اشتد الدخان على أبى حمارة اندلق من المحل ، فانقضضنا عليه،فكنت أنا أول من لمسته يده ، ومعى القائد العربى الذى هو الآن قائد المشور فى القصر الملكى حرسه الله ، ومعنا القائد البخارى من قواد جندى ، فنزعنا منه الخنجر أولا من تحت ابطه ، والمسدس ، والتمائك المخيطة بخيوط الذهب الحقيقى وهى الخفان اللذان يلبسهما الفارس ، فأدخلت يدى لانظر هل على جسده ما يقال لنا من التمائم ، فلـم أجد شيئا ، ثـم اخرجناه،فاذا بالجند قد دهموا علينا ينتهبون كل ما فى بناية المشهد ،وليس فى المكان من الناس الا نساؤه وجواريه وخدمه ، والبناية متسعة تسع عشرات من الناس ، وقد كان جيشنا وصلنا اذ ذاك بقضه وقضيضه ، فكان كل من وصلنا يضع على الثائر يده ويقول:يا ناجم،هل انا الذى قبضت أبا حمارة؟ فاقول له نعم يا سيدى ، أنت الذى قبضته ، أدارى الناس بذلك لئلا يغلبونى عليه فيقتلونه ، وقد ازدحم علينا الناس حتى صار مرفوعا فوق الاكتاف ، وأصحابى يدافعون عنه ، فكاد يختنق ، وقد أضر به العطش ، فصار ينادى يا ناجم اغثنى بشربة ماء ، فقد كدت أموت عطشا، فالتفت الى القائدالعربى هذا الذى فى القصر الملكى الآن ، فأمرته ان ياتيه بالماء ، فأتى بقلة ماء لا باس بها ، فأعلاها يصب الماء فى فيه ، فمن الماء ما يصل فاه ، ومنه ما يسيل على اكتاف الناس المتزاحمين ، ثم أمرت جنديا معى ان ياتى ببغلة ، فوقف معى القائد محمد بن الجيلانى – وقد بلغ منى الاعياء مبلغا عظيما – فأركبناه عليها ، وأردفنا وراءه القائد البخارى ، وهو رجل من اصحابى معروف ، ولا يزال اولاده الى الآن فى الحرس الملكى ، فتمكن منه ، وهو ماسور مربوط اليدين وراءه ، فقلت له اذهب بالرجل وحافظ عليه ، ونكبه وسط الجيش، وباعده من المعسكر خوف أن يقتله الناس ، فذهب به ، ثم استدعيت القائد محمد بن سعيد ، فأمرته أن يذهب به مع أصحابى ليدافعوا عنه بقوتهم ، ثم استلقيت بعد ان اطمأننت على الرجل بثقات أصحابى ، فاذا بى قد أغمى على فوقف على الشراردة ، وأتوا بالسعتر والبصل ، حتى تماثلت واسترجعت عقلى ، فتبعت اثر اصحابى وأنا على فرسى ، فوجدتهم فى خلاء . وقد ابتعدوا عن الجيش كما أمرتهم به ، فصار بعضنا يهنىء البعض بالسلامة ، ثم جعلنا (ابا حمارة) وسطنا طوال تلك الليلة ، فبتنا معه فى مراجعة الحديث ، نندد عليه بما كان يفعله بنا منذ سبع سنين ، فكنت أنا الذى احادثه كثيرا فى ذلك

والقواد الذين باتوا معنا في تلك الليلة حوله هم القائد صالح ، والقائد محمد ابن الجيلاني السرغيني ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد بوعودة الرحماني والقائد عبد الكريم ولد بَنّا مَحَمْد الشركي ، والقائد محمد بن البغدادي الابيض الشهير، باشا فاس بعد عهد مولاي عبد الحفيظ ، والقائد ادريس الجويشي الأوديبي ، والقائد الحافظ الدليمي ، والقائد عمارة الشرادي ، والقائد الحبيب الشرادي،والقائد ابن ادريس الشرادي،والقائد محمد القريفي المستاري الجبلي ، هؤلاء هم الذين استداروا بأبي حمارة تلك الليلة ، مع اصحابنا ، وقد أطلقت يديه لاراحته ، فلما أكثرت عليه بالتنديد والتثريب وعمله في السحر والشعوذة التي يغر بها السذج التفت الى القائد عبد الكريم فقال له : قل لصاحب الركب هذا - يعنيني - يسكت عني ، فقال له انه ليس بصاحب الركب ، بل هو الشجاع الذي تعرفه بمواقفه معك ، ثم التفت الى أنا فقال : أقرأت كتاب (مشارق الانوار) ؟ فاجبته بأني أمي لا اقرأ ولا أكتب ، فقال : ولماذا تصدع رأسي وأنت لم تقرأ حتى كتاب(مشارق الانوار)؟ ثم قال : ان كل ما رأيته جار على وفق الاقدار ، لاني أنا الذي تركت بلاد السبيب ، وجئت الى بلاد الزبيب يعني ترك محل الحيل - والسبيب شعر الخيل عند الناس - كبلاد أَنْكَادْ وأمثالها حيث الفرسان الشجعان ، وأتيت الى بلاد الجبن التي لا يعرف أهلها الا أن ييبسوا الزبيب . ولا معرفة لهم بالحروب والاقدام . فهلكت عندهم ، ثم تكلم القائد محمد المستاري فقال له : انك معتقل الآن في بلاد الزبيب التي احتقرتها ، فقال له : من اين أنت يا هذا ؟ فقال له انني من جبالة هذه ، فالتفت اليه أبو حمارة بالحماليق المحمرة كما يؤتى لنا في الظلام ، وامد اليه بصره مليا ، فمد يده الى ما وراء رأسه. كأنه يتناول شيئا من (قُبه) - وهو غطاء الرأس من الجبة أو السلهام-فأهوى بيده اليمنى كانما ينثر شيئا منها على ظهر ابهام يده اليسرى ، ثم أهوى بأنفه الى ما فوق ابهام اليد اليسرى.كأنه يستنشقه،ويحاكي بذلك فعل مستنشقي مسحوق التبغ (التنفيحة) ، ثم قال : انكم يا بني جبالة لا تعجبونني الا حين تتناولون (الكوزة) ، يعني وعاء التنفيحة ، فتستنشقون مما فيها ، وأما الرجولة فاين انتم منها ؟ فمثلك يا ابن كذا وكذا - يسبه سبا فاحشا - لا يتكلم امام سادته ، ثم التفت الى القائد عبد الكريم فقال له : أما دارك أنت فنعم الدار ، وليس عندي فيها ما يقال ، وقد سبق فيما تقدم أن أبا حمارة هذا كان في أول أمره عونا عند آل عبد الكريم هذا . قبل ان يكون عند مولاي عمر ، ثم قال له : القائد الحافظ كلاما ، فسأل عنه ، فلما عرف من هو ؟ قال له أو تظن أيها الابرص انني أجهل من أنتم أيها البخلاء. حتى لا يجد الضيف عندكم الاالدشيشة السوداءمع اللبن الحامض المنتن الذي تاباه حتى الكلاب؟ ثم صار يسأل عن كل واحد من الحاضرين على حدة ، فلما ذكرنا له القائد

بوعودة قال : هذا أبوعودة . وأنا أبو حمارة . فالله يأتى بأبى جمل ، ثم التفت الى والى الجالسين أجمعين ، فقال : تبا لكم يا أشباه الرجال فمتى كنتم رجالا فى أعين الناس ونلتم السمعة بين أقرانكم ؟ فبمن اكتنزتم ما اكتنزتم من الاموال والمتاع والخيل والبغال ؟ أو لست انا هو السبب فى كل ذلك ؟ فبفضلى ظهرتم وصرتم تتوصلون من خزانة الدولة بالمئونة . وبكل ما تقدمون فيه مطالبيكم ؟ فهذا أمرى اليوم قد انقضى ، وستذهبون اليوم الى حيث تقبعون وتتقمعون فتلوذ'ون الذباب وتهو'مون ، (١) فأين رجولتكم وشهامتكم ومجادتكم يا أبناء الكزازة والبخل والشح واللؤم ؟ فلو كان فيكم عرق ينبض بالرجولة لما تركتمونى بينكم هكذا ارتعد من شدة البرد وانتم تنظرون ، فنزع القائد ادريس الأ'ديثى سلهاما رقيقا فدفعه اليه ، فرماه اليه بكل انفة وقال : ابهذا الرقيق الشفا فيرد البرد القارص ، ثم همس أحد أعوانى فى أذنى بأن عنده بردة غليظة ان لاقت به ، فذكرت ذلك لابى حمارة، فقال ايتونى ولو بالحلس ، فان البرد قد بلغ منى مبلغا عظيما ، فأتيناه بها فالتف فيها ، ثم جمعنا طرفيها تحت ذقنه بشوكة ، وهكذا امضينا معه جل الليلة ، وفى الصباح التحقنا بجيشنا . وبرئيسه محجوب ، ثم أردت أن اتادب مع هذا الرئيس . فدخلت عليه بالمعتقل معتولا ، فرحب بنا ، فنطق القائد بوعودة قائلا لى : لولا اننا أغثناكم أمام مشهد مولاى عمران لما نجحتم فقلت له مغضباً : لمثل ذلك الموقف يريد الانسان اخوانه ، ثم بعد قليل اعاد مثل ذلك الكلام ثانيا ، ثم أعاده ثالثا ، فافلت زمام ارادتى من يدى . فلم أملك ان رفعت يدى فلطمت بوعودة هذا لطمة طنانة ، ثم قمت فوضعت يدى على مسدسى ، فثار من فى القبة يحول بينى وبينه ، فاذا بأبى حمارة نادى بين الجالسين بصوت عال : اهدأوا فأنا أفصل بينكم ، ثم قال ما هذا البهتان على الناجم ؟ ثم التفت الى ابى عودة . فقال له فى أية معركة اغثت القائد الناجم ؟ فقد كنت احاربه يوم كان معى ما أحارب به ، وأما هذا اليوم فلم يكن معى الا أهلى وحدهم فى المشهد،فما اوقح الكذاب الذى يكذب والناس كلهم يعلمون أن ما يقوله كذب ، ان صاحبى هو الناجم وحده ا'عينه بينكم جميعا ، قال المترجم : ثم قمت وأنا لا ازال أفور غيظا . وقلت لمحبوب : انما أردت أن اتأدب معك بمجيئى هذا اليك بصفة كونك رئيسا للجيش ، فأتيتك به كما ترى ، والا فعند السلطان رسائلك التى كنت قلت فيها ان ابا حمارة ذهب مع الذاهبين ، فها أنذا ذاهب بأسيرى الى السلطان ، فان أردت أن تذهب فقم معى ، فخرجنا بالرجل ومعه ولد له صغير ابن نحو ست سنين يسمى خليلا ، (وقد تبناه الحاج احمد الكريسى بعد ذلك) ثم كبلناه وجعلناه

---

(١) قبع القنفذ : ادخل رأسه فى جلده . وتقمع الانسان : جلس وحده . والذ'بان جمع ذباب . وهو'م الانسان : هز رأسه من النعاس .

على بغلة ، ووراءه القائد الذى يردف قبل وراءه ، وهو حاسر ليس على راسه شيء ، وعليه وفرة ، فبتنا ذلك اليوم فى (شراكة) وفى اليوم الثانى اصبحنا فى (لمطة) وأبو حمارة يقول لى اريد كسوة ، فأقول له : اننى بعثت الى السلطان ليرسلها اليك،وفى لمطة أتينا بالفطور،فطلبت منه أن يأكل فقال: كيف آكل وأولاد اليهود ينظرون الى ؟ يقول ذلك لان كل من مررنا به يأتى ليراه متعجبا ، ثم أدرت برودا (حوائك) حول أشجار زياتين فى المكان الذى نزلنا فيه ، فقربت اليه طواجين ودلاحا وعنبا ، فلم يتناول الا بعض الدلاح. وانما اكل ابنه ، ثم قمنا متوجهين الى فاس ، فتلقانا جمل بعث الينا من عند السلطان وعليه قفص ، فقال لى الرسول:أيها القائد اسمع كلام السلطان، فانه يامرك أن تجعل الاسير فى هذا القفص ليدخل الى فاس على تلك الحالة، ثم التفت الى يقول : أيها الغدار ويا كذا ويا كذا يسب ويشتم بأقبح الفاظ السب والشتم . أهذه هى الكسوة التى قلت ان السلطان سيرسلها الى ؟ فبندقت له ملاطفة وتهكما ، لان مقصوده أن يثير غضب أحدنا ليقتله فيستريح فلذلك وسعت له صدرى. والنت له القول ، ثم انه أنزله البخاريون الغلاظ الاكباد ، فسلسلوه وطوقوه بالاغلال ، حتى لا يكاد يتحرك بثقل الحديد ، ثم جعلوه فى القفص ، ثم ربطوا القفص على الجمل . ثم توصلت أنا بزمام البعير . وبذلك جاء الامر من السلطان ، ليعلن للناس انى انا الذى اعتقلته ، فلما دخلنا المدينة صار اهل فاس يتلقوننا زرافات ووحدانا . ليروا أبا حمارة ، فلم تبق مخدرة فما دونها ذلك النهار الا خرجت ، وقد بلغ كراء البغال مائة ريال ، وكان يوما مشهودا ، فمشيت بالجمل حتى دخلت دار المخزن حيث المشور ، فوجدت السلطان جالسا ، وحوله الوزراء ، فأبركت الجمل بين يدى السلطان ، ثم تقدمت فبندقت على العادة ، وسلمت الى يده الامانة كما توصلت بها من (مولاى عمران) ثم وضعت امامه ما كنت اخذته من الاسير : الخنجر والمسدس والتمايك - الخفين - وصرة فيها طوابعه التى كان يطبع بها رسائله ، فتناول السلطان بيده صرة الطوابع ، وهى خنشة صغيرة من الملف، فاخرج منها الطابع الكبير وجعل يقرأ ما كتب فيه ، ثم التفت الى أبى حمارةبالكلام الشديد حين يزعم فى ذلك الطابع أنه مولاى محمد ابن مولاى الحسن . فصار يثرثب عليه بشدة . فصار ابو حمارة يتكلم بغمغمة لا يفهم السلطان معناها ، فنادانى يا ناجم يا ناجم . وامرنى ان اتقدم الى ابى حمارة . لاسمع ما يريد أن يقوله فى غمغمته ، فاقتربت منه . وأدنيت اذنى منه . فقال لى : أهذا هو حفيظ ؟ وكناه بكنية قبيحة ، فقلت له انت تعرف ، ثم سألنى عن الوزراء ، فأشار الى المدنى الاكلاوى وسماه (بُوو'وهْران) اى صاحب الشفاه الغليظة ، ثم قال : لقد خلت دار المخزن حين يصلها مثل هذا ، ثم أشار الى القائد عبد الملك المتوكى ، فقال ومن ذلك الاعور ؟ فقلت

له انت تعرف ، ثم اشار الى عيسى بن عمر . فقال هذا صاحب الذئاب - يعني انه يألف صيدها - فقلت له انت تعرف ، ثم اشار الى ابن البغدادى الاسود ، والى الكريسى ، والى بوخبزة ، وادريس بن بوشتى ، وكلهم سود بجر البطون ، فقال من هذه العريفات المنتفخات البطون .كأنهن حبالى . فما الذى سيلدن ؟ فأقول له فى الجميع انت تعرف ، فلما أبطأت عن السلطان نادانى فقال ، ما يقول ولد الحرام ، فقلت له . وقد حرفت الكلم عن مواضعه: انه يا سيدى يتشكى من الجوع . ويريد ما يسد به رمقه ، قال : ثم دفع اليّ السلطان المسدس والخنجر والخفين ، أعطانى ذلك على قاعدة من قتل قتيلا فله سلبه ، فأخذتها ، ثم أمر ان ينزل أبو حمارة من قفصه الذى أغلق عليه ، فأدخله البخاريون من باب الى دويرة سجن فيها ، ثم تفرقت المخزنية، ثم خرجنا فأخذ الوزير المدنى الاكلاوى بيدى ، فصرنا كلما خطونا خطوة يلتفت الى ويقول لى : يا ناجم تعديت ، كرر ذلك مرارا ، فأقول له أنا تائب الى الله يا سيدى ، ثم قلت له باى شيء تعديت يا سيدى ؟ فقال حين قبضت هذا الرجل واتيت به ، فأجبته بأنى أظن أنى قمت بواجب عظيم أنفع به حكومتى وبلادى فانه تسبب فى خلاء المغرب ، فقال : لا انك لم تفعل حسنا ، فهذا الرجل الذى نحن حوله - يعنى السلطان - غدار ، وكان بودنا أن لا نزال نراوغه بمحاربة هذا الانسان الذى أتيت به اليوم ، فقضيت علينا بما كنا نتخذه دائما جنة نتستر وراءها ، فقلت له : أيا كان ، فأنى أتوب الى الله ، ففارقته وقد اسود فى عينى . وأدركت ما يضمره للمملكة كلها ، وفى الليل أرسل الى فرسا عتيقا كأنه لاطفنى لاستر ما قال ، ثم بنيت دكانة مرتفعة فى باب البوجات ، فصنع قفص آخر صغير أصغر من الاول ، فيجعل فيه أبو حمارة ، وفى كل عشية يخرج الى ذلك المحل . فتقام عليه العاب الخيل ، كما هى العادة فى الافراح المخزنية ، وتضرب حول قفصه البنادير (الدفوف) بأيدى النساء الفاسيات ، قال : ثم كان ذلك آخر عهدى أنا بأبى حمارة ، ثم سمعت أن السيد ادريس منّو كان يجالسه احيانا فى الدويرة التى سجن فيها ، وفى ليلة بعد اسابيع من اعتقال هذا الثائر ، أسر القنصل الالمانى الى السيد ادريس منّو - وقد كان صاحبه - أن يعلم السلطان بأن قناصل الدول سياتون غدا اليه ليطلبوا منه تسريح أبى حمارة ، فاذ ذاك حكم السلطان بقتل أبى حمارة فى تلك الليلة ، فذهب ادريس منو الذى كان يستأنس به ويمنيه بأنه سيطلق سراحه ، فخرج معه الى بستان من بساتين دار المخزن . فصار يسايره على عادته معه فى بعض الاوقات . وأوصى عبدا يسمى مباركا السوسى أن يطلق فيه المسدس من ورائه حين يتحدثان . لكن العبد - وقد كان رعديدا - اصابه الدهش ، ثم زاد على ذلك ان الطلقة لم تنطلق من المسدس ، فالتفت أبو حمارة بسرعة حين سمع الحركة وراءه ،

فقال هذا هو الغدر ، ثم صار يتشهد ، فعمد ادريس منو الى المسدس ،فاطلق عليه منه رصاصات حتى مات ، ثم قطع راسه . فاتى به الى السلطان ، ثم رجع به فاحرقه هو والجثة ، وكان ذلك كله سرا لا يعرفه الا الخواص ، ثم ان هذا العبد مباركا ولى بعد هذا اليوم قيادة جند من امثاله ، لانه كان منظورا اليه عندهم،قال : ثم لما طلع القناصل فى الغد وطلبوا تسريحه ، اعتذر اليهم السلطان بان الحكم الشرعي قد نفذ فيه قبل اليوم ، ولو كان لا يزال حيا ما ضن به عليهم ، وهكذا ردهم بملاطفة ، قال وحين خفي ذلك عن الناس صار البعض منهم يزعم انه فر من السجن . وانه لا يزال حيا،وادعى بعضهم انه بما له من السحر وعلم الاسماء خرج من دار المخزن بين الناس . ولم يظهر للعيون ، وقد تمكنت هذه الفكرة من بعض أصهاره حتى أبَى ان يزوج بنته بعده انتظارا لرجوعه اليها ، ومن الاوربيين من أشاعوا أن السلطان رماه فى زبية اسد فافترسه ، وذلك كذب وبهتان .

يقول مؤلفه : كان السيد ادريس منّو حدثني فاه لاذنى بما قاله الناجم ، فلا خلاف بينهما ، وقد ذكرت ما اخبر به السيد منّو فى كتاب (حول مائدة الغداء) .

وكذلك انقضى امر ابى حمارة ، بعد ما ملأ المغرب حروبا نحو سبع سنين، وكانت له نفس قوية وهمة وعزيمة ، وكم مضى من أمثاله فى التاريخ ثم جهلهم التاريخ ، وربما كان ما يحكيه لنا اليوم القائد الناجم أبسط ترجمة لبعض ما خاضه من الحروب ، ولو كان كل ما يحكيه لنا المترجم مفصلا باليوم والشهر والسنة لتم المراد ، ولكن هذا ما امكن الآن .

تعقيب

رأى القارىء فيما يحكيه القائد الناجم ما يظهر منه انه متثبت متحرز أى لا يقول الا ما هو الواقع فى كل ما قصه عن أبى حمارة ، وقد راجعت ما كتبه شيخنا المؤرخ الكبير الاستاذ مولاى عبد الرحمان بن زيدان رحمه الله فى قضية أبى حمارة فى تاريخه الكبير ، فوجدت فى غالبه موافقة مع ما يحكيه صاحبنا المترجم هذا ، الا ان ما كتبه شيخنا مختصر جدا ، وما كتبناه عن المترجم يكاد يوفى الموضوع حقه ، الا أن هناك بعض مخالفات فى أسماء الاماكن التى وقعت فيها تلك الحروب ، وقد سألته عن بعض امور وقع فيها الاختلاف بينه وبين من يحكي عنهم الاستاذ ابن زيدان ،فبين الحقيقة كما هى. ولما سألته عما ذكر هناك من أن الذى اعتقل أبا حمارة هو العشى – من الاعشاش قوم بالشاوية – وكان احمد بن موسى ضربهم ضربة ماحقة فى عهده ، فلما اعتقل منهم من اعتقل وقتل من قتل ، أتى بكثير من اولادهم كغلمان مسوقين بين الجند ، فكان منهم هذا الفتى ،فكان اولا جنديا فى طابور

الحاج علي البعمراني ، بعد ان كان عند المحبوب المطاعي الذى كان يدفع له أمثاله من الغلمان المسبيين ليربيهم ، فلما شب فارعا كان عند الحاج علي اولا . ثم انتقل الى طابور بوعودة ، وقد اصبح جنديا سافل الاخلاق لا شان له ، قال المترجم : وقد كان هذا العشي اذ ذاك فى غمار الحاضرين الكثيرين من الجند ، لكنه لم يحضر وقت اعتقال الثائر حين أنزلت اليد عليه فانتزع منه الخنجر والمسدس وما معه من خنشة الطوابع وغيرها ، ولم يحضر الا القائد العربى قائد المشور الملكى الآن ، وكل من أدعى أن العشي هو معتقل أبي حمارة فى كتاب ما - يعنى تاريخ الاستاذ ابن زيدان - فانما أصله من أخبره به اما كذبا أو جهلا بالحقيقة ، هذا ما قاله المترجم ، وقد ظهر الآن الحق عيانا ، وقد كنت سمعت من السيد ادريس منتو: ان الذى اعتقل الرجل بيده هو الناجم ، وذكر أن ذلك مستفيض ، وها هو ذا القائد العربى قائد المشور ما زال حيا يرزق ، وقد أخبرنا بذلك عدة مرات ، كما اخبرنا به القائد ابراهيم الحاحى القاطن بسلا الآن . وقد كان اذ ذاك فى ذلك الجيش، على أن الامارة الكبرى هي أن البخاريين الذين وضعوا أبا حمارة فى القفص الذى جاء من عند السلطان لذلك ، لم يغلبوا القائد الناجم على زمام البعير . وقد كان ذلك فى امكانهم ، بل ردوه اليه حتى دخل به فاسا . وأبركه أمام السلطان ، وعلى كل حال فان ما ذكره أستاذنا ابن زيدان فى تأريخه عن العشي وأنه معتقل أبى حمارة غلط محض .

فى تغريم قبائل جبالة

قال : لما انقضى أمر ابى حمارة،تمكنت فى ادارة الامور المخزنية يد الوزير المدني الاكلاوى . وصارت القبائل تدخل فى طاعة السلطان ، الا ما كان من غياثة وبني ورايين والريف ، قال : فصرت أنا بين الذين يدورون فى قبائل جبالة المطيعة ، نجمع منها مغارم السلطان المعتادة ، فبقيت هناك ما شاء الله ، الى أن رجعنا الى فاس من أجل التعييد مع السلطان .

فى حرب مع نكثوشت

قال : هنالك بين عين مديونة والحياينة والبرانس ، توجد قبيلة نكثوشنت، وكانت ابية لم تنقد للحكومة بعد سقوط أبى حمارة وكانت ممن اخلصوا له، فخرج جيش يرأسه عمر بن عندى الاكلاوى خليفة وزير الحربية محمد بن المدني الاكلاوى - العلاف - وكان من بين القواد الذين فيه عبد الرحمان أكرار الاكلاوى ، وكان قائدا على الاكلاويين،فقتل اذ ذاك فيمن قتل ، فتولى على بن صالح مكانه ، وقد كانت تلك الحرب أيضا شديدة ، ثم رجع ابن عندى ، فخرج الكريسي ، فصار رئيس الجيش . فتمادت الحروب،وقد شاركت

نكوشت فى هذه الحرب قبائل اخرى ، كغياثة والتسول والبرانس ، ومن لف لفهم ، قال : فلم نستطع ان نغلبهم ، وفى عشية زحفوا الينا ، فتمادت الحرب الى الليل ، ثم هاجمونا ايضا مهاجمة شديدة فى أثناء الليل ، قال : فخرج على المهاجمون وانا واقف على حدة ، فقلت من هؤلاء ؟ فقالوا نحن جند القائد الناجم ، فعرفت انهم كذبوا على ، فرميتهم بالرصاص ، ثم ناديت احد اصحابى ، وكان ممسكا لفرسى وهو بعيد منى ، فقلت لـه ان العـدو معك (أى انهم قد جاءوا) فاذا به يقول لى انهم ضربوه وذهبوا بالفرس ، فكان ذلك آخر ما نطق به ثم مات فاذ ذاك انسحبوا،وفى الصباح باكرناهم بالهجوم، فدام البارود ماشاء الله حتى غلبناهم فانهزموا أمامنا ، فعلونا عليهم منذ ذلك النهار ، ثم لم يعودوا الينا بعد ، فبقينا هناك نحو شهرين هانئين فى محل تتوالى علينا فيه النزه فيما بيننا ، اذ يستدعينا كل قائد منا يوما فيغمرنا بما لذ وطاب .

فى مناوأة المدنى الاكلاوى

قال : رجعنا الى فاس فاذا بى وجدت أمامى أعجوبة وقعت فى مالى،وذلك أن لى دارا فى فاس الجديد ، جعلت فيها كل ما عندى مـن الاثـاث والصناديـق والحرثى ، وجميع ما اقول عنه عندى وفى ملكـى ، ودارا اخرى فـى فاس السفلى حوالى مشهد الشيخ التيجانى كنت اشتريتها على يد فاسى يسمـى سليمان ، كنا هدمناها وبنيناها بناء متقنا بالرخام والزليج ، كمـا تبنـى الدور العليا فى فاس ، ثم وقع أثناء سفرى هذا أن جاء سليمان الى صاحبى الذى تركته فى الدار التى فى فاس الجديد ، فقال له سرا : انى سمعت بأن السلطان سيعتقل كل القواد العسكريين الذين منهم صاحبنا الناجم ، فيجب علينا أن نحافظ على ما لصاحبنا القائد الناجم فى غيبته بكل أمانة ، ونصيحة ، فأرى أن تنقل كل ما فى هذا الدار الى الدار الاخرى ، وصار يحدث صاحبى بمثل هذا الكلام ، حتى اصاخ لكلامه ، واسلس له القياد ، فحولوا كل شىء سرا ، شيئا فشيئا حتى نقلوا حتى لباسى الخاص فى صندوقه بين الصناديق وفى الليلة التى سأبكر فيها راجعا الى فاس ، جاء سليمان متباكيا الى صاحبى يقول له : ان الدار قد استل اللصوص كل ما فيها . فلم يتركوا سبدا ولا لبدا ، فأسرع صاحبى معه ، فلما دخلوا الدار ، تأملها صاحبى فلم ير أثرا للصوص،فما فيها نقب،ولا فى ابوابها كسر ، ثم سال الجيران فلم يخبره احد بأنه آنس اثرا للصوص قال : فلما بكرت الى فاس وأنزلت جندى خارج المدينة ، جاء الى صاحبى ممتقع اللون ، يعلوه ما يعلو الكئيب الذى ياخذ الحزن باكظامه ، فحكى لى ما وقع ، فتفطنت الى ان سليمان الذى صنع المفاتيح على يده ، هو الذى فعل الفعلة ، وأنه صنع اذ ذاك مفاتيح اخرى على اقفال الابواب

وهو الذى كان وقف على بناء الدار ، ولذلك لا يحتاج اخراجه لما فى الدار الى نعب جدار او كسر باب ، او نسلق الى سطح ، فادركت ادراكا حقيقيا لا شك فيه انه هو الفاعل لذلك،ثم استعرت كسوة رسمية تجملت بها أمام السلطان، لان الكسوة الرسمية الملفية ذهبت أيضا فى صندوقها ، ثم ذهبت بهديـه من دراهم الى الوزير المدنى الاكلاوى لياخذ لى حقى من سليمان ، فصار يماطلنى وكانه يشمت بى ويفرح بكل مصيبة تنزل على . ثم اتصلت بالقائد عبد الملك المتوكى بهدية أيضا . وقد رايته يجالس المدنى ليحثه حثا على أخذ حقى من ذلك الفاسى ، وقد كانت العادة أن أذهب كل يوم حين تنقضى المخزنيه عند الظهر انا والمتوكى وراء المدنى الاكلاوى الوزير الكبير ، حتى يصل المدرج ، حيث دار الحاج عمر التازى التى نزل فيها ، فيلتفت الينا امام منزله وقـد اهوى الى النزول فيودعنا ، فأذهب مع المتوكى ، الى رياض بنيس، وهو قريب من ذلك المحل ، وفيه يقطن صاحبى المتوكى ،فنتوضأ هنـاك ونصلى الظهـر ثم أذهب الى دارى فى فاس الجديد ، وحين رأيت أن كـلا الرجلين لم يهتـم بقضيتى ، قيدت المهم مما سرق لى ، ولم أقيد الكـل ـ والله يشهد ـ هـذه عبارته ـ ، فقدمت القائمة الى السلطان ، فلما جاء الوزير المدنى الى مجلسه اعطاها له ، فلما قراها وراى ما فيها من كثرة الاثاث والمتاع ، قال : هؤلاء القواد وزراء بل ملوك لا مطلق قواد ، ثم صار يرى للسلطان كثـرة ما فـى القائمة من الفراش والمتاع والحلى والاوانى المفضضة وما الى ذلك ، فقال لـه السلطان : وأين أضعاف اضعاف هذا من مواقف القائد الناجم ؟ فقف معه غاية الوقوف حتى يسترد متاعه كله ، فأرسل الوزير المدنى الى القاضى العراقى والتجار وسليمان المدعى عليه ، فاجتمعوا فى القرويين ، فسألنى التجار هل عندى بينة على ما ادعيه على سليمان ؟ فقلت لهم ليست لى بينة . ثم قصصت عليهم القصة كيف وقعت ، فانكر سليمان أن تكون له يد فى السرقة ، بل ادعى أننى استأمنه دائما ، ثم سألنى القاضى ايضا مثل ذلك السؤال،فأجبته بمثل جوابى الاول ، فقال : حينئذ ليس لك عليه الا اليمين ، حين أنكر ، وليست لك بينة عليه وقد صيرته أمينا.. ولم تات بأية تهمة عليه من قبل ، فقلت له حينئذ يحلف عشية الجمعة عند ضريح الشيخ سيدى أحمد التيجانى، ثم طلبت منه أن يعطينى رسم الدار التى كنت اشتريتها على يده ، فأتى به فقرأناه ، فاذا فيه أيضا تحريف ، فقد كنت أديت الثمن عن جميع الدار .
وصرت أملكها كلها ، لكن وجدته كتب فى الرسم أن له خمسين اثنين ، وليس لى انا الا ثلاثة أخماس ، فكان ذلك ضغثا على ابالة ، فقال لى القاضى : وهل يمكن ان نصدقك ونتجاهل الرسم الذى كتبه العدول ؟ فعرفت أنى مغلوب ، وأن حسن نيتى حين فوضت لهذا الخائن هو الذى قضى على . فلم اجد ما اصنع معه ، وقد أدار بى كل حيلة كما يشاء ، فاتفق مـع العدول على أن يـزوروا ما زوروا ، فافترقنا على أن استوفى منه اليمين عشية الجمعة ، فاذا به هنا

حفلة استدعى لها قواد الارحاء أصحابى . يستشفع بهم الى على أن لا أحلفه ، فاجتمعوا على يلحون فى أن أسامحه من الحلف ، فاستحييت وسامحته على رغم انفي . قال : فكانت كية قاسية تؤرخ وتسجل للاحفاذ . عسى ان يتعظ بها امثالى من البله الحسنى النية ، وانى لا ازال أحس صدمتها فى كبدى الى الآن ، ويشهد الله انه كاذب فيما اختلق ، وانى صادق فيما ادعيته ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وما لم يكن لهذه الدار فليكن لتلك الدار . ـ هذه عبارته ـ ثم بعد ذلك علمت ان السبب الذى جرأ على سليمان هو انه صار يتصل ببعض اصحاب المدنى الاكلاوى ، وهو الذى شجعه على تفقيرى هكذا نكاية بى ، ثم ان المدنى الاكلاوى اشتغل بالوسوسة بيننا نحن قواد الارحاء ، وعلينا عند السلطان ، فقد استدعينا نحن قواد الارحاء ذات يوم ، فتهيأنا كلنا بالجند والخيل والسلاح على العادة ، فأمرنا بان نحشر كلنا فى المشور ، ثم سد علينا الباب ، فأمرنا أن نخلع الكسوة العسكرية القديمة التى علينا ، وأن ندفع كل ما عندنا من الخيل والبغال والسلاح والمتاع المخزنى ، ثم حوسبنا فى كل ما دخل ايدينا نقيد على كل واحد منا ما ربما لا يوجد عنده مما كان مقيدا علينا قبل اليوم ، وهكذا ازيل منا كل شيء ، بل طوقنا فى ذممنا أشياء أخرى ، ثم صار اصحاب المدنى يخرجون خيولنا عشرة عشرة فيقتلونها فى الخلاء قتلا ليمحوها من الوجود ، ثم يصبون على جثثها الجير ، وذلك كله بحجة الخروج بالجندية من الانظمة القديمة . الى النظام الجديد الذى يكون الجند كلهم مشاة فيه ، فلا يركب الا الرئيس وحده ، هذا ما كان يقال لنا اذ ذاك ، ولكن كنا نفهم أن مقصود الاكلاوى هو اضعاف القوة المخزنية ليدرك الفرنسيون أصحابه ما يشاءون من المغرب ، قال : وجمعنا ذات يوم هدية فذهبنا الى داره ليسمع منا ونسمع منه ، فصادفنا وقت الغداء فى داره ، فغدانا أصحابه. ولم نره هو ولا خرج الينا ، وانما ارسل الينا من داخل الدار يقول : ليس عند أحد ما يقول ، فان السلطان هو الذى استرجع ماله ، وهو الذى أوحى بالتنظيم الجديد ، ثم رجعنا من عنده، فاستدعينا مرة أخرى ، فنوقشنا الحساب مناقشة شديدة على النقير والقطمير . مما هو مقيد علينا قبل اليوم ، فمن بقى فى ذمته شيء طولب بادائه فى الحين ،فاجمعنا امرنا على أن نقدم نحن أيضا حساب ما كان لنا كحق ثابت من الثياب الجديدة يوم تقطع ما علينا من الثياب الرثة ، فكنا نلبس ما يزرى بنا ، وكذلك حسبنا على الدولة ما تمزق من الاخبية ، أو ذهب فى الحروب ، كما قدمنا أيضا الطلب بما لا نزال نطالب به من المؤن التى لم ناخذها فى السنوات الماضية ، فلما اجتمع حساب كل هذا وهذا .ورأى المدنى أن مالنا على الحكومة أكثر واكثر . اغضى وانكف على رغم انفه ، فسحب ما كان يطلب منا اداءه فى الحين . قال : ثم ابتدىء فى التنظيم الجديد ، فاصر على ان الجند يعرض على الطبيب واحدا واحدا ، ومن

لا يرضون بذلك من اصحاب الحمايات ذهبوا الى حال سبيلهم . حتى لم يبق غالبا الا من لا همةلهم.ولا يقصد الا ازجاء الوقت ، قال : فبقيت كذلك قائدا على جند منظم من هؤلاء الذين رضوا بهذه الجندية الجديدة ، فلا يركب من قوادهم الا أنا وخليفتي وقواد المئات (الفسيانات)، وأما فرق الفرسان فقائدهم القائد الحسين البعمراني ، وقد كان هو الجاسوس الخاص للمدني الاكلاوي ، فميزه بذلك من بيننا ، وقد كان يعرفه قبل ذلك في جبل ا كنلووناحين كان يتحارب مع ابن حليمة ، ولذلك اتصل التعارف بينهما الى الآن ، قال : ومما وقع اذ ذاك ان المسمى بنوا بر بيتن الاكلاوى كان خليفةعلى الشراردة . عينه عليها الوزير المدني الاكلاوى . فكان ياخذ المكوس من الناس في السوق هناك،فباعت امراة لاحد أولاد دليم بقرة ، فطالبها أعوانه بالمكس ، فقالت انني زوجة لاولاد دليم . وهم من الجيش الذى لا يؤدى الجبايات المخزنية ، وكل قبائل الشراردة من هذا القبيل . لا في الحوز ولا في غيره، فذهبوا بها الى المذكور ، فأمر أن تجلد ، فبلغ الخبر من هناك من اولاد دليم . ففزعوا اليها ، فثارت السوق،فأجفل الخليفة الى فاس خائفا يترقب ، فثارت ثائرة المدنى الاكلاوى،فطلبمنا ان نخرج الى الشراردة لنؤدبهمحتىينسلسوا، فيطيعوا بعد فعلتهم هذه التي عدها المدنى عصيانا للحكومة ،فلماخرجنا أمرني من فوقي ان أكون في الساقة لا في الطليعة ، وسبب ذلك ان القائد بوعودة الذى لطمته تلك اللطمة يوم اعتقال أبى حمارة – كما تقدم – قال للمدنى : ان الناجم يهب دائما بريح الشراردة ، وهو مولاهم . ويعد نفسه منهم ، ولا يومن أن يقلب اليوم ظهر المجن ان كان في مقدمة الجيش ، فيجب ان يكون في الساقة لا في الطليعة ، لئلا يسبب لنا فضيحة هناك ، فوصلنا مرس القائد الحافظ الشرادى ، فابتدأ البارود بيننا وبين الشراردة ، ثم ثارت القبائل : شراكة ولاودا ية وأولاد عيسى وأهل الغرب الايسر.تبعا للشراردة فكان ذلك هو السبب حتى بويع مولاى الزين في مكناس بين هذه القبائل ، فنزل في (رأس العين) فوق وادى فاس ، فحوصرنا نحن في اشراردة ، فيزحف من مع مولاى الزين الى من في فاس . فتقع حروب كل يوم ، ودام الحصار علينا هناك نحو اربعين يوما،فخرج المدنى الاكلاوى والمتوكيوأمثالهما في جيش الى مقاتلة مولاى الزين ، فهزمهم جيشه ، ففر المدنى وكاد يوخذ باليد . لولا القائد ابن هند الحياني ،وكذلك المتوكى ما أنجاه الا فرس قدمه اليه محمد بن عبد الرحمان المتوكى الذى كان محتسبا بمراكش بعد ذلك ، وأما الحاجب الكريسى فقد انجاه القائد محمد بن الجيلاني ، وقد مال به الى جانب عن مجالات الفريقين لا يسلكه أحد ، وكان هذا القائد قبل هذا اليوم بقليل في جيش عليه مولاى يوسف . أرسله السلطان الى الشراردة ، وهكذا

نشأت الثورة العامة علينا بسبب السياسة الخرقاء من المدني الاكلاوي وأصحابه

قال : وقد كان للمدني الاكلاوي هذا مائة كلب سلوقي يصيد بها ، وقد جعل عليها قائدا خاصا ، فكان اذا أراد ان يهين قبيلة ينزل عليها قائد السلاقي ، فعادت معادلة المدني الاكلاوي وسياسته بالنحس على الدولة المغربية وعلى السلطان ، فقد هدم الجند الثابت بحجة أنه يريد تجديده ، ثم اندلعت الثورة ، فاذا الحكومة بلا جند يستطيع الدفاع عنها ، فلا قديم ولا جديد ، فتسلسلت تلك الثورات وتوالت ، ثم لم تنته الا بالاحتلال ، قال : ثم بعث الينا . فجئنا بعد ما قتل هناك في الشراردة القائد الحسين البعمراني ، ومع ذلك تلقانا المدني الاكلاوي لما دخلنا فاسا بوجهه البشوش المنافق ، ثم صارت محلة مولاي الزين تزحف الينا في كل يوم ، فكنت لا أنام في المحلة بل في داري بفاس الجديد ، وفي يوم كنا في حرب فهزمنا اصحاب مولاي الزين ، فوجدت عسكريا يسلب مجروحا ، فعاتبته وقلت له انك خالفت الضابط ، أفلم تنهوا عن السلب ؟ فقال : ان الكلام اليوم للرئيس النصراني وليس لكم ، فاسررتها في نفسي ، وعلمت أين بلغ الظل في العشي ؟ - هذه عبارته - (وهو تعبير تقصد منه الدلالة على فوات الوقت ، لان بذرع الظل بالاقدام يعرف انقضاء النهار أو بقاؤه ، وكثيرا ما يقع ذلك لمن اخر صلاة العصر ظنا أن الوقت لا يزال ممتدا ، فصار ذلك مستعملا فيمن استيقظ من غفلة ولات حين استيقاظ) قال : ثم امرت بالجندي الى الجلد على ان اجابني ذلك الجواب ، فلما جلد جلدا مبرحا امرت به الى السلسلة حيث بقي هو وصاحب له لقي مني مثل ذلك ثمانية أيام، فعلت ذلك كله عمدا أمام الرئيس النصراني ، وقد نويت ان تعرض لي في ذلك أن افتك به، ثم افر الى الشراردة ثم يفعل الله ما يشاء ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، وانما صار ينظر فقط ، ثم لم ألبث أن رجعت على نفسي باللائمة حين بقيت في هذا العهد المنحوس موظفا هنا مع المدني الاكلاوي الذي به وصلنا كل هذا الهوان .

في قيادة الجيش بمراكش

قال : يرى الناظر ما نحن فيه الآن مع هذا المنحوس المدني الاكلاوي ، فقد كدنا نفقد شرفنا العسكري والشخصي معه ، فتثور علي نفسي فلا اجدمناصا فيما عسى أن يخرجني مما انا فيه ، فصرت اتأفف دائما عند السلطان من خدمة الجندية ، فاقول له : يا سيدي : انني كما يرى مولاي جرحت مرارا وضعفت قوتي ، فلا اقدر أن اقوم بالمناورات العسكرية مع الجند الجديد ، كما هو الواجب على كل من يقف في مثل موقفي ، فيجيبني بان المقصود منك ان تكون بركة هذا الجيش ، فقد اعفيتك من كل مناورة ، ولا يطلب منك الا أن تحضر على فرسك معهم ، فتمر أمامي فقط ازاء جندك ، فلم أزل اكرر عليه ذلك ، وألح عليه الحاحا ، حتى ليّن لي الله قلبه ، فأراد ان يعينني باشا على

مكناس ، وعلى كل القبائل المضافة اليها كزرهون وامثاله ، ثم شاعت أخبار هذه الباشوية ، ففي يوم دخل على الرجل الصالح المجذوب مولاى عبد الملك الخماش ، وفي يده قفة فيها قبعة - وكان غريب الاحوال - فقال لى : اشتر لى نعلين لاولادي ، فأرسلت من يشتريهما له ، فقال لى : هل عينت باشا على مكناس ؟ فقلت له نعم يا سيدى ، فقال لا تكون باشا في مكناس، بل تكون قائدا في الحوز ، ثم خرج .

وفي تلك الليلة اجتمع كل الاعيان الذين جاءوا عن قواد قبائل الكيش الحوزية : المنابهة ، وأولاد دليم ، ومن اليهما من قبائل الشراردة ، فصاروا يلومونني على انني قبلت أن أتوظف في مكناس . مع ان قبائل الحوز التي كان اهلها يمتون الى وأمت اليهم بالولاء هم أولى بي من غيرهم ، ثم قالوا ان الشلحيين الكلاويين من الحاج التهامي الى أصغر أعوانه ، قد هتكوا عرضنا ، والتهموا أموالنا ، وتعرقوا عظامنا ، وتمصصوا مخنا ، وملأوا مسامعنا بالشتم والاهانة ، افلا تزيلنا انت اليوم من هذه المذلة ، فقلت لهم : انني سأنظر فيما قلتم ، ثم فاوضت ادريس منو في ذلك ، وطلبت منه أن يهيىء لى الملاقاة مع السلطان ، فلما جلست أمامه ، قدمت اليه هذا الطلب فقال : أوليست هذه القبائل عند الاكلاوى ؟ فقلت بلى ، ولكن سيدنا يعرف نفسية هؤلاء ازاء أمثال الاكلاوى ، فقال وهل تقدر انت على مقاومة الاكلاوى مع ما له من الشوكة هناك ؟ فقلت له : انفخ في الحبل يعد ثعبانا - هذه عبارته - ثم انعم على بطلبتي في الحين ، قال : ثم اننا أنا وادريس منو ، لما رأينا الفرصة سانحة في زحزحة الاكلاويين عن المكانة التي تبوأوها في الدولة، سعينا حتى توصلنا بالقيادة على زمران لصاحبنا القائد صالح ،وعلى السراغنة للقائد محمد بن الجيلالي ، وعلى السويرة للقائد محمد بن سعيد القرقورى وعلى آسفي للقائد الحبيب باقا - وهو رجل فياش متكبر - وعلى مراكش للباشا ادريس منو نفسه - قبلها اليوم ، بعد ما كان أعرض عنها عند بيعة السلطان - وعلى القصبة ، للقائد مبارك بوخبزة ، هؤلاء كلهم توصلوا بالظهائر في يوم واحد ، قال : ثم أرسل الى القائد عبد الملك المتوكي في اليوم الثاني ، فأكلنا وشربنا في داره ، ثم صرف عنه اصحابه الى أن انفرد معي ، فقال : أتنصب القواد بنفسك يا بنا الناجم،كرر ذلك مرارا ، فأجبته الله يبارك في عمر سيدى ، ان الذى ينصب القواد هو سيدنا السلطان نصره الله ، ثم أعاد ذلك فاعدت الجواب ، ثم قال : يا فلان : انك دخلت في باب ، وأردت أنا بنفسي ان تفتح لى ذلك الباب لادخل منه أيضا ، فان هذا العطار - يعني المدنى الاكلاوى ، لان الاكلاويين مشهورون في تلك النواحي بالدوران بالعطرية على الحمير امام أبواب الديار ، فيعير القواد الاكلاويين بذلك - قال : ان هذا العطار قد بلغ فينا بغمزه ولمزه واهانته

مبلغا عظيما ، ففي كل شهر أتزلف اليه بكل ما يمكن لي من الهدايا من كل نوع ، فكم سمن وعسل وطرف املأ بها احمال قوافل متتابعة ، فأسوقها اليه سوقا ، وكم جوار أتوصل بها من عند الذين انتصبوا لجمع بنات الناس السود ، من سوس الى الحوز أقدمها اليه ، فلا يزال ابراهيم بن صالح ازاء تيزنيت ، ومولاى أحمد من آل الشريف الهشتوكي ، وابن حيدة في هوارة ، وعلي الامزالي من اداوزال ، ويحيا من أكفاي ، وابن حميدة في سهب العتروس السباعي ، والتهامي بن القرشي ازاء امينتانوت - يتابعون لي المتخيرات من الجوارى - وهؤلاء هم النخاسون المشهورون اذ ذاك ببيع العبيد أو من ارادوا أن يسموهم بسمة العبيد والاماء من أولاد الاحرار وبناتهم ، وان لم يكونوا الا احرارا أقحاحا ، فيسربون ذلك يدا ليد ، تبتدىء السلسلة من يد ابراهيم بن صالح ، الى أن تنتهي الى يد التهامي بن القرشي ولا يسيرون بقوافلهم الا ليلا بحراس ، ثم من التهامي بن القرشي يكون البيع لقواد الحوز ولأثرياء الحواضر ، قال : فكنت أتملق دائما العطار بالجوارى الرائعات التي تهيئها زوجتي في (بنوو ابوض)حيث داري خير تهيئة ، بالاستحمام والترفيه حتى يكسون النضارة والبضاضة ، ثم أتخير لهن من أحاسن الكسوة والحلى ، ثم أجلوهن اليه كالعرائس ، ثم بقدر ما أتقرب اليه يهينني ، ويريد أن يتخذني كأحد اتباعه ، فقد رأيت أنت بعينك كيف يعاملني ، وينبذ طلباتي فلا يسعفني فيما أطلبه منه من حوائج الناس ، فقد تكلمت معه في قضيتك أنت حين سرق متاعك ، وكذلك في قضايا القائد ابن هندا الحياني ، والقائد الكرافس من اهل الغرب الايسر ، والقائد عقة الكدماني المطيرى ، وهي قضايا مشهورة ، فقد تعلق بي الجميع ، واهدوا الى ، ثم فاوضته فيها كما فاوضته في قضيتك انت ، فهل قبل وساطتي ؟ أو هل قام معي قيام الرجال في قضائها ؟ بل انك رأيت ما يعاملني به كل يوم حين اتبعه كعبده ، وانت معنا الى باب داره في اللوح ، ثم لا يزيد على أن يلتفت الينا فيصرفنا كأننا له أتباع من شسوع نعاله ، وكذلك رأيت مجلسي معه في دار المخزن كيف اقعى كالكلب تحت مكتبته بلا شغل ، كأنني صرت من أخس أعوانه ، فلا يزال يتعمد أن يهينني ، والآن أريد منك أن أتملص من كل هذا الهوان كما تملصت انت واصحابك منه ، فقد صرتم اليوم أنداده ، وستذهبون الى قبائل كانت تحت يد أخيه التهامي ، فتنزلونها من يده ، فافتح لي يا بنا الناجم الباب - فتح الله لك ابواب الجنة - كما فتحته لنفسك ، فلقد سئمت المذلة وحياة الهون ، قال : تركته حتى قال كل ما يريد أن يقول باسهاب ، فقلت له سمعا وطاعة أيها القائد الكريم ، فانني سأجتهد لك كما أجتهد لنفسي وعلى الله الكمال ، ثم قلت له : لا باب عندي اذا الا ادريس منو ، وبعض جوار في دار السلطان كانت لي بهن مواصلة

قبل اليوم ، ثم صرن محظيات اليوم عند السلطان ، فالآن اطمئن ، فسنقرع الباب ، فالله يفتحه ، ثم استدعى محمد بن عبد الرحمن ، فافضى اليه بكل ما قال لي ، فقال له محمد انا ما كنا لنصبر للعطار لولاك انت ، ثم لما ذكر له المدني عبارته المتقدمة من أن الناجم ينصب القواد ، اجابه : لا لا بل ان الذى ينصبهم هو السلطان ، قال الحاكي ، فعرفت أن الرجل عاقل ، ثم فارقتهما على ذلك ، فتفاوضت مع ادريس منو في الحيلة،فاتصل بالسلطان، فرجع وقال هل يمكن أن يتفرق الشلحيان ؟ يعني المدني والمتوكي ، لان السلطان كان يظن أنهما متوافقان عليه ، قال فقلت له نعم تفرقا ، فحكيت له كل ما راج .

هذا وقد كانت سياسة السلطان اذ ذاك مرتكزة أن يقلب ظهر المجن على الاكلاويين بعد ما صح عنده أنهم لا يسعون الا في مصالح فرنسة . وفي افساد قوة الحكومة ، وهم السبب حتى ثارت هذه القبائل ، ولذلك أراد أن يزعزع أيدى الاكلاويين عن الحوز ، وأن يضع فيه أصحابه الذين يعتمد عليهم ، فبدأ بنصب هؤلاء القواد ، وبعزل التهامي عن مراكش ثم ينظر بعد ذلك ما يصنعه ، مع وزيره المدني الذى كان يتربص به وباهله كلهمالفرصة منذ زمان ، ثم لما سنحت له هذه الفرصة فيهم حين تفرق المتوكي والمدني انتهزها ، ولذلك لم يكد يفاوضه ادريس منو فيما ذكر حتى أمر بأن يطلع المتوكي صبيحة الغد للملاقاة الخصوصية ، قال الحاكي : فطلع المتوكي من داره ، فلما دخل في المشور ومعه سئي بريك بوابه ، وقد حمل معه تحت ابطيه من المال ما سيتلاقى به مع السلطان ، فذهب قدما من غير أن يعرج بمقعد الوزير ، وقد كانت عادته دائما أن يذهب توا اليهمبصبصا ، فاليوم لما وجد فسحة رفع عليه راسه ، غير مبال ، ثم دخل في الحين للملاقاة ، لان السلطان كان أمر أن يدخل اليه توا ، فبقى هناك معه كثيرا ، ثم لم يخرج الا عند انقضاء المخزنية في الظهر ، فاذ ذاك قال مع السلطان كل ما يريد، فوعده السلطان أن يرجع الى الحوز ، وان يكون هو كبير القواد هناك ،فخرج مرتفع الهامة من حينه ، وقد أدرك كل امنياته فغبر في وجه صاحبه ، قال : ثم تهيانا الى السفر ، فاذا بجند فرنسى كثير جدا ، وصل الى فاس ، وقد كان خرج من المهدية باذن السلطان ولم يلاقه أحد حتى وصل الشراردة فتعاطوا معه طلقات قليلة ، ثم مر الى أن اجفل أمامه جيش مولاى الزين الذى كنا ذكرنا قبل أنه رابط في رأس العين ، ثم امره السلطان ان ينزل فيدار الدبيبغ ، فامرنا ان نزور رئيسه قبل أن نسافر فذهبنا كلنا ، فلما مثلنا بين يديه ، قال لنا : اعلموا أنكم انتم القواد الاولون من عندنا الذين سيذهبون الى مهماتهم ، قال الراوى : فسكت كل من معي ، فاجبته أنا : نحن قواد السلطان أرسلنا الى مهماته . فان كان لكم كلام فبينكم وبين السلطان ، لا

معنا نحن ، فخرجنا ، ثم بلغ ما قلته الى السلطان فأعجبه ذلك ، ثم ارتحلنا من فاس نحو الحوز نحن القواد فى اصحابنا الى أن نزلنا فى مشرع الشعير ، ومعنا المتوكى ، فتلقانا القائد العيادى هناك ثم وجدت فى سيدى أبى عثمان أصحابى من رؤساء قبائل الكيش ، قد هيأوا لى هناك المئونة ، ثم قال لى الباشا ادريس منثو ، اسبق انت الى مراكش لتهيأ اهلها للملاقاة ، فزدت امامى الى المدينة ، ومعى نحو اربعين من اصحابى ، فحاذيت السور الى أن دخلت فى باب أحمر الى القصبة ، فقصدت دار المخزن حيث الخليفة مولاى ابو بكر ، فأعلنا (التبندقة) امام باب دار المخزن ، فأسرع أصحابه فأعلموه بى ، فدخلنا اليه ، فاعلمته بما جئنا اليه ، فاخرجت الرسالة السلطانية المكتوبة الى التهامى الاكلاوى . ليتخلى عن المدينة للباشا الجديد ، فطلبت منه أن يوصلها اليه ، فقال لا لا ومن يقدر أن يذهب بها الى ذلك الجبار ، وها انتذا ترى الزبل يدخل على فى دار المخزن ، ثم لا أجد منه اعانة لكنسه ، ثم خرجت الى أن انزلت أصحابى فى فندق بباب دكالة ازاء دار لى هناك ، فسألت عمن هو الخليفة الكبير على المدينة ، فذكروا لى محمد بن العباس ، فأرسلت اليه ، فطلبت منه أيضا ان يوصل الرسالة فابى معتذرا ، ثم طلبت منه أن يرسل الى مقدمى الحومات ، ليوافونى فارسل اليهم ، فاخبرتهم بعزل الاكلاوى عن المدينة ، وأن الواجب أن يتهيأوا لملاقاة الباشا الجديد صباح الغد، وقد كنت سألتهم عن العادة فى تلقى الكبار الذين يدخلون المدينة ، فقالوا يخرج الناس كلهم ، ويصطفون بالبغال والرجال من تانسيفت الى باب المدينة، وهناك تقدم أعلام السبعة الرجال خصوصا علم سيدى ابن سليمان الجزولى ، وعلم سيدى أبى العباس قال : ثم لما علم الاكلاوى بورود رسالة عزله ، صار يتململ ، ويريد أن يهيىء ما يدافع به ، لكن عمر بن عدى الاكلاوى قال له: ماذا تريد أن تصنع الآن ؟ أفمراكش دارك ودار أبيك ؟ ، فانك لم تمكث فيها الا بأمر السلطان فها هو الآن يزيلها من يدك،فلازم الطاعة ، ولا تفتح على نفسك ما يهلكك ، ثم ماذا عسى ان تصنع لا نحن ولا انت ، فالقائد الناجم قد دخل المدينة ، فاذ ذاك انخنس الاكلاوى ، فترك المدينة للباشا الجديد ، قال : وفى اليوم الثانى خرجنا للملاقاة ، فوجدنا القائد يرعى مع أصحاب القائد المتوكى فى تانسيفت ، كذلك دخل الباشا الجديد فى مهرجان عظيم ، ثم قرا الظهير فى مسجد ابن يوسف ، فاستقر الامر الجديد فى عهد الباشا الجديد . فطويت بذلك صفحة الاكلاويين فى الحوز الى أن تفتح يوما آخر قال : ثم خرجت الى قبائل الكيش التى هى ايالتى حتى نظمتها ، ثم جئت لاعين الباشا منثو فى القبائل التى ضمت اليه ، زيادة على باشوية مراكش ، فذهبت الى (دمنات) ، وقد كان قائدا فيها القائد علال الاكلاوى أخو التهامى والمدنى الاكلاويين ، فأخلاها لما عرف انها مسندة الى ادريس منثو ، ولكنه ما

كاد يخرج منها حتى دخلها القائد محمد ـ فتحا ـ أبلاغ ، فأخرجته منها ، وقد كنت قدمت امامي القائد صالحا الزمراني،فنقب هو واصحابه في السور، ففتحوا الابواب حتى أخرجوا ابالاغ ، قال فلما دخلتها ، صار السيد العباس التانغملتي يقول للناس : ان الناجم من قواد النصارى ، وسبب ما قال: هو أن الاكلاويين أطلقوا علينا الدعاية بأننا ما تولينا الا بقوة اولئك النصارى الذين دخلوا فاسا ، يوم خرجنا منها ، وقد اعلنوا اننا تلقينا أوامرهم يوم زرناهم ، فبسبب ذلك صارت مضادتنا تحوم حول هذا المحور ، فقام أمثال التانغملتي يتزعم محاربتنا كمجاهدين فينا ، ولذلك قام من قاموا علي وانا في دمنات فصاروا يجمعون جيشا على القبائل ، ومعهم الخنصالي المشهور، وكل قبائل الشلوح ، فبقينا في حرب معهم نحو ستة اشهر ، وقد امدني القائد العيادي بمائتي فارس وخمسين ، والمتوكي بمائتي راجل وخمسين فارسا ، فكنا نحارب على السور ، ولم نسد الابواب ، فكلما زحفوا يرجعون بالموتى . فلما لم يفيدوا شيئا ، ولم يقدروا أن يحتلوا المدينة نزلوا الى السراغنة . فانتهبوا أولاد خلوف ، ثم زادوا الى أن وصلوا الحمادنة ، وفي ذلك اليوم قتل القائد اليعقوبي ، قال وبعد العصر رأينا اولئك المغيرين يرجعون بكثرة الغنائم ، فخرجنا اليهم ، فألجأناهم في وجه الليل الى الهزيمة المنكرة ، ثم في صبيحة اليوم الثاني خرجت بالمدافع وبالرشاشات وبالجند ، فتبعتهم الى واريضة ، فواقفنا قليلا الى أن قتل منهم . : 350 فارسا فأجفلوا اذ ذاك اجفال الارانب نحو جبالهم ، ثم رجعت الى دمنات ، فصارت تتوارد على الهدايا والتوبة من تلك القبائل المجاورة لتلك الناحية ، ثم قرب عيد الاضحى ، فذهبت مع الشيوخ الى مراكش ، فعيدنا مع الباشا . ثم أخرج الخليفة مولاى أبو بكر لي فرسا عتيقا.وعليه سرج فائق.وقد اجتمع كل قواد الحوز للتعييد مع الخليفة ، فذهبنا معه حتى صلى صلاة العيد كالعادة ، فأمضينا الاسبوع في حلبات الميدان ، ثم ودعت الشيوخ.وقد استقام ما تحت أيديهم ، فاستقر أمر ادريس منتو في تلك القبائل بهم ، وقد تركت هناك مطامير الزيت المخزني ، فأعطينا فيها للبيع مائة ألف ريال ، فأبى الباشا من بيعها ، فبقيت الى أن ذهبت بعدنا ، قال وكانت سكناى في رياض القائد الحافظي في درب زمران . بحومة باب دكالة ، ثم ان الحاج التهامي ذهب الى فاس فلم يلاق خيرا ، لانه صار يتطلب الرجوع الى محله ، وقدم خنشات من اللويز ، فنبذ السلطان ذلك نبذا امام الناس فطرده ، ثم سافر الى طنجة عند المهدي المنابهي ، فقام معه المهدي حتى مكن ما بينه وبين الفرنسيين ، فكان مما قال لهم المنابهي اذ ذاك : ان القائد الناجم أنا اعرف الناس به ، لا يمكن أن يسلس القياد لغير المسلمين ، لكن هؤلاء الاكلاويين تجد فرنسة منهم ما تريد، فهم الذين ينبغي أن تعتمد عليهم في الجنوب ، فاذ ذاك صار الحاج التهامي لا

يعتمد الا على الفرنسيين . ولا يعتمدون الا عليه،فتم الامر بين الفريقين ، ولكن ينتظرون الفرص ، ثم أن القائد المدني أتى الى مراكش ، وفي نيته قلب الحكم . وقد ضعف أمر السلطان ، وعلا عليه رأى الفرنسيين ، ولهذا الضعف قلب السلطان رأيه، فاعطى الكلمة للاكلاويين في مراكش بالضغط من الفرنسيين، فاراد هؤلاء ان يقرأوا في مراكش الظهير بذلك ، قال : ولكننا نحن ـ وقد عرفنا أن ما كتبه السلطان انما كتبه تحت الضغط ـ نقف في وجه قراءته ، ولم تكن الظهائر تقرأ الا يوم الجمعة بعد الصلاة ، ولا تقرأ الا في المساجد الكبرى ، كابن يوسف وجامع باب دكالة ، والكتبية ، والمواسين ، وبريمة في دار المخزن ، فقسمنا المساجد الكبرى بالحراسة ، لئلا يقرا فيها اى ظهير ، فيقف القائد عبد الملك المتوكى على الكتبية ، فيرسل خليفته العربى اليها في كل يوم جمعة ، ويقف القائد محمد بن الجبلالي واصحابه في ابن يوسف ، والقائد الناجم وأصحابه في باب دكالة والقائد صالح واصحأبه في المواسين ، والقائد يرعى في مسجد بريمة ، فبقي الامر كذلك،وقد ملأ الاكلاويان : المدني والتهامي ديارهما باخوانهم المتسلحين ، وقد كان القائد العيادى يعيننا في كل شيء ، فاتصل الاكلاويون مع القائد عبد السلام البربوشي ، أحد قواد الرحامنة فصار يخبط معهم ، وقد كان هو والعيادى ، وابن الزادى ومبارك ابن التهامي والطاهر بن الاعظم ، توصلوا بالظهائر في يوم واحد ، يوم بيعة المولى عبد الحفيظ ، فلما هب عبد السلام بريح الاكلاويين ، قام ضد القائد العيادى ومن معه ، فثارت معه فتاك الرحامنة حتى اتسع خرقهم على الراقع ، فهرب القائد العيادى من الرحامنة مع القواد الآخرين الى مراكش فعادت الفتنة جذعة ، ورجع الفساد يسود في الحوز ، فرجعت هيف الى أديانها ، حتى انحجر القواد كلهم بمراكش ، وكانت العامة في خارجها وفي هذا الجو المظلم ، طلع نجم أحمد الهيبة متالقا ، فكان ما كان .

مع الهيبة في مراكش

قال : في يوم من الايام وصل الينا خبر مضمنه : ان القائد عبد الرحمن الكلولي صار يستنهض ولد الشيخ ماء العينين مولاى احمد الهيبة ، ليقوم الى الجهاد ، فيرسل اليه بعض السلاح وبعض المال ، وذلك كله سرا ، قال : وفي يوم ورد مولاى احمد الايلوكاني الشريف الهشتوكي ، فاجتمعنا معه نحن القواد في دار القائد عبد الملك المتوكي ، فتداولنا أمر الهيبة ، فقلنا له : اذهب وانظر لنا الرجل ، أيصلح أن ياتي الى هنا ام لا يصلح ؟ فذهب ومر بأهله أيت ايلوكان ، فوجدهم لم يبايعوا الهيبة بعد ، هم واهل ماسة التابعون للاغبالويى ، فذهب مع اهله فبايعوه ، ثم أمره الهيبة أن يكتب الى القواد بمراكش بما رآه من استقامة أمره ، قال الحاكي ، ثم ان

المتوكي ارسل أيضا الشريف مولاى عليا وأخاه مولاى محمدا المتوكيين - وكانا هما المكلفين بعسكر متوكة - فوصلا الهيبة وهو نازل فى هوارة فى طريقه الى مراكش فلما استوعبا احواله ، رجعا فقصا على القائد ما رايا ، فود القائد عبد الملك لو جاء الهيبة على طريق حاحة لئلا يبدا بايالته ، ولكن القائد عبد الرحمن ثنى الهيبة عن ذلك ، ليخفى عن الاعين ما كان له وللالمانية التى تمده بتلك السياسة سرا ، فامال وجهته الى طريق (أمسكروض) خوفا عليه أن ترميه قنابر البوارج فى سيف البحر الذى لا بد أن يمر به ان سلك ذلك الطريق ، فيكون فى ذلك القضاء عليه ، وعلى سائر أصحابه ، وعلى ما هو بصدده فى لحظة واحدة ، ثم ان المتوكى ارسل خليفته العربى فتلاقى مع الهيبة فى مبدا ايالته عند (تاركانت) فاهدى له : الا أن الاعراب اهانوه فارجلوه ومن معه عن الخيل ، فاثر ذلك فى نفسية القائد المعروف بغيرته الاسلامية ، لكونه ضد الاكلاويين الذين رفعوا راية النصارى ، قال ثم اننا نحن القواد حتى المدنى الاكلاوى والحاجى ، والعربى خبان وجميع القواد الذين انحشروا اذ ذاك فى مراكش صرنا نعقد الاجتماعات فى دار المتوكى ، فكان يحضر فيها القنصل الفرنسى ، فيتداول الامر فيما يفعل فيستنهضهم القنصل للقيام لمقاومة الهيبة ، فيجيب القواد بأنهم الآن منعزلون عن قبائلهم ، وقد سادت الفوضى الناس ، فالقلوب ثارت فيها النعرة الاسلامية ، ثم نزل الهيبة فى (ايمينتانوت) فضاق الامر بالقنصل ، فجلس مع ادريس منو ، فقال له : انك وحدك المكلف بمراكش دون كل هؤلاء القواد . وهنا الآن من الفرنسيين والانكليزيين والالمانيين وغيرهم من أبناء الدول ، من يخشى عليهم من الفوغاء ومن الهيبة يوم يحتل المدينة ، قال فارسل الى ادريس يستشيرنى فيما يفعل فالتفت القنصل الى قائلا : ان هذا الباشا صاحبك . وأمر الاجانب عظيم ان وقع فيهم حادث ، فقد اظهر صاحبك هذا عجزه عن المحافظة على المدينة ، لان يده خالية من اية قوة ، وانت الآن هو الوحيد بين القواد الذى لا تزال قبائله تحبه ، فتخرج اليها وتدخل بلا خوف ، فقلت لا اعدو أن أكون واحدا من الناس فى هذا الامر ، ثم رايت ان افك العقدة فسالته عما هو المقصود عنده فقال مقصودى أن نبعد التجار من الاجانب والقناصل وأتباعهم الى آسفى ، خوف أن يفتك بهم فاتكون ، فقلت له وقد اردت ان افرج عن صاحبى ادريس منو بسرعة - حسنا اننى سابكر فى صبيحة الغد باصحابى الى خارج باب دكالة ، فأعلم كل أجنبى كيفما كان تاجرا أو طبيبا أو سياسيا ، لاجد الجميع هناك ، لنسافر بهم ، فمن لم نجده هناك فلا يلومن الا نفسه فيما عسى أن يقع ، فارسل القنصل فى الحين الرسائل الى جميع الاجانب الذين فى المدينة ليتهيأوا الى السفر صبيحة الغد ، ومن اراد ان يتأخر فليكتب ذلك بتوقيعه فى هذه البطاقة . ففرقت الرسائل ، وفى الصباح سافر الكل الا

المانيا واحدا ، والا فرنسيين منهم قبطان وكومانداز ، وقسيلان ، وطبيبلهم وترجمان ، أمروا من حكومتهم ان لا يخرجوا من مراكش ، قال فقدت الجميع أنا بنفسى مع مائة فارس وهم على البهائم فى قافلتهم،ومعهم كثير من المتاع بل معهم برتغالى منكسر الرجل حمل فى محفة ، قال : فلما فارقنا وادى تانسيفت رأينا فى الافق من اليمين الى الشمال سواد الخيل من الرحامنة ، فلما رأوا الاعلام من جهتنا ، جرى الى بعضهم ، فقالوا لى : أحتى انت الذى نظنك مسلما تقود بنفسك النصارى ؟ فقد أحبك كل الناس بسبب مـا يظنونه فيك من غيرة الاسلام ، فقلت لهم : هل القبيلة هى التى أرسلتكم ؟ قالوا نعم ، فقلت لهم : ابلغوا القبيلة عني . وقولوا لها : اعقلوا عنى وافهموا ما أقول لكم ، فأنا منكم وانتم منى ، وما أنا الا مسلم . على الاسلام اموت، وعليه احيا ، ولكن المميز لا بد أن يفرق بين المواقف . فانتم ايها الرحامنة ، ثرتم ثورتكم المعروفة عند موت السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن ، ثم وقع لكم ما وقع ، ثم ثرتم عند موت مولاى الحسن . فوقع لكم ما وقع ، ثم وقفتم على مولاى عبد العزيز أمس القريب،وشكركم الناس حين كسرتم مولاى عبد العزيز الذى ما جاء الا بقوة النصارى ، فالآن يا اخوانى لا تفســدوا سمعتكم بعد أن حسنت ، فلهذا اليوم غد ، ولكل عمل جزاء ، وانتم تعلمون ان (وجدة) ما احتلها النصارى الا بموت نصرانى واحد قتل هنا فى مراكش وأن (الدار البيضاء) ما احتلها النصارى الا بمثل ذلك ، اتريدون ان نترك هؤلاء التجار من النصارى ـ وهم كثيرون ـ ، يبقون فى مراكش حتى ياتيهم أهل سوس ، فيقتلونهم فيذهب الحوز كله بجميع قبائله بذلك سدى ؟ فميزوا بين الامور بارك الله فيكم ، واسمعوا من أخيكم الناجم المسلم مـا يقولـه . وافهموه حق الفهم ، وها أنذا الآن بينت لكم ، وأعلمتكم اننى خرجت بهؤلاء النصارى ، لاوصلهم الى آسفى ، ليذهبوا عنا بباسهم وبمشاكلهم ، فينجون من الهلاك ، لننجو نحن بسبب نجاتهم من الهلاك ، فهم فى عهدتى الآن ، فلا تصلهم أية يد حتى اوصلهم الى آسفى ، وهى فى يدى أمانة . فان أردتم يا اخوانى ان تخفروا ذمتى فى أمانتى،فاننى ساموت عليها ميتةالشرف ، بلغوا من وراءكم ما قلته لكم حرفا بحرف ، قال : ثم رجعوا من عندى ، فاجتمع عليهم الرؤساء الرحمانيون ، فاستوعبوا ما قيل لهم ، فقال ذوو الرأى منهم:انما قاله القائد الناجم كلهصحيح،وهو عندنا مصدق،فرجعوا الىّ،فقالوا:زد امامك بكل أمان ، قال : ثم ذهبت بهم الى قبة سيدى احمد ، فانزلتهم حتى طعموا ، والوقت وقت صيف ، ثم بت معهم فى قبيلة اولاد دليم ، فاذا بمرض الم بى . لكونى كنت ازلت القفطان فأصابنى البرد ، فصار أصحابى يتناجون بينهم بان ما أصابنى هو تاثير همة الهيبة ، وان اولياء سوس ضربونى من بعيد . قال : لكننى تجلدت ، فارسلت اصحابى مع النصارى الى ان دفعوهم

فمررت بزاوية سيدى الزوين . فبت عند سيدى حامد ، فدخلت عنده الحمام، فنفعني فبرئت ، قال وفي العشية ، قيل لى : ان خليفة الهيبة مربيه ربه ، سيبيت الليلة في (دار ولد عناية) من قبيلة ايت يمور ، ومعه القائد المدني الاخصاصي وسعيد بن الحسن الامزالي من ثلاثاء النحاس ـ جعل قائدا اذ ذاك على قبيلته بظهير من الهيبة ، فبت أنا في (الر ديزات) من ايت يمور قال : فاذ ذاك خرج الحاج التهامي مع جند قليل الى فساطيط في باب الرب . على نية محاربة السوسيين ، فكتبت رسالة الى مربيه ربه ، أعلمه بأن ما عسى أن يسمعوه من أن المخيمين في باب الرب سيدافعونهم عن مراكش لا يؤثر في عزائمهم ، فليزيدوا امامهم الى المدينة ، فلا يرون الا خيرا ، فلما وصلهم الرسول جعلوا يسالون الرسول من هو وممن هو ، فأخبرهم بأنه من عندى ، فقرأوا الرسالة ، فاستدعى مربيه ربه القائد المدني ، فسأله عني ، فقال خيرا ، وقد كان التعارف تقدم بيني وبين القائد المدني أيام الكيلولي وفي الغد ذهبت فسلمت على مربيه ربه ، فذهبت معه فكنت أول القواد المراكشيين اتصالا به ، ، فنزلنا في (أسوفيض مولاى سعيد) وهو بستان كبير من الزياتين فاهديت في تلك العشية ثلاث ناقات لمربيه ربه ، كما أهدى ولد مولاى سعيد التاءصلوحتي فرسا ، قال : فاذا بذلك الجند الذى كان رابط امام باب الرب جاء بعد هروب الحاج التهامي عنه . مع قائده : القائد مبارك الديلمي ، فتقدم الى جيش مربيه ربه ، فانضاف اليه،فقام اليه الاعراب والى من معه . فجردوهم من السلاح . فجمعوه في خباء ، وقد سرق بعضهم منه أو من بعض مسامير البندقيات وهي حالة تنذر بأن الاعراب هؤلاء لا يفهمون ما يريدون اقامته من الملك ـ قال : وقد كان مع مربيه ربه : الفقيه سيدى محمد اعبو الهشتوكي كوزيره ، ثم في الغد جاء القائد عبد الملك المتوكي في موكبه ، فلم يكد يصل المكان الذى يخيمون فيه حتى ثار في وجهه الاعراب يقولون : هذا نصراني ، هذا نصراني ، فيقول له أحدهم : تشهد يا هذا فيقول أنا مسلم دائما : اشهد أن لا اله الا الله . واشهد أن محمدا رسول الله ، فدخل الى مربيه ربه ، فجلس قليلا ، ثم خرج فذهب ليتلقى مع الهيبة الذى جاء وراء خليفته هذا ، قال ثم اتصلت بالفقيه أعبو . فقلت له : ما هذا العمل ؟ أكلما جاءكم كبير تقابلونه هكذا ، جاءكم القائد مبارك بجنده فجردتموه واهنتموه ثم جاء اليوم المتوكي فاسمعتموهما اسمعتموه فهل تدوم لكم حالةعلى هذا النمط ؟ فصار يعتذر ، فقال ماذا عسى أن نصنعه مع هؤلاء الاعراب الذين لا يفقهون للسياسة معنى ، وقد ندمت على مصاحبتي لهم ، قال : ثم جاء ادريس منو وبوخبزة مع أصحابهما الى مربيه ربه ، قال وكنت حاضرا ، ولم يقابلهما أحد بمثل ما قابلوا به المتوكي ، وفي عشية

اليوم استهل هلال رمضان ، قال فدخلت الى مراكش فاذا بكل النـاس فـي الازقة يعلنون بيعة الهيبة فى بهجـة وفرح غريبين ، لان النـاس خافـوا من الفرنسيين ، وسئموا من المغارم ، فلما سمعوا بمن ينصرون الاسلام ، وبمن يقولون لا مغارم ، احبوهم من اعماق قلوبهم ، فتطفح الوجوه بشرا ، والقلوب مسرة ، قال : ثم دخل مربيه ربه الى القصبة ، فنزل في قبة الصويرة ، قال ثم وصل الهيبة ، فسبق الى مشهـد مـولاى عبـد الله بن حسين فـي تامصلوحت فزاره ـ قال قائل كان معه يوم زاره ، وقد كـان صاحبه من سوس : عهدى بوجه الهيبة يطفح نورا الى ان زار مولاى عبد الله بن حسين ، اذا بذلك النور قد ذهب ، وعلته غبرة قاتمة ، قال : فاحسب أن ما كان يعتمد عليه من سر رباني فقده ذلك النهار هناك ـ هذه مقالته نكتبها للتاريخ بكل تحفظ ـ ثم نزل صهريج البقر ، فهناك ذهب القواد كلهم:ادريس منو والقائد المدنى الاكلاوى ، والقائد المتوكى ونظراؤهم ، فدخلوا عليه جميعهم في وقت واحد ، قال الحاكي : وقد كنت انا لا أكاد افارق آل السلطان الجديد ، فصار الناصحون يامرون الهيبة أن لا يدخل المدينة فيابى ، فلم يسترح حتـى دخل الى القصور الملكية ، ثم ان مولاى أبا بكر ، امره مربيه ربه أن يخرج من دار الخلافة ليسكن فيها ، كما أن أخاه الهيبة دخل الى دار الملوك،فصار مربيه ربه يجلس فى (البنيقة) التى كان يجلس فيها الوزير احمد بن موسى . ثم صار أهل المدينة يواخذون في كل عشية بتقديم الموائد الى أصحاب الهيبة فتطلع الى دار المخزن بالمئات ، فشق ذلك على الناس . ـ

(وصعب على الانسان ما لم يعود)

ومنهم من يدور أمام الديار ، فيتطلبون اعانة المجاهدين فى ـانية ، فربما ملت امرأة يدها بشيء ، فيوخذ ما فى معصمها نزعا ، ومنهم من يقف أمام دار ، فيطلب صاحبها أن يخليها باذن من السلطان الهيبة ليسكنها هـو . ومنهم من يقف أمام دار فيأمر من فيها من النساء أن يسرن معـه ، ليعقـد عليهن له أو لاصحابه ، زاعما لمن قالت ان لى زوجا أن ذلك النكاح فاسد ، لانه كان فى عهد النصارى ، الى امثالها من جزئيات تعدد وقوعها من رعاع الاعراب ، وهكذا انقلب ذلك الفرح الذى تلقى به المراكشيون الهيبة وأصحابه الى بغض شديد ، قال : ان الفرح لم يدم الا ثلاثة أيام ، ثم صار يتناقص حتى صار حقدا وضغينة وكراهة ما مثلها كراهة،حتى أن الفرح يوم غادروا مراكش يساوى الفرح يوم دخلوها ، قال : ومن جملة ما حضرت له اذ ذاك ، انني كنت جالسا والباشا ادريس منو ، فولج علينا اعرابى فى عرصة ابن ادريس التى كان يقطنها ادريس منو ، فقال بكل جفاء لادريس يا بغل ، اعطنى مفاتيح (المترس) الفلانى الذى تحت يدك ، فان علباءك الغليظة تقطر دهنا ، فثار ادريس ثورة الحنق ولم يتكلم ، فغاب عنا كثيرا . فقلت للاعرابى : ما هذا

الذى قلته للباشا، فقال يجب عليه أن يعطى (المَرْس) الذى ملأه قمحا وشعيرا: فقلت له : وهل انقضى ما توصلتم به من مَرْس الحكومة الكبير ـ مَـرْس الحاج حمادى ـ ؟ فقال كيفما كان الحال لا بد من مرس هذا الانسان ، فقلت له انه مرسه ، وفيه حبوبه الخاصة له بملكه . فقال : وهل للانسان ان يملك اليوم شيئا خاصا وحده بين المسلمين فى ملك سيدنا السلطان ولد شيخنا وشيخكم الشيخ ماء العينين فسكت عنه ، ثم خرجت فرأيت ادريس فى جانب العرصة . وقد اغلق بابها ، وهو واقف على عمل يعمل أمامه ، وقد أخرج كل من فى العرصة من الاعوان ، فذهبت اليه فاذا به وحده مع عبيد له ، يحفرون حفرة يهيئها لاقبار الاعرابى ، فجعلت استرحمه عليه ، فأقول له بحق الصحبة لا تفتح علينا بابا يعسر سده ، وهو يابى الا ان يقتله فيدفنه فى تلك الحفرة العميقة، حيث لا يكشف احد أمره، فلم أزل به وأنا أترامى على رجليه بعمامتى حتى تنفس غضبه ، فقلت له : أنا أكفيك مئونة هذا الاعرابى الجلف ، فرجعت فوجدت الاعرابى لا يزال ينتظر ، فثرت فى وجهه ، فاقمته من مقعده بيدى بعنف ، ثم عتلته حتى أخرجته من الباب بغلظة . وأنا اسبه سباعظيما، فذهب، ثم ذهبت الى الهيبة فحكيت له ما وقع . فلمته على أفعال هؤلاء الاعراب القبيحة بالناس اجمعين . ثم حكيت له ما فعله الاعرابى بباشا المدينة الذى سبه فى وجهه ، وطلب منه كذا وكذا ، فقال : ان (أَبَّا ولد الحبيب) ـ وهو اسم الذى جاء الينا ـ ما شغله فى ذلك الا امثال محمد بن عبد العزيز ، وقد كان هذا يدور مع عشرين من الاعراب فى المدينة . يامرون ـ فى زعمهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعلن أنه قاضى السلطان ، هذا مع أن اعرابهم اذ ذاك لا يصومون ، فيتجاهرون باكل رمضان ، وبالاختلاف الى ديار الساقطات والناس ينظرون ، قال : ثم نصحت الهيبة ، وقد جالسته يوما ان يخرج الى خارج مراكش بجيشه ، ثم يستدعينا نحن القواد المخزنيين ، فيطلب منا الاعانة للجيش المجاهد ، وأن نقوم نحن بانفسنا وباموالنا للجهاد ثم قلت لهأنا اول من يفتح هذا الباب ، فاذهب بما عندى من المال والسلاح والخيل لأكون قدوة لغيرى ، فقال اننا ارتأينا أن نرسل أولا خليفة فى الطليعة . فأرسل اعرابيا يسمى ولد مصباح . لا يفقه للحرب لا قبيلا ولا دبيرا ، فبعثت معه خليفة لى ، فمشى الجيش حتى رابط فى اربعاء الصخر ، فاذ ذاك زحف اليه الجيش الفرنسى من الشاوية على خفية ، فراى بعض الحذاق من أصحابى ممن كانوا مع خليفتى كلبا من كلاب النصارى سبق الى ذلك المحل ، فذهب الى ولد مصباح ، فقال له : ان هنا كلبا للنصارى ، وهو يدل على ان زحفا من جيش منهم قريب منا ، فلم يصدق ذلك ، قال فاذا بالجيش الفرنسى دهمهم فقتل كثيرون منهم وفر الباقون ، وممن قتل من أصحابى اربعون كلهم شجعان وبينهم الخليفة الذى ارسلته ، واسمه ابراهيم ابن السيد

الدليمي ، ثم خرج بعده مربيه ربه مع القائد حيدة وجنده ، والهشتوكيين ، وكل قواد راس الوادى ، وكان حيدة هو كبير الجيش ، فرابطوا فى فنطرة تانسيفت قال : فارسلني الهيبة مع القائد يرعى ، لنرى كيف الجيش ، فلما رجعنا الفيت الفقيه الشيخ أبا شعيب الدكالى ، فاستدعانى ، فعزانى فى الخليفة ثم قال لى : لا عقل لك ، فانك لا تعرف هذا العصر وقوته ، فمن ذا الذى يقدر أن يقف أمام الجيوش الزاخرة التى ترسلها فرنسة ؟ ثم ذكر انه سيرسل سائمته الى لتسرح عندي ، فانعمت له بذلك ، ثم لقيت الفقيه محمدا أعَبْو يبكى وهو متوجه الى الجيش ، ولا ندرى ما يبكيه أفرح بالشهادة التى يقبل عليها ، أم فرح على الحياة التـى سيفقدها ، فقلت لصاحب لى هكـذا علماؤنا ، اما استعظام لقوة النصارى ، واما بكاء كبكاء النساء ، ثم رجعنا فقلنا للهيبة : اننا راينا الجيش ، فنطلب الله أن ينصره ، ثم تلاقى هذا الجيش فى سيدى أبى عثمان مع الجيش الفرنسى الزاحف ، فاندحر جيش مربيه ربه امامه فى لحظة واحدة ، ثم سبق مربيه ربه الى مراكش كل المنهزمين . كأنما جاء ليكون مبشرا لا منذرا ، قال : كنت اجالس السوسيين كثيرا اذ ذاك. وكان سيدى الحاج الحبيب البوشوارى من أكثرهم اتصالا بنا وأصحابه ، ومولاى أحمد من آل الشريف ، وصالح بن الحسين ، واحمد الافقيرى ، وكلهم هشتوكيون . أتلاقى معهم عند الباشا ادريس منو ، لانهم يفطرون عنده دائما، والشهر شهر رمضان ، قال أعطيت يوما لسيدى الحاج الحبيب (لويزات) من ذهب فابى أن يقبلها منى ، مع اننىماأعطيتها له الا لاننى اراه بين السوسيين عالما حسنا ، كسيدى الطاهر الافرانى ، وسيدى الطاهر الهشتوكى ، وهؤلاء كثيرا ما يدخلون على الهيبة .

قال : كان القائد مبارك عنتو الايوبى البعمرانى ابن عم الحاج على البعمرانى المتقدم الذكر ذهب يوما بكل البعمرانيين الى الاكلاوى ، وهم : سيدى أحمد نطَّالب وامثاله من الاعيان ، فتعشوا عنده ، وتذاكروا معه ، فالان لهم القول، وقال لهم أنا اخوكم ومسلم مثلكم ، فى كلام آخر ، فلما ارادوا أن يخرجوا أعطى لكل واحد منهم صلة خاصة من المال،فلما أخبر المتوكى بذلك ، ارسل الى مولاى احمد من آل الشريف الهشتوكى ، قال وكنت ساعتئذ مارا بدار المتوكى . فدخلت عنده ، فطلبت منه حليبا لنشربه انا ويرعى ، فقال لمحمد ابن عبد الرحمن ، اذهب مع بنا الناجم الى ذلك المحل ، فسبقنى الى رياض كما كان اشتراه . ففرشه فراشا جديدا ، فلما رجعت من الرياض قـال لى : ان البعمرانيين تعشوا امس عند الاكلاوى . وقد فرشت ذلك المحل لاضيف فيه بذوى الهشتوكيين ، وقد ارسلت الى مولاى أحمد لياتى معهم ، ثم لم ننشب ان جاء كل اعيان الهشتوكيين ، منهم الفقيه أعَبْو ، وأحمد الافقيرى،وصالح ابن الحسين . واحمد الايدااكثرانى فنزلوا هناك ، ثم قال لى المتوكى : فماذا

ظهر لك من هؤلاء الاعراب ، فانهم كفأوا علينا الاناء حتى لم تبق فيه ثمالة ـ هذه عبارته ـ فقلت له ماذا اقول ، فقد خاب فيهم الظن حقا ؟ فظهر انهم انما كان غالب دين معهم خطافين . قال : ثم كان وصول مربيه ربه من الهزيمة قبل سحر يوم ، فأرسل الينا الهيبة أنا ويرعى وأنفلوس والكلولى ـ والكيلتولى هذا ما وصل الا منذ يومين فقط ـ فوجدنا مربيه ربه منحنيا أمامه، فقال ان الخليفة جاء بلا باس والحمدلله. ونريد منكم ان تخرجوا لتلاقوا هذا الجيش الزاحف الى مراكش، فقال أنفلوس بشرط ان تستدعى الينا المتوكى والمدنى والتهامى، فأنا اذبحهم بيدى هاتين تقربا الى الله بذبحهم ، فالتفت اليه الكلولى . فقال له : ما تقول ؟ ما تقول ؟ ما تقول ؟ ـ استنكارا لما يقول ، فقال له أنفلوس والله ما فضحنا ولا فضح هؤلاء ولا كل المسلمين غيرك . فان هؤلاء السادة كانوا فيما يعرفونه من اذكارهم ومن علمهم ، ومن ارشادهم للناس ، فلم تزل بهم حتى أثرتهم وشغلتهم بما لا يعرفون له قبيلا ولا دبيرا ، فهل رأيت الآ عاقبة رأيك المنافقون ؟ فها انتذا تأخرت عنهم بعد ان استثرتهم ، ثم لم تجىء الا أمس ، ثم انك والله لتهربن غدا ، فتفرقنا على لا شىء ، فخرجنا أنا ويرعى ، فذهبنا الى ادريس منو . والليل لا يزال فتسحرنا ، وخرجت من عنده بقرطاس احتجت اليه لبندقياتى . فذهبت أنا وأصحابى الى دار المتوكى ، فوجدت عنده القائد العيادى . والفقيه التكرورى السباعى ، وقد كان التهامى الاكلاوى حاضرا ، فانخنس عنا لما رآنا داخلين ، فقام التكرورى وطلب من يرعى ان يذهب معه ، فاعتذر له . فخرجت مع يرعى ، فتفرقنا كل الى داره ، فصرت أتهيأ بالقرطاس للدفاع عن مراكش المهددة بالعدو ، ثم وصلنى رسول يرعى يستحثنى ان أصله فى الحين ، فذهبت فوجدت عنده كل الفقهاء السباعيين ، فقلت ما تريد ، فقال ان الحاجبين باعوا كل ما يثقل عليهم من فضل الزاد من السمن والسميد ، وسيخرجون الى بلادهم الآن ، فلنخرج نحن كذلك ، فصرت أندد عليه وأخاصمه ، فقلت فيما قلت : انك أنت الذى تبث أمس القريب الدعاية للاعراب بالكذب ، تقول ان المدفع عندهم ينسبح ، وأن الرصاص يبرد أمامهم ، الى أمثال ذلك مما كنت تزرف به علينا يومذاك ، والآن تريد أن تفر ، فافعل بنفسك ما تشاء ، وأما أنا فوالله لا أخرج معك، فذهبت الى حال سبيلى ، ثم مررت بمجلوب كان يجلس فى محل خاص به أمام زنقة من زنقات (المواسين) ـ ويسمى مالكا النتاف ـ فالقيت اليه ثلاثة قروش . فصار يقول بكل ما فى فيه من قوة : الله يحفظك ، الله يحفظك ، الله يحفظك ، فصادفت رجلا بعمرانيا يسمى جامع بن موسى الايوبى،فأمسك فخذى امساكة غريبة ، حتى أثرت فى فخذى أصابعه ، ثم مر ولم يقل شيئا، وقد كان يختلف الى التهامى الاكلاوى ، ثم لاقيت القائد مباركا عنو البعمرانى فقال لى : انك لا تزال تدور هنا ، والناس يتربصون بك ليقتلوك . ففهمت

حينئذ دعني ما فعله بفخذي جامع البعمراني.من انها اشارة خاصة لمثل ذلك .
ثم جاء الى اخصاصي نهب الاكلاويون لباسه.ودمغوا رأسه . وذهبوا بسلاحه،
ثم أرسل الى العربى خبثان ، فذهبت اليه ، فوجدته قد هيا للرحيل . وقد
حمل على بغاله متاعه ، فقال : عندى الخبر بأنكم ستخرجون الى الجهاد . فاريد
أن لا تخرج حتى أخرج معك ، ثم اثنى الحاكى عليه اسلامه وحبه للخير -
ثم أمرته أن يرجع البغال الى محلها ، ثم حكيت له الواقع من انني حيران في
أمري ، وأن الناس في هرج،فلم يكد يرجع ببغاله الى الاروى حتى وجد أصحاب
الاكلاوى ، طاروا باحدى بغاله ، فذهبت الى داره ، فأتى صبى صغير ، كنت
اعرفه قبل من جهة التهامى (يتجسس على) فقال ان الاكلاوى ضربه ونزع
منه سلاحه ، فأمرت أصحابى فاعطوه السلاح والقرطاس . - فعلت به ذلك
لعلنا نستميله - فذهب وأخبر الاكلاوى ، بأن أصحابى مسلحون موجودون ،
ثم بدأ الاسفار فى الافق . فاذا بالقائد صالح جاء الى ، فقال ماذا تصنع ؟
فقلت له : ان كثيرين من أصحابى فى الجيش الذى ذهب ليدافع ، وفى الحين
سمعنا طلقة مدفع من الجهة التى ياتى منها الجند الفرنسي ، فقال اسمعت
المدفع ؟ فقلت نعم ، فقال اذهب بنا لنرى هذا الاعرابى الذى قلب أوضاعنا بما
فعله بنا ، فركبت على بغلتى ، وركب صاحبى على فرسى ، ومعى اربعة جنود
فقط ، واذا القائد صالح فليس معه الا رجل واحد ، ثم لما وصلنا قرب درب
(زمران) رأيت رجلا ينزع عمامته ثم يردها فى الحين ، ولم يقل لنا شيئا،
فلما سامتنا الدرب اذا بحركات الزناد ووضع القرطاس فى البنادق فوقعت
فرقعة عظيمة ، فثرت فقلت بكل ما فى صوتى من قوة : ان هذا محل السبعة
الرجال فان اردتم الحرب،فاخرجوا بنا الى خارج المدينة ، فقبض الله أيديهم،
ولو ردونا لهلكنا كلنا فى الحين ، ثم ذهبنا قدما حتى وصلنا رياض الحاج
عبلا بن بيهي ، فخرج منه مولاى المصطفى الذى كان قاضيا . فقال ما هذا ؟
فقلت له لا أدرى ، ثم لاقيت القائد كابئا ، فقال انني كنت أريد أن أذهب
الى دار المخزن ، فلم اجد منفذا اليها ، فان الطلقات تتتابع، يضرب الاكلاويون
الاعراب ، ثم ملنا من جهة ثلاثة فحول حتى مررنا بدار المتوكى ، فرأينا خيله
واقفة عند صومعة الكتبية ، فذهبنا الى الخيل فرأيناها مهيأة تنتظر خروج
القائد ، فوجدنا القائد يرعى مع صاحب له قد وقفا ، ثم خرج المتوكى ،
فقال لى أركب على فرسك ، فكرر لى ذلك ، قال وأنا اذ ذاك لا أزال جاهلا
لما وصله الحال ثم أسر الى بأن الاعرابى صاحب البطائن - كلمة سب - قد
هرب ، فاستدعيت القائد صالحا ، فقلت له : ان صندوقك الذى هو امانة
عندى ، هو فى يد الوصيفة مسعودة فى دارى ، وولدى الصغير محمد ابو
نوس لا تلحقه يد ، قال ان ولدى هذا سميته فى وجدة على كنية سيدى
يحيا ابى يونس ، وقد ولد لى هناك ، فوصلنا انا وخيل المتوكى الى (باب

الرب) فوجدنا هناك الاكلاويين تمكنوا فى الباب وفى البرج فوقه ، فخرجنا حتى وصلنا (صهريج البقر) فاذا بالتهامى الذى كان قد تبع الهيبة قد رجع عنه ، فتوجه حتى دخل (باب ايغلى) فلمح القائد عبد الملك المتوكى ،فارسل اليه أن يتبعه الى دار المخزن ، فتكررت الرسل اليه ، فقال له احد اصحابه ايطلبك الباشا الاكلاوى لتشريفك وانت تتاخر عنه ، فقال له انما تاخرت خوف تلويث سمعتى ، ثم قال له : اذهب وقل لمولاى على أن يعطى مائة فارس للقائد يرعى والقائد الناجم ، قال الحاكى وسبب هذا ان القائد يرعى كان قال للمتوكى : ان هؤلاء الاعراب الذين غدرونا، لو اعطيتنى انا والناجم مائتى فارس لاعتقلناهم لكم ، فان خيلنا معا قد ذهبت الى سيدى أبى عثمان ، ولم ترجع بعد الينا ، ثم ذكر الحاكى أن ما قاله يرعى انما هو حيلة منـه أيضـا تعمية لحاله على المتوكى ، قال فذهبت أنا ويرعى مع ذلك الرسـول ، فلمـا وصلنا امام قبة الامام السهيلى ، اذا بكثير من السوسيين الذين تخلفوا فى سيدى أبى عثمان ، وهم جم كثير ، فقال صاحب المتوكى ابدأوا بهؤلاء ، فقلت له : لا والله ، فان هؤلاء اخواننا السوسيون ، وانما غرضكم فى الاعراب الذين تقولون انهم يعتدون على الناس،قال : فوجدت فيهم الباقيةمن أصحابىومن بغالى وخيلى ، وقد هلك كثير من اصحابى وخيلى فى معركة سيدى أبى عثمان ، فامرتهم أن يتبعوا الحاحيين الذين سلكوا طريقهم متجمعين ، وليس عليهم حرب ولا يتبعهم أحد ، فذهبوا وراءهم ، ثم قال لى يرعى : ماذا ننتظر نحن ، افلا نزال نتعلق بأصحاب الاوساخ السوسيين هؤلاء ، ثم أمر صاحب المتوكى الذى معه الخيانة من المتوكيين الذين معه : أن يرموا اولئك السوسيين المساكين ، فبدأوا يضربونهم بالرصاص فاخذتنى الحمية ، فكنت احدهم ، وقد دخلتفى غمارهم فأحارب اصحاب المتوكى معهم . فكنا نصاب كثيرا.وكثيرا ما يضرب مترادفون على جمل أو بغل فتنتظم رصاصة واحدة كل المترادفين ، فصرت احثهم على أن يسرعوا وأن يتقدموا الى الامام ، ثم ان القائد يرعى ذهب فـى اصحابه حتى ابتعد عنا . فوقف فارسل الى عبده لاذهب اليه ، فقلت له : سلم على القائد يرعى وقل له : وداعا الآن ، فان طالت الحياة فسنلتقى ، وان متنا فمسامحة بينى وبينك . ثم صرت أنـادى أيهـا الهشتوكيـون ، أيهـا الهواريون ، ايها البعمرانيون : زيدوا امامى فأنا وراءكم ، فالتفت الى رجل هشتوكى اكثرانى ، يسمى شيرتا فقال : أنرمى نحن ايضا بدورنا هؤلاء، فقلت له لا،ولكن خففوا عن بهائمكم هذه الاثقال ان كان لكم غرض فى البهائم، والا فأنتم عارفون أن لا مطمع لكم فى البهائم بعد . فصاروا يلقون الاثقال عنها حتى اذا وصلنا القائد يرعى قال : ابعد عنا لوجه الله البارود ، فانك بمن تجمع حواليك من هؤلاء هكذا،سيقصدنا كل ذى بندقية ممن يقصدون اهلاكنا، فلم اجبه ثم زدت مع الناس ، وقد بقى حولى من اصحابى الباقين نحو عشرين

من الفرسان . لكنهم اسود الهيجاء . لا يصطلى لهم بنار ، فلما ابتعدنا عن المدينة امرت السوسيين ان يدافعوا عن أنفسهم كل من قاربهم ، وقد تمكنا من نواصي امورنا ، فلما وصلنا ايت يمور ، صار اليموريون يقتلون بحيلة من معنا من اعراب الصحراء ، فان اليموري ياتي بقعب لبن ويعرضه أمام الاعرابي فيهش له الاعرابي ، لان شربه للبن هو لذته الوحيدة المألوفة في حياته ، فاذا أخذ القعب وصار يشرب ، يطلق فيه اليموري بندقيته فيذهب بسلبه وبفرسه ، وقد تعدد ذلك امامنا ، فكنت اصرخ في وجه الاعراب المساكين نهيا لهم عن الاغترار بأي قعب قدم لهم ، ولكن الاعرابي ينسى كل شيء كلما رأى بياض اللبن ، قال : فلما وصلنا (الحصية) في تكنة ، انفطر قلب فرس عندي عزيز ، كنت أتيت به من انكاد ازاء وجدة ، وهو عندي كسكاب ، علق نفيس يعزز ويكرم دائما ، يجاع له العيال ولا يجاع(1) قال: فنزلنا هناك وقد انقطع عنا الطلب ، حتى أكلنا وشربنا عند من معهم بعض زاد وأواني المزاولة من السوسيين ، واما أنا فيدي صفر من كل ما يذاق ، فذهبنا الى : (بوجمادة) في (آل السباع) نقصد دار يرعى وهو معنا يسبقنا بأصحابه حتى وصلنا داره ، فنزلنا فيها ونزل السوسيون حوالي الدار ، وبينما نحن نتهيأ لشرب الاتاي اثر الدخول ، دخل علي انسان ناداني لملاقاة أناس خارج الباب ، فخرجت فوجدت ممن كانوا معنا بعض الشتوكيين، وشذاذ القبائل المتجمعة التي كانت تسير بسيرنا من مراكش ، من البعمرانيين والهواريين والجزوليين ، والازغاريين ، وبين أيديهم خمسة أكباش ، فطلبوا مني أن أتوسط لهم عند القائد يرعى ليرسل معهم من يخفرهم حتى يصلوا دار القائد العربي خبان بالشباظمة ، فقلت لهم ان الامر سهل ، فلا تخافوا فاننا لم نطلق فيكم الايدي امام باب مراكش حين كانت النار ملتظية ، افنجوزتم الآن ونحن في امان ؟ ثم قلت لهم انني هنا غريب مثلكم ولكن سأتكلم عنكم مع رب الدار ، فحكيت له الواقع ، فقال ابلغهم عني أنهم اضيافي في داري، وغدا سيبكرون مع خليفتي الى دار خبّان ، ثم ضيفهم ومانهم هم وبهائمهم ، وهناك جاء فقهاء القبيلة : سيدي العربي الساعدي ، وعبد المعطي وسيدي الضوء ، وابن المدني ، فصاروا يديرون الكلام في الحوادث الواقعة من جراء الهيبة ، قال : كنت فارقت مراكش كيوم ولدتني امي ، ولم أحمل معي أي شيء من داري حتى الكسوة ، فلم املك الا ما علي ، فاعطاني اذ ذاك الفقيه سيدي عبد المعطي رداء حسنا ، فلبسته على جبتي ، قال : هذا ما قدر الله علي ، فقد خرجت منسلا خاوي الوفضة ، وتركت ورائي كل شيء ، فلم

(1) كسكاب كحذام : فرس لعربي قال فيه يخاطب بعض الملوك ساومه فيه:

(أبيت اللعن) ان سكاب علق نفيس لا تعار ولا تباع

مفداة مكرمة علينا تجاع لها العيال ولا تجاع

أحمل معي ولو درهما واحدا الا ثلاث ريالات . ولا متاعا ولو قليلا . ولا فراشا ولا ما تضم عليه الاصابع ، مع ان دياري المتعددة التي تصل 12 طافحة بكل شيء ، فعمد اليها الاكلاوي كما هي ، فاسترط الجميع . ولله ما اعطى وله ما اخذ ، فان كان سليمان الفاسي ذهب بمتاعي في فاس من دار واحدة ، فان الاكلاوي ذهب بمتاعي من اثنتي عشرة دارا من مراكش (ثم قال ها انذا اثر الاستقلال قد رجعت ، فاين دياري يا عهد الاستقلال ؟) قال فبقيت هناك في دار القائد يرعى خمسة ايام ، ثم انتقلنا الى داره الاخرى في سيدي المختار فنزلت عنده فيها اياما ايضا ، وهناك وصلني القائد مبارك الذي كان الاعراب سلبوه امام مربيه ربه ، وقد جاء اليهم مع جنده ، فارسلته الى عيسى بن عمر ، وهو في داره البعيدة ، كما أرسل يرعى صاحبا له ايضا اليه ، نامره ان ينظر في قضيتنا ، هل يمكن جبرها لنعرف ما نحن فيه أو لا ، ثم آنست فرسانا يختلفون الى القائد يرعى ، أربعة أو خمسة ، ارى ذلك كل يوم ، ولا اعرف ما يروج ، ففي يوم قلت له : ما هذا الذي أرى من مجيء الفرسان وايابهم ؟ فقد يؤتى لي أن الامر يدور حولي ، فان كان الامر صحيحا كما ظننت ، فلا عليك ، فوجهني لتنجو انت والشريفات اللاتي في دارك ، فقال حقا انك كمجنون يخبره الجن بالواقع ، ثم انكشف الحال انه كانت الرسائل والاجوبة حقا تدور حولي ، فقد كان الاكلاويون يطلبون منه ان يسلمني لهم ، ثم يكون له هو الامان ، فيتمنع من ذلك دفعا للمعرة التي تلحقه في اخفار الذمة في اضيافه ،ثم كتب اليه الفقيه التكروري رسالة يقول له فيها : انك يا يرعى لست من صميم السباعيين الاصليين ، وانما أجدادك قيون لسيدي المختار ثم اندغم فيهم آباؤك الاخيرون . ثم انك ان غدرت في ضيفك يوشك ان يفضحك الله في أهلك فضيحة عظيمة ثم انني - ان فعلت ما يكاتبك به بعض الناس ، فغدرت ضيفك ـ سأبين للناس أجمعين ما هو أصلك ونسبك ، قال : ثم أراني يرعى احدى الرسائل التي جاءته في ذلك من اجلي ، وقد سمعت منها بين ما سمعت بعض ما ذكرته ، قال : ثم مرّ بنا ، وانا هناك (مرون) الالماني التاجر من السويرة الى مراكش فأعطاني مالا لمعرفة كانت بيني وبينه ، ثم رجع من ارسلناهم الى عيسى بن عمر ، فاخبرونا بأن المتوكي سياتينا انا ويرعى ليعتقلنا فان كان عندنا مهرب فلنبادر اليه قبل وروده ، واذ ذاك غيرنا انظارنا ، وعزمنا على مغادرة الحوز الى سوس ، فبمجرد ما وصلنا هؤلاء الرسل قبل غروب الشمس صرنا ندبر امرنا بسرعة ، فسرب يرعى ماله الناض وما غلا من متاعه الى احد أصحابه الذين يستأمنهم ، وارسلت انا العيال الذين كانوا وصلوني وشيكا الى زاوية سيدي عبد الله بن حفيظ بالشياظمة ، ولم تصل العشاء حتى صار السباعيون يظهرون العداء لقائدهم ، حتى انهم خطفوا من باب داره بهائم له . فركبت

في أصحابي ، وركب في أصحابه . فلما ابتعدنا عن داره ليلا ، وقف وقال : ربما ضللنا عن الطريق ، فوقفنا مليا نتأمل فقلت له : قفوا أنتم هنا حتى ارجع ، فسأذهب الى دارك متتبعا للطريق ، ثم ارجع فيها لارى هل نحن سائرون في الطريق المعتادة ؟ فذهبت فرجعت ، فلما وصلت المكان الذى تركتهم فيه لم اجد هناك أحدا لا اصحابي ولا يرعى واصحابه ، فسرت أنا وصاحبان لي ، فلما زدنا ما شاء الله مررنا بقرية تنبح كلابها علينا ، وقدنام الناس ، وابهارّ الليل ، فنادينا وراء الديار ، فخرج الينا رجل فاتانا بقعب لبن ، ثم سالته عن الطريق السويرية ، فرددت اليه الاناء بعد شربي فمددت معه شيئا من دراهم فطلبت منه أن يذهب معنا حتى يرينا الطريق ، فذهب معنا حتى وقعنا عليها ، فسرنا في المحجة فسرنا قدما ، حتى وصلنا قدام دار القائد سعيد الشياظمي ، فمررنا حتى وصلنا (تفتّاشت) فلم نشعر حتى سقط العبد الذى معي عن فرسه في جعفر ماء (1) ، فاجتهدنا حتى استخرجنا الفرس من قعر الجعفر ، فجلسنا لنستريح ، وقد ودعنا صاحبنا ، فلما طلع النهار صلينا الصبح تحت الاسفار ، فاذا بثلاث طرق فاخترنا الوسط من بينها ، وقد أضر بي البرد كثيرا، لان لباسي رقيق ، فصرت اسعل وخفت أن امرض ، ولكنني تجلدت مع ما احس به ، وقد حرصت على أن نتنكر فوصيت اصحابي ان لا يكلموا أحدا زيادة على رد السلام عليه ان سلم ، فزدنا وقد عرفنا اننا في طريق السويرة ، ثم تلاقينا مع سبعةاعوان لبعض القواد فكدنا ندهش من ملاقاتهم ، لاننا تحت ضباب الخوف يؤتى الينا أنه ربما يتعرض لنا أحد ، ولكن هؤلاء مروا من غير أن يتكلموا معنا ، فلما وصلنا (ثلاثاء الحنشان)وجدنا انسانا قال لنا : انكم اصحاب الناصرى الذى مر بنا في اصحابه ، فوصفهم لنا ، فعرفنا انهم القائد يرعى ومن معه ، فقلت له نعم ـ وقد عرفت أن يرعى جعل نفسه مرابطا ناصريا لان الناصريين اذ ذاك هم الذين يسافرون على تلك الهيأة يعمي بذلك عن نفسه ـ ثم قال انه يأمركم ان تتبعوا طريق اربعاء (داو كنرض) فزدنا نحن في تلك الطريق السويرية احتياطا ، ولم نتبع طريق الاربعاء التى سلكها يرعى ، لاننا سنلتقي في (تمانار) ، ثم لاقينا قافلة ، فلما مرت سمعت قائلا فيها يقول ان هذا هو القائد الناجم ، ثم رجع الى ، فناداني فلبيته ، فقال اريد أن اتكلم معك على حدة ، فتنحيت معه ، فقال ان لك عندى امانة من عند محمد الامين ولد الزاوية . فقلت له ما نوعها ، فقال سلهام من ملف أسود ، وعشرة ارطال من أتاى ، ولفافة كتان من نوع (حياتي) الرقيق فأخذت منه السلهام ولفافة الكتان ، وامرته أن يدفع الاتاى للسيد الشافعي من أبناء سيدى المختار السباعي الذى سيمر به عند قبة سيدى المختار . وكان السيد الشافعي

(1) الجعفر : النهر الصغير .

حبيبى ، فاكرمته بذلك لوجه الله . ثم نزلنا لنستريح من كثرة اللغب ، فنام اصحابى لكثرة اعيائهم ، فبت أنا حارسا الى أن استيقظوا ، ثم سرنا الى ان وصلنا قرية فنزلنا عند رجل معروف بالكرم قصدناه لذلك ، بعد ما سالنا عن كريم يقصد فى القرية ، فضيفنا خير ضيافة ، وقد ذبح لنا كبشا ، وعلف بهائمنا ، فسمرت معه بعد نوم أصحابى ، فسألنى عن اسمى ، فقلبت له اسمى احتياطا - والتنكر واجب على كل من كان فى مثل موقفنا - ثم سألته عن العربى الفويرى الذى كان صاحبا للقائد عبد الرحمن الكِلتولى ، وقد كنت عرفته مع القائد سعيد ، فقال : انه مر هنا مبكرا ، ثم طلبت منه بعد أن نهضنا من عنده أن يسبقنا ليهدينا الطريق ، فسرنا حتى بتنا فى مشهد سيدى (أبى زكرى) فوجدنا القائد يرعى وأصحابه كما خرجوا من هناك ، ولا تزال النار مشتعلة فى الاثافى التى طبخوا فيها ، وفى الغد سرنا امامنا فوجدنا أثرهم أيضا فى (تيسنغارين) ثم سرنا حتى أطللنا على (تمَانار) ، حيث دار القائد عبد الرحمن ، وقد كان القائد يرعى سبقنا اليها،وقد جلس حين اقبلنا على القرية . هو والقائد يرعى فى العلية المشرفة العالية على الباب ، وهما يطلان من النافذة المقابلة للطريق فرايا سوادنا ، فتناول القائد عبد الرحمن المرآة المقربة ، فعرفنى بما نعتنى به القائد يرعى ، ثم تلقيانى فى الباب ، ثم اخذ بيدى القائد عبد الرحمن اجلالا واحتراما وحسن تضييف، وقد كان يرعى قال له : ان القائد الناجم قد غدر ، فرجع عنى ، ولكنه لما جئت كذبه الواقع ، ثم رحب بنا رب المثوى ، واكرمنا فى تلك الليلة اكراما زائدا ، وقد اجتمع علينا الكبار من الحاضرين هناك ، فسمعت الجميع يلومون الاعراب ، وينعتونهم بكل وصف قبيح ، خصوصا الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى ، وفقهاء آخرين،حتى أكثروا وتجاوزوا الحد ، ثم لما ذهبوا ليناموا قال لى يرعى ماذا نصنع بعد عند هؤلاء الذين يسبون الاعراب الذين نقصد الالتجاء اليهم ؟ أما نخاف نحن أيضا بدورنا منهم ؟ فقلت له : ان هؤلاء انا اعرفهم وعجمت طباعهم ، لا يغدرون اضيافهم ، وانما جعلونا كانفسهم ، فقالوا امامنا ما قالوا ، ولكن يجب عليك أنت أن تسد فاك ، ثم لا ترى منهم الا خيرا ، قال وعند الصبح جاء القائد فصلى معنا الصبح عند الفجر ، ثم هيأ لنا الحمام ، فأتانا بالفطور التام ، ثم طلبت منه أن يودعنا فاننا مسرعون ، لندرك الهيبة والذين تجمعوا عنده فى تارودانت لنقودهم الى ما فيه منفعة المسلمين قبل أن يتفرقوا . فما جئنا الا للجهاد لا للحفلات ، ثم افعمت اذنيه بالشكر على حسن ضيافته ، فاذ ذاك طاب نفسا بوداعنا ، ثم أخرج الينا كسوتين تامتين ، وأعطانى أنا بغلة وجوالقا وحملا ، وكل ما يحتاج اليه من الربط ، فقال : ان عندى لخبرا بأنك خرجت من دارك من مراكش بلا شيء، ثم قال : هل وصلت اليك امانة من الدراهم . فقلت له نعم ، وقد كان أرسل

الى حقا تلك الدراهم ، فغدر فيها الرسول ، فلم ارد ان أقول له لم تصلني ، لئلا يظن انني اقصد أن يعطيني ثانيا ، ولذلك أجبته بأنها وصلتني ،والحقيقة انني لم أرها ولم تصلني ، ثم بتنا في عين (افرا) عند ابن عدى صهر القائد عبد الرحمن ، فهناك حكى لنا رب مثوانا انه كان حج في رفقة مع التهامي الاكلاوى،قال فقمت له بكل مؤونة يتوقف عليها ثم سلفته زيادة على ذلك خمسمائة ريال،ثم لم يردها الى الى الآن،ثم التقينا بخليفة القائد عبدالرحمن أخيه: الحاج الحسن الكيلتولي في وادى (ايت امر) وقد ركب على حلس بغلة تتدلى رجلاه على جنبيها وهو سمين يرفض عرقا تحت حمارة القيظ ، وقد كان خليفة لاخوانه على أكادير سنين متعددة . ثم طرده الاعراب اليوم من أكادير ، فصار يلومنا على ذهابنا الى أولئك الاعراب الخائسين للعهود ، والهاتكين للحرم والذمم ، قال : اننا نحن الذين اقمناهم ومهدنا لهم كل شيء ، واسسنا لقيامهم بالدعاية والمال والسلاح وربط الاسلاك مع كل جهة ، ثم ها نحن أولاء لا نرى منهم خيرا ، فقد دخل على جلف من أجلافهم ، فأخرجني من دارى مرغما ، وها أنذا ارتحل منها كأنني احد المجرمين ، قال ثم ودعناه فسرنا الى الامام . فتسوقنا خميس (تامر اغنت) وقد كان لى هناك معاريف حين كنت أتجر (كما تقدم) ، فقاموا لى بكل ما في طوقهم من الضيافة ، فصاروا يتواردون على بالشواء والتمر والفواكه ، وكل ما يوجد في السوق ، وبعد أن استرحنا ركبنا ، ثم بتنا في فندق ابن عدى في (فونتي) فوصلنا رسل الخليفة الاعرابي المرابط في أكادير ، وهو الذى أخرج منه الخليفة الحاج الحسن الكيلتولي فاعتذرنا بأننا لا نقدر على الطلوع الى أكادير . وقد أعيينا ، ثم جاءتنا مؤونة الضيافة حين لم نذهب اليه ، فيها ستة قوالب من السكر ، والاتاى ، ولحم ؛ ثم في الغد ذهبنا الى (كسيمة) فلما وصلنا مفترق الطرق بين (إنزكان) و (الدشيرة) فقلت لاصحابي انني كنت أعرف آل (انزكان وفيهم نزلت مرارا ، والان عظم شأن آل (الدشيرة) فلا ندرى الى من نذهب ، فلنترك البغال تذهب بنا حيث يطيب لها . فارخينا لها الاعنة . فاذا بها مالت الى (الدشيرة) فتلقانا الرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمن من آل الحاج العربي، فضيفنا خير ضيافة ، ثم أثنى على سيدى محمد بن عبد الرحمن ثناء عطرا ، قال ثم أنه بعث الى الهيبة يعلمه بورودنا ، وقد وجدنا فرحا عظيما يوم ورودنا ، لان الناس يكبرون امثالنا من القواد ويرون لهم شأنا عظيما في ميدان السياسة .

في تارودانت

قال : ثم خرجنا من (الدشيرة) وقد تركنا هناك فرسا لنا أضر به الطريق اضرارا عظيمة . حتى لا يمكن ان نصاحبه الى مقصدنا ، وخلفه لنا سيدى

محمد بن عبد الرحمن بآخر ، جزاه الله خيرا ، فرحنا الى (أولاد تيمة) في (هوارة) عند ولد الحاج محمد ، فاذا هناك شرفاء فلاليون ، فاشتبكوا مع يرعى في امر الملك ، وقد قالوا له : من أين جاءكم الملك ايها الاعراب . فان الملك لنا نحن الفلاليين ، فيجاذبهم يرعى ومن معه الحديث في ذلك امتزج فيه الجد بالمزاح ، وكم جد يصاغ في قالب المزاح . وقد هدأت الحديث لئلا يتشعب ، ، ثم صمدنا الى المدينة ، فتلقانا الاعراب في الوادي الوعر بالبارود والزغاريد والدفوف ، فدخلنا (تارودانت) في زحام الذين تلقونا بهذا الفرح العظيم الذي مسح بعض ما نشعر به من الغربة والبعد عن اموالنا واهالينا، ثم سلمنا على الشيخ الهيبة ، فرحب بنا ترحيبا لا يكيف ، ثم اعطانا رياض القائد ناصر في (تيبنحيرين) فنزلنا فيه عزابا،الى ان ورد على بعض العيال، ومن بينهم أم ولدي التي وضعتها بعد حين في دار الفقيه سيدي محمد اعبو ، ثم ان الهيبة عين يرعى وزيرا ، وعينني انا رئيسا للحروب . ثم اشتغلنا في الحين بمحاربة القائد حيدة ، وقد كان تاخر في مراكش هو والباشا كابا الذي كان قبل باشا تارودانت ، وقد كان يسعى ليسبق الهيبة الى تارودانت، فاذا به قتل في الطريق في قبيلة (اداوزال) فقطع راسه وذهب به الى الهيبة، ونهب كل متاعه وبغاله وخيله ، وقد وجدنا راسه حين وردنا معلقا في (أسارآك) - ساحة في المدينة - واما حيدة فانه اتصل بعدنا في مراكش بعد انهزامه من سيدي ابي عثمان بالفرنسيين ، فاعطوه الكلمة العليا في سوس ، فبمجرد ما رجع صار يزحف الى الهيبة واصحابه ، فنخرج لمدافعته كلما زحف ، وقد كان ياتينا مع القائد العربي الضارضوري ومن اليه والمنابهة ومن اليهم ، فنتقاتل معه أولا حوالى المدينة ما بين (فريجة) والمدينة حتى اذا راى انه لا يجدي قتاله وحده معنا ، حين لم ينل منا مراده ، استغاث بالفرنسيين في مراكش ، فاغيث بالقائد عمر الامناسي الحوزي ، ومعه القائد فارس الحاحي ، وهو من قواد الارحاء - ومعه جند قليل . فلما لم يجده كل ذلك أعاد الاستغاثة ، وتشكى في أن الهيبة ما دام في تارودانت فانه لا يومن أن يعلو شأنه من جديد ، وربما يعلو علوا يحتاج فيه الى جهود أعظم مما يبذل الآن ، فرأى الفرنسيون ان يقطعوا دابر الهيبة ، فاتى الجيش الكبير الذي فيه الحاج التهامي الاكلاوي،والعيادي والكنتافي ، ومعهم عسكر فرنسي، قال : كنت انا وباشا المدينة في هذا العهد : محمد بن حميدان ، وعبد السلام من اولاد ابن عيسى واخوانه نتولى القتال ، ونكافح بكل ما في طاقتنا مكافحة المستميتين ، فنكون دائما في مقدمة المدافعين ، قال فلماجاء هذا الجيش الكبير سار حتى نزل في (تازمورت) يوم اربعاء ، وقد جانب المدينة،فاستولى الفزع على الناس،فهرب عنا ممن معنا الهواريون والهشتوكيون، وقد كان مولاي احمد من آل الشريف الهشتوكي معنا اولا ، ثم كان

عندنا الخبر بانه يتصل بالعدو ، فكنا نهتم بأن نسجنه ، الا ان الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالغي اخبره سرا بما عزمنا عليه ، فهرب (ثم أنه حلف بعد ذلك انه مظلوم ، والله أعلم بحاله (1)) ، وقد كان الهشتوكيون يردون الينا اولا بجيشهم ثم لا يجدون في القتال شيئا ، لانهم سرعان ما يتفرقون ، فيذهبون فرادى بعد ما يأتون جماعة ، وبينما ترى الابواب والازقة تتزاحم بهم ، فاذا (تارودانت) منهم خالية ، وكذلك الهواريون هم ايضا على هذه الحالة ، وهكذا بقيت أنا ومن ذكرت من المهاجرين القليلين . لا يدور القتال الا على كواهلنا ، قال فلما نزل الجيش في(تَازْمُورْتَ) وذاع الفزع في الناس، فتأثر حتى بعض من كانوا يكافحون بجد ، فقل من الناس من يخرج للمقاتلة ، وقد كنت أنا مصابا بجرح في رأسي ، فقد أصابتني رصاصة يوما في محاربة مع حيدة ، فلما لم اجد بدا من الخروج بنفسي خرجت متجلدا مع ابن حميدان ، وأولاد ابن عيسى وأعراب صحراويين ، استنهضتهم وشجعتهم فخرجنا ، فتبعنا قليلون ، فهاجمنا من في معسكر الذين نزلوا حوالينا ، ثم لا نكاد نحمل حملتنا عليهم حتى يجفل من يقابلوننا منهم ، من غير مقاومة ، مما اظهر لنا انهملا يردون مقاومتنا ، لاننا في جانب الاسلام ، وهم في جانب الكفر ، فنسوق من بين ايدينا منهم حتى نصل بهم الى المدافع في وسط معسكرهم حيث القواد الكبار ، فبقينامعهم كذلك الى ما بعد العصر في ذلك النهار ، ثم رجعنا حتى وصلنا مشهد سيدي عمارة في(أولاد ترنة) فأمرت ابن حميدان ان يقف هناك بأعلامه ليحافظ على خط الرجعة ، فذهبت أنا لأنظر ما يصنع الهيبة وما ينويه ، فدخلت المدينة بموتي وجرحي من اصحابنا الذين أصيبوا ، فأمرت بالموتى فدفنوا ، ثم ذهبت الى داري ، فحملت أهلي ومن معي من الجرحى فأخرجتهم في باب الخميس ، وهناك قبة على سيد ، فامرتهم أن يبقوا في القبة الى أن ينزل الظلام ، ثم يذهبون حتى ينزلون على أحمد بن منصور في (ايت بَاها آ'بَاها) صهر القائد الحاج أحمد الكسيمي ، فلما رجعت قال لي الوزير يرعي : لماذا لم تعلمني وقد أخرجت اهلك ، لاخرج كذلك اهلي،فقلت له:لا يزال الحال كما هو،فارسل اهلك الى اهلي الذين في تلك القبة ، ليذهب الجميع في رفقة واحدة ، فارسلهم بدوره ، فلما استرحت من الاهل ، دخلت حينئذ الى الهيبة ، والليلة ليلة الجمعة ، فوجدته يرتعد ؛ ويتساءل ما يصنع ، قال : ولم يكن رحمه الله الا رجل العلم والذكر والهدوء ، لا رجل الحروب والشدائد والمحن ، فاعلن أنه لا يخرج الى صلاة الجمعة غدا قال : وقد كان عنده شبه جند منظم ، فجعلناه تحت يد قائد رحى قديم ، كان بقي هناك من عهد كابا ، وهو رداني منشا ، فجمعنا خمسة آلاف ريال

---

(1) هلك في زلزال أكادير المشهور ، وقد دامت الصحبة بينه وبين الفقيه بعد هذا الوقت مكاتبة .

فوضعناها تحت يد القائد سعيد الامزالي وقد امرنا ذلك القائد ان يجمع من قدر عليهم من الجنود ، وجعلنا نهاريا للجندي : نصف بسيطة - قرشين - وللقائد نفسه ريالا ، فقلنا له : لا مهمة لك انت الا أن تحضر في كل يوم جمعة ، حتى يصلي السلطان مولاي احمد الهيبة صلاة الجمعة بالموسيقى على العادة ، ولم يصل الجند كله ثمانين ، وانما المقصود ذر الرماد في الاعين ، لنجعل لسلطاننا بعض ابهة ، قال : ثم لما ذكر الهيبة أنه لا يصلي غدا الجمعة، قلت له : اذن يدخل اليك هؤلاء الذين في (تازنخورت) حتى ياخذوك كما يوخذ الديك ، فلم أزل أشجعه حتى اسلس القياد ليصلي غدا ، وفي الغد خرج كالعادة ، وبعد الصلاة ذهب يرعى الذي يسمي وزيره الاكبر الى داره،فبقيت أنا والهيبة ، وقد كانت العادة أن لا يدخل الهيبة الى داره بعد صلاة الجمعة حتى يراه من يريده ، وحتى يسلم عليه تلاميذه - على ما كان يعامل به والده الشيخ ماء العينين بين أصحابه التلاميذ- واذ ذاك طلبني انسان،فادخل الى فقال لي اني رسول اليك . وعندي رسائل ، فملت به الى مكان خال ، فاعطاني الرسائل،فقلت له بعد ما اعطيته دراهم : اذهب الى المدينة لتتغدى ، ثم ارجع الى عشية ، فدخلت بالرسائل الى الهيبة ، فأمر من معه ان يخلينا منفردين ، ففتح الرسالة الاولى ، فاذا هي رسالة اليه ، وفيها : ان الحكومة ستترك لك كل سوس لتنفرد به وحدك ، ولك الامان التام ، والثانية رسالتي انا وفيها لومي على خروجي مما كنت فيه ، ثم الامان التام ان رجعت،وسيرجع الى مالي وجميع ما ينسب الى ، ان تبت مما انا فيه ، فقال لي الهيبة ، بماذا نجيب ؟ فقلت له انت المتبوع ، وما أنا الا تابعك ، فالح في أن أعطيه رأيي الخاص ، فقلت له : اعلم أن المقصود تخدير أعصابك حتى يتمكن منك الاعداء كما يريدون ، وأما أنا فلا أجيب لما طلب مني ، وهل مثلي من يغدر المسلمين ؟ لا عشت حيا الى ذلك اليوم . ثم امرنا بكتابة الاجوبةبكلام حسن، مضمنه أن يطلب بارسال الكتاني اليه وهو الذي ظهرت أمانتهيوم مر به الهيبة ، فلم يمد فيه يدا - ياتي أولا حتى أراه ويراني ، وبعد ذلك يكون الخير ، هذا مضمن جوابه ، وأما انا فأجبت بأنني مع هذا السيد المطرود من مراكش ، فمتى رجع أرجع معه ، فليس يليق أن أغدره بعد ما كنت معه ، وهذا مضمن جوابي . فجاء الرسول يتطلب الاجوبة،فماطلته الى وقت المغرب، فاعطيتها له،ثم أخرجته في باب الخميس،ثم قال الهيبة ، ماذا نحن صانعون؟ فقلت له - وقد عزمنا على الخروج من المدينة قبل أن نحاصر فيها - : اول ما نصنع ان نجمع كل اصحابنا المتفرقين فيكون الجميع معنا ، ونتوصل في الليل بمفاتيح الابواب ، ثم نجعل الحراسة على الابواب كلها ، قال: ثم صار الناس يجتمعون كما أمرنا ، ونحن نجمع ما بقي من متاعنا ، ونحض الناس على أن يخففوا وأن يعلموا انهم في وقت حرج،ونحن مع ذلك نشجع الناس.

قال : فلما ابلغ الجواسيس الى الجيش أن فى المدينة حركة غير عادية ، عرفوا أن الهيبة سيفر من أيديهم . فأوعزوا الى حيدة أن يعتقله ، فزحف حيدة، حتى وصل (باب الزركان) ـ أحد أبواب المدينة ـ فقال حيدة لبعض من معه : ان هذا الرجل نحن السوسيين هم الذين اقاموه أمس ، ورفعوا من شأنه ، وأنا فى مقدمة من أيدوه ونصروه ، أفليس من العار أن أعتقله اليوم بنفسى، لاقوده وهو مسلم الى النصارى أعداء الدين ، فان اراد اليوم ان يذهب لحال سبيله ، فانني لا أتعرض له ، وانما مقصودى أن يبتعد عنا ما يتبعه حيث يكون . من الهرج والمرج فقال له أحد أولاد سعيد ، يسمى الضوء ، وهو شيخ أولاد سعيد ، أفيجمل بنا ان نلاقى من أصحابه عركات و صدمات ، ثم نغضى اليوم حتى يفلت هو وأصحابه منا ؟ فلا بد لنا أن نحاربه ، فقال له حيدة : افعل ما بدالك بينك وبينه ، واما انا فبرىء منه ومن جريرته ، قال الحاكى : ثم تحملنا كلنا بمن معنا ، وقد حمل كل واحد ما قدر عليه من متاعه ، فتوجهنا الى (باب الخميس) ـ باب آخر من أبواب المدينة ـ فاذا بمفتاح الباب قد اضاعه من كان فى يده ، فتزاحم الناس وراء الباب متراكمين يموجون ، ثم صار من فى دار البارود يرموننا بالرصاص من سطحها ، وقد كان فيها بعض من يشمتون بنا من بعض سكان المدينة الذين ارادوا أن يتخلوا بمحاربتنا يدا تنفعهم غدا عند النصارى، ومن الى النصارى، من اولئك القواد الكبار، قال: فهمزت فرسى بين زحام الناس حتى وصلت الباب ، فقلت للواقفين ازائى : من عنده منكم ما نكسر به القفل؟ ولم ارد أن أطلق الرصاص على القفل لئلا أصيب احدا مصادفة ، فاذا ببعض أصحاب القائد سعيد الكردوس أتانى بقدوم ، فكسرت بها القفل ، ففتحنا مصراعا واحدا احتياطا ، لئلا يهاجمنا أصحاب حيدة فتزاحم الاعراب فى الخروج ، فسقطت صبية بين المتزاحمين فوطئتهم الخيل بحوافرها فأتت عليهم ، وكل من أثقله شيء فهنالك ألقاه ، قال فمن هناك افترقنا أنا ويرعى مع الهيبة ، وقد صار الضوء المذكور يرمينا بالرصاص ، وقد تعرض لنا لما فارقنا السور ، فندافعه عن أنفسنا ، قال : ولو أراد حيدة ان لا ننجو لصعبت نجاتنا من بين يديه ، لان معه جيشا كثيرا يسد به الطريق دوننا ، ثم توجه الهيبة الى جهة (تاماعيت) وقد حاذى جهة الجبل منذ خروجه من المدينة ، وقد أسرى اليها فوصلها بكرة ، ثم من هناك الى (ايت عميرة) حيث أخوه الشيخ الوالى الذى كان خليفة له على هشتوكة منذ اول بيعته ، وقد كان هناك مع كثيرين من الاعراب ، وهو وان تسمى خليفة لم يعد أن يكون رمزا فقط ، فلا تصرف له فى الهشتوكيين ، قال : وأما نحن : أنا ويرعى فقد سلكنا طريق (النخيلة) و (الكفيفات) فقبل أن

يسفر النهار ونحن في مشينا حمحم فرسي ، فعرف حمحمته رجل هشتوكي وهو احمد بن عبد الله العيسى ، وهو من أصحابي المخلصين كان معنا في تارودانت ، وله عندنا شفوف على الرؤساء من هشتوكة ، فحين سمع الحمحمة قال لمن معه : ان هذه حمحمة فرس الناجم ، فاندلق من المحل الذي صادفناه فيه ، فجاء الى بأصحابه ، فذهبنا في رفقة واحدة ، ثم أصبحنا عند القائد ولد عياد الهواري الكفايفي ، فأفطرنا عنده باستعجال ، فاقلعنا ومقصدنا (ا داو منحمد) بهشتوكة ، فوصلنا المدرسة ، فلم نجد الفقيه سيدي محمد أعبو فيها ، فافطرنا عند احد أصحابه وجدناه هناك ، فاذا بالفقيه جاء حين وصله الخبر بورودنا ، فرحب بنا كالعادة بالضيوف،فصرنا نتداول ما نصنع، فصار يقول : كثيرا ما أقول للناس : ان هؤلاء الاعراب لا يفيدون شيئا ، وانما يجرون الينا البلاء بامارتهم ، فأطلق في ذلك لسانه ما شاء الله ، قال : كان السوسيون يظنون جهلا منهم ان النصارى ما كانوا ليصلوهم بسرعة لولا ما فعله الهيبة ، وهذا تفكير عقلية ساذجة ، ولهذا تجد كثيرين كالفقيه أعبو هذا يقول في ذلك ما يقول اما عن حسن نية،واما عن خبث طوية ، ثم قال لنا الفقيه : ماذا عسى ان أصنع لكم الآن ، الا أنه ظهر لي ان أرسلكم الى محل فيه تلميذ لي هو في الجبل في (ازاريف) وهو سيدي محمد الاكرضي الحامدي، تبقون هناك في أمان ، حتى أتم لكم الامر مع الدولة ، فترجعون الى دياركم ، يقول ذلك لظنه أننا نريد أن نستسلم للنصارى بهذه السرعة ، فسايرته فيما يقول ، وقد ظهر لي منه أنه ليس كما كنت أظنه ، قال : ثم وصل الخبر الى الهيبة اننا في (ا داو منحمد) فارسل الينا برسالة ، وهو نازل عند أخيه الشيخ الوالي ، فلم نجد بدا من اجابته في الحين ، فأخذنا بخاطر الفقيه مستأذنين له ، لاننا في ضيافته ، وقلنا له لا بد ان نذهب الى مولاي أحمد الهيبة،فان لم يكن الا أن نودعه فذلك هو الواجب على امثالنا مع أمثاله ـ كلمة سايرته أيضا بها ـ ثم ذهبت الى الزوجة التي كنت ارسلتها اليه ـ كما تقدم ـ فرأيتها في دارهي وولدي الصغير وقد كان أحد الجرحى من اقاربها قد مات قريبا ، فعزيتها فيه ، ثم ذهبت بالولد : فقصدنا موضع الهيبة في (ايت عميرة) فبتنا هناك معه ليلة واحدة ، وفي يوم الاحد قمنا نحن جميعا معه من هناك الى أن نزلنا في منزلنا الثاني بسوس .

في أسارسيف

قال : كان يتداول على السنة الناس قبل اليوم في سوس أنه لا بد أن يكون لقرية (أسارسيف) شأن في يوم ما ، ولما كان للشيخ الهيبة اذن تصيخ لمثل هذا ، كان ذلك هو الحادي له حتى نزل هناك ، والمكان فيه آبار كثيرة ، ولاباس بجوه ، والقرية في قبيلة (ايت ميلك) احدى قبائل هشتوكة نزل الهيبة في دار هناك ساذجة ، كالحالة في كل دور هذه النواحي .

رحنا عشية يوم الاحد ، فظللنا هناك يوم الاثنين ، وفي يوم الثلاثاء يتسوق السوق في (ايتعيسى) فدخلت الى الهيبة ، فقلت له انني سأتسوق السوق اليوم لنتصل بالرؤساء الهشتوكيين بادىء ذي بدء ، كما تقتضيه السياسة وكما توجبه عادة البلاد ، وقد كنت أنتظر ان يشاركني في هذه الفكرة ، فيخرج من جيبه ما نفتح به قلوب اولئك الرؤساء ولكن ذلك لم يتيسر ، فاعتمدت على ما عندي ، وقد نويت ما نويت :

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده   أضاع وقاسى امره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا   به الامر الا وهو للقصد مبصر

كنت عند الشيخ أحمد بن عبد الله في داره ، وهي ازاء السوق حتى تغدينا ـ وقد كان عفريتا ـ فقد خالف القائد سعيدا الكيلتولي ثم حاربه فاخلى داره ، ثم رجع اليها ، وذلك منذ خمسة عشر عاما ـ فخرجنا الى السوق معا فتلاقينا مع تاجر يهودي ، كنا نبتاع معه في (تارودانت) يسمى مُوشِي اَزَولاي. وكان حاذقا نبيها يداخل الرؤساء دائما كيفما كانوا ، فلما دخل الحاج التهامي الاكلاوي الى تارودانت يوم خروجنا منها لاقاه هذا التاجر . فحكى له انه كان يتصرف معي ويقضي لى أغراضي ، وانه لا يريد ان تنالني الغربة هكذا اتقلب في البلاد شريدا مطرودا ، فكان ذلك هو السبب حتى اعطاه الاكلاوي رسالة الى،فمكنني منها يدا بيد لوهويبكى بكاء الاسرائليين المعروف ، فاذا فيهاحثي على الرجوع الى مركزي ، وان لى الامان التام فطويتها ثم وضعت يدي فتناولت من جيبي لويزات ذهبية كنت خبأتها اثر ما دخلت يدي بعد خروجي من مراكش لحوادث الزمان، فأعطيتها للتاجر ، فصرفها لى في السوق عند الصرافين ، ثم اجبت الاكلاوي بكلام حسن مداره على انني سأرى كيف اصنع بحيلة ، حتى افارق هؤلاء الذين أنا من بينهم الآن ، فانني ان لم أخرج بالحيلة ، لا أخرج من بينهم سالما ، فذهب بالجواب ، ثم اشتريت على يد الشيخ احمد بن عبد الله كبشا مسلوخا ، فارسلته الى الشيخ أحمد بن على البلفاعي مع خمسة عشر قالب سكر،ومثل ذلك للشيخ موحا الافقيرى،ومثل ذلك للشيخ موحا ابو السلام الملكي ، ومثل ذلك للشيخ بيهي بن سعيد ، وهو ابن عم أحمد بن عبد الله صاحبي هذا ، ومثل ذلك للشيخ همو أمنصور ، رئيس (إدَاوْبنوزيا) فعلت كل ذلك ايناسا واستجلابا للقلوب الينا ، وفي العشية صار كل واحد من هؤلاء يطلب مني أن أبيت عنده ، فأعتذر له ، ثم قلت لهم جميعا : المقصود أن تجتمعوا غدا عند مولاى أحمد الهيبة ، فبت انا عند صاحبي احمد بن عبد الله ، ثم اشتريت اللحم الكثير ، فأرسلته الى الهيبة ، وأعلمته أن الرؤساء الهشتوكيين سيردون عليه غدا ، فاطبخوا الطواجن ،و اما الخبز فسآتي به معي من هنا ، فقام الشيخ أحمد بن عبد الله على ساق يهيىء لى من عنده الخبز المطلوب ، فاشتغل أهله وكل جيرانه الليل

كله ، ثم اتاني بقدر سمن وبقدر عسل ، فوضعنا القدرين والخبز في جوالق على البغال ، فذهبنا وصلنا الى الهيبة ، وقد اجتمع حوله الرؤساء ، فأكلوا وشربوا ، وقد اظهرنا لهم الفرح الكثير ، واثنينا عليهم واطمعناهم في كل ما يريدونه ، والمقصود هو ما نريده نحن ، والعرب تقول (الايناس قبل الابساس) ثم قال لي الهيبة : ماذا أقول لهؤلاء الآن ؟ فقلت تقول لهم : اننا أمس كنا جميعا في (تزنيت) ثم في (مراكش) ثم في (تارودانت) ثم ها نحن أولاء اليوم ها هنا . فأريد منكم ان تصرحوا لي بما في قلوبكم فان كان لي الامان في بلادكم بقيت ، وان لم يكن أمان أذهب بسلام قبل ان لا تروا مني وان لا أرى منكم ما يسوء اي جانب ، فلما قال لهم ذلك ، نادوا بلسان واحد : انك آمن كل الامان ، فانت سيدنا وبركتنا وامامنا ، ونحن جميعا لا نمشي الا تحت رايتك التي هي راية الاسلام اليوم في جميع نواحي المغرب ثم تقول : فالآن تجتمعون انتم واخوانكم عندي هنا غدا،فدار ذلك كله على ما قرر ، فجاء الجميع في الغد ، وكان اليوم موسم (قبيلة علال) يوم الخميس ، فقال لهم : اذهبوا مع الناجم ، واظهروا ما تقولونه الآن عندي بين الناس كلهم ، قال فذهبنا كلنا الى الموسم ، فاذا باصحاب القائد محمد بن حمو الاغبالي الماسي هناك ، قد ذبحوا في مشهد السيد الذي يقام عليه الموسم ، وبمجرد ما دخلنا ونحن في موكب كبير ، خرجوا منسحبين وقد استاءوا من موكبنا ، وهذا القائد كان مزور الجناب عن الهيبة من اول يوم .

قال وقد كان الفقيه محمد اعبو سافر في هذه الايام الى (تارودانت) ليتصل بمن فيها ، ولم يذهب معه احد من الرؤساء الكبار من القبيلة ومقصوده معلوم لا يخفيه ، فصار الناس كلهم يذكرونه بسوء وصاروا يقولون : ان مقصوده أن يقود ذلك الجيش من تارودانت الى هشتوكة ليخرجنا منها ، وقد كان معه بعض رؤساء صغار هشتوكيين ، وهم همو من آل سعيد من (ايت يعزى)، واحمد بن أحمد الاكرانى ، وصالح بن الحسين المحمدى ، وبوهوش من (ادبوالفرا) من أيت (باها أو بتاها) الرملية ، وغيرهم ممن ينسجون على ذلك المنوال ، فلما وصلوا (تارودانت) تطلب الفقيه اعبو عن لسانهم ما جاءوا بسببه أمام الباشا الاكلاوى ومن معه من الكنتافي والعيادى، فاستدعى هؤلاء حيدة ، فقالوا له : اننا ما جئنا الا تلبية لرسائلك التي تستغيث بها ، اذ تقول : لا اريد الا أن يخرج الهيبة من تارودانت ، فها نحن أولاء جئنا حتى اخرجناه عنك ، وهؤلاء الهشتوكيون اسمع ما يطلبون ، فبينك وبينهم ، لاننا سنرجع الى بلادنا ، قال ثم لبى حيدة فزحف الى هشتوكة ، فتوجه الينا وقد ترك الاكلاوى ومن معه في تارودانت قبل أن يسافروا الى مراكش . فكان معه اعبو ومن معه حتى نزل في (الكرون) قال (رجع) ثم لما خرجنا من الموسم

نزلنا على قبيلة (ايت يعزى) فبيتونا واهدوا الى الهيبة ، ثم الى قبيلة (اِدَاكْثَرَان) كذلك ، وفي اليوم الثالث ، نزلنا على قبيلة (اِدَاوَمْتحَنَد) كذلك ، فاذا بالفقيه أعبو ومن معه سمعوا اجتماع كلمة الهشتوكيين معنا ، فعرف هو ومن معه أن مركزهم منهار،فتملصوا من جيش حيدة ليغيثوا ديارهم وقد خافوا عليها منا ، لانهم سمعوا بما لم يتركوه من اجتماع الكلمة بين الهشتوكيين ، قال : ثم أن الفقيه اعبو أقدم فجاء الى معسكرنا من غير خجل ولا خوف ، فعند صلاة المغرب تقدم أمامنا للصلاة ، فابى الناس أن يصلوا وراءه ، وقد وسموه بانه نصراني ، فلم يصل معه الا أنا والشيخ احمد بن عبد الله مسايرة له لما بيننا وبينه ، طمعا أن يهديه الله ، فيرجع عما يصنعه ضد اخوانه المسلمين ، فاراد من حضر أن يقتلوه فى الحين . فطلبت منهم ان يروا فيه وجهي ، فان أولادى لا يزالون بين أولاده ، وفي الغد اعطيته فرسا ذهب بهالى أن أهداه للهيبة ، فعلت كل ذلك معه من اجل المعرفة بيننا ، ومن أجل ما أحسن الى به حين آوى أولادى (وهل جزاء الاحسان الا الاحسان) لعل أمره يصلح ، ثم بتنا في (ايت باها أوبَاهَا) فبيتونا أيضا كالعادة وذهبوا بالمؤونة الى الهيبة ، وبالهدية كما فعلته كل القبائل المتقدمة ، ثم لما انقضى الدور رجعت الى (أَسَارْسِيف) فاذا بالقائد عبد السلام الجرارى الوارد من داره في (تَالْعِينتْ) جاء فبات في دار ولد احمد الافقيرى ، وفي الصباح بكر الى (أسارسيف) فاهدى للهيبة ، فصار من حضر يقولون، ماذا يريد هذا الانسان ؟ ثم أنه قال للهيبة : انني ذاهب الى تارودانت ، وانما مررت بكم أولا لاستئذانك ، فثار الناس ضده ، الا أن الهيبة أذن له في الذهاب على ما علم منه من الملاطفة ، وعدم مجابهة احد ، ثم خرج من (اسارسيف) الى ان وصل دار مولود في (تِينْتَافُوكْتْ) فقام كل من حضر في (أسارسيف) من الهشتوكيين والاعراب يتطلبون أن يرجع عن (تارودانت) ، وقد قالوا كيف يمر بنا ليتصل باعداء الاسلام وأعدائنا من غير حياء ، قال وقد كنت انا غائبا عن مجالسهم في ذلك النهار وأمسه ، فلم اعرف عنه شيئا ، حتى بعث الى الهيبة حين ردوه اليهم ، فوجدته نازلا في فسطاط أمام المحل الذى فيه الهيبة ، فلما أتيت ومررت امام الفسطاط ناداني احد عبيده اليه ، فدخلت فوجدته في الفسطاط مع اصحابه ، فقال : يا فلان : احتى انت خرجت من محلك شريدا ، وأتى بك هذا الانسان ؟ ـ يعني الهيبة ـ فقلت له : ماذا نصنع لكم ، فانتم كلكم السبب ، فقد كنا في ديارنا بمراكش ، حتى جئتم الينا ، فاتبعناكم ، فان كان هناك لوم : فانتم أولى باللوم لا نحن ، ثم جرتنا الاقدار حتى وصلنا دياركم ، ثم حكى لي ما وقع له ذهابا وايابا . قائلا ان سبب سفرى هو طلب الشيخ النعمة في ان اتوسط بنفسي بين هذه الجيوش لعل هؤلاء الكلاب الذين في تارودانت ،

ان اظهرنا لهم سياسة الخضوع فنهدى لهم هناك ان يرجعوا قبل ان يصلوا الينا ، فنكفى مؤونتهم . ثم جئت الان ومررت بهذا السيد لاستئذانه ، فأذن لى أولا . فان لم يعجبه الآن ذهابى رجعت الى دارى ، قال : فدخلت على الهيبة فوجدت عنده اعرابا ومعهم يرعى ، فقلت لهم ماذا تريدون منى حين بعثتم الى ؟ فذكروا لى امر الجرارى . فقلت لهم انه قال لى كيت وكيت ، ثم استدعوه . فدخل اليهم . فذكروا له : ان الهشتوكيين لا يريدون أن تمر ببلادهم الى الاعداء فى تارودانت ، فقال سمعا وطاعة ، فها أنذا أرجع فى احين ادراجى ، فارسل الى أصحابه الذين تركهم فى المحل المذكور ، وفيهم عبيد صغار هياهم هدايا الى الاكلاوى وأمثاله ، فتهيأ مع اربعة من اصحابه فخرج من الدار ، فاذا بى اسمع طلقات رصاص ، فخرجت بسرعة ، فاذا بالجرارى مضروبا ، وقد سقط يتشحط بدمه على الارض ، فحوقلت ، وقلت : اللهم ان هذا ظلم عظيم ؛ وغدر وخيانة ، ثم بادر الاعراب فتناهبوا سلبه امام عينى ، حتى عروه من كل شيء ، فتركوه كما ولدته امه ، قال فغطيته بثوب فوقفت عليه بنفسى حتى دفناه رحمه الله . فقد كان رجلا طيبا حسن المقصد، ولو كان فيه غش ، لما مر بنا وصارحنا بكل ما يريد ، قال وقد صح عندنا ان قتله لم يشارك فى المؤامرة عليه لا الهيبة ولا أصحابه ، الا الاعرابيان اللذان اطلقا فيه ، والذى أمر بقتله هو الشيخ سيدى أحمد ، من أبناء عمومة الهيبة ، وهو الذى كان خليفة للهيبة على (أكادير) وقد ضربه صاحبان لهذا الخليفة ، برصاصتين ، فكذلك ذهب دمه هدرا فهرب بعض من معه ، وجرح بعضهم ، وقد وصل الخبر الى عياد عشية اليوم ، وعنده الشيخ الدُّيه وبعض اخوته ، من آل الشيخ ماء العينين ، فأخرجهم عياد فى الحين : خوف أن يفتك بهم الجراريون الذين ربما لا يملكون انفسهم وقد قتل اخوهم ظلما ، وقد كان لعياد مودة مشهورة مع اعراب الصحراء .

قائد هشتوكة

قال : ثم اننى نزلت عند مشهد (سيدى بيبى) ومعى جيش من بعض الاعراب والهشتوكيين مع رؤسائهم . وقد نزل التنانيون الى (كسيمة) فوصلنا (اينزكان) فخرج سعيد بن عياد من أعيان هذه الاسرة الرئيسية، وكان اذ ذاك كبيرها . فذبح أمامنا ناقة ، هذا وقد هرب محمد بن الحاج الحسن الذى صار بعد هذا اليوم جبارا عنيدا فتاكا ، (وهو الذى فتك بعمه سعيد المذكور يوم تولى) وقد كان يوم اطلت البوارج الفرنسية على سوس اثر احتلال الهيبة لـ(تارودانت) ذهب الى (السويرة) أولا ، ثم جاء بعد الاتفاق مع الفرنسيين فى بارجة وقفت به فى مقابلة (اكادير) فصارت البارجة تضرب ذلك الساحل ، ولاسيما القرى الكبرى (كالدشيرة) قال:ثم اقترح

الساليون ان يهدم دار ال (انزتان) نكايه بمحمد ابن الحاج المذكور ، لما وصلهم عنه من انه يهيئ حمله فرنسية يغير بها على (ا نادين) وما اليه من القبائل التي تجاوره ، تعارضتهم في هدم الدار ، ثم غلبوني ، ولكن اقتصروا على بروج الدار ، ثم ذهبت من (ايزنان) الى (الدشيرة) عند سيدي محمد ابن عبد الرحمن لاراه ، فاذا بالقنابر تسقط على (انزكان) ايضا من البارحه، والمقصود اصابه جيشنا المرابط هناك الذي يهدم الدار ، فانهزم كل من في الجيش ، فبقينا نحن في (الدشيرة) الى العشية ، فرجعت الى (سيدي بيبي) فصرت ابني ما يكفيني من بعض بيوت في المدرسه ، ثم صرت قائدا على هشتوكة ، بحيث استنهضهم للدفاع .

في أبي يكرا

ثم نزلت في مركز (أبي يكرا) فاشتريت من ابن عدي الحرطاني ما بنيت فيه تلك الدار هناك ، بتلك الابراج ، قال : فتمكنت في الهشتوكيين غاية التمكن ، واحسنوا الطاعة للهيبة ولنا جميعا ، واذ ذاك صرت احارب جهة هوارة ، فسمع البعمرانيون بما انا فيه من الجهاد، فقاموا كلهم والصحراويون فزحفوا الى (اكلو) والى تل قبائل (ازغار) فاحتلوها وقد دخل معهم غيرهم من القبائل بالاختصاص تحت راية القائد المدني ،ومجاط، فذهبوا حتى نزلوا عند عبد الله بن بلقاسم بماسة ، فصاروا يتكلمون مع القائد محمد الاغبالويي ، فكان أصحاب القائد البشير من اصنويا ، والقائد سعيد ، والحسن الخلفي ، والقائد المدني يذهبون اليه سرا ، باذن قوادهم ، فكان القواد الثلاثة الاولون لا يريدون الا الاموال على عكس المدني ، ثم استدعى الاغبالويي القواد اليه فذهب اليه الثلاثة الاولون ، قيل فسمهم في ماكولهم، فمات البشير والحسن قريبا ، وبقي القائد سعيد في عقابيل ذلك يتداوى بالعنبر ، فلما رأى البعمرانيون ما فيه رؤساؤهم من موالاة أمثال الاغبالويي، قالوا : كل من اراد الجهاد ، فليذهب معنا الى القائد الناجم ، قال : فجاءوا الي بمائة وخمسين فارسا ، فوجدوني في (أبي يكرا) حيث بقينا ما شاء الله، ثم بعثت البعمرانيين الى (ايت بو الطيب) ، ثم غدروهم ، فهاجموا الدار التي كانوا فيها ، ثم انتقلوا الى (ايت بكنو) الذين غدروا أيضا ، فذهبت لاغيثهم ، ومعي اعراب صحراويون ، فنزلت عند الرئيس عليلي الابكنويي ، وهو قاتل الشيخ على الدرقاوي الديلمي ، ففتكت بايت بكنو اذ قطعت منهم ستة عشر رأسا ، فكان ممن انهزم ماسيتون جاءوا ليغيثوا هؤلاء الغادرين ، فجاء الى احمد بن الحاج الاينشتادني ، وبريك من آل الطيفور البعزاوي اللص ، فطلبا أن أفرج عن الماسيين المحاصرين في دار بعد انهزامهم : فاذا بهم انجوهم بعد ما فارقوني على أن ياتوا بخيلهم وسلاحهم، فجاء الى الشيخ الحسين العميري ، فأعلمني بأن اولئك قد ذهبوا ناجين ، فرجعت وقد انجيت

البعمرانيين فذهبت بهم الى (ابى يكرا) قال : ثم تصدينا لحيدة الذى كان قبل نازلا فى (الكرزون) من (اولاد دحنو) قليلا ، ثم رجع فأرسل جندا من جنوده حتى وصل (ازرو) فذهبنا اليهم فاجليناهم من هناك ، ثم ذهبنا نحن مع الهشتوكيين ، نهزم الهواريين فى كل حرب ، حتى نزلنا فى (أكافاى) قرب (تارودانت) فصرنا نحارب جيش حيدة وهو فى (تارودانت) .

وممن كان معنا اذ ذاك بين رؤساء هشتوكة : مولاى أحمد من آل الشريف، فصار على عادته يتشيطن بين الهشتوكيين ، فينفتلون عنا ، فقام الرؤساء بتغريم كل من تاخر عن الجيش من القبيلة ، ولكن شيطنته اثرت حتى تفرق غالب الناس عنا ، قال : ثم جاء مربيه ربه يقدم جيشا صحراويا حتى وصل اخاه الهيبة ، فاستاذنه أن يقود هؤلاء الاعراب الى الاغبالويى الماسى الذى لا يزال معرضا عن الهيبة وبيعته ، من أول يوم الى الآن،فطاوعه الهيبة ، ولكنه سرعان ما اندحروا أمام الماسيين،وقد كان لاحمد البلفاعى صحبةمع الاغبالويى، فغاظه الحال لما فعله مربيه ربه بصاحبه الماسى ، فكان ذلك هو السبب حتى غادر معسكرنا ، فالتحق بداره ، كما فعله غالب الرؤساء الهشتوكيين ، فصار الهيبة يكتب الى يسترجعنى عن مقاومة حيدة فقلت له : ما هذه السياسة ؟ فاننا الآن قد جعجعنا حيدة حتى انحجر فى (تارودانت) وحتى صار بسد الابواب نهارا خوفا منا ، فكيف نرجع عنه بعد ما لاحت مطالع النصر لنا عليه ، وثانيا كيف فتح باب حروب اخرى فى (ماسة) فهل عندنا قوة تكفى للحرب في وجهتين ؛ بل حتى الذين معى هنا قد ولوا الادبار بسبب ما وقع فى ماسة ، ومقصودى أحمد البلفاعى ، ثم الح على بالرجوع فامتنعت؛ وقد نصبت أولاد ابن عيسى فى (الزيدانية) وعبد السلام ابن الشداخ المسكتيني فى (الطائعة) وأنا فى (أكافاى) وفى كل يوم يستدعينى الهيبة فازداد امتناعا ، ثم كتب الهيبة الى سيدى الحاج عبد يطلبمنه ان يكتب الى لارجع من هناك فورا ، فكتب الى ، فرجعت حينئذعلى رغم أنفي،نصاعا لامر هذا الفقيه الصالح ، فتركت أصحابى وجيشى فى (أكافاى) فرحت الى (تيدسي) ثم الى (ادا و منتو) ثم الى (امجكيكلن)فطلعت الى الجبل فى (أيت وانياض) عند الفقيه سيدى الحاج عبد ، فحكيت له الواقع من التضييق على حيدة ، وما نحن فيه من السياسة الخرقاء ، وها أنذا جئت ، فماذا يريدون منى بعد أن اديت ما على من الواجب ، فصبرنى وما زال بى حتى سل غضبى ، فأسلست للامر الواقع ، ومتى كان الامر والنهى فى يد غير من يحارب ، فقلما يجنى ثمرة أعماله ؟

ثم ذهبت مع فرسان من ايت (تيرسنت) محمد كروش،ومن (ادا و منتو) الحسين أوباشا ، ومن (اكنوتكا) فنزلنا الى (ادا و محمد) فرحنا هناك فجاء الينا الفقيه اعبو الذى يابى ان يتوب مما هو فيه ، فصار يخاصم اولئك

الهشتوكيين الذين وردوا الى ، فيقول لهم : ماذا تريدون ؟فقالوا : اننا نريد اتينا لنجاهد فى سبيل الله . فقال أليس عندكم مساجد ، ففيها فجاهدوا، وفي العشى عقدنا المجمع فى (اغريسنن) فرأيت بعض اناس تأثروا بما قال الفقيه مما يفسخ العزائم ، ويبرد همم المجاهدين ، ثم آنست الناس ثبات كل جماعة على حدة ، فقال لى انسان من أصحابى : اننا معشر الهشتوكيين متى رأيتنا نتفرق بعد انفصام الاجتماع الكبير ، ثبات ثبات ، فذلك هو علامةالغدر، وقد كان ابن عم لاعبو يمشي معه جلس الى ، فصرت أعطيه ليفرق في الناس الدراهم ، فيظن أننى أبله ، ومقصودى تخدير الاعصاب بالعطاء لئلا يتم علينا ما عسى أن يوتمر به حوالينا ، ثم ناديت من جاءوا معى فذاكرتهم فى الحالة كيف نصنع معها ، وقد أحسست بما أحسست من مؤامرة رأس خيطها في يد الفقيه أعبو ، ففوضوا لى الامر ، فلما انقضى ما عندى من ريالات الفضة ، صرت أفرق أيضا على يد ابن عم أعبو المذكور لويزات الذهب فسمعته يقول : سنحت الفرصة لصيد الحوت لو وجدت الشباك « هذه عبارته » وعند المغرب ، وقد تمشت حيلتي بالنباله لمن يتآمرون علي ، ركبت فى اولئك الفرسان ، فرحت الى (مشهد سيدى) « يدر » في (مدرسة ايت عمرو) فتركت هناك من معى . فاسريت ليلا الى (أسارسيف) ، فذكرت للهيبة أن ما فعله معى غير لائق،فلت له : لو تركتنيمع حيدة لاخرجته من (تارودانت) التى أصبح منحجرا فيها ، وقد زارنا عليه زئير الاسود ، ولو أرسلت الى جيش الاعراب الذى أرسلته الى ماسة لقوى به جانبى ، فاستفيد به كثيرا ، فصار يعتذر بيرعي ، وأنه هو السبب فى كل ما وقع ، ثم قال : ها هو ذا ابن دحان المتمكن فى (تزنيت) سيتوجه بمن معه الينا . وهو يتهيأ بجيشه ليزحف ، ثم لا يقف حتى يصل (أسارسيف) ، وقد أتى بمدفع مخزنى كان من قديم فى (أكلميم) وما عسى يجدى يرعى ولا امثال يرعى ان دهمنا من نواح شتى بالاعداء الذين يتجمعون علينا ، ولذلك ارسلنا اليك انت ، ثم قلت له : بحسب يرعى أن يسمى وزيرك ومجالسك ، وأما الحرب فلها رجالها وسياستها ، فقال الهيبة : ما أرسلت اليك الا من أجل ما نتوقعه من اشتداد وطأة ابن دحان ، وليس معنا من يستطيع موافقته ، فقلت : ومع ذلك أجميل بنا ان نخلى ما حوالى (تارودانت) الآن ، ونحن هنا آخذون بالناصية ، اقول ذلك تأففا وان لم أجد بدا من الانصياع ، وأخيرا وقع الاتفاق على أن نسحبمن تلك الواجهة عن حيدة مرغمين ، فأرسلت الى أولاد ابن عيسى والى ابن الشداخ ، والى من تركتهم فى (اكفاى) فجاء الجميعوهمعلى مضض، وقد كان هذا الانسحاب من الرأى المافون كما ظهر أخيرا من رجوع قوة حيدة علينا ، وقد ملات ـ احتياطا ـ دار ادريس بمشاة كانوا معى ، ثم انقلب الرؤساء الهشتوكيون كلهم ضدنا: أحمد بن علىالبلفاعى،وموحاالافقيرى،ومولاى

أحمد الشريفي وقبائلهم ثم صار مدفع ابن دحان يضرب تلك الدار ، ولكن لم يجد شيئا ، قال فانهزمنا امام جيشهم مغلوبين لميل كفة ابن دحان بجميع الهشتوكيين ، فاتبعني رجل اسمه شميرو المسفيوى ، كان مربى عندى قبل اليوم ، ثم فارقته بمراكش بعد وقعة (سيدى أبى عثمان) ثم صاحب ابن دحان الى (تزنيت) فالتقيت معه في ذلك اليوم ، فأراد أن يفتك بى ليحوز الفخر بين أصحابه ، فراوغته وهو يقصدني عمدا ، فناديته مرارا أن يتولى عني ، ثم قتل احد رجالنا ، فرجعت اليه فأطلقت عليه رصاصة اصابته في وجهه ، فقعد أحمد بن على البلفاعى هو وأحمد الافقيرى مع ابن دحان تحت أشجار ، فصاروا يضربونني ، واخال أنهم لا يهدفونني ، والا لما اخطأوني ، لقربهم مني؛ولكوني حيث يصيبونني لو أرادوا اصابتي ، ثم رجعنا الى محلنا في (سيدى يدر) ثم ارسلت من أخرج من كانوا في دار ادريس من المشاة ، ثم رجعت مع (بيهى) نبوسعيد شيخ (ايت عمرو) ومحمد بن بوسلام: شيخ (ايت ميلك) وهمنو امنصوض،وهم لا يزالون معنا من بين الرؤساء الهشتوكيين ، فذهبت الى الهيبة ، فحكيت له ما وقع لنا من الانحدار في الحرب ، ثم قلت له : : انهم سيدخلون فادع معهم . واشكرهم وودعهم ، واطلب منهم أن يصبحوا غدا مع اخوانهم ، وأنا أعلم أنهم لا يرجعون .

في تيمكر

قال : ثم امرت الهيبة أن يقوم لنغادر (أسارسيف) فقد التقت علينا فيه حلقتا البطان ، وذهب عنا كل الهشتوكيين ، فاهب هو ومن معه كالوزير يرعي وقائد المنسور سعيد بن أحمد الكردوسي ، واما أولاد ابن عيسى فانهم ذهبوا الى (ايت مزال) منذ أتوا من هوارة ، وأما عبد السلام بن الشداخ فقد ذهب الى قبيلة (داسكنينة)، فخرجنا من (أسارسيف) في سواد كثير من الصحراويين ، فتوجهنا الى (مدرسة) سيدى عبد الله بن ابراهيم الودريمى من (ادازن) ، فاصابنا مطر كثير ذلك النهار في الطريق ، فمررنا بدار صاحبنا المخلص ، الشيخ احمد بن عبد الله ، فأرسلت اليه ، فخرج الينا وقد كان هناك بعض أصحابى مع بعضهم خيل وبغل ، كنت ودعتهم صباح اليوم ليذهبوا عني الى حال سبيلهم ، لان حالهم لا يعجبني ، فقلت (بيدى لا بيد عمرو) فاذا بهم راحوا الى دار الشيخ احمد ، فاخبرت بأن الاعراب ينوون أن يفتكوا بهم . ويذهبوا بما معهم ، فأرسلت اليهم حتى جاءوني ، فخاصمتهم على أن لم يذهبوا ليرجعوا الى أهليهم ، فاعتذروا . فأمرتهم بأن يبتعدوا في الحين قبل أن يدهمهم الاعراب ، ثم قلت للشيخ أحمد بن عبد الله : أن الهيبة قد غادر (أسارسيف) وقد رحلنا كلنا . فان أردت أن تمكث وراءنا فلك ما تريد ، وان أردت الذهاب معنا فها أنذا اقف حتى تخرج أولادك وما خف

من متاعك ، فقال : كيف أبقى بعدكم وقد عاديت كثيرين من أجلكم ، فذهب معنا ، فنزلنا في (ادازن) فكان الهيبة في دار أخلاها له المرابطون ، ونحن في (المدرسة) ثم جاءنا سيد يسمى سيدى محمد بن عبد الله اللبنى الرجل الشهير ، المرجو لكل خير ، فأتانا بتين يابس،وهندية يابسة : ولوز وزبيب فوجدنا بركة ما اتانا به ، فصرنا نتقوت به اياما ، وليس معنا سواه،ونحن نعتقد في هذا السيد كل صلاح . وهو حقيقة رجل صالح كما أظهرته لنا الايام بعد ، وجاءنا أيضا سيدى الحاج عبد فأتانا ببقرة مسلوخة وبشعير ، وبخبز وادام ، وكل ما قدر عليه . فكان ذلك مؤونتنا فبات مع الهيبة الى أن ابهار الليل ، فأعلمه ان هذا المكان ليس له بمستقر فذكر له (نيمكتر) فذلك هو السبب حتى انتقل الهيبة اليها ، وهو قرية ذات ماء كثير جار ، وهي في وسط الجبال ، ويشتغل اهل تلك الناحية بالدباغة ، قال : ثم بقيت أنا في (ادازن) بعد الهيبة ، فكاد البق يهلكنا في المدرسة ، فاكتريت دارا من عند الحسين من آل (بارى) وهي دار كبيرة فيها ابراج ، من الديار التي تحصن للدفاع ، وأما عيالى فانهم عند سيدى الحاج عبد ارسلتهم معه .

ثم صار الهشتوكيون يغيرون على اهل (ايكونك) وعلى أهل (تير سنت) فيذهبون بما نمتهم ، فاتى رئيسهم : أبو بكر بن جدى الى الهيبة ، فاشتكى عليه ما يلاقونه من الهشتوكيين ، فأرسل الى لانزل معهذا الرئيس لادافع عنه وعن أهله اولئك المغيرين ، فقلت للرئيس : ائتنى في الغد لاذهب معك ، فذهبت في اصحابى معه ، فنزلت في قرية (تاوريرت وياها) ثم صرت أزحف الى الهشتوتيين بالسرايا ، ففرقتهم جماعات ، فجعلت لكل فرقة من حملة القدوم رئيسا . ومنهم عبد من عبيدى العفاريت ، فصرت ابعثهم الى ديار المنتصرين - أى الذين يميلون الى حكومتهم ، وهم الذين يسمون في الاندلس (المدجنين) - فتقف هذه الجماعة والناس نيام أمام احدى الدور ، فيضرب القفل بالقدوم فينكسر ، ثم ندهم الدار بالرصاص ، فيساق كل ما فيها ، فيرفع أحد المداهمين للدار الضوء من أعلاها ليراه المراقبون من رجال السرايا، فيقبلون وينقضون على كل من تسول له نفسه ان يغيث اهل الدار ، كل ذلك بنظام واحكام ، ثم يبكر الفرسان تحت امارة عبد السلام التاغنماوى الحاحى ، فينقضون أيضا على السائمة التى تخرج الى المرعى ، وهكذا ضيقنا على الهشتوكيين ليلا ونهارا ، حتى فتحنا أرض الهشتوكيين ايضا واحتللناها مراغمة ، ونزلت في أبى يكرا ، فصرت أفرض الاعشار والمغارم وكل ما اريد على افخاذ القبيلة ، واسرب من ذلك الى الهيبة ومن معه ، وقد عرفت أنهم لا ينصحون الا بالضغط ، فكنت أعركهم عمدا ، وما قصدى الا أن اجعلهم عبرة لما يصيب من يغدرون . فقد غدرونا أمس القريب ، فيجب أن يروا مغبة الغدر ، وقد كنت الاطف من رجع اليهم من الرؤساء ، فافتح لهم الباب ايضا

في اخوانهم . هكذا حالي معهم ما شاء الله . وهذا هو شغلنا معهم في هذه الفترة ، حتى لاقوا منا عرق القربة . فاستغاثوا بحيدة ايضا . فزحف الى ارض هشتوكة ، قال فصرنا نحاربه محاربة جديدة في المحلين المسميين : (امي مقورن) و (امي مزين) في قبيلة (ايكونكا) فتعددت المحاربات، وكان أعواني وأصحابي من الفرسان الاخصاء الذين على مؤنتي الخاصة يصلون الى ستين ، وأما المشاة الذين تكون منهم الجيش ، فمن القبائل ، من المزاليين والواليا ضيين ، والوادريميين ، ومن اليهم . فقام اذ ذاك البعمرانيون والصحراويون ، فزحفوا أيضا الى (اكلو) والى قبائل (ازغار) وذلك يوم عزل ابن دحان ، فخلفه القائد عبد الرحمن الحاحي ، المسمى : حاد يمان ، وكان مستضعفا ، وليس في مسلاح ابن دحان ولا في صرامته العسكرية ، فجاء من طريق (أكادير) الى (كسيمة) عند القائد ولد الحاج الحسن ، وقد ورد علي نحو مائة اعرابي على نياقهم جاءوا للجهاد ، فبعثهم الى الهيبة ، فصرت أتعاون معهم ، ثم نزلنا على هشتوكة ، وقد كنت اعتقلت اخا مولاي أحمد من آل الشريف قبل اليوم ، فكان ذلك هو السبب حتى خرج مولاي أحمد عن الطاعة ، (هذا ، وقد سألته عمن قتل الفقيه محمد أعبو) فقال :

ان سبب قتله هو أنه كان هو السبب في ورود حيدة - كما تقدم ذكره - الى هشتوكة لكونه اتصل به أولا ، ثم صار يكاتبه في كل مناسبة ويستقدمه قال وقد كنت دافعت عن قتله ما شاء الله ، ولكن الهشتوكيين يحرقون عليه الارم دائما ، لاسيما رؤساءهم ، لكونه يجاذبهم الحبال في رياستهم ، ويتعالى عليهم قال : وكان الذى تولى قتله : هم اعواني من غير اذني وحينا - قال: انني لا استحضر هل اذنت لهم او لا ، لان أمر أمثاله اذ ذاك قريب ، لا اتأثم من قتله .

قال : كنت نزلت حينا في (مدرسة سيدى ابى اسحق) في قبيلة (اداكثران)حين فارقت (أبي يكرا) فبقيت هناك ما شاء الله ، ثم الى (تاوريرت اياها) وهي كدية مشرفة ، عليها قرية ، بين (امي مقورن) و (امي مزين) فكم حرب هناك قاسيناها مع حيدة ، ثم ان حيدة صار يتسار مع متشيطن من أهل بلاد (تاواعلات) في (ايلالن) يسمى ابن محمد - فتحا - فأخذ منه مالا ، فاذا به قد اطلع حيدة من (توغاش) فسار حتى جاء وراءنا ، فلما رأيت ما وقع لنا ، أرسلت أمامي شيوخا مسنين معنا عن بغالهم . لينجوا بأنفسهم ثم انهزم من معي،وكان هناك فرسان بعمرانيون ما أتى بهم الى الا الجهاد في سبيل الله ، فانهزموا ، وقد كان معي مشاة هم الباقون معي ، فأطلت على الرايات من جيش حيدة ، فنزلت الى واد مع اولئك المشاة ، فلما تبين لي الفرسان من العدو ، أرسلنا عليهم شؤبوبا من الرصاص، فسقط كثيرون بينهم ثلاثة من رافعي الاعلام، ثم حاذيت الوادى الى ان طلعت

ثنية ، فلم يتملكوا الا ان يضربونا من بعيد ، وقد نجوت منهم، فرجعنا حتى وصلنا (تيمكُرْت) وقد كان الوزير يرعى دخل قبل مجيئي على الهيبة فقال له: ماذا تنتظر بنا ؟ فان الناجم قد اتصل الآن بحيدة ، وقد قيل انه صالحه ، فذهبت ريحه معه ، فهل تنتظر حتى يقودك اليه بحبل من عنقك ؟ فوصلني خبر ما قيل ، وأن الهيبة سيقوض خيامه ، فاتيت بسرعة ، فقلت له ماهذا الرحيل باستعجال ، والعدو بعيد ، لا يصلنا لا اليوم ولا الغد ؟ فالواجب ان نعلن لهذه القبائل بالطلقتين المتصلتين من بندقيتين ،(وهي عادة علامة شر مستطير قد دهم) فاذا بها تجتمع ، ولكن الهيبة ، لم يطب له الا ان ينجو برأس طمرة ولجام ، فبعثت معه كل أصحابي وما عندي من المتاع ، ليزول ما وقع في نفسه من كلام يرعى ، فاستأذنته لارى ما وقع للبعمرانيين المنهزمين ، لاقوم بالواجب نحوهم ، كاصدقاء الشدة والرخاء ، ثم أرسلت الى الشيخ أحمد بن عبد الله العيسوى المتقدم ، فاعلمته بما نحن فيه من الارتحال، ليكون على اهبة للارتحال ، وليكـون على بصيرة من أمـره ليديـره كيف يشاء .
(اقول : أظن أن هذه الاخبار من الحاكي عن حروب هشتوكة فيها تشويش في الترتيب أو وقع فيها ايجاز مخــل) .

في تَمَّاشت بعقيلة

قال : ثم وجدت من أصحابي جرحى ، فتتبعتهم وهم منبطحون هنا وهناك حتى جمعتهم ، فذهبت بهم الى دار الفقيه سيدي الحاج عبد ، حيث بتنا ثلاثة أيام ، فورد علينا الرئيس الشيخ علي بن ابراهيم الواليامي بنفسه،ومعه ثلاث بغال من الشعير ، وهو كريم معروف ـ فليتق الله سائله ـ وقد كان الرئيس محمد بن الحسن من قبيلة علال الهشتوكي جلا عن داره معنا ، فذهب في رفقتنا الآن ، فسافرنا في وقت انهمرت فيه علينا الامطار ، وطفحت تحتنا السيول ، فكنا في مشقة فادحة ، فتعرض لنا رئيس قبيلة (تيوتّازْوِيْ) من (ايت صواب) فطلب منا أن نبيت عنده ، فأبينا لاننا كنا نسمع عنه من سوء العقيدة ما لا يسر ، فاسرينا نخوض في الظلمة والبرد والامطار ، نقع ونقوم في الاوحال ، حتى وصلنا الى (امديون) فنزلنا عند سي أحمد الرئيس هناك ، ووصلناه ليلا ، فأدخلنا وأكرمنا حتى انتعشت قوانا بالطعام والشراب السخينين،وهناك وجدنا بعض عيال الهيبة،وفيهم صبيان صغيران كما ولدا، كان اودع امهاتهما قبل اليوم هناك ، فيرسل اليهم دائما المؤونة ، فأرسلت الى اولئك النساء زوجتي بهدية ، تسكينا لروعتهن ، وطمأنة ، فطلبن أن أذهب بهن معي الى الهيبة ، فاعتذرت بأن لا مركوب عندي احملهن عليه ، ثم وعدتهن بأنني ساحض الهيبة ان يرسل اليهن بمجرد وصولي من يردهن اليه .
وهناك جاء الينا أيضا السيد محمد اللُّبْنِي المتبرك به ، وما جـاء بـه الا

ليتفقدنا ايمانا منه وغيرة ، فصاحبنا بطلب منا ، تيمنا بطلعته الميمونة ، فرآنا اهل (تاكوشنت) الصوابيون ، فنزلوا الينا وهم نحو مائة ، فطلبوا منا ان نبيت عندهم ، فاعتذرنا ، فدعا لهم السيد المذكور : فرحنا الى (نكارف) ثم الى (تاسيلا) من ايت حامد ، ثم الى (أكنى مشغاو) فطلب مني الشيخ أحمد بن عبد الله العيسوى الهشتوكى الذى يسير في رفقتنا ان اذن له ليذهب بعياله الى سيدى محمد الاكرضي الازاريفي ، فاذنت له ، فذهبت أنا قدما حتى نزلت في (تامائشنت) حيث سبقني اليه الهيبة ، فاكتريت دويرة من عند من اسمه أحمد هناك ، فاكتنني انا والعيال ، وبقيت الخيل خارجا . واستقر اصحابي في بيوت السوق ، وقد كنا عرفنا ان السوق تقام هناك يوم الاحد فجاء العلامة الفقيه سيدى عبد العزيز الادوزى الى الهيبة ، فرحب به وواساه . كما جاء أيضا الشيخ أحمد الامازري الرئيس المشهور ، الذى كان كراس الجمهورية الولتيتية في الحروب التى تقدمت بين ولتيتة والحاحيين الذين كان يقدمهم القائد سعيد الكيكولى اولا ، ثم القائد محمد أنفلوس ثانيا ، وقد قال الفقيه للهيبة ، وقد سبق الى الدخول اليه : ان القبيلة ومعها الشيخ احمد سيدخلون اليك الآن ، وسيقدمون اليك هديتهم ، ولا مقصود عندهم الا أن يعلموك أن هذا المكان غير لائق بنزولك،لان أصحابك نزلوا في دكاكين السوق التى يكون فيها التجار يوم السوق ، فلا يمكن ان يقبل التجار ان تنزع منهم دكاكينهم التى منها معاشهم ، فدخلت عليه القبيلة فاهدت هديتها ، ثم قدمت اليه مطلوبها فلباه الهيبة، وان كان لم يلبه بطيب نفسه ، لانه يعد ذلك كانذار من البعقيليين بانهم لا يرحبون به في بلادهم ، ثم خرج الهيبة من المسجد الذى كان احتله بعياله هو وعيال من اليه ، فمر بقبة على صالح هناك ، فدخلها هنيهة ، ثم تناول حصيات فقرأ عليها ما قرأ ، ثم نثرها حواليه في ذلك المكان كانما قرأ عليها أسماء التحصين ، ثم خرج من القبة فسبقه القائد سعيد بن أحمد حتى انزله أخيرا في داره بكردوس ، وقد أثاره ما فعله الشيخ أحمد بضيفه ، فأحس بكرامته مجروحة — وقد كان القائد سعيد هذا من القواد الحسنيين ، ثم صار منذ أن بويع الهيبة قائد المشور عنده منذ لاقاه في (تزنيت) فوفى له الى ان فرق الموت بينهما — قال : فأمرني الهيبة أن أبقى انا هنا في (تامائشنت) صابرا على ضيق المكان ، ثم لم يلبث الهيبة ذلك النهار الا في (إقلالن) ومن هناك الى (كردوس) قال فبقيت هناك ما شاء الله ، أزجي الايام ؛ والبلد قفر وفي اهله كزازة والاريحية مفقودة ، حتى الامان لامثالى قلما يوجد ، ثم سرى الى الخبر بأن رجلا يسمى ابن ابى ميكدى،صهر الشيخ احمد الامازرى، صار يتصل بمن في (تزنيت) ليفتك بى غدرا ، ومعه في ذلك فاتك آخر يسمى موسى الايفشتانى البعقيلى ، وآخرون يسمون : آل أبى مهدى ، صار

هؤلاء فيما يصلني يتداولون بينهم ما يتداولون سرا ، وقد دخل فيهم اخو زوجة احمد الذى أكرى لى دار سكناى،وهكذا صارت الافاعى تتطاول اعناقها من كل جانب الى ، فأمعنت نظرى حتى أحكمت السياسة ، قال فاردت ان اطيل الحبل معهم ، فاستدعيت أحد آل أبى مهدى ، فطلبت منه ان ينظر لى وسطهم دارا أشتريها للسكنى ، ومسكنهم غير بعيد من (تَامَّاشْنْت) فاشترى لى دارا بينهم ، ثم أمرته ، وقد أظهرت له الصحبة والاعتماد عليه بالبناء فيها ، فاستمر فيها البناء ، فصرت ازيدهم ، ولا يبنى لى الا آل أبى مهدى أنفسهم ـ بالاجرة العامة ، وقد عرفت غدارا منهم ، وهو الذى فى يده كبر أمرهم ، فأعطيه أكثر فى الاجرة ، عملا بالحديث (انا لنبش فى أوجه قوم وقلوبنا تلعنهم) .

ارض العدو بظاهر متصنع ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من بغيض كاشح ارضيته وجوانحى تنقد من بغضائه

فقالوا فيما بينهم ، لا ينبغى أن نستعجل بالفتك بهذا حتى نستنزف ماله ، ويسكن عندنا ، ثم ان قتلناه نذهب بكل ما معه من الاموال ، قال فاستدعيت الحاج مسعودا من قرية (مِيرة) وكان رجلا يميل الى الخير ، ذاكرا تظهر عليه امارات أهل الخير، متدينامحافظاعلى صلاته وعلى أذكاره ، مصاحبا لكل من فيه رائحة الدين والارشاد ، غيورا على الاسلام وأهله ، فأفضيت اليه بكل ما يحاك حولى من الدسائس ما بين آل تزنيت ، وبين الفتاك من بعقيلة فثار ثائره ، فقال : ان هؤلاء يجب أن لا يبقوا أحياء ، ثم احسنت اليه بهدية وأغريته بصاحبى المعهود من أهل بومهدى ، فأنعم على بأن يبذل جهده ، وأن يعمل الحيلة فى ازالته من طريقى التى هى طريق المسلمين أجمعين ، فجلس الحاج مسعود قريبا من ذلك النهار مع غريمى ذاك ، فتداولا فى أناس يسمون (ادبوالشيخ) كان بقى عندهم مغرم من مغارم القبيلة : اربعة أحمال من السكر . فأرسلا معا ـ الحاج مسعود وغريمى ـ أصحابهما لاخذ المغرم من اولئك فانفردا معا ، فاذا بغريمى جاءه وراءه من انقضوا عليه ، ففتكوا به فتكا بالرصاص . وذلك بايعاز من الحاج مسعود المستحل لدمه ، لكونه لصا ولكونه قتل كثيرين،ولكونه يخامر على ضيف المسلمين-يعنى الحاكى نفسه- وقد وافق ذلك اليوم موسم سيدى أحمد بن موسى ، فأرسلت جاريتين الى الموسم لابيعهما هناك ، قال : فبعت احداهما للقائد المدنى بثمنها ،والاخرى بالرخص لابى جمعة البوعشراوى ، زعم انه اشتراها لسيدى محمد الدرقاوى الالغى صاحبنا الذى كان مخلصا لنا ـ يعنى أخى أنا القائم فى دارنا ـ قال: ذهبت انا بنفسى الى الموسم ، فنزلت عند شريف هناك ، فوصل الى رجل كان عنده لى دراهم ، ونحن فى (أبى بكرا) فصار يعتذر لى عما فى يده ، فسامحته لوجه الله، فورد على الرئيس احمد الايفشانى ، وقد اهدى الى جلدين

من النهر ، والقائد المدنى ، والشريف سيدى علي بن محمد التازاروالتى ، فنزلوا عندى ، فتناولنا ما تيسر ، ثم ودعتهم كلهم ، الا سيدى عليا ، فانني بعدهم ودعته بفرس من عندى . فرجعت الى محل بـ : (تامثاشت) فنادى أهل رسموكة وبعض بعقيلة باقامة سوق الاحد في (أنزى) لتخلو سوق الاحد التى فى (تامثاشت) نكاية باهل تلك الناحية ، فتم مرادهم في ذلك ، وذلك كله من آراء الشيخ احمد الامازرى الخواص بين البعقيليين ، ففى يوم جاء اخصاصيون بحب ار'كان ليبيعوه فى (أنزى) فنهبهم آل أبى مهدى اللصوص المذكورون ، فقام الرسموكيون ومن اليهم ليدافعوا عن شرف سوقهم - على العادة فى المحافظة على طرق الاسواق العامة التى يعتاد أن يسود فيها الامن كل من ياتى أو يذهب اليها - قال فكتبوا الى بأن أعلمونى بأننى منهم أيضا مع من كنت ساكنا معهم من أهل (تامثاشت) لانني لا أزال هناك ساكنا ، ولم اتحول قط الى الدار التى ما كنت بنيتها الا لحاجة فى نفس يعقوب ، وقد قضى الله الغرض فى آل أبى مهدى ، فقضى غرضى من تلك الدار ، قال : لما أرسل الى الرسموكيون اردت ان اظهر الشهامة امامهم ، وقد عرفت أن مقصودهم ما ياخذونه ، فعزمت على ان أتلافى القضية كما كنت آلف ، ولم أدر أن هؤلاء غير من أعهد ممن كنت أعاشرهم قبل ، فاشتريت بقرة فذهبت بنفسى، وسقت البقرة ، فقالوا لى : ان هؤلاء الذين فعلوا فعلتهم فى طريق سوقنا لا بد أن يردوا ما سلبوا ، وأن يؤدوا المغرم المعهود فى مثل هذا، والا فالبارود بيننا وبينهم، فقمت لادافع عن الغدارين آل أبى مهدى ، فدفعت (الوثائق) أى الرهون عنهم ، ليؤدوا ما عليهم ، فوضعت أمام مجمع الرسموكين ومن معهم بندقيات أصحابى ، فرجعت الى الغدارين آل أبى مهدى ، بعد ما أديت للاخصاصيين ما ذهب عنهم من حب ار'كان ومن جمالهم ، فحاولت ان أتوصل من آل أبى مهدى بشىء فامتنعوا كل الامتناع ، ومن هنا يعرف من لا يعرف كيف حال اهل هذه البلاد ، فقد ذهبت لى اثنتا عشرة بندقية فى قضيتهم ، وهى التى قدمتها (وثائق) وهكذا من يدافع عن أمثالهم الغدارين الكذابين.

قال : ولم ار الخير هناك فى ذلك الوقت الا من أهل (أدوز) فقد استدعانى الفقيه سيدى عبد العزيز مرارا ، وكذلك ابن عم له ، فرأيت منهم كل اكرام ومعرفة لمكانتى كمهاجر فى سبيل الله غريب عن أهله وماله ومكان جاهه ، وقد تخلى لى الفقيه عن حقلين كبيرين فانضين سنبلا ، لاحصدهما لخيلى ، أوقفنى عليهما بنفسه ، ولما رأيته من هؤلاء السادة كنت نويت حينا ان أتحول اليهم من (تامثاشت) والمسافة بين (أدوز) وبين (تامثاشت) قليلة جدا ، ثم اننى حين رايت من هؤلاء الجيران ما رأيته نويت أن افارق جوارهم :

(بجيرانها تغلو الديار وترخص)

فارسلت نسائى الى دار سيدى محمد الاكارضى الازاريفى وجميع متاعى الى الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى (اقول حدثنى الاديب سيدى الطاهر بن على أن متاع الناجم كان كثيرا متراكما فى بيت فى دارهم ما شاءالله بين أوان مختلفة صينيات وبراريد ومقاريج وخرثى متنوع ، ثم صار يسترد ذلك شيئا فشيئا وهو فى الاخصاص حتى ذهب به كله ، ولم تضع له منه قلامة ظفر) .

فى كردوس

قال : ثم تحولت انا واصحابى الى (كردوس) ثم ذهبت يوما الى (الغ) لاصل أهله الذين لهم صيت كبير هناك ، فدخلت سوق (ايت وفقا) التى ابتدأت اذ ذاك كسوق فقط ، فاشتريت ستة اكباش مسلوخة ، فأرسلت ثلاثة الى الفقيه سيدى على بن عبد الله العلامة الشهم ، فبت ثلاثة أيام عنده ، وثلاثة الى سيدى محمد ابن الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى ، فبت عنده ليلة واحدة،ثم اشتريت اربعة اخرى فارسلتها الى الرئيس أحمد الايغشانى، فكنت عنده نحو خمسة ايام ، قال : وقد لفت نظرى منه حسن أدبه ، وملاطفة حديثه ، قال : هكذا رجعت من (الغ) بكل تجلة واكرام ، وبهدايا جزونى بها عوض ما اهديته اليهم ، قال : كنت أعرف الفقيه سيدى على بن عبد الله قبل اليوم فى (تارودانت) وفى (اسارسيف) وفى (تمكثر) كان يرد على الهيبة فى كل مناسبة مع الفقيه سيدى الطاهر بن محمد ، ثم تكرر الاتصال به كثيرا،ولذلك اخترته واخترت(الغ)لايداع متاعى، وكذلك كنت أعرف سيدى محمدا الدرقاوى فى (مراكش) وفى هذه الامكنة بسوس ، وقد كان له مركز كبير مع مولاى احمد الهيبة ، فجعله قائدا على (اداوزيكى) حينا من الدهر ، قال : ثم رجعت الى (كردوس) فاذا بالوزير يرعى طلب أن يذهب الى (وادى نون) ليجمع الجيوش من هناك فيما قال : ثم ذهب لطيته ، على أن مقصوده ان يتصل بالناس كما اتصل بهم ، وهو غيور غير سليم الطوية ثم بلغنا أن الجراريين طلعوا الى (اغير ملتولن)،فتلاقوا هناك مع المجاطيين، فسلبهم هؤلاء خمسين فرسا ، فكادت تكون هناك معركة كبيرة . قال: فامرنى الهيبة أن أتكلم مع الشيخ احمد الامازرى ، ليتوسط عند الجراريين أن ينكفوا عن (اغيرملتولن) على ان يتوسط الهيبة عند المجاطيين ان يردوا اليهم افراسهم ، فاننا نخاف ان تقوم حرب بين الفريقين ، وكلا الفريقين مسلم وامامنا جيش النصارى الذى هو عدو الجميع ، ثم كتب لى بذلك رسالة الى الامازرى ، قال فذهبت أنا والقائد سعيد بن أحمد ، والفقيه سيدى محمد بن عمرو الشيخ الجليل ، وسيدى خالد التاركنينى ، وفقيه اسمر بعقيل نسيت اسمه ، فنزلنا الى (تازاروالت) حيث مجمع (بعقيلة) اذ ذاك وهناك الامازرى ، وقد كان معنا الفقيه سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ،

فذهبت انا اولا الى الشيخ احمد الامازري ، فاستدعيته وانفردت به ، فقلت له : هذه رسالة الهيبة اليك اقراها ، فقال انني لا اقرأ ، فاستدعينا سيدى الطاهر فقرأها عليه ، فقال : انني اقبل بشرط أن يذهب معي كل الاعيان من البعقيليين على خيولهم ، ليشدوا ازرى ، ولئلا يجرى بعضهم في احباط سعيي . فرجعت الى أصحاب القائد سعيد ، وهم يضادون شيعة الامازرى ، فابى بعضهم ان يذهب معه قائلا : هل يريد الامازرى أن نكون في موكبه ليزدان بنا ؟ فقلت له : ان هذا أمر مولاى أحمد الهيبة امير المسلمين لا أمر الامازرى ، وانما تعود المنفعة على المسلدين كلهم ، وبعد أخذ ورد قبل الجميع أن يذهب معه ثمانون فارسا من جميع أعيان البعقيليين ، وكان الشهر شهر رمضان ، والفصل شديد الحرارة ، فارسلت صاحبا لى الى (ايليغ) ليشترى حملا من السكر ، وخمسة أرطال من الاتاى ، فيعطيها لسيدى علي بن محمد يعسوب الاسرة الرئيسية للبيتوتة عنده ، ثم بت عنده في العشيةأناوأصحابى فقط ، وعند الافطار من الصوم عند المغرب ، دخل أهل (تالوست) من (اغير ملولن) يستغيثون ويقولون : ان الجاطيين دهموا علينا ، ينتهبون ديارنا ، فنحن الآن معهم في حرب ، ثم تبعهم اهل قرية (أكارض) كذلك، وفى كلا المحلين أصهار لسيدى علي ، فأراد أن نقوم لاغاثتهم في الحين ، وقد فرح اذ صادفني الصريخ عنده ليعتمد على وعلى اصحابى ، فقلت له : ان العقلاء لا يهاجمون اعداءهم ليلا حتى يعرفوا عن احوالهم كل شيء ، ونحن الآن نجهل كل شيء عن هؤلاء ، فالواجب أن نتربص حتى ندرك ما وراء الاكمة ، ثم بعثنا مع هؤلاء الشاكين من معنا من المشاة ثم اكثروا علي ملحين كل الالحاح ، والليل لا يزال حتى توجهنا أنا وسيدى علي الى قرية (تالوست) فتلاقينا مع الراحلين منها ببهائمهم ومتاعهم ، فأمرهم سيدى علي ان يذهبوا الى (ايليغ) وقد صلينا الصبح في ثنية بين (الروايس) و (تالوست) وقد لاقى الشيخ احمد الامازرى الذى كان عزم ان يذهب من مجمع (تازاروالت) الى (تالعينت) الجرارية ، هذه الحادثة امامه في الطريق ، فرجع ولم يتم بعد ما يراد من سفره ، قال ثم ذهبت أنا وسيدى علي الى قرية (اكارض) فاذا بالحاج ابراهيم البنيراني دخل علينا ، فقال لنا: الا تعرفون أن هذا المكان ـ يعنى اغير ملولن ـ لمجاط ، فقلنا له وانا الذى اتكلم : نحن ما جئنا لنجاذب الحبال حول هذا المكان ، ولنتناقش لمن هو من الناس ، وانما جاء الصريخ الى سيدى علي من عند أصهاره هنا فاصرخناهم لنعينهم على الرحيل بأولادهم الى مأمنهم ، ان لم يكن لهم الا الرحيل ، واما نحن وأصحابنا فلم ننهب أحدا ، ولا أضررنا بأى مخلوق ، فاسأل تعرف الحقيقة ، ثم سال أهل القرية عنا ، فاخبروه اننا ما هجنا أحدا ، ولا أمرنا ولا نهينا منذ جئنا فاذ ذاك كف عن ملامته ، كأنه استحيا منى . ثم سألهم

عن ضيافتهم لنا ، فعاتبهم على انهم فرطوا فينا ، حين لم يقوموا بواجب الضيافة ، ثم جاء القائد سعيد بن احمد ، والمحفوظ الوجانى . والحاج مسعود الميرى البعقيلى - صاحبى الذى فتك بعدوى من اهل بومهدى - فولجوا علينا فى (أكارض) فاجتمع الناس فى (تينكرتيل) فكنا أحد الحاضرين فى مجمع الناس ، فلما رآنا المجاطيون لم يعجبهم مجيئنا اليهم نحن البعقيليين ، - وقد صرت انا رغما على انفى بعقيليا ، وبعد السلام معهم قال قائلهم : ماذا تريدون منا يا ايها البعقيليون ، فهذه بلادنا ، فان اردتم أن تفتحوا حربا مع الازغاريين فان عندكم بلادكم فافتحوها فى تخومها بينكم وبينهم . فقلت لاصحابى البعقيليين : قوموا بنا فقد صدق لكم هؤلاء ، ولكن المحادثة استمرت ، فتلاءم الشقاق بين الفريقين حتى تلاحم الرأى ، ثم اتفقوا بعد ذلك أن يتلاقوا على الجراريين لينهبوا (تالعينت) التى سبق اهلها فاغاروا على (اغير ملولن) الذى يحسب من مجاط ، ولكن ياتى البعقيليون من (وجان) والمجاطيون من جهتهم هذه ، فذهبنا - أنا واصحابى فقط وقليلين من غيرنا حتى اشرفنا على قرى الجراريين ، فوقفت أسأل عن أسماء القرى المتقاربة من الجراريين ، فسموها لى قرية قرية ، فقلت لهم اننا منذ الآن جيش حسن لا يوتى مثله امام امثال هؤلاء من قلة ، ولماذا نذهب أولا الى (وجان) ثم ناتى منه ، ثم امرت الفرسان من أصحابى ان يندلقوا الى الامام، لنغير على الجراريين فى الحين ، فاندفع كل من معنا ، فوصلنا (دوار ابن الفضيل) فوجدنا فيه نحو مائتى فارس من الجراريين ، فولوا عن القرية من غير محاربة ، فاحتللناه ولكنى أمرت من معنا ان لا ينهبوا ، وان لا يمسوا الا ما يحتاج اليه من القوت وعلف الخيل ، فاذا باهل (ادغ) أتوا بذبيحة الجراريين الينا لننكف عن النهب والقتل ، يقدمهم (ام اسليو) فكان ذلك سبب أن قتله عياد بعد ذهابنا (مع أنه ما فعل الا ما ينفع القبيلة) قال فقلت له أنا لا يذبح على ، والذى له الحق فى ذلك هو فى (كردوس) أعنى الهيبة ، وبعد اربعة أيام وصلنا اربعة فرسان مجاطيين ، وما هم الا مقدمة لكل المجاطيين الذين صاروا يطلون من ثنايا تلك الجبال ، فسألونا من بعيد من نحن ؟ فنقول لهم : هؤلاء الذين طردتموهم من بينكم يوم ذلك المجمع ، ثم نزل المجاطيون كلهم الينا ، فمروا بنا حتى نزلوا فى (ايدغ) وقد صاحبهم البعقيليون الذين كان بعضهم معى، وقد كان معهم القائد مبارك البنيرانى ، وسيدى على بن محمد التازاروالتى، قال : ثم طرقنا خبر اقبال حيدة فى مجيئه الاول الى تلك الناحية ، ثم اتصل المجاطيون والقائد مبارك البنيرانى ، وأصحابه بالقائد عياد ، فاعطاهم مالا ليتفرقوا عنه ، ثم لما سمعوا بأن حيدة نزل فى (ايزوينكا) على وادى (ماسة) صار المجاطيون يفرون من (أزغار) كالارانب الى بلادهم ، وفى عشيه اليوم

الذى ذهب فيه المجاطيون جاء القائد مبارك ، وسيدى على بن محمد ، حتى وقفا أمام الدار التى نزلت فيها وقد كنت نائما ، فأكثر القائد مبارك الثرثرة قائلا : ان قواد الغرب لا يزالون نائمين الى الضحى ، فخرجت فاذا هما مع القائد سعيد ابن أحمد الكردوسى الذى كان ذاهبا معهم الى (ا دْغ) ثم قال القائد مبارك : ان هذا هو وقت موسم سيدى احمد بن موسى ،وهو مشترى كل ما نتوقف عليه فى السنة كلها ، وهذا سيدى على بن محمد كذلك ينزل عليه أضياف الموسم . فقلت لهم : كنت أحسبكم مجاهدين ، فاذا بكم تطلون ما طاب لكم الاطلال ثم تولون ما طابت لكم التولية ، ولكننى أنا غيركم، فانني ما أتيت الى هذه البلاد الا بقصد الجهاد فى النصارى ومن يلف لفهم ، كيفما كان الحال . أقول لهم ذلك بكل انفة وهم صم كأنهم لا يسمعون،فذهبوا عنى، ثم جاءنى رسولان من عند القائد المدنى ، فقلت له : ان المجاطيين ذهبوا ، وانحيدة قد أقبل ويجب عليك أن تنظر لنفسك ، فتنزل حيث تقدر أن تقف أمام زحف حيدة موقف الرجال ، وقد كان المدنى نازلا تحت (ميرْكْتْ) ومعه يرعى الذى كان ذاهبا الى تلك الجهة . كما تقدم — قال : ثم جاء الىّ أهل (ا يدْغ) مع عشرة أحمال من الشعير ، واثنى عشر كبشا ، واربع احمال من السكر ، فقالوا : اعذرنا من التقصير ، فان الجراريين ليشكرون لك انك ما افسدت ولا نهبت أنت ولا كل من معك شيئا من الاشجار ولا من المتاع ولا من السائمة ، ولا نهبت من جهتك أية قرية ، فقلت لهم أخلف الله عليكم، وجعل لكم البركة ، وما نحن الا مسلمون ، قال : وبينما هؤلاء يقولون ذلك ، اذا ببعقيل عليه تلك السلهامة الجبلية القصيرة المخططة يشير الى اشارة خاصة ، ثم دعوته الى خلاء ، فقال لى : ان محمد بن عبد السلام الباسل المقدام الخليفة الجرارى قد دخل الى (ا دْغ) فى خمسمائة فارس ، وكانى به قد دهمك الآن . وما مجىء هؤلاء الا حيلة ليشغلوك حتى ينقض عليك اولئك . وانت الى الآن لا تزال جالسا تنتظر الغداء ، فقمت فى الحين ، وقلت للقائد سعيد بن احمد : قم بنا لنذهب ، فقال : ان فرسى وسراويلى ومتاعى لا تزال فى دار (با يدْغ) حيث كنت نازلا ، فقلت له اسرع الآن ،فاننا ذاهبون قبل ان يدهمنا من يريد الفتك بنا جميعا . فامرت بحمل ما أتى به الايدْغيون ذرا للرماد فى الاعين — فقدم أمامى ، ثم اسرجنا خيلنا ، فقمنا متوجهين الى (وجان) ، فبتنا نحن هناك فى قرية والقائد سعيد بات فى (تادّارْت)وقد بات تلك الليلة حيدة فى (المعدر) وقد ورد على سيدى على بن محمد التازاروالتى فى (وجان) فطلب منى أن اذهب معه ، لنكون معا فى (ا غير ملولن) وما ذلك الا لكونه يدرى اننى لا أزال أدافع عنه ما دمت حيا ، فقلت : ألم تسمع ما قاله لى المجاطيون ذلك النهار ؟ على انك انت تركتنى بسلورك فى الامر القريب فى (ايت جرار) منفردا ، وكيف يعتمد الانسان على من لا يفى، فى

مصاحبته في حالة الشدة ؟ ثم الح على سيدى على بوساطة الشيخ النعمة في ان اذهب دعه ، فاسلست له فيما طلبه ، وقد دلف الناس كلهم بالجيوش من قبائل كل ناحية لمحاربة حيدة ، فرابط ائبعقيليون في (وجان) والمجاطيون في (تيكتمي أوفلا) قرب (اغير ملولن) وقد سبقت انا وسيدى على الى ذلك المحل باصحابي واصحابه ، وليست معنا مؤونة ، الا أننا نقبض الدجاج الذى تركه الناس الراحلون عن ديارهم مجفلين امام حيدة ، وقد كان الجنوب كله يهتزا بزحفه ، فارتجفت الافئدة منه ارتجافا شديدا ، فارتحل كل من يقرب من الاطراف التي يمكن أن يقتحمها حيدة . ثم اجتمعت جيوش (مجاط) و (اد ابراهيم) فأتت الينا حتى رابطت معنا هناك ، وقد وصل حيدة (تزنيت) فذهب اليه عياد الجرارى ، ثم خرج أمامه يجر الشوك والمدر فنزل في (ايغير نبونعمان) فطلع في تلعة (بوخانور) وقد كان المدني والاخصاصيون والزفاطيون ، والقائد يرعى مع جيشهم الكبير نازلين في (ايت همثان) من قبيلة (ايت براييم) فلما طلع حيدة تعاطى مع هؤلاء طلقات غير كثيرة ، فانسحب القائد المدني والقائد يرعى ومن معهما ، فمر المدني باخوانه (ايت بوياسين) ، فقال لهم : انني قد ذهبت ، ولا اريد ملاقاة هذا الانسان ، وقد كان المدني كما عرف عنه جبانا رعديدا - فادفعوا أنتم عن اهليكم ، وهكذا تركهم قائدهم ادام العدو وجها لوجه ، مع أنهم يعتمدون عليه ، وقد كان الواجب أن يدافع عنهم ، ولكن الخوف خامره ، حتى أنه هم أن يفر الى الصحراء لو تقدم حيدة الى (بوزاكارن) ، ثم ذهب حيدة وبين يديه الجرارى ، حتى نزل في (افرض) (بايت عبلا البعمرانيين) ، فجاء اليه البعمرانيون ، فهادنوه وصالحوه ، وما ذلك الا بوساطة المال الذى دفعه لهم على يد الجرارى ، وقد قال البعمرانيون اذ ذاك لحيدة اننا نحن في طاعة المخزن ، وانما الذى يكره المخزن هو القائد المدني وحده في هذه البلاد. يحرشون حيدة بذلك على المدني ، ولكن الله عصمه منه ، ثم انصل حيدة ايضا بـ(ايت بوياسين) ، لانهم اقتدوا بالبعمرانيين فسالموه ، وأعطاهم الامان ،ثم ذهب حتى نزل في (ايت بيفولن) بـ : (ادحيتوف) وهناك دار للقائد المدني ، وقد كان في امكانه أن يهدمها ولكنه تركها . وهناك اتصل الجرارى بمبارك ابى الطعام الرخاوى ، وقد كانت بينهما مصاحبة زيادة عن الجوار ، فجاء الى حيدة فصالحه عن قبيلة (ايت رخا) ثم توسط زيادة على ذلك في أمر المدني ، فقدم نيابة عنه لحيدة هدية من عنده ، وكذلك فعل عن كل المجاطيين ، فعل أبو الطعام كل ذلك افتياتا من غير مشاورة لاحد من أهله ومقصوده أن يرجع حيدة بلا حرب عن تلك الجهة.فتم له كل ما أراد ، قال : ونحن اذ ذاك لا نزال في مقرنا : (تتكتمي أوفلا) فاستدعيت الفقيهين المجاهدين اللذين لهما ما لهما في التأثير في الناس : سيدى على بن عبد الله الالغي ، وسيدى

الطاهر الافرانی ، ثم استدعیت معهما یحیا بن بلا الموسوی المجاطی وعبـلا نـرامي الموسوی المجاطی ، وقلت للجمیع : أرید منکم ان تذهبوا الی مبارك أبی الطعام الذی سعی من عند نفسه حتی اطفا جمرة حیدة بمسالمته ، فلم یکتو أحد بها ، تقولون له : نحب منك کذلك أن تسعـی فـی أمر الشیـخ النعمة النازل فی (وجان)،عند حیدة،حتی لاتدرکه یده،فان عندنا الخبر بان من مقاصد حیدة أن یمیل الی (وجان) لیقود من هناك الشیـخ النعمـة الی النصاری ، فذهب الجمیع الی مبارك ، فقالوا له عنی ذلك ، فقال لهم : قولوا لذلك العبد ، یذهب لحال سبیله ان أراد ، فان بلادنا لا تطیق الحروب التی یجرها هو وأمثاله علینا ، فاننی لا أتکلم عن الاعراب ، وهم الذین فعلوا بنا ما فعلوا ، وبسببهم توالت علینا هذه النکبات التی کنا قبل منها فی مناط الثریا ، علی أن الذی یمکن له أن یتکلم عن البعقیلیین وعن کل من نزل فی بلدهم هو الجراری ، فلیرسل الیه بذلك ان شاء ، قال وقـد کنت أرسلت عینا مع هؤلاء وأتانی بکل ما دار هناك ، ثم لما رجع اولئك وسألتهم لم یفضوا لی بکل ما قیل تأدبا معی ، بل حرفوا الکلم عن مواضعه ، ثم قالوا لی : ونحن الآن ماذا نصنع ؟ فقلت لهم ان القبائل کما ترون تنفرق لما سمعوا بالمصالحة ، والامر أمرکم ، فقالوا : وما یظهر لك انت ؟ فقلت لهم : ان الذی یظهر لی ان اهل هذه الجهة لا یلیقون لی ولا الیق لهم ، فسارحـل عنهـم الی (زیان) لاجاهد مع محمد بن حمو الزیانی الذی یقدر قدر الرجل ، فاننی اسمع عنه وعن بسالته وعن ایمانه وعن انفتـه ما یثلـج الصدر فی الجهاد ، فقـال لی سیدی الطاهر حظی أنا فی ارتحـالك هذا أن أقـوم لك برفیـق أمین ، لا تمس معه الی أن تصل (افه) عند المقدم الرسموکی،ومن هناك الی (بونعیلات) ومن هناك یدا لید الی أن تصل (زیان) وبینما نحن فی ذلك اذا بالقائـد مبارك البنیرانی دهم علینا وهو یبکی بکاء الثکل ، فقلت له مـا یبکیـك ؟ فقال أبکانی انقضاء الغیرة من المسلمین ، فقلت له : أنسیت ما فعلت انت بنفسك بنا مرارا ؟ وآخرما فعلته بنا ما کان یوم ترکتنا فی (ایت جرار) فانك بنفسك لا غیرة لك ، ثم التفت الی الفقیهین الحاضرین ، فقلـت لهمـا مشیرا للایة : « یا ایها الذین آمنوا اذا لقیتم الذین کفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن یولهم یومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحیزا الی فئة فقد باء بغضب من الله » فنحن الآن ما هذا الذی وقع لنا بعد ؟ حتی نضمحل ونذوب بهذه السرعة ، ثم قلت لهم یا هؤلاء، قوموا وانصروا الله ینصرکم ، ویثبت أقدامکم ، فصرت استحثهم ـ واستنهض هممهم ، فقال الفقیه سیدی علی بن عبد الله : کیف العمل ؟ فقد رجع کل الناس الی دیارهم ، حتی لم یبق معی الا ثلاثة من بنی عمومتی وخادمی . وقال سیدی الطاهر وأنا ایضا لیس معی الا أربعة عشر فارسا ، ثم قال القائد مبارك ، وکذلك أنا : لـم

يبق عندى الآن الا سبعة عشر فارسا ، وسبعة وعشرون من المشاة ، كلهم بنو عمومتي الأقربون،ومعي حمل من القرطاس وحمل من البارود والرصاص،ثم تجاذبت معه الكلام استثير حميته ، حتى قال : انني أسلك معك كل مسلك اقتحمته ، وهاك يدى على ذلك ، والقائد مبارك شجاع معروف . فهكـذا ظهر تأثير كلامي ، ثم قال الفقيهان سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر ان هؤلاء البنيرانيين فرسان الحروب ، وأسود الطعن والضرب ، لكننا نحن الطلبة كما ترى لم نعرف الحرب ولم تعرفنا،فماذاتجدى لك فى ميدان الحرب فقلت لهما : صليا بنا انتما فى كل وقت صلاتنا ، واتلوا علينا ما قال الله وقال الرسول لنا فذلكما هو جهادكما . فانتما توجهاننا وتشجعاننا ، وتثيران حميتنا ، ثم لكم الفضل الكبير علينا دائما قال : وقد كان للفقيه سيدى على فى كل مجمع خطب نارية تصحبها منه عبراته المنهلة ، فيكـون لكلامه فـى القلوب وقع عظيم ، قال : فخرجت بعد هذه الندوة وقد جاش دمى ، فصرت انادى فى الحاضرين بأعلى صوتي : يا من سيموت فى سبيل الله ، من يعطى نفسه لله ، يا من يسد عينيه فىالدنيا ويفتحهما فى الجنة . فصرت أسمع من عرض الناس : ها أنذا ، ها أنذا ، حتى خلص الى خمسةوسبعون من الناس، فقمنا من هناك ـ تِكَمِّي اوفلاَّة ـ انا والقائد سعيد بن احمد الكردوسى ، والمحفوظ الوجاني . والقائد المهاجر الذى التحق بنا في سوس : محمد بن الطاهر الرحمانى من أولاد سيدى البهلولى ـ كان هاجر من مراكش بعدنا مع خمسة وعشرين فارسا ، ثم صار هؤلاء يذهبون شيئا فشيئا منذ ورد الى (تارودانت) حتى لم يبق معه الا قليل ، ثم صار هذا القليل اثنين فقط ، ثم قتله احدهما بعد هذا الوقت فى (أنْدَنْجا) بين (الاخصاص) وبيـن (ايت عبلا) البعمرانيين ، قال : ثم ذهبنا مع الجميع ، وقد سبقت يَتبعنى هؤلاء ، هد رقد كان بقى على شفير الجبـل المطـل على بسيط أولاد جـرار خمسمائة من المشاة من المرابطين من المجاطيين ، كانوا ربيئة لنا هناك منذ أيام ، وليس عندهم الخبر بما وقع فى الناس من التفرق بعد مصالحـة مبارك أبـى الطعام مع حيدة . قال : فحين أطللت عليهم ، تجاروا الى ، فسألونـى عن الواقع ، فاخبرتهم بأن الناس قد تفرقوا ، وقالوا وأنت الى اين تذهب ، فقلت لهم : اننى مع من يتبعنى الى (وجان) لندافـع عن الشيـخ النعمـة ، لاننـا سمعنا ان حيدة سيذهب اليوم الى هناك ليأخذه اسيرا ليتقرب بهالى النصارى فتشهد الناس بصوت واحد (اللهـم صل عليك يا رســول الله) على العـادة المعهودة فى المناداة بذلك كلما اجتمع الناس وعزموا على تنفيذ أمر يذهبون اليه ثم التفتوا الى فرأوا سوادا مقبلا يتبعنى ، فقالوا من هؤلاء ، فقلت لهم : هؤلاء الفقيه سيدى على بن عبد الله ، والفقيه سيدى الطاهر بن محمد . والشريف سيدى على بن محمد التازاروالتى ، والقائد سعيد بن احمد الكردوسى،والقائد

مبارك البنيراني،والقائد محمد بن الطاهر الرحماني المهاجر ، وأما المحفوظ ، فقد كنت ارسلته عندما قمنا فذهب ليدافع عن داره بوجان ـ فثلجت صدور الجميع برؤية هؤلاء الاعيان ، فنادى المجاطيون بلسان واحد ، يخاطبون القائد مبارك : انك اليوم حقيقة قائد مجاط الحق ، حين لم تفعل مثل ما فعل مبارك أبو الطعام الخائن ، ثم صاروا يسبون أبا الطعام ويحرقون اليه الارم ، ثم تداولنا في مجمع عقدناه هناك قلنا فيه اننا لا نريد ما يكون سببا لتفرق القلوب الآن . فلننس أبا الطعام ولنصمد الى ما نريده في (وجان) فتفرق الناس للبيات في القرى على العادة ، فبات القائد مبارك في (اكرض) من (اغير ملتولن) وسيدى على بن محمد في داره بايليغ ، وسيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر في قرية (عين انطلبة) والمجاطيون الآخرون فرقهم اهل قرى (تازروالت) كل فرقة في قرية،قال فبت أنا في قرية (ايجكاكن) وفي الليل عاد أيضا المحفوظ الوجاني ينذرنا بنزول حيدة في سيدى موسى من (تادايغت) ، وهو مقبل الى (وجان) فعاتبته حين رجع وترك داره شاغرة، مع أنني كنت بعثته من الصباح الى داره ليحافظ عليها، ثم دفعته أيضا عني مرغما فذهب ، ثم بكر حيدة الى (وجان) فاطلق المدافع فاهتزت بها تلك الجبال ، فقام الناس ، وامامهم الفقيه سيدى على بن عبد الله خطيبا يصرخ في الناس قوموا ايها المسلمون ، قوموا ، فباب الجنة مفتوح،ورضى الله مسئول،فاغتنموا ما نغفر به الذنوب ، ويرتفع به شان الاسلام ، وتضمحل به كلمة الكفر ، فأى شراب يلذ أم أى طعام يطيب ان استولى عليكم ايها المسلمون النصارى ، فالموت خير لكم من الحياة . الى أمثال هذه الكلمات التى تستفز الجبان ، وتستنهض الكسلان ، قال فاسرعت أنا وأصحابي الفرسان ، فبمجرد ما اطللنا من ثنية على (وجان) صار حيدة يطلق علينا المدافع ، وقد وجدناه في مقدمة جيشه مع الجرارى وهو على بغلته . وقد تبجبجوا ديار (وجان) فقامت الحرب على ساق . فيقاوم فيها من كانوا يقربون الى (وجان) من البعقيليين ، قال ودفعنا نحن الى قرية (اكادير) فصرنا ندافع الجرارى ومن معه ، وقد توجه القائد الحسين الديلمى الى محل الشيخ النعمة لياسره،فصار يضرب هو ومن معه أبواب دار الشيخ . فتكسر مصاريعها بابا بابا ، ودون الشيخ سبعة أبواب . فلم يبق الا واحد ليلقى عليه القبض . وهو رضى الله عنه جالس لا يبالى ، لان للرجل من الايمان القوى بالله والاتكال عليه ما هو معروف عن كل آل داء العينين ، فحين حرص القائد الحسين على اعتقاله وأبى أن يتراجع ، صمد اليه عثمان ابن عم للقائد موسى الوجاني . فارسل اليه رصاصة صرعته في الحين ، قال الحاكى : ففى تلك اللحظة ، وصلت أنا وأصحابي هذا المكان ، فضربنا يمينا وشمالا حتى أبعدنا المهاجمين عن دار الشيخ النعمة . فوجدنا القائد الحسين كما ضرب فرايناه مجندلا ، ولا يزال

عليه سلبه تسلبه اصحابنا دهزمنا اولئك المهاجمين شر هزيمة ، تصرت اقطع رؤوس القتلى حتى ملأت بها ثلاثة جوالق . فبعثتها الى (تردوس) فعلت لمن بعثتها معهم : اطفوا الطلقين من بنادقكم : (تيماتارين) فينة بعد فينة في الطريق ، خصوصا فوق الثنايا ، وأمام القرى ، واعلنوا للناس ان حيدة مهزوم ، وان هذه رؤوس أصحابه ، فتناثر علينا الرسموكيون والبعقيليون بعد نصف النهار . فظهرت قوتنا . فبذلك انكف العدو عن كل قرى (وجان) فانسحب حتى ابتعد عنها كثيرا بعد ما كان احتل غالبها ، فلما اجتمع الناس الواردون ومن كانوا هناك معنا في العشية ، خرج الشيخ النعمة اليهم . فرأوه عيانا ، فدعا لكل الحاضرين وكان مرجو الدعاء الصالح رضي الله عنه فهو ياقوتة اهله . قال : ثم فرقنا الحرس في الليلة المقبلة على كل أطراف (وجان) لكل طرف فرقة ، فانزلت أصحابي في (تامالوت) حيث دخل في صباح اليوم العدو . ونزلت أنا في دار المحفوظ ، ونزل الفقيهان سيدي علي ابن عبد الله وسيدي الطاهر في ديار تسامت (تامالوت) والقائد مبارك في دار عمر الكرتاني ، واما المشاة فانهم كلهم نازلون وراء السور (أضراس) الذي كان مبنيا في عهد الكيلتولي لمدافعته به .

هكذا قضي ذلك النهار مع ليلته ، قال ثم بلغني بعد ذلك الحين ان حيدة حين عرف أنني الذي توليت كبر ما وقع لجيشه في وجان بعد ما نال ما نال في (ايت عبلا) وفي (الاخصاص) من العز ورفعة الشان . حتى ساله كل من هناك،قال لهم: ان هذا العبد الاسود الذي لا يزال أمام عيني في كل محل ذهبت اليه ، لا بد أن أعركه اليوم عركة لن ينساها أبدا ، فصار يحلف ويتألى على

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ابشر بطول سلامة يا مربع

وفي الصباح اندفقت فيالقه على (وجان) فاذا به قصد المحل الذي أعلمه جواسيسه بأنني فيه ، ــ لان له جواسيس بيننا سماعين ، يعلمونه عنا بكل شيء فتلاقيت مع المندفقين علي ، فضرب فرسي فسقط دوني، فكان رصاصنا لا يخطيء من معه لكثرتهم ، ولكون مشاتنا المدافعين راسين وراء (أضراس) فالاعداء بارزون يهاجمون بكثرة والمدافعون متسترون وراء المتاريس ، فكانت فيالقهم وفرسانهم قلما يبقون لحظة في كل محل يقتحمونه باستماتتهم،لكثرة من يموت منهم . حتى انهم اقتحموا أمكنة ثم ردوا منها ثلاث مرات ، وقد رجع جيشهم أيضا في هذا اليوم الثاني في العشي عن قرى (وجان) بعد ما أيسوا من احتلال أية قرية منه ، وهكذا دامت الحرب اربعة أيام متوالية، ونحن نزداد قوة واستقرارا وتمكنا في متاريسنا يوما عن يوم . وهم يزدادون هلعا وضعفا وهلاكا قال : لم يمت عندي انا من أصحابي الا خمسة ، وكذلك مات من القبائل جمعاء أناس هنا وهناك ، نحو مائتين ونيف ، واما موتى حيدة ومن معه فاكثر من مات . بل أكثر من الف ــ على ما قيل ــ فلما

أيس حيدة من نيل مقصوده فينا بعد ما بذل من المجهود ما بذل ، التفت الى القائد عياد فقال له : ما هكذا كنت تقول لى عن هذه الناحية ، فقد زعمت أن الناس كلهم قد عراهم الدهش من هذا الجيش اللجب ، فلا نكاد نظهر أمام (وجان) حتى ينقاد لنا من فيه . ويسلمون لنا (النعمة). والآن اننا سنذهب وليس عندى الا الجيش المخزني ، وقد هلك كثير منه في يدى ، وأنا عنه مسؤول ، فاذهب انتواصنع لنفسك مع هؤلاء ما ظهر لك ، فاني مرتحل في الحين غدا ، فطلب منه القائد عياد أن يمكث من أجله ولو يوما آخر ، حتى يسيج نفسه بسياج حصين لانه يخاف أن تزحف الى داره هذه القبائل بمجرد ما يرجع حيدة ، ويتركه وحده ، وهو يوقن انه سيوخذ باليد ، ان نزلت عليه هذه القبائل كلها . ومن أجل ذلك أراد أن يستوثق لنفسه ، فاجابه حيدة ، فأقام في اليوم الخامس ، فأرسل الجرارى الى الحاج موح الاكاديرى الوجاني الملقب اشباركو الوجانى ، وصالح ابن مبارك العمرى الوجانى ، والمحفوظ بن سى احمد وهؤلاء كلهم كانوا لصوصا معروفين بالغدر ، ثم صلحت احوالهم فكانوا من الرؤساء الملحوظين،فاتصل بهم ليلا خارج (وجان) فصالح معهم ، وانعموا له باخراج الناجم وغيره من المحاربين ، وتوصلوا عن ذلك بأموال ، قال : كان أصحابى أخبرونى بأن أحد هؤلاء وهو الذى نزلت أنا والقائد سعيد بن احمدفيداره يدخل ويخرج ليلالشيء يزاوله،فأدركت ما عسى أن يزاوله من الغدر المعروف به قديما ، فأوصيت اصحابى أن يردوا اليه بالهم لئلا يفوتهم ما هو فيه ، وفى آخر الليلة الخامسة جاء عندنا ونحن نائمون بعد رجوعه من عند الجرارى ، وقد لاقاه ليلا هو وأصحابه المذكورون ، فأيقظنا فأعلمنا بان أهل وجان قد صالحوا عن بلدهم قال:فبادرته باستحسان ذلك ، ثم زدت على أن أمرته أن لا يخالف الوجانيين ، فليكن معهم فيما أبرموه كلهم ، ثم فى الصباح افضيت الى الفقيهين سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر ـ وهما دائما من اهل اسرارنا ـ بما كان ، ثم بكر ، علينا أهل وجان فعقدوا مجمعهم . وأرسلوا الينا يريدون ان يعلنوا أنهم صالحوا عن بلدهم ، وقد صادف أن جاء فى تلك اللحظة لاغاثتنا الشيخ الوالى ابن الشيخ ماء العينين فى مائة صحراوى على نوقهم ، وفرسان بعمرانيون من أهل النية الحسنة فى الجهاد ، ومعهم القائد يرعى الذى كان ذاهبا الى تلك الجهة ، فتلقيت الشيخ الوالى خارج المجمع الذى ابتدأ ينعقد فاعلمته بما كان ، وأمرت أن يذهب قدما حتى يقف على مجمع الوجانيين ثم يشكرهم على الدفاع الذى قاموا به عن أخيه الشيخ النعمة ، ثم يدعو معهم على عادتهم فى الدعوات ، ثم يرجع ادراجه ولا ينزل ، بل يودعهم فيمضى فى طريقه ، ولا يزيد على ذلك ، ثم قلت له : انك ان نزلت فسيحاربك هؤلاء ، فنضطر نحن الى محاربتهم أيضا ، فنفسد على أخيك الساكن عندهم الشيخ النعمة ما هو فيه من

السكينة ، ففعل كل ما قلته له ، فذهب هو ومن معه راجعين من (وجان) من غير ان ينزلوا فيه ، ثم قال يرعى اذهب بنا يا فلان فلا حياة لنا نحن المهاجرين هنا بعد اليوم ،فقد رأيت أن الجميع صالح حيدة ، فبأى عين ينظر الينا نحن المهاجرين فى سبيل الاسلام بعد اليوم ، فالناس كلهم لا يحبون هنا الا الكفر وأهله ، ومن يواليه ، حتى أن البعمرانيين الذين عاشرتهم فى هذه الايام لم احس منهم اى غيرة اسلامية ، فالكل طامع في مال الكفار ان وجدوه . فقلت له : انني الآن قد اعييت وقد سهرت منذ ليال ، فلا أرب لى الا فى النعاس ، وسأخرج الآن من وجان فأذهب حيث أنام ، فان لم أجد الا ما فوق أكمة فانني أميل اليها حتى استريح ، فاذهب انت الآن الى (تردوس) عند الهيبة ، وهذان الفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر ، سيذهبان معك ليدلاك على الطريق ، فانهما حريصان على المرور بالهيبة ، وسأتبعكم بعد أيام . فهكذا فارقته ، ثم دخلت الى الشيخ النعمة ، فقلت له : انني سمعت عن البعمرانيين كذا وكذا ، وفي نيتي ان اذهب اليهم لارى ما يقال عنهم . أصحيح أم كذب ، فدعا لى فخرجت فبت فى (عين الطلبة) ثم فى (أتارض) من (اغير ملتولن) ثم فى (ادالاربعاء) عند الفقير على من آل بوفوس ، ثم فى دارنا فى (اد جلول) عند ابناء عمي،وقد قدمت أصحابى من الفرسان والمشاة الى مشهد (سيدى على بن سعيد) حيث التحقت بهم فى الغد ، فاجتمع على جميع الاعيان ، ثم طلبت منهم بعد أن يبيتوا أصحابى أن يفطروهم بكرة . وهم سبعون فارسا ومائة وثلاثون من المشاة ، فارسلت من يشترى لى ثورين فى موسم(ايسك) واليوم يوم عمارة موسمه فقلت للرسول : بمجرد ما تراني واقفا عند مشهد الشيخ ، اينني بأحد الثورين لاذبحه عليه ، ثم لما ذبحت الثور ذهبت الى دار يقال لها (دار حميدوش) تحت شجرة خروب امامها ، فحين مررت بفرساني فأثارت الغبار سألت عجوز عنا فقيل لها من نحن . وانني الذى حاربت حيدة بعد ما هادنه الناس ، فزغردت فرحا بنا ، ثم جاء أصحاب الجرارى وهم ثلاثون فارسا ، بمال يبثونه فى اعيان البعمرانيين لتفريق كلمتهم . قال فبمجرد ما رأوني رجعوا وقد ايسوا بسببى من نجاحهم ، فاذا بالقائد المدنى دخل أيضا فى أصحابه وقبيلته وهم خمسمائة فارس ، ثم صار الناس يقولون علنا أين البعمرانيون الذين كانوا ذهبوا الى مجاهدهم الناجم فى هشتوكة ، فها هو ذا طرده الفرنسيون حتى وصلهم هنا . قال فصار من يعرفنى يجىء الى،فيأتى كل واحد بما فى طاقته ، فهذا قالبان من سكر ، وذاك ثلاثة ، وذلك أربعة كل واحد بما فى طاقته ، فذهب الاخصاصيون ، فاخبروا المدنى بمن يأتون الى جماعات جماعات ، فقال لهم : انه اخونا واخوكم ، فاذهبوا اليه بنا أيضا . فاشتروا ثلاث احمال من سكر ، ففرقوها بينهم ، فى أذرعهم ،

هذا بأربعة . وهذا بخمسة . فجاءوا يقدمهم المدني الى . فقال : يا أخانـ
الناجم : مرحبا بك في ايت بعمران . فوجد ازاي مربيه ربه هو وصاحبان
معروفان يكونان معه : اسمعيل وماء العينين ، فبعد محادثته قليلة ، رجع
المدني الى محله ، وفي العشية اتاني الرئيس للقبيلة وهو عائد من (ال :
تكرميست) من أيت بوبكر حيث هذا الموسم ، فقال لي ان القبيلة ترحب بك
فان مبيتك في دار القائد محمد ابن القائد ابراهيم بن سعيد الوجداري ـ وقد
مات القائدان معا اذ ذاك ، فبينما أنا جالس اذا بشاب جلس أمامي ، فصار
يبكي ، فسألته عن سبب بكائه . فقال : ان القبيلة أعلمتني أن تبيت عندي
اليوم ، ووعدت أن تعطيني ما أبيتك به ، ولكن لم تعطني شيئا . فقلت له
هل عندك تبن ؟ فقال نعم . فأرسلت من اشترى ما يكفي لبياتنا من اللحم
والادام والخضر والخبز والاتاي والشمع ، وأما السكر فهو عندي كثير ، ثم
بات معنا مربيه ربه ، وأخوه الشيخ الوالي في أصحابهما، وفي الصباح اجتمع
كل البعمرانيين تحت الشجرة التي كان العبيد يباعون تحتها في كل موسم
من قديم ، فتسمى (شجرة العبيد) فالتأم كل النـاس ، فأومـأت الى أحـد
أصحابي ، فأتى بالثور الثاني ، فأقبلت به حتى أهويت الى ذبحه وسطهم
فتنادى الرؤساء : لا تذبح ، لا تذبح ، فقام العامة يقولون : اننا لك بكل ما
تريد ـ لان الذبيحة هكذا لا تكون عادة الا على من أردت أن تحتمي به لينصرك
في مهمة ما ـ فقلت لهم انني أريد أن أقول لكم كلمة واحدة ، انكم تعلمون
انني كنت في مراكش ، فجئتم أنتم ومن معكم من كل السوسيين بسيدنا
مولاي أحمد الهيبة ، فتابعناكم عليه ، فتركنا كل اموالنا واهالينا في نصرته.
فالآن ألا تزالون على بيعته أم لا ؟ فصرخوا كلهم بلسان واحد : الله ينصـر
مولاي أحمد الهيبة ، يكررون ذلك . فقلت لهم : انني سمعت جوابكم ، فأريد
منكم أن تعطوني الرهائن على ما تقولونه ـ ويسمون هذه الرهائن : بالوثائق
فقام احد الاصبائيين ، فوضع أمامي بندقية أهليـة قديمة لا تساوي فتيـلا ،
فبادر اليزيد أخو الشيخ سعيد الخمسي اليها فرماها وراء المجتمع بكل غضب
استهانة بها ، ثم قلت لهم : أروني وثائقكم الصحيحة ، فصارت البندقيـات
الاوربية العالية الثمينة تلقى أمامنا من كل فخذ من أفخاذ القبائل البعمرانية
ثم قالوا ماذا تريد منا بعد الوثائق ؟ فقلت أريد أن يجتمع الاعيان منكم في
موسم سيدي أحمد بن موسى ليذهبوا الى مولاي أحمد الهيبة ، ليمثلوا أمامه
فيؤدون الواجب ، فأجابوا كلهم بلسان واحد : سمعا وطاعة ، وعـلى ذلك
تفرق الناس ، ففرح من فيهم الايمان ، وفرح من في قلوبهم غل ، فبقيت مع
مربيه ربه ، والشيخ الوالي مع مائة صحراوي على نوقهم البجاويات هناك .
ثم ان القائد سي أحمد نطالب أرسل الينا بعـد ما ذهب لنبيت كلنا فـي
قبيلته (ايت يعزى) فأراني دار غنى أبيت عنده انا ومن أريد من أخصائي،

والباقون تفرقهم القبيلة - على العادة فى تفريق الاضياف ان كثروا - قال لى الرسول ذلك سرا فى اذنى . فسألنى مربيه ربه عما قيل لى، فاخبرته بالواقع فذهب مربيه ربه واخوه الشيخ الوالى - وهذا أكبر من مربيه ربه ، وهو مجاهد شجاع معروف بالشهامة - الى دار غنى يكفيهم المؤونة كلها تلك الليلة مع اولئك الصحراويين ، واسم الذين باتوا عنده : عبد الله بن بلعيد من القضاة فى عهد مولاى الحسن ، وكان السلطان يكرمه غاية الاكرام ، قال ثم اننى ذهبت الى من عينه لى سي أحمد نطالب وهو محمدبن عيسى البوكرفائى الغنى ، فاذا به لم يلقنى ولم يقبلنى ، فنزلت قريبا من داره ، فأتى الى اناس كنت اعرفهم بكبش كبير ، فخاصموا ابن عيسى مخاصمة عنيفة على ما فعله معى حتى ندم ، فأظهر التوبة حتى هم أن يذبح أمامى . فقلت له ما كان لى غرض ان ابيت عند أى انسان،وانما الذى أرسلنى اليك هو سى احمدنطالب، ثم قلت له هاك كل ما تريد من الاعانة ، فاننى أعرفك ، وأعرف اباك وأخاك ، ثم لما اعتذر قبلت عذره ، فدخلنا الى داره . فبتنا احسن مبيت ، قال ثم رجعت فى طريق الاخصاص ، فنزلت فى دار أهلى باد جلول أربعة أيام ، فكنت أظل فى مدرسة (سيدى على بن سعيد) فيجتمع على آل (بوياسين) فصاروا يوسوسون لى بأن أتولى أمرهم ، لاننى اخوهم دون القائد المدنى الذى كان سلم فيهم يوم جاء حيدة ، فرددت عليهم ردا عنيفا ثم قمت معهم فى موكب كبير الى القائد المدنى استدراكا لما عسى أن يصله من وسوسة هؤلاء الحمقى ، فنزلت عنده فرحب بى وبمن معى ، وقد كان وصله فعلا بعض ما يقوله لى اهل (بوياسين) فتخوف ، حتى انه صار يحتاط ، فلما دهمناه أنزلنى انا واصحابى فى محل خاص ، فكنت انا والقائد المدنى نظل ونبيت على المحادثة والاتاى الذى يشرب منه ولاء ، حتى انه لا يشبع منه، وبعد يومين ودعنى بناقة كوماء ، فقال لى : اننى واياك اخوان فنصحنى أن لا أتحمل كل هؤلاء الفرسان والمشاة ، وأن أبعثهم الى داره بـ (ادحيتنوف) ليمانوا هناك فشكرته ، ثم ابيت مما اقترحه تعففا ، ثم قال لى : انظر من ينقل اليك أربعين حملا من شعير من عندى،فأريته واحدا من ادجلول لتكون عنده امانة ، ثم فارقت (بوزاكارن) الى (تالوست) من (ايغير ملولن) ، ثم الى موسم سيدى احمد بن موسى ، حيث اجتمع اعيان القبائل كلهم خصوصا البعمرانيين ، ومن بينهم القائد المدنى ، فوفدت بالجميع الى مولاى أحمد الهيبة فانتعش أمر الهيبة من جديد ، ولم نكن نجد من الولتيتيين ما نجده من البعمرانيين والاخصاص من الغيرة ولا من الشجاعة ولا من الاعانات وكثير من الولتيتيين لا يهتمون الا بما يجعلونه فى جيوبهم ، ولا يستحيون أن يتطلبوا مما تحت أيدينا مع اننا غرباء مهاجرون ، وذلك على عكس الآخرين فانهم وان كانوا يطمعون من غيرنا لا يرجون منا نحن المهاجرين شيئا ولو دانقا.

في أزاريف

قال كنت وضعت اهلي ـ كما تقدم ـ عند الصالح سيدي محمد اللبني الكرسيفي الاصل الاكارضي وهو يتعاطى أفعال المجاذيب ، وربما يدعي دعاوي ، فقد أرسل شعرا على راسه ، وكثيرا ما يقول : لا احلقه الا في فاس ، يقول ذلك لآل الهيبة ، فيقصد بذلك أنهم سيحتلون فاسا معه،وقد كان يجود بكل ما يملك لنا حتى انه كان يرهن حقوله في اعانتنا، قال فذهبت الآن بعد ما ودعت البعمرانيين من عند الهيبة الى أهلي في (ءازاريف) فلبثت هناك الى ان رجع حيدة فاحتل ثانيا (تيزنيت) في ربيع الاول : 1335 هـ فتوجه الى بعمرانة وقد صار الجبل يتصل بينه وبين حماد من آل بيهي من(المسيدرة) ـ وكان من أكابر قومه البوبكريين ـ فحاول أن لا يسلك الطريق التي تمر بقبيلته، فكان ذلك هو السبب حتى سلك حيدة المسلك الذي هلك فيه ، وهو وادي (ايكالفن) فقد أخذه الله هناك بغتة برصاصة هوائية اخذا وبيلا ، قال لم احضر هذه الواقعة بنفسي ، وانما ارسلت أصحابي فحضروا فيها ، وقد غنموا بين الناس أخبية وخيلا ، ولكن الذي فاز بالغنائم الكبرى هم المجاطيون، وقد وقف فيما سمعت على حيدة ممن معه ليحامي عنه حين سقط هؤلاء الرؤساء : همو من آل سعيد اليعزاوي الهشتوكي ، وولد الحاج الرامي الاينشادني الهشتوكي،وبوهوش من آل افرا من آل باها السهليين،ومسعود الخربة من آل (اداومنتو)، وسعيد بن الحسن الامزالي ، فهلكوا كلهم ، وقد كان وقف ازاءه أيضا : عياد الجراري فنجا راجلا بمعجزة وقد ترك فرسه ، ثم عرف احدهم بعد ذلك النهار حيدة فقطع راسه وهو كما حلق شعره ،قال: فجئت اثر الواقعة الى (كردوس) فاذا باعرابي يسمى القاضي آتى برأس عدوي اللدود حيدة ، وقد جعله في مخلاة قال : فقلت للحاضرين : ان الله لم يحنث حيدة ، فقد كان يحلف أن يتلاقى معي وأن يطلع الى هذه الجبال ، فهاهو ذا رأسه اتلاقى انا وهو هنا ، وها هو ذا في وسط هذه الجبال ، ثم خرج الى المجلس الهيبة ، فطرح الراس بين يديه ، فصار ينكت على راسه بقضيب ، وهو يخاطبه بقوله : أرايت عاقبة غدرك يا حيدة ، ألم يقل لك والدي الشيخ ما قال :ـوقد ذكر أن الشيخ ماء العينين أوصاه على اولاده. ألم تر كيف عاقبة من أساء الى من احسنوا اليه ، الم نجعلك كبير جيشنا الى مراكش ، ألم نستامنك على اسرارنا . فصار الهيبة يعيد كل ما كان مضى له معه ، قال الناجم : فقمت اليه فقلت : من تخاطبه الآن ، فقال : ان كل ما اقوله له يدركه ـ اقول لعل الهيبة استحضر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به قتلى المشركين في قليب بدر ، حين قال : انهم يسمعون كل ما اقول لهم ـ ثم امر بالرأس فعلق امام باب دار القائد سعيد بن أحمد ، ثم

سرق الراس ليلا بعد قليل ، فأتى به الى الحاج حماد ولد حيدة ، فدفن الى جثته فى (تزنيت) ، قيل : ان القائد يرعى هو الذى أنزله من معلقه فدفعه الى يهودى من يهود (تازاروالت) وذلك ـ قيل ـ بوساطة مولاىأحمد من آل الشريف الهشتوكي ، وقد دفع الحاج حماد ابن حيدة فى استرجاع راس ابيه مالا كثيرا .

قال : كان فقيه شريف من البوشتواريين يسمى الحاج محمدا نازلا فى بيت ازاء مشهد سيدى محمد بن سليمان ، يقصده الناس على طبقاتهم ، وكان يتبرك به ، ومن أهل الكشف ، قال فأرسل الفقيه الى سيدى الحاج عبد ابن عمه قبل قدوم حيدة فى مرته الاولى : ان جيشين سياتيانكم قريبا من راس الوادى ، فلا تدهشوا منهما ، فاصبروا للاول منهما ، فانه لا باس منـه ، وأما الثانى فكل ما فيه فهو لكم ، فبلغنى ذلك ، فاولته بما وقع لحيدة فـى هاتين المرتين ، ثم اشار الى قضية اخرى ، فتبين ذلك فى جيش السنيغاليين والنصارى ، نزل عند (صهريج البقر) بمراكش ، ليقصد ايضا الى سوس، فاصابته صاعقة ، فاهلكت كثيرا منه ، فكان ما وقع له مصداق ما اشـار اليه ايضا ، قال : وبعد أيام من (كردوس) رجعت الى أهلى فى (ءازريف) ثم لم يطل الزمان فاذا بجيش عظيم جاء زاحفا الى سوس ، قد لحق به أخيرا الحاج التهامى الاكلاوى ، وابو السلام خليفة المتوكى ، والكنتافى وجميع قواد سوس وحاحة ، ثم لما نزل الجيش فى (تزنيت) بكر الى (وجان) حيث اسرع المجاطيون من اغير ملولن فأغاثوا البعقيليين الذين وجدوهـم يدافعـون عن (وجان) فلما أطل المجاطيون من ثنية صارت المدافع توجه اليهـم قنابرهـا ، قال من حضر : وهو أخى سيدى محمد : أطللنا فرأيت قرية تحت الثنيـة وجهت اليها القنابر حتى دكتها دكا ، فجلست انا ومن معى وراء صخـرات نضرب ونوجه طلقاتنا الى أصحاب المدافع فأثرنا فيهم ، على ما يظهر ـ لاننا احسسنا بعد حين أن القنابر من المدافع توجه الينا عن قصد ، فبقينا كذلك طوال النهار ، فسقط كثيرون من مجاط ، قال قائل انهم نحو ثمانين ، قال ولا ريب ان الموتى كثيرون فى غيرنا من البعقيليين ، ثم لما وصل الليل خرج الشيخ النعمة من منزله هناك ، وقد امن وقت خروجه ، لان العدو كان أقلع عند الاصيل فانسحب بكل ما له وما عليه ، فابتعد خطره ، فاذ ذاك رحـل كل الوجانيين فغادروا ديارهم ومن بينهم الشيخ النعمة ، ثـم ان الكنتافـى والجرارى ـ وقد كان عندهما الخبر بأن الوجانيين قد رحلوا ـ بـادرا فاحتـلا وجان ، ثم اعلما رئيس الجيش بذلك ، فكانت مزية لهما خاصة ، ثم وصلا الاسلاك بالشيخ احمد الامازرى ، فهادن الجيش بمال قبضه من عند الجرارى، فاقلع الجيش عن (وجان) ، وقد أعلن فيه أن الجبليين قد اسلسوا القيـاد ، فصالحوا الدولة الا أن الامازرى لم ينشب أن أهلكه البعقيليون بفعلته هذه ،

وكان الذين تولوا قتله ال ابى مهدى اللصوص البعفيليون المشهورون ، وقد كان الجيش ومن فيه توجهوا الى ايت بعمران وطلعوا من تلك الثنايا فزحفوا الى ان وصلوا الى (ايسك) وقد جلا كل من فى طريقه ، فبقى هناك اياما فلم يصله احد . فهناك قتل عبد الله بن بلقاسم الماسي ، قال فصرت انا اجمع قبائل الجبال من (ايلالن) و (ايت صواب)و (املن) و (وبعقيلة) و (رسموكة) فى جمع عظيم كلهم مشاة ، فنزلنا فى ايت ودريم ، قال فكنت اتوسط مجمعهم فاشجعهم فاندبهم الى قطع الطريق فى هشتوكة عن ذلك الجيش ، وقد كان أبو السلام المتوكى رئيسا على القوافل التى تاتى وتذهب فى ايصال المؤن والعدد الى الجيش ، وامر بجمع الخيل لذلك ممن عندهم الخيل ، فكنت اذيع ما أذيع ، ، وانا أعلم أن المشاة هم الذين معنا ولا خيل فى تلك الجبال ، والمشاة لا يمكن أن ينزلوا الى البسيط بهشتوكة ، وانما قصدى أن يذهب الجواسيس بما أقول الى رؤساء الجيش النازلين وراء (تزنيت) ليدهشوا خوف أن يقطع عنهم خط الرجعة ، فيؤثر فيهم ذلك . فكان ذلك أحد الاسباب حتى تراجع الجيش بعد ما مكث اياما فى (ايسك) حيث لم يجد من يتصل به من اهل البلد ، وقد تنادى الناس باهلاك كل من اتصل بالجيش،والقبائل الجنوبية اجتمعت كلها من الصحراء ووادى نون وادابراهيم ومجاط وما الى كل تلك النواحى ، فسامت رجالها معسكر الجيش ،وفى صباح مبكر ، اقلع الجيش فصار يستدير لينزل الى (بونعمان) ولكنه لم يقصده توا ، بل ذهب صامدا امامه حينا . ، ثم مال الى اليسار ، قال من حضر ـ وهو اخى سيدى محمد ـ بتنا تلك الليلة فى دار،فبات من معنا يتواصون بالملاقاة فى الجنة غدا ان رزقوا الشهادة ، والناس فى اقلال ، ولا زاد مع غالب الناس ، وانما يعمدون الى السنابل من المزروعات ، وقد افركت فيشوونها فياكلونها ، وقد بات القائد سعيد بن أحمد الكردوسى فى جانب من الدار التى نحن فيها ، فلم يتعش الا بتلك السنابل ، فطبخنا نحن عشاءنا فارسلنا اليه منه ، ثم بكرت علينا موالاة (تيماتارين) : الطلقتين بالاشارة الى نهوض العدو ، فقمنا عن عجل ، فأظللنا من ثنية فلا نرى الا صفوف الجند تخطوط الدبا ، صفا صفا ، والرصاص من الجو علينا وعلى الاشجار كالمطر ، فكل من لم يتدرق بشىء أصيب ، فما اكثر القتلى وما اكثر الجرحى ، قال واذ ذاك اصيب الفقير أبو جمعة البوعشراوى الكسيمي بجروح ذهبت باحدها عينه ، وقد كان من المهاجرين الى الزاوية الالفية ، وقد حكى أنه سقط اذ ذاك،فوصله الجند ، فتماوت بين الموتى ، فادخل جندى خنجره تحت حبل من مسد ، كان تمنطق به ، فقطعه ولم يمس لحمه ، لكونه يظنه ميتا ، وبتماوته نجا ، فقام بعد ما ولى الجند ، قال الاخ ، وعند طلوع النهار دفعنا بالفرسان الى نحر الجيش ، فاذا بالقوة تردنا حتى انهزمنا ، ثم تراجعنا بعد قليل ، ثم زحفنا

ثانيا من ثنية نحو بسيط قليل ، فاذا بالمدافع قد ارست فيه ، فوقفت انا بفرسي أطلق على من حول المدافع من بندقيتي . وانا انتظر أن أسقط ، فاذا بفرسي ركع على صدره ، وقد أصيب فتحولت عنه فاسرع اليه مجاطي فذهب بالسرج بعد ما قطع بطانه وصداره بخنجره ، فسرت انا على رجلي ، وقد انقطع الكيس الذي فيه الذخيرة البارودية وهو ثقيل . فجمعت الجبةعلىالكيس فصرت أمشي وانا استدبر الجيش والرصاص من الرشاشات ينهمر على ما حوالي ، حتى أنني لاتعجب كيف لا يصيبني ، فانه يسقطامامي فيما يسامت شخصي ، ولكنه لم يمر بجسدي مع أن ما يتراءى لي محال عادة ، هكذا اسير وحدي حتى استدرت من الثنية . حيث اختفيت عن الجيش ، فادركت اذن انني قد نجوت ، وانا اذ ذاك وحدي فلم يتيسر لي الا بعض معاريفي بعد حين . فركبت على بغلة له ، ثم رايت الفقيه سيدي علي بن عبد الله مع كبكبة من الخيل وراء الناس ، تفرقعت عليهم قنبرة فتفرقوا .

هذه لمحة عما وقع يومذاك ، ثم نزل الجيش الى (بونعمان) وقد انسحب قال الحاكي : الناجم : وقد حضر يومذاك الشيخ مولاي أحمد الدرقاوي فأعلن بالهيللة ، فدفع بفرسه ، فتبعه كثيرون ، فاثرت حملته في العدو كثيرا ، حتى أن الحاج التهامي حارب كثيرا ذلك النهار حتى سقط تحته فرس أو فرسان فقام عليه القائد ادريس بن فائدة ، حتى أتى اليه بفرس آخر،وكذلك رأى الطائرون على الجيش الاعراب الكثيرين الذين يقدمون من الصحراء ، قد اقبلوا بكثرة عليهم . فلم يصلوا الا آخر اليوم ، وبذلك كله تراجع الجيش ، وقد قتل فيه كثيرون ، لان كل رصاصة اطلقت اليهم قل أن تخطىء، لتزاحم الجنود ، ولكثرة الحشد ، قال الاخ سيدي محمد : كان الناس يومذاك فوضى لا تنظيم لهم،فينطلق من شاء ويبقى من شاء،ويتاخر من شاء ويتقدم من شاءفليس هناك الا الضمائر وحدها،وكذلك ليس عند الناس من الرصاص الا القليل،فكأن من لطف الله بالناس أن العدو قد انسحب ، وأبقى في الناس القوة المعنوية ، حين سموا انسحابه انهزاما ، قال الناجم : ثم أن الاكلاوي صار يستغل كلمة الايمان ، فكان الخليفة أبو السلام المتوكي يتصل بيرعى ثم بالمدني بالرسائل، يتطلب المقابلة ليفك القضية بالمهادنة (فتم ذلك على ما بيناه في غير هذا المحل بالتفصيل) .

في أ'وخريب

قال : بعد ما كنت ما شاء الله في (اكارض) من (ءازاريف) انتقلت الى (أ'وخريب) من (ايت باها اوباها) فحرثت هناك ، وقت الحرث ، وقد اتيت باهلي واستقرت بي الدار ، وقد كان التاجر محمد ـ فتحا ـ بن احمد ابن بلا الامزالي متسوقا موسم سيدي محمد بن عبلا ، من قبيلة الساحل ،

فالتقى مع التجار الشياظميين المشهورين اذ ذاك فى (تزنيت) ، فأتوا به الى الكنتافى الذى استقر فى (تزنيت) بعد رجوع ذلك الجيش ، فتمكن فيها وعلا شأنه ، فداول ذلك التاجر محمد بن احمد الامزالى القائد الكنتافى ، فكان مما قاله : ان عندنا عبدا صدع رؤوسنا ، فياليتك تفيتنا مؤونته ، فاخرجته عنا ، فواعده الكنتافى على ذلك متى تيسر له الامر ، قال : وبينما أنا جالس فى محل صليت فيه ، فاذا بالمذكور مر بى وأمامه عجل وراءه بقرة ، فنزل فسلم على ، ثم قال : انني تسوقت موسم سيدى محمد بن عبلا لاشترى ما احتاج اليه ، قال ثم كان عندى الخبر بما كان داوله مع القائد الكنتافى ، فارسلت الى الفقيه سيدى الحاج عبد . فاخبرته بكل ما كان من ذلك الامزالى حولى ، فقال الفقيه وهو غضبان : البسه الله لباس الجذام ، ثم صار الامزالى يبث الدعاية ضدى ، فجاء سيدى الحاج عبد فخاصمهم على ذلك ، وقال لهم : ام اضر بكم ما تمونون به اصحابه - وكانت قبيلة ايت باها والماجْكِيكِيلِيثون يصنعون فى كل وقت وجبة رقيقات من الخبز لمن معى من اصحابى، كمؤونة لهم تبرعوا بها - ثم بعد ذلك بلغنا أن الكنتافى الذى تمكن منذ نزل فى تزنيت فى كل قبائل (ازغار) الى (هشتوكة) صار يجمع الجيش ليزحف الينا ، وقد كان احمد بن على البلفاعى خرج عن طاعة الكنتافى ، فهرب منه الى (انموليل) من (ايت ودريم) فسكن هو وأصحابه نحو عشرين فارسا ، قال وقد كنت حصلت من محروثى ما حصلت فصرت أبيع منه - شعيرا او ذرة - وارسل منه الى ايت (والياض) احتياطا لاخف متى أردت أن ار حل من جديد .

فى أيت و ّالـياض

قال ذلك هوالسبب حتى فارقت سكنى(انوخريب)فانتقلت بأولادى الى محل الجديد، فقطنت فى دار لعلى بن ابراهيم كانت لاخيه الحسن بن ابراهيم،وهما من اهل (تونودى) وهم من آل سيدى ابراهيم التونودى (الشهير المتوفى سنة 1248هـ) قطنت هناك أنا وأصحابى ، فلما جاء الكنتافى زاحفا لم يقف حتى وصل الدار التى كنت فيها ، وقد كان اراد أن ينزل فيها الا انها لم تعجبه ، فنزل فى دار سى بلا من آل انومغار،فورد عليه احمد بن بلا فقال له : اربحك الله منا ، فان هذا العبد كاد بافعاله يحول بيننا وبين مجالات تجارتنا فى ازاغار الى السوير،فها أنتذا الآن زحزحته عنا، فاعطاه الكنتافى مالا ولباسا ولم يتكلم الابكلام كثيرين هناك،قال فكنت انافى(ا دْ كَّانْبارك)من ايت والياض انا وأصحابى ، ثم ورد على اصحاب أحمد بن على البلفاعى،والحسين بن عمر - المشهور بعد فى ثورة الواغزْنى - فصار البارود يقع بيننا وبين الكنتافى ، فهبت ريحنا عليه حتى انهزم من معه ، فامر اصحابه أن يردوا المنهزمين ولو بالرصاص ، فوقف محمد بن عبد السلام الجرارى ، ومحمد

ابن بو السلام الميلكي،والقائد الحسن الاكلنويي وقوف الرجال ازاء الكنتافي، فلم ينهزموا ، قال وقد كنت انا راجلا ، فأبعدت فرسي . فجلست متترسا وراء (اشبار) - وهو المحل يتدرق فيه الرامي المبنى بأحجار - ومعي مشاة جبليون فارسينا هناك نضرب منه فذهب ابراهيم بن محمد بن بلا الامزالي الى الكنتافي ، فطلب منه ان يعطيه رجالا ليزحف الى المحل الذى نحن فيه ليخرجنا منه . فاعطاه فيلقا من الجند الذى معه ، فاستداروا وراءنا ، فلم نشعر حتى دوت الموسيقى العسكرية من خلفنا ، فاجفل الجبليون الذين معي ، فتركوني وحيدا حتى الذى تركت الفرس في يده قد اطلق لجامه ، واعلمني بذهابه ايضا بدوره ، فقمت فركبت على فرسي فهربت بدوري ، فصاروا ينادونني:ياصاحب القرون-يعنون النواصر اى الشعر المجتمع على عوارضي- يا أيها الاسود ، والله ليرين أبوك الحرطاني اليوم مهلكه ، ثم والوا على رشاشات رصاصهم كالغيث المنهمر فنجاني الله فذهبت حتى لحقت منحدرا فسرت معه ، فوجدت أهل (اِدْنْبَارْنْكْ) كما نزع منهم عبد لي ثورا كانوا اخرجوه ليذبحوه أمام الكنتافي ، ثم بتنا ذلك النهار ، فناديت رب مثواي علي بن ابراهيم ، فقلت له : الم يكن محمد بن احمد بن بلا الامزالي صاحبك ، فلماذا لا يتوسط بينك وبين الكنتافي اليوم ، ويقف معك كما وقفت معه أمس حين اقمت السوق أمام داره ، وقد انفقت عليه مائة غرارة من الدقيق أريد بذلك ان يبقى في داره ، فاتبعني في ذلك ، فارسل الى الامزالي فقال له ذلك ، ثم قال له : ان العبد سنجليه عن بلدنا ، ليذهب الى حال سبيله ، فتم الامر على ذلك ، فاهدت القبيلة للكنتافي في اليوم الثاني ، ثم أصبح الكنتافي سائرا بجيشه ، فنزل (تاكدانت) ، فهناك نصب مدافعه ، فخرجت انا ومن معي وأصحاب احمد بن علي ، فتوجهنا الى (تونودى) حيث أولادي فباتوا عندي ، ثم أوصلتهم الى ايت (وكريم) في (تَارْكَا والياض) وفي اليوم الآخر خرجت أنا وعلي بن ابراهيم الذى لا يزال معي وقد ابى أن يفارقني الى (تركا والياض) فبقينا هناك ما شاء الله ، وهو قرية منيعة ، فتقدم الكنتافي حتى نزل على (اكادير نتريمت) فهدمه ، ثم رجع الى تزنيت فرحا بما ناله من الانتصار،فكانت هذه هي فاتحة وقائعه في جبال تلك النواحي قال : واذ ذاك كتب الكنتافي الى (يَارْكِينُو) يخبره بأنه فتح أربع عشرة قبيلة وقد كاد يسمي له القرى على أنها قبائل ، فلما علم (يَارْكِينو) الحقيقة عرف أنه يكذب سياسة ، فكان ذلك لبنة مما بنى بعد ذلك الوقت حواليه من بناء سميك من أكاذيبه عند الحكومة . فكان ذلك سبب اعفائه من تزنيت.

الرجوع الى تونودى

قال ثم اننا بعد رجوع الكنتافي عادت (هيف الى اديانها(1)) فرجع كل

(1) هَيف بفتح الهاء الريح الحارة.وذلكمثل لمن يرجع الى ما هو عادته من القبيح

ما كان الى ما كان فيه ، فرجعت انا مع صاحبي علي بن ابراهيم الى محلي عنده ، ثم وصل موسم (سيدي مسعود افلوس)من قبيلة(إداكنيضيف) فذهبت انا وعلي بن ابراهيم ، زابن الحسن ، ودهمتو،وعلي من آل حميدة الى الموسم في(تيكيساس) فاشتريت هناك حملا من السكر وثورا ، فأعطيتهما لاهل (تيكيساس)ومثلهما لايت سميون جيرانهم ، فبت عند الاولين . فكنت في دار القاضي السيد عدى الفيلالي ، وفي الليلة الاخرى عند جيرانهم ، ثم اشتريت ثورا آخر ، فذهبت به الى (اساكن) وقد كان الايساكنيون تفاقموا مع رئيسهم الشيخ سعيد الانامري ، فصالحت بينهم بعد ما قدمت الثور ، فضيفوني أربعة أيام ، فذهبت الى (ايترغ) حث بقيت ثلاثة أيام أنا ومن معي، ثم الى (تازكا) من قبيلة (إداكنيضيف) ، وهو بلد حسن فيه المياه وأنا اسوق دائما حيثما ذهبت الثيران وأحمال السكر ، ثم الى(ايغير افران) ثم الى (امحيلن) ثم (كمزت) ثم (اداوكنير) ثم الى (تازكنزا)ثم الى (تيدلي) فكنت اقول لكل فريق : اني مهاجر اليكم فأريد منكم أن تدافعوا عني يوم احتاج اليكم فاعطوني كلهم العهود على ذلك ، ومن هناك رجعنا الى محلنا من (ايت والياض) قال ثم سلط الله الجذام والبثور والقروح على جسد محمد بن أحمد بن بلا الامزالي الذي كان دعا عليه الفقيه سيدي الحاج عبد ، فينتفخ حتى هلك وشيكا ، قال ولم نرجع حتى هلك ، ثم تتابعت الايام على هناك ثم مات أحمد الهيبة سنة : 1337 هـ . فجئت أنا والولياضيون حتى عزينا فيه وبايعنا مربيه ربه ، فرجعت الى مستقرى ، قال : ثم صارت السياسة الكنتافية تحوم حولي كثيرا . فيبث الدراهم لمن سيفتك بي غيلة . وأنا متكل على الله ،والناس يامرونني أن اتجنب ، فتسربت الينا أخبار من نواح شتى أن نرد بالنا الى ما سيقع يوم العيد . فصليت المغرب ليلة العيد خارج مسكني ، فضاع لي شاهد السبحة في مصلاي ، فبحثت عنه فلم أجده ، ثم بكرت بعد صلاة الصبح عند الاسفار لافتش عنه ، فاذا بفلان وقف ازاءي فسلم علي ، فسأل عن الرئيس أين داره ، فماشيته الى داره ، فطلب منا أن ندخل معا اليه ، فاعتذرت له بانني سأذهب الى المجتمعين من الناس لافطر معهم ، وقد حثوني على ذلك ، فادخل الرئيس الضيف الى داره ، فذهبت أنا الى الناس . فجمع الناس أطعمتهم على العادة في صباح كل عيد ، اذ ياتي كل انسان بطعامه كيفما كان الى المسجد ، فيأكل الجميع ، ثم يتسامحون ويتغافرون بعدأن يهنئ بعضهم بعضا بالعيد ، فقال لي المجتمعون : أين علي بن ابراهيم ؟ فقلت لهم : قد دخل عنده ضيفه وهو فلان ، فقال أحد الحاضرين : ماذا يريد علي من فلان ، فوالله لا يقتله الا هو . ثم خرج علي من الدار مع ضيفه من الصباح ، ثم ولى النهار ولم يرجع ، ثم تبين أنه ذهب به الضيف الى غابة فيها مترصدون له ، فقتلوه هناك بالخناجر . فرآتهم راعية وهم مجتمعون ،

فحكت لامها حين رجعت ، في العشية ما رات ، فتسرب الخبر الى الناس ، قال : فذهبنا بالفذارات ليلا الى الغابة ، فوجدنا جثته كلها ثقوب بالخناجر . فبيناه في قبة سيدى ابراهيم، فانطلقت طلقتا (نيماتارين) فاجتمعت القبيلة ثم دفناه ، فائتمروا فيما هو المعمول . فقالوا لي ماذا نصنع ؟ فقلت لهم ماذا تصنعون ، انكارا عليهم ، قوموا واعطوا عربون غضبكم في ديار هؤلاء الفاتكين بأخيكم ، فأعلنوا (أشهاد) الذى هو (اللهم صل عليك يا رسول الله) وذلك على العادة . يقال باعلان الاصوات عند زحف ، أو عند عمل عظيم يقام به ، فذهبوا وأحرقوا ديار بعضهم ، ومعهم بعض أصحابى ، ثم ذهبت في العشية الى الفقيه سيدى الحاج عبد ، فأوصلت اليه الخبر ، فجاء معى فبتنا في (امكيون) عند ابراهيم بن عبد ، فلما وصلنا جبلا صعبا نزلنا فمشينا على أقدامنا في نزهة في الجبل ، فأرسلنا بغلته وفرسي يستديران في طريق البهائم ، فاذ ذاك قال لي : يا ناجم . أرأيت لو عم النصارى جميع هذه البلاد ، انني اذ ذاك سأنحاش الى حجر في قمة جبل أعبد فيه ربى حتى أموت ، ثم تصاحبنا حتى تركته في (تانالت) وقد شارط فيه ، فذهبت أنا الى الاخصاص ، فنزلت في دار اهلى ، ولم يكن بقى معى من أصحابى الكثيرين أحد هناك الا عبيد صغار تركتهم عند الاهل ، وصاحبنى اثنان هما منهم القادران على الاسفار ، وأما خيولى وأصحابى فهم في بعمرانة ، ثم بلغنى ان الرئيس ابا بكر بن عدى ذهب بوسوسته الى جميع العبيد الذين تركتهم ورائى ، يقول لهم : اذهبوا معى الى الكنتافي حيث تجدون ما تأكلون ، ثم تسوقت ايت بوبكر في (بعمرانة) فلاقيت محمد بن مبارك (بوصاليم) بأبا البصل وقد وجدته مع الشيخ سعيد فقلت لهما بعد المساءلة العادية : ان عبيدى وصلوا الى الكنتافي ، ولكما انتما معه دراسلة فاكتبا اليه ليرد الى عبيدى ؛ فكتبا اليه ، ولكنه رد أقبح رد ، اذ قال : انني لم ار عبيده ، فان اراد القائد الناجم عبيده فليتبعهم الي ، قال : وكان الشيخ سعيد يتوصل بمال كثير من الكنتافي بوساطة (بوصاليم) المذكور ، قال : ثم لما تم الامر لمربيه ربه ، وقد اجتمعت اليه القبائل : انعموا له بريال لكل دار في كل سنة ، فقيل له : ان الاولى لك ان لا تنحشر دائما في (كردوس) فاخرج ودر على ايالتك ، لتجمع هذا المال الذى جعل لك ، ولتتصل بالناس ، يقول له المدنى ذلك وأمثاله ، ولا غرض لهم الا أن يمهدوا به القبائل لانفسهم ، قال : فاذ ذاك وصلته الى (كردوس) باستدعاء منه ، فخرجت معه في موكب فيه الفقيهان سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر بن محمد ، والوزير يرعى ، والقائد سعيد بن احمد قائد المشور ، ومحمد بن عبد العزيز الكاتب الخاص ، وكاتب آخر يسمى العربى الوزكوبى الصوابى(1)، قال الناجم كان عندى السيد العربى

(1) توفى هذا الكاتب 1358 هـ .

هذا كاتبا في اول أمره ، منذ كنت في (اكافاى) من هوارة ، فلازمني ما شاء الله ثم لما رايت من أخلاقه ما لا يعجبني نفضت منه يدى ، فالتحق بكتابة الهيبة ثم مربيه ربه ، ثم لم يزل معهم حتى الساعة الاخيرة ففارقهم الى اهله ، قال ابتدأنا في (مجاط) ونحن مع مربيه ربه ، وقد بتنا بمعسكرن في (ايبشلو) ثم الى (ايت موسى) عند يحيا أحد الرؤساء ، ثم الى (افلدمان) في (ايت رخا) ثم في (ادخينتوف) عند القائد المدني ، وقد صادفنا قلة الماء وانقطاع المطر . ووجدنا ولده محمدا يبني دويرة في الدار فأضر العطش بالدواب ، فجلس المدني ومربيه ربه يتحادثان ، فدخلت عليهما فقلت للمدني : ان البهائم التي لمربيه ربه قد أضر بها العطش ضررا عظيما ، فأذن أن تورد من نطفية لك هنافناديت انا لما خرجت من عندهما في الناس أن يذهبوا كلهم لايراد بهائمهم من النطفية . فلم يعجب ذلك المدني، لان ماء النطفية سينقضي ان ورد منه الجميع ، والماء عزيز كالتبر في تلك البلاد في بعض الفصول ، لانهم انما يجمعون مياه الامطار في النطفيات المحفورة ، ولكل واحد نطفيته الخاصة ، قال : ولم نستتم ورود البهائم من تلك النطفية حتى أنهلت الامطار ، فتوالت علينا ملثة ليل نهار ثلاثة أيام متوالية، ثم الى (سوق الثلاثاء) فصلى فيه الناس الظهر ، وكان المعتاد ان يؤم في الصلاة دائما مربيه ربه كلما كان حاضرا ، فبات مربيه ربه في (سيدى على بن سعيد) والمدني في (ادالاربعاء) والناس محلهم في (ايت على) بالاخصاص ، قال وانا في دارى بـ : (ادجلول) وفي اليوم التالي جاء المدني فقال نذهب الى بعمرانة ، فقام الشيخ سعيد دون ذلك ، فقال : لا والله لا يدخلن المدني الى قبيلتنا ، فانما مقصوده في اخراج مولاى المصطفى - وهو الاسم الرسمي الخاص الذى أطلق من جديد على مربيه ربه منذ بويع وربما يسمى مولاى محمد - ان يمهد به لنفسه القبائل . فلما سمعنا نحن ، أنا والفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر بن محمد الافراني ذهبنا الى المجتمع وفيه الشيخ سعيد نفسه ، فراوده الناس وابلغوه ان السفر هذا ليس للمدني بل لهذا الشريف الذى تدور حوله كلمة المسلمين اليوم ، وهو الذى خرج الآن يجمع ما جعلته له القبائل وطابت به نفسا ، فلم يزالوا بالشيخ سعيد حتى لان ، فسحب اعتراضه ، وقد كان المتولى للكلام مع الشيخ سعيد حتى لان : هو الفقيه سيدى على بن عبد الله،وآخرون امثاله ، قال ثم من هناك الى(ايت عبلا) فاهدى قائدها سى أحمد نطالب - لان كل قبيلة وصلها مولاى المصطفى تهدى أولا . ثم تضيف ثانيا ، ثم تؤدى ثالثا حساب ريال لكل دار ، وعدد الديار معلوم تعرفه كل قبيلة عن اخرى - فبت في دار هذا القائد ، ثم الى (آيت بوبكر) فنزلنا في (افرض) فبتنا في دار ابراهيم بن سعيد ، وهناك وفد شرفاء ايت (بوكارفة) يقدمهم سيدى التهامي وسيدى محمد بن بكريم ،

ثم الى قبيلة (الساحل) فبتنا في (افردا) ثم الى (السهب) ثم رجعنا الى (ايت احلف) فبتنا في (تيكرت تشتيخ همو) ثم الى (ايت الخمس) فتلقونا بالسربيس - الوقوف بالسماطين - فكثرت الطلقات ، فيتعالى البارود من هؤلاء وهؤلاء فرحا وبالزغاريد ، قال : فجاء الى الفقيه سيدى علي بن عبد الله متجهما يطفح بالجد والرزانة ، فقال ما هذه الحالة عندمولاى المصطفى وعند زوجته -لان النساء اقبلن اليها أيضا بالمآت ترحيبا بها فأكثرن من الزغاريد - فقال : ايزغردن عليها او عليه او عليهما معا ؟ وما هذا البارود ؟ انحن في عرس ؟ فأبلغت ذلك لمربيه ربه ، وزدت عليه : أن الاولى ان لا يسمح بالبارود اصلا ، لان بين الفريقين من لا يتقون الله ، فقد يتعمد البعض ضرب البعض، ثم يزعم ان ذلك غلط ، قد يجيبه المناصرون للمقتول ، فتقوم المقاتلة على ساق ، فنبدأ امرنا على حالة ، ثم نختمه على حالة أخرى ، قال وانا اعرف نفسية هؤلاء الناس - ثم استدعى قائد المشور القائد سعيدا ، فأمره أن ينادى في الناس أن لا يخرج احد عند ملاقاة الناس ولو رصاصة واحدة ، فتمشى الحال على ذلك بعد اليوم ، فبت أنا عند الفقيه سيدى الحسن بن محمد في (ا'وخنريب)(1)ومربيه ربه عند مشهد (سيدى سليمان بوتلومئيت) فانزلوه في دار الفقيه سيدى زكريا التادراري . والمدنى عند محمد بن عدى مع البيدرى ، فبات عندهما ، وعما من أصحابه ، فدام المطر الليل كله ، وبات المدني تحت سقف واكف الى الصباح،ثم الى (ا داونساكن) وهم أولاد سيدى سليمان بوتلومئيت فنزل مربيه ربه في دار أهل سليمان ، قال وانا ويرعى بتنا في دار محمد بن الحسن ، ثم لما وصلنا (السماهرة) بتنا عند دار الحاج عبلا ، ثم الى (ا منستيتن) فجاء الشيخ سعيد فاكرمنى أنا ويرعى بثمانين ريالا، فبتنا عند أولاد سيدى سعيد (2) التملي المنتقل من بلده الساكن هناك، وكان رجلا صالحا ، فترك اولاده هنا ، ثم الى (ا صنبويا) فنزلنا في (ا'وتلوك) وكانت هناك دار لمربيه ربه ، بناها في عهد اخيه الهيبة ، فكان يقطنها ، فبات فيها الآن ، ثم الى (تالوين) ثم الى (الكصابى) في ايت الحسن ، فبات كل واحد حيث اداه اليه بخته ، لان الاضياف يفرقون عادة ، فذهبت الى المختار بن عمر ووجدته قد سد بابه عن اعراب من أصحاب مربيه ربه قصدوه ، فقرعت انا عليه الباب ، فقال بغضب : من هذا ؟ فقلت له ممازحا من سيقطع راسك بأمر السلطان ، فعرف كلامى فخرج بفرح ، وقد كان عفرينا لا يعبأ باحد،فنزلت عليه.فوجدت عنده أعيان الركانيين:اسمعيل ابن البردى ، وأحمد حماد، والسعدى ، ومحمد سالم التهالى ، والداه ولد

(1) وهو غير ما تقدم . وهناك قرى سوسيه يطلق عليها ا'وخريب .

(2) هو من (د'و'يملالن) من أصحاب الشيخ التامودزيتي ، وهو فقيه حسن . كان يكتب مؤلفات شيخه .

محمد بن عبد الله ، وقد أفاض عليهم من حليب النياق ما جعل ضيافته لهم من افضل الضيافات. ومن هناك الى (اكلميم) ثم الى (ايزاافاضن) فى (اسرير) قال هكذا صرنا ندور فى احفلات والضيافات ، وقد نسينا بذلك كل شيء ، والقبائل منقادة . والهدايا تتوالى على كل فرد منا ، ففى كل يوم أفراح جديدة، فاذا برسالة من الفقيه سيدى الحاج عبد البوشوارى وردت علينا يعلن فيها التثريب لنا على ما نحن فيه من الاعراض عن حراسة الحدود ، وتخوفا بين ايالة هذه الناحية ، وايالة الحكومة ، قال وذلك أن الكنتافى قيل له: ان الفرصة قد سنحت الآن لتضرب الضربة القاضية . فان خصومك هؤلاء قد اشتغلوا الآن بما هم فيه من الحفلات ، وقد استأمنوا الى الامن السائد بين الفريقين ، فلو زحفت اليهم بغتة ، لتبجبجت الجبال بسرعة ، فتهيأ في جيشه ، فزحف الى جهة (ايت ودريم) لينتصر ثانيا فيما يحسب كما انتصر أمس فى المرة الاولى ، قال فلما قرأنا الرسالة ، نادى مربيه ربه الوزير يرعى فاعلمه بورود الرسالة على يدى ، فذهب يرعى الى المدنى فقال له ان الناجم لا يترك هذا السيد حتى يستتم ما يجمعه ، ولا ريب أنه هو الذى أوعز الى الفقيه سيدى الحاج عبد ليكتب هذه الرسالة ، فأرسل الىَّ المدنى ، فسألنى عما ورد ، فأريته الرسالة التي جاءت باسمى ، وأعلمته بالاخرى التى اوصلتها الى مربيه ربه ، ثم قلت له : تعلم أن أولادى لا يزالون فى (ايت ولياض) وقد توجه اليهم الكنتافى ، فلا بد أن أذهب لادافع عن حماهم ، فقال لى انقل أولادك الينا ، فهذه بغالنا وأصحابنا ينقلونهم ، فقلت له كيف أصنع ؟ وقد علمت أن خليفة الكنتافي عبد السلام من أولاد عيسى — الذى كان هرب منا اليه — قد نزل هناك فى دار تقابل (تونودى) حيث أولادى ، ثم أننى اذ نقلت اولادى من وسط الناس فان ذلك سيجر اليهم الهزيمة،افاحيا عمرى كله فى جبر الهزائم ، فأبقى حتى أتسبب فى الهزائم فى مشيبى ، ثم لما ألح على فى نقل الاولاد قلت له : وانا أقصد غير ما يقصد : لابأس ، اعطنى بغالك ، فأرسلت عبدا لى معها ، فقلت له اذهب حتى تدخل ليلا ، واترك البغال خارج المحل ، فمن لاقاك فقل له : ان المسلمين آتون للدفاع وبشرهم ، ثم تحايل حتى ترجع من غير أن تاتى بأهلى ، ثم رجعنا فبتنا فى (ادحمان) ثم فى (بوزاكارن) ثم الى افران فبتنا فى (تانكرت) فهناك وقعت مكالمة عنيفة بين الفقيه سيدى على بن عبد الله وبين على آكترسوم الموسوى المجاطى من اجل أملاك الفقيه التى تعدى عليها أهل (ايشتم) فكان هذا المجاطى يهب بريحهم ، قال : ثم لما رجعنا من (تانكرت) تلاقينا مع رسالة أخرى من الفقيه سيدى الحاج عبد يؤيد فيها ما قاله فى الاولى ، فبتنا فى (كردوس) فخرجت فصرت أطلق الطلقتين (تيماتارين) فلم ياتنى الا قليلون فى مقدمتهم الفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر بن محمد،وقد كان القائد أحمد الاصبويثاوى

وابو شامة واحمد بن مبارك وبلعيد بن الطيب ، ـ وهم كبار (اِصنبويتا) ـ جاءوا مع مربيه ربه الى (كردوس) فعاهدونى على ان يقوموا ، فان لم يصلونى فى ايت (والياض) فانهم سيزحفون الى (تزنيت) من جهتهم ، قال ثم ان الكنتافى طلع الى (ايت ودريم) فوصل دار الحسين بن عمر ، فهرب هذا ، فدخل الكنتافى الى داره قال فذهبت أنا والفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر . ومحمد الامام ابن الشيخ ماء العينين ، والقائد سعيد الكردوسى ، وأصحابهم من (كردوس) فبتنا فى (أكادير اِيبودْرارْن) بين بعقيلة ورسموكة ، ثم فى الغد اصبح سوق الاحد فى (أنزِى) ، فذهبوا فبرحوا هناك بالجهاد ـ نادوا به ـ فبت أنا عند (سوق الاثنين) فى (أداى) رسموكة عند الحاج يعزى ، ثم أحسنت اليه ، وأمرته أن يشترى لحما وأن يستدعى من فيهم الرجولة من القبيلة ليتغدوا عنده ، واليوم يوم السوق ، فلما طعموا قلت لهم : ان السلطان يسلم عليكم ، ويدعو لكم ، ويامركم ان تقوموا فى سبيل الله لتدافعوا أعداء الله ، فان الكنتافى قد زحف الى أيت والياض ، فأعلن (البراح) ـ المنادى ـ فى السوق عن اذنى بالقيام الى الجهاد يا مسلمون :فالاغاثة،فالاغاثة ايها المومنون،هذا وبينما المسلمون أصحاب الغيرة يقومون بهمة اذا بمن فى قلوبهم مرض ، وفى جيوبهم غرض ، وما دينهم الا عرض ، صاروا يحوكون نسجا آخر ، وهم على نَدْاهمْتو الرسموكى ومحمد ـ فتحا ـ من آل (اذحر) وموح بن الحوس ، والشيخ موح من (تيلتين) فلاقونى فقالوا : تنادى انت فى بلاد الناس بما تنادى به بغير اذنهم، فقلت لهم : لم يبرح الا السلطان والمسلمون ، وما أنا الا رسول رئيس المسلمين ليقوموا كلهم كى يدافعوا عن بلاد المسلمين ، ثم رجعت الى (أنزِى) حيث اصحابى نازلون . فاذا بالحسين بن عمر الهارب أمام الكنتافى دخل علينا، وقد ورمت شفتاه،لان فرسه قد ألقاه فى الطريق علىوجهه ، جاءنا مستصرخا، ثم من هناك الى (تاسيلا أوزاريف) فبتنا ، ثم الى (تيلكات) بايت حامد حيث بتنا ، فنوينا ان نرابط هناك للدفاع ، لان رجالا بعثهم الكنتافى نزلوا أمامنا فى دار . كما نزل ايضا هناك باهله الحسين بن عمر ، وقد خرج الرجل من داره ، قال كان بين الحسين بن عمر والقائد مبارك البنيرانى المجاطى صحبة ، فأرسل لنصرته القائد مبارك أخاه الحاج ابراهيم فى خمسين فارسا من مجاط ، وهمالسابقون الى هنا . ، وان كانوا أتوا من بعدنا من مجاط ، ثم جاء على اِيغيور ، والفقيه أحمد بن أبى الطعام فى نحو مائة فارس ايضا، وقد جاء على اِيشنلحين ، وعلى أوبخيس ، وهمر ، ومحمد بن موح الذى صار بعد ذلك اليوم قائدا مخزنيا على جميع مجاط ، وهكذا تبادر المجاطيون للدفاع ، ثم تناثرت القبائل من كل جهة من امنلن الى بعقيلة ، ورسموكة وسملالة وِا يغشان يقدمهم الهاشم ، قال : ثم أن الذين ملأواتلك

الدار من أصحاب الكتاني صاروا يصرخون بسبنا ، وربما قالوا اعطونا عبدكم هذا لنهديه للقائد . لعله يعفو عنكم - يعنونني - ثم تعاطينا معهم طلقات ، فسقط مجاطي في براح مكشوف بيننا وبينهم ، فتنادى الناس يتشجعون من عسى أن يتقدم لياتي به . فلم يقدر أحد أن يجازف بروحه . فقام الفقيه سيدى علي بن عبد الله الالغي ، فرد الى كتفيه ذيل سلهامه الذى يلبسه ، فبرز والعيون اليه شواخص،حتى انتشل المجاطي بيديه،والرصاص حواليه ولا يبالي ، فحفظه الله حتى رجع ، فكان آية للجبناء . ومثلا شرودا من شجعان العلماء ، ثم ان الكتاني الذى كان نازلا كما ذكرنا في دار الحسين ابن عمر زحف الى (انمولبل) وهو قرية كبيرة ، فصار يلقى عليها القنابر ، وقد كان مع الحسين ثمانون راميا واربعون فارسا نزحوا معه ، فصاروا مع الفقيه سيدى علي بن عبد الله ، يتموجون حواليه ، وهو يقودهم يامر وينهي ، واراد ان يسير دفة الحرب . فجئنا الى هذا وجينا الى هناك وقد يقول لهم : استتروا بي فانني أمامكم . قال : فتركتهم وسكت أنا ما شاء الله فالتفت الي الفقيه بغضب ، فقال لي : لماذا تسكت انت ولا تتحرك ؟ مع اننا انما انك في هذا الميدان تبع ، فقلت له : ان كان في يدك الكتاب يا سيدى فهل كنت اتكلم بين يديك ؟ فقال لا ، فقلت له : وكذلك انا أقرك على ما تقول . من أن هذا الميدان ميداني . فقال الفقيه : هذا هو الحق . ومن ذا الذى يقدر أن ينازعك فيه . فها نحن أولاء بين يديك ، فقل يصخ لك ، ومر تطع؛ وقدنا نتقد لك . فنزت من محلي فناديت في الناس أيها المسلمون ، أيها المجاهدون .يا رجال سوس . يا أحرار جزولة ، ليخرج معي منكم من يريد أن يموت في سبيل الله ، وأن يروح اليوم الى جنة عرضها السموات والارض ، فان أبواب الجنة الثمانية قد فتحت كلها ، فأين أهل الغيرة ؟ وأين من يريدون أن يدخلوا في الحياة التي لا موت بعدها ؟ وأين من يترك نساء الدنيا الذفرات الى حور الجنة اللاتي كأنهن لؤلؤ مكنون ؟ فلم أكد أستنهض الناس بذلك حتى تبادر الى المجاطيون الشجعان فلله درهم من أحلاس الوغى ، والمطاعين فيالهيجاء يتبادرون مندلقين الى ، فارسا فارسا . فكان من بينهم البطل الشجاع ابن الشجعان احمد بن القائد مبارك البنيراني ، فتقدمت بهم ، فانحدرنا في الوادى نقصد (اربعاء) ايت حامد ، فاذا بنا لقينا عبدا مستنير الوجه ، فقال الى أين تريدون ؟ فقلنا له : الى ساحة الجهاد أمامنا ، فقال كذلك أنا ، فأمرته أن يسبقنا ، فلم نكد نطلع على ثنية حتى رأينا طلائع الجيش الكتاني متفرقة على رؤوس الجبال ، وقد أوصاهم ان رأونا أن يعلنوا الطلقتين (تيماتارين) فأعلنتا في الحين . ثم تمادت ، وتسلسلت من قمة كدية،الى قمة كدية أخرى؛ حتى وصلناه حيث هو نازل . فاقلع بمدافعه ، فتوجه الى جهتنا . كما اننا متوجهون الى جهته . فهاجمناه في الجانب الذى لا يظن أنه يوتى منه . فاطلقنا

فرسانا اطلاقة واحدة ، فلم نقف حتى خالطنا معسكره . ونحن مستميون لا نبالي بالحياة ، فمات منا من مات كأحمد بن القائد مبارك الذى سقط في وسط معسكرهم ، ومات منهم كذلك من مات ، وقد سقط من تحت الكنتافي ثلاثة أفراس ذلك النهار بالرصاص العارض لا لمحاربنه ، قال وقد مررت بكاتبه الفقيه الحاج الهاشمي الناصري على بغلته ، فتركته لوجه الله ، ثم جلنا جولة عظيمة في الكنتافيين ، فانهزموا هزيمة منكرة ، فغنمنا قليلا ، ومن بين ما اخذ فرس واحد ، اعطيناه لعلي الا يشنليبتحينى المجاطي الطماع ، ولو كانت المدافع موجودة في معسكرهم لاستولينا عليها ، ولكن الكنتافي كان قدمها امامه قبل نشوب المعركة فهربها احتياطا ، ثم تساقط علينا أهل امتلين بنحوخمسمائة بعد وسط النهار ، وقد رايناهم يصلون صفوفا لما قاربونا بامام واحد (I) ، وكثيرون من القبائل الاخرى ، قال : وفي الليل جمعت مشاة نحو ستمائة . فشجعتهم على ان نسرى حتى نطلق الرصاص على مبيت الكنتافي في دارالحسين ابن عمر حيث نزل فبات. فصرنا نطلق عليه من الرصاص تخويفا له وازعاجا، ثم أمر العسكر أن يضرب الموسيقى ، ولجهل الجبليين ما هى الموسيقى اجفلوا حين سمعوها ، فلم يبق الا أصحابى الذين عرفوا أن لا شيء وراءها ، ثم جمع متاعه فخرج من الدار ، ففر فتبعه الناس حتى وصلوا (ايت ايلوكنان) فانتهبوهم ، ففر الكنتافي فرار الارانب لا يلوى على شيء ، قال : وفي الصباح ذهبنا فنزلنا في دار الحسين بن عمر ، ثم لم نبت الا في (تيميشتا) من ايت (فلاس ؛ فأتوا بكبش ، فقلت لهم : هل الكبش ذبيحة الاستسلام يا بني كذا وكذا ؟ فأين الثور ؟ فاعتذروا بأن لا سائمة في البلد ، لانهم هربوا كل شيء من الحيوانات ، ثم بلغنا عن عبد السلام من آل ابن عيسى ما بلغنا من هروبه منا ، فأردنا ان نعتقله ، ولكن لم نصل محل نزوله حتى وجدناه هاربا منذ الصباح ، وقد ازعجه طلائعنا من المشاة ، ثم تتابعت هدايا الاستسلام من القبائل الجبلية التي كانت تحت الكنتافي قبل ، حتى بلغت (التعركيبات) سبعة ثيران ، ثم ذهبنا حتى وصلنا الدار التي كنت فيها في (أخريب) ، . فكانت هذه الحرب للكنتافي هي التي قضت عليه قضاء مبرما ، حتى عزلته الحكومة لا عن تزنيت فحسب ، بل حتى عن قبائله في وادي نفيس وما اليه من كدميوة ، فعادت عليها هذه المعركة بالنحس والشؤم وسوء الطالع ، قال ثم لما تمهدت الامور ، رجعت مع الفقيهين المذكورين : سيدى علي بن عبد الله وسيدى الطاهر . وأصحابنا الى مشهد (تاواعلاتت) وهي السيدة فاطمة الفقيهة الصالحة المتوفاة : 1207 هـ . فوصلنا هناك الفقيه سيدي الحاج عبد ببقرتين ، فذبحنا هناك ، فأكلهما الجائعون الخاشعون، ثم

(I) أقول : حكى لي مثل عدد الحاج محمد من التامشر من ايت سمايون ، وكان حاضرا اذ ذاك . وقد ذكر هذا العدد ، مع الصلاة جماعة

الى دار همو بن اليزيد ، فى قبيلة (ا يدوسكا) ولم يكن بظاهر الذيل . يظن فيه ميل الى النصارى، ، فبات مع الفقيهين فى المسامرة . قال : وقبل هذه الليلة . وقد اهوينا الى دار همو سمعت بأذني الفقيه سيدى الطاهر بن محمد يقول للفقيه سيدى علي ـ كأنه اعيا من مثل هذه الاسفار ـ يا سيدى الى متى نتبع هذا العبد فى كل معترك وفوق كل ثنيه ، ووسط كل شعبة ، وفى عمق كل واد ، حتى تقطع رؤوسنا معه فى بعض الشعاب ؟ فقال له سيدى علي : أنحن القارئون أم هذا العبد ، فلم يزده على ذلك ، فقطعت جهيزة قول كل خطيب ، قال : فعرفت حينئذ ما بين الفقيهين الافرانى والالغى :

الناس مشتبهـون فـى ايرادهم   وتفاوت الاقـوام فى الاصـدار

قال : ثم من هناك ودعني الفقيهان الى (كردوس) ثم الى دارهما فذهبت الى (توبكال) عند ازرقى من قبيلة ايلالن ، ثم رجعت من هناك الى دارى ، واما (محمد الامام) فقد تصدر للخلافة عن أخيه هناك ، وقد كان يتوصل بكل تلك (التعركيبات) التى تقدمها القبائل . ولكن أهل البلد لم يتركوه هناك فارسلوا اليه ان يقلع عنهم ، فأقلع فى الحين .

القائد يرعى يخيس العهد

قال : كنت أنا والوزير يرعى وردنا معا (كما رأى القارىء فيما ذكر) ثم صار فينة بعد فينة يشتكى فى كل مناسبة من الاعراب وحالتهم ، وكثيرا ما يقول ماذا نفعل عند هؤلاء الذين لا يرجى انتصارهم ، فاقول له:انني عاهدت فلا أغدر ، حتـى اذا لـم يبق فيه من صبـر ، ذهـب الى حال سبيلـه ؛ وقد كان عنـده عون يسمـى عبد السـلام بن الزيات ، فكـان يتصـل بالمسمـى (بركينـو) الفرنسـى الـذى اشتهـر فى (ابـى يكـرا) وقد علا شأنه بعد ذهاب الكنتافى عن سوس ، فكان عبد السـلام يرسـل الى عون آخر عند يرعـي يسمى (بيهى) فيقول له : لو رجع القائد يرعى لاسترجع مكانته عند الدولة، فلم يزل يكاتبه بذلك ، ويرعى لا يابى الرجوع ، بسرعة ولكن يريد ضمانات.قال : ثم لما عزم ـ وقد وردت عليه فى كردوس ـ صار يداولنى ويحثنى على أن نرجع معا . وقد نجلس منفردين كثيرا للمفاوضة . وأنا أرخى له العنان ، قال الناجم ، وكثيرا ما تقل لنـا (الذرة) لقلة مـا بأيدينا فأدخل انا وهو الى بويت فى (كردوس)فنتحادث حول هذا الموضوع، وأنا احيانا اسايره لاعلم كل ما ينطوى عليه . وأحيانا اقول له ما أعتقده من ان استسلامنا للكفرة معناه احباط كل أعمالنا وسمعتنا وجهادنا وكـل ما تقدم من حياتنا . ثم صار يذكر الفاقة التى نحن فيها . فقلت له : لازمنى فانا أتكفف لك وانت تاكل ، فلا يصيخ لما اقول . بقينا كذلك نحو أربعين يوما ، وهو على ذلك الحال،فرسله تتردد سرا ليؤكد لنفسه ويأخذ الضمانات،

وفي عشية الاثنين قبل موسم من مواسم سيدى احمد بن موسى ، جاءت رسالة من تزنيت على يد سيدى على بن محمد التازاروالتى فجاء الرسول بها فدفعها للقائد سعيد بن احمد ، فقرا في عنوانها (مولاى محمد) فظن القائد سعيد أنها لمربيه ربه ، لانه كثيرا ما يخاطب في عناوين رسائله من غير ايالته بذلك أو بمثله ، فدفعها لـه ففتحهـا فاذا هى ليرعـى ، وانه مخـاطب من (بركينو) بانه سيلقى يوم الاثنين المقبل ست عشرة بغلة في (بوعركة) بين (ايت جرار) و (ميرغنت) يحمل عليها أثقاله ، فأرسلها الى يرعى فلما قرأها تغير لونه ، قال الناجم ، فقلت له مالك ؟ فقال : ان لحية اليهودى هذا القائد سعيد ، ذهب برسالتي هذه الى مربيه ربه ، فقلت له وما فيها؟ فقرأها على ، فقلت له : لا باس ، فقال اذهب معى الى مربيه ربه ، فقلت له: كيف يخرج الينا ؟ وهل تبقى منه شعرة تأمن منا بعد ؟ لا لا انني لا أتلقاه الآن ، فبعث اليه اصحابه واحدا بعد واحد ، يطلب ملاقاته ، فلم يخرج اليه، فقلت له ليفرخ روعك ، فبت هادئا الى الغد ، وفي الصباح ذهب اليـه ، فقابله مقابلة حسنة ، ومن جملة ما قال له : ان اردتأن تذهب الى دارك فمن ذا الذى يحول بينك وبين ما تريد ؟ ثم قال له : ان ما في الرؤوس لا تزيله الطروس ، فكن مطمئنا ، قال الناجم : وقد كان قبل ورود الرسالة يقترح على ان نذهب الى الموسم من يوم الاثنين فكنت أقول له : ماذا نصنع فيه منذ هذا اليوم ؟ حتى التجار لا ياتون اليه الا يوم الاربعاء ، ولم أكن احسب أنه يهىء أمره على سعة ، ثم سافرنا يوم الثلاثاء الى الموسم ، وعنده ثلاث بغال ، فنزلنا حيث كنا ننزل متى أتينا الى الموسم ، فجاء أنـاس من السباعييـن الحوزيين اليه ، فصار يحادثهم الليل كله ، ثم دخل الى بيت فسقطت منه (خنشة) صغيرة (كيس صغير) فتناولتها فاذا فيها لويز من ذهب ثم رجع يفتش عن (الخنشة) فاريتها له ، فتناولها ، ثم دخل الى السـوق فصـار يشترى بعض الثياب السودانية،ثم اتصل بالمسمى محمد بن بوهوش صاحب القائد المدنى وجاسوسه الخاص ، ثم سافرا معا من غير توديعى الى (بوزاكارن) ثم صار يودع القائد المدنى ، ويجزيه كـل خير على كـل مـا فعله معـه من الاحسان . ويقول له : انني عازم على أن ارجع الى اهلى والى دارى ، فلم يزل المدنى يمنيه بكل خير ليبقى ، فلم يرجع عن نيته فودعه ، وقد كان (بيهى) صاحبه بقى وراءه في (كردوس) حتى باع ما امكن بيعه من متاعه ، فأركب جارية له وبنيا ، فذهب بهما والتحق به على طريق مجاط وافـران ، فلمـا وصلت الجارية أمام (أمنسترا) قالت له : لماذا يا عباد الله لم تتركونا حتى نموت بين المسلمين ؟ فلماذا تذهبون بنا الى ديار الكافرين ، فغضب عليها ، فضربها ضربة مبرحة ، فاذا بروحها زهقت معها ، فالقى جثتها فى البـراز ازاء مقبرة تحت (أمنسترا) فسلبها مما لبسته ، فذهب ببنتها ، فراح الى

(بوزاكارن) فباع بندقيه رباعية له للمدني . فالتحق بصاحبه في (تزنيت) هكذا ذهب الوزير يرعى عن أثيرد مربيه ربه . وكل صحبة لا تكون لله فالى انفصال منتهاها ، وقد كان ولده عبد الرحمن صغيرا اذ ذاك فسافر مع (بيهي) هذا ، فوصل أباه وهو الذى صار بعدحين قائد هشتوكة . فاستمر الى أن قام بأمر ابن عرفة كما هو معلوم . قال : وقد تبعه القائد مبارك من اصحابي ، فاتصل بالقائد عياد الجراري ، ثم وصل بينه وبين رجال الدولة ، فصار مبارك ويرعى لا يفارقان موائد من هناك من الكبار في تزنيت ، ثم ردت اليه داره في القصبة بمراكش ، ثم عين عونا في دار زنيبر في الصحراء، ثم التحق بهم بعد حين ولد صاحبنا هذا القائد الناجم المسمى ابا يونس ، قال أبوه هذا : كنت تركته حين ذهبت الى الصحراء ، وقد ذهبت اليها تفسحا بعد هذا الوقت ، وذلك في العهد الذى قام فيه محمدبن عبد الكريم الريفي، فبثت الجواسيس من الفرنسيين في كل ناحية حولي أنا أيضا ، مخافة أن أثير الصحراء أيضا على عادتي في اثارة كل من اتصل بهم ، وقد كنت نزلت هناك على سيدى محمد البصير ، فطفت معه عند ابناء عمه الركائبات الذين يكرموننا اينما بتنا بالجمال ، حتى اجتمع عندنا نحو مائتي جمل ، ذهب بالنصف وذهبت أنا بالنصف ، وقد كنت تركت ولدي ابا يونس ورائي ، فكنت اسرب اليه كل ما يدخل يدي . وقد تركته قيما على أهلي ، فلما رجعت ووصلت موسم (الكصابي) ونزلت في دار المختار بن عمر ، بعت كثيرا مما عندي من الجمال . ولم يبق معي منها الا البعض ، فارسلته مع عبدي ، فجاء من قال لي ما اتخوف منه من غدر يحاوله بعضهم بي اثناء الطريق ، فتسربت من ذلك المحل احتياطا وحزما حتى نزلت في (اكيسل) ، وقد كان الاخصاصيون وقفوا معي كثيرا ، فحرثوا لي هناك ، ووقفوا مع أهلي الشهور التي غبت فيها بالصحراء،وقد كنت دخلتها بثلاثة أفراس تركتها في السمارة، عند سيدى الشافعي ولد سيدي محمد البصير حتى رجعت ، والآن لما رجعت الى (اكيسل) وجدت ولدي المذكور لا يمشي في سيرته مشية حسنة ، فخاصمته فغضب،فلاقى معه الحاج أحمد اضارضور الشاغنجني،فصاريوسوس له بأنه سيصالح بينه وبين الدولة ، فسرعان ما تبعه الولد ، فذهب به الى تزنيت ، فنزل عند الحاكم هناك منزلة حسنة ، ومقصودهم أن يؤثروا على بسببه ، لكنني أنا لا يلعب لي في الخمر ، ولا يمشي لي الضراء (1) ثم أنزلوه في قنطرة (ايت ملول) حارسا ما شاء الله ، ثم لما تزوج ولم تظهر فيه فائدة لهم ، كما ظهر لهم أنني مصمم لا انقاد بالاطماع ، بردت فيه عزيمة من في تزنيت ، ثم تداخل القائد المدني في الوسوسة له فرجع اليه، ثم الى دارنا ، فبقي عندي ما شاء الله ، وفي صبيحة يوم ركب على فرسي

(1) الخمر محركا ، ما واراك من الشجر ، والضراء بالفتح ، الاستخفاء. وهما مثلان المقصود منهما لا تمشي على الحيل

ففر ايضا الى نزنيت ، ثم نزعه منه الحكام هناك حين عرفوا انه فرسي. فردوه الى وفد . قالوا : ان الناجم ارسلنا الى يده مالا نطلب منه أن يأتي الينا . فرده مع عزوف ، فلا ينبغي لنا نحن كذلك الا ان نرد اليه فرسه بكل عزوف. قال : سمعت أن بنتا له ولدها مع امراة ثم طلقها تكفف في ازقة تزنيت . فارسلت من سرقها من هناك فآويتها، ثم كانت فيها العائدة العظمى لي الآن، فهي التي تقوم بي كل القيام في شيخوختي وضعف قوتي ، قال : هكذا رجعت من الصحراء بجمال كثيرة ، ولكنني فقدت بسببها ولدي ، لانه لم يفسد الا بعد أن فارقته ، والامر لله ما شاءه فعله .

ثم سألته عن الذين هموا به كما تقدم ، فقال : انهم بكار ولد محمد الامين من ايت الحسن ، وسليمان ولد الشيعة ، والامين كلهم من قبيلة ايت الحسن احدى قبائل (تكنة) كانوا توصلوا بالدراهم ممن في تزنيت لقتلي ، ولكن الله اسبل حفظه علي بفضله .

في ادجلول بالاخصاص

قال : كنت لما انتقلت من (ايت والنباض) بعد ما مضى زمن عن الحرب الكنتافية الثانية ، اويت باهلي الى مكان آبائي ، ومسقط رأسي ، ورؤوس جدودي ، وقد نفرت نفسي من سكنى دار علي بن ابراهيم التونودي ، منذ فتك به رحمه الله ، وقد أردت الاستقرار فلم اجده الا في دار أهلي ، وبين ابناء عمومتي ، وفي وسط عشيرتي :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى وحنينه أبدا لاول منزل

قال : الا أن القائد المدني لا يعجبه ان أسكن هناك وسط قبيلته ، خوف أن تسول لي نفسي ان أثور أمامه ، وقد عرف انني من الثوار . فيتبعني الاخصاصيون ، ولذلك كثيرا ما يقول لي : مثلك لا يسكن في مثل هذا المحل الخالي من الماء . فلا ينبغي لك الا ما فيه المياه الجارية ، والبساتين الملتفة ، والاشجار المثمرة ، فأقول له هذا ما قدر الله الآن ، ومتى أراد الله غير هذا هيأ أسبابه .

ثم بات عندي ليلة ، احمد المعطى ، وحمادي بن سوساف الزفاطيان ، فوجداني في قلة ماء ، فالحا علي أن اتحول الى بلدهم (أسرير) حيث الماء موجود والمعيشة سهلة ، فقلت لهما ان المدني كثيرا ما يعرض علي أن انتقل اما الى (تاكانت) او الى (بوزاكارن) او (تيمولاي العليا) أو (تيمولاي السفلى) فقالا لي : اما (تاكانت) فلا تصلح لك . فانك لا تزال في الطريق لكل غاد ورائح ، وكذلك (بوزاكارن) ، فسيقصدك كل من يقصد القائد . فان كان ولا بد فانزل (تيمولاي) السفلى او العليا .

وهناك عزمت على أن أجيب القائد الى ما كان يتطلبه منى،وان أسكن فى (تيمولاى) العليا ، فى افران ، فتحولت اليها ، وقد فرح القائد ، وزال عن صدره كابوس الخوف الذى كان يتوجسه ، فكأنه لا يعلم انني وان كنت أثور لا أخيس العهود ، وقد كانت السنة شديدة ، وهي : 1345 هـ . سنة الجوع والقحط فى سوس ، فلما نزلت هناك اطلق لى القائد من أملاكه الواسعة هناك (23) بستانا ، و (175) طاسة ماء ، لتسقى بها البساتين ـ والمقصود بالطاسة : نصيب خاص من الماء ، والعادة عند غالب أصحاب العيون الجارية فى سوس أن يقسموا مياهها ستين قسمة متواطئا عليها،بين الليل والنهار، وتوازى ستين طاسة بحيث لا تزيد ولا تنقص على أربع وعشرين ساعة وهي التى فى الليل النهار ـ ، والطاسة هى التى يكون بها ميزان الماء ، وهى اناء صغير مصنوع صنعا خاصا من النحاس ، فيثقب قعرها ثقبا صغيرا فتجعل فى سطل ماء ، فيتسرب الماء من الثقب من اسفلها شيئا فشيئا حتى تمتلئ ، فتغطس فى ماء السطل ، فهى الطاسة الواحدة ، وعلى مثلها قسمت الساعات الستون المتواضع عليها التى يقسم عليها الماء بين الليل والنهار فيجتمع الناس دائما بالمناوبة فى مكان خاص معلوم عندهم ليلا ونهارا ، وهو مجتمع أهل القرية الدائم ، فكلما امتلات الطاسة يصرخ الصارخ بذلك ، فيسمعه من يسقى بالماء فى الحقول ، فيعلم ان الطاسة قد انقضت ، فان انقضى ماؤه ، يبادر من تليه نوبته ، فيميل الماء من اعلى المجرى الى حقوله أيضا ، وهكذا دواليك ، ثم تباع الطاسات وحدها وتشترى،فلكل انسان طاساته أو طاسة واحدة أو نصف الطاسة او ربعها،وقد وسم فى وسط الطاسة داخلا : النصف والربع بخطوط مستديرة محبوكة الصنع ، فلكل نصيبه الذى فى ملكه ، قد عم هذا العمل غالب سوس ، وهذه الساعة المائية رومانية الاصل ، وهى من بقايا الآثار الرومانية عند السوسيين ، وفى راس كل سنة يجتمع الناس ليجربوا الثقب فى اسفل الطاسة ، ابقى على حاله ام اتسع ، فان ظهر منه اتساع اصلحوه حتى يرجع كما كان . وهذه الطاسة تسمى (تاناسنت) اى النحاسية ، لانها لا تصنع الا من النحاس والكلمة كما ترى عربية شلحت ـ .

أقول : ان هذه الاملاك التى أنزل المدنى فيها القائد الناجم ، هى لآل سى مبارك من أهل حمو بن مسعود ، وهم ستة ، قتلوا فى دارهم ليلة باذن القائد المدنى : الاب وأربعة من أبنائه ، وحفيد له،والذى تولى قتلهم أصحاب المدنى معوولد على بن مبارك،وقدكان الكبير من الابناء الاربعة قتل باذن المدنى على بن مبارك من الفقيرين سرا ، ثم اظهر المدنى الامتعاض لقتله . فأمر الآخرين بقتلهم اخذا بالثار ، فحاز دارهم واملاكهم ، فانزل فيها الناجم .

قال الراوى : وهناك سكنت نحو ثماني سنوات،فلم استقر قط منذ كنت في سوس الا هناك استقرارا بالسكنى ، الى أن وقعت الواقعة كما سياتيفي: 1352 ه .

قال : كان حاسد قال للمدنى حين أطلق لى ما اطلق فى (تيمولاى) من البساتين والمياه : ان هذا لكثير لا يستحقه كله الناجم ، فسكت المدنـي ولم يجبه ، ثم جرى ذكر ماء العينين كاتب القائد المدنى وهو سبط الشيخ ماء العينين ، فقال عنه : انه أولا كان كاتبا عند خاله الهيبة ، ثم اعرض عنه فترامى علي يوما لانظر الى حاله ، وأنا اذ ذاك على هشتوكة ، ينفذ فيها أمرى كما أريد ، والهيبة اذ ذاك في (تيمكّر) فطلبت من خاله أن يرضى عنه ، فوصفه بما لا يمكن أن يرجع اليه معه بعد ، وذلك بعد ما قدمت الى الهيبة من أجله ثلاثمائة كبش ، وستمائة قالب من السكر ، وستمائة ريال ، ثـم قلت له : ان لم يمكن أن يخدم معك فارسله معى لاجعله على الاعشار التـي كنت جمعتها تلك السنة في هشتوكة ، وقد أودعتها فى كل ناحية ليقوم عليهـا حتى تحمل اليك من هناك ، فأرسله معى فبقى معي ما شاء الله ، ثم تكلمت مع القائد المدني من أجله ، فبسببى انحاش اليه ، ثم اتخذه موضع سره ، وكاتبه الخاص ، كما اتخذ محمدا البوهنوشي رسوله الخاص، وبين الكاتب والرسول صحبة فيكتب الكاتب له الرسائل الى قواد مراكش فياتي الرسول بالاجوبة اليه ، ومعها ما يبعث اليه من هدايا ، فستبدان بها ، ولو لم يعجل الموت بالقائد المدني سنة : 1352 ه . لبطش بهما ، لانه كان يعزم على ذلك .

ثم انني سالته عن أسفار مربيه ربه الى جهة (أملن) والى (ايت عبلا) والى (اداوزكرى) فقال انه ذهب الى تلك الناحية اكثر من مرة قال : خرجنافي المرة الاولى من (كردوس) فمررنا في ايت على بـ : (كرامة) بمجاط ، فتفرق الناس على القرى ، ولم يحسنو الضيافة ، ومن هناك نزلنا فى (ايت وفقا) فبات مربيه ربه والقائد الناجم عند أحمد الايغشاني ، والقائد المدنى والفقيه سيدى الطاهر ، عند الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى ، والبعمرانيون ومن بينهم الشيخ سعيد عند سيدى محمد الدرقاوى الالغى ، قال : كان مربيه ربه أمرني أن آتى بأربعة فرسان من كل قبيل لبصاحبوه الى دار الايغشاني، فلما اجتمعوا تقدمت بهم الى مربيه ربه ، فلقيت عليا الا يشلحيني المجاطي الطماع المشهور ، فصار يندد على حين جمعت هؤلاءفقال لى كلاما مس كرامتى ، فلم أجبه اذ ذاك أولا ، ثم لم أصبر فقلت له : اين رجولتك فى ارضك حين بات السلطان وأصحابه أمس عندكم ؟ فقد عرفتك وعرفت أفعالك ، وما كنت تتصل به من الخونة الذين فى تزنيت وفى تارودانت،فاتي مجاطيون ليعينوه، وكثيرون الى ليعينونى ، فكادت الحرب تقـوم بيننا . وقـد قلت لـه : ان الايغشاني الذى تتزلف اليه باقلال من سيبيتون عنده من فيه همته غيرك ،

فارحلك من البصبصة له . فلما كثرت المخاصمة بادر مربيه ربه ، فنزل عن مركوبه ، فاستدعى أحمد بن الحاج ابراهيم الايفشتانى فقال له : أين ابيت أنا ؟ فقال له : عندى ، وليجىء معك الانس والجن . فمرحبا بكل من أتى اليك ، فسقط فى يد الا يشنلحيثنى الذى كانت مخاصمته تدور حول منع ذهاب كثيرين اليه ، يظن أنه يدافع عنه بذلك ، قال : ثم بكر الفقيهان سيدى على وسيدى الطاهر ، والقائد المدنى ، والبعمرانيون ومنهم الشيخ سعيد البعمرانى الى دار الا يفشتانى، قال فبمجرد ما لاقانى المدنى رأيت عينيه مغرورقتين فقال ما هذا الذى صنعته ؟ لماذا لم تقتل عليا الا يشنلحيثنى ، فان قبيلة الاخصاص يؤدون ديته بسهولة ، فقلت له : حاشا أن أكون السبب حتى يتفرق هؤلاء المجتمعون فى منفعة الاسلام . فيقال : ان قتل الناجم لعلى الا يشنلحيثنى هو السبب وأنا فى حياتى أسعى للجمع لا أسعى للفرق ، قال : فكان ذلك أحد الاسباب حتى تفرقت الكلمة بين المجاطيين والمدنى ، وقد كان على فرس المدنى سرج براق جميل، فصار انذال مجاط يتناعتونه فيقولون: انه يتكبر علينا بحلس مزوق وضعه على جحشه - يعنون فرسه - قال ثم من هناك الى (تامكرت أومانوز . فهناك أهدى القائد البشير التامانارتى عن الامانوزيين وهديته فرس - كما أظن - ثم الى أكادير (نتيسكنت) عند مشهد (للا ماماس)ثم الى (ايت عبلا) ثم الى (ازكر) حيث محمد أخو عبد الله الشيخ الساكن فى (زغننغين) ثم الى دار اخيه عبد الله ، ثم الى (أزغار نبيهامين) ثم الى (تفغلت) عند عابد المرى رئيس (اداوزكرى) ثم وقعت هناك خصومة بعد ما جلسوا هناك أياما ، ورب المثوى يفيض عليهم بالخيرات ، والخصومة سببها ان المجاطيين بسبب ما وقع بين القائد الناجم وعلى الا يشنلحيثنى - وقد علموا أن المدنى يناصر الناجم - قالوا : ان الزكريين من اهل خفارتنا ، فهم تحت حمايتنا ، فلا ياخذ منهم المدنى وسلطانه مربيه ربه دانقا ، لان خروج مربيه ربه انما كان لاتمام دورته لياخذ ما ضمنته له كل القبائل من ريال لكل دار ، والمجاطيون لا يرضخ غالبهم للمدنى ، وقد مال البعمرانيون الى المجاطيين ضد المدنى ، ومعهم سيدى أحمد الدرقاوى الذى كان يتقدم كبكبة من المجاطيين ضد المدنى ، فتتسرب ثورتهم على المدنى أحيانا الى الثورة حتى على مربيه ربه ، وان لم يكن مقصودهم الا المدنى ، وقد حاول المدنى حينا ان يستولى على كل قبائل افران ، فنادى أن لا تفصل دعاويهم الا فى (بوزاكارن) ، ولكن المجاطيين استثاروا عليه الافرانيين، فأبطل ما أراد، هذا وقد افاض الزكرى كل خير على الناس ، وأعطى وما قصر ثم ذهبنا الى (تنوفلنعزت) عند بنى الامين . ثم الى ايت على فى (ايلالن) حيث المسمى امعفون والفقيه - لقب لا وصف - وبوقال ، فعند هؤلاء نزل الرؤساء الذين مع مربيه ربه ، والفقيهان سيدى على وسيدى الطاهر نزلا عند غنى هناك ،

قال : ومن هناك رجعنا ادراجنا ، فبتنا فى مدشر عبد بن حمو من ايت على، ثم (تيزى نساراقاتين) . ثم مررنا بقبيلة (املن) ونزلنا فى (تاهالة) ثم بتنا عند عابد الحانوش فى (سملالة) قال وعند سوق الجمعة تفرق الناس للبيات كل فى قرية، فبات مربيه ربه فى (تاكانست أوكضيض) حيث الشرفاء المشهورون ، وقد بقى هناك ثلاثة أيام ، ويقول مربيه ربه : ان أحد أجداده الاولين كان أصله من تلك القرية ، ثم انتقل الى الصحراء - وبات القائد المدنى عند بنومازوغ، ثم بتنا فى موضع آخر هناك ، ثم الى(كردوس) فانقضت السفرة وتفرق الناس ، فذهبت أنا الى محلى بالاخصاص ، وكنت اذ ذاك لا ازال فى (اد جلول) قبل أن أنتقل الى (تيمولاى) وهذه السفرة كانت كما يظن نحو : 1341 هـ .

قال : كانت الخصومة التى وقعت فى تلك السفرة سبب أن مال عابد الزكرى الى التيبيوتى ، فانقطع الى تلك الجهة،ثم جاء حمو بن بلقاسمهاربا من التيبيوتى الذى استولى على تلك الناحية حديثا ، فوسوس الحاج حماد له حتى هرب الى الجنوب ، فالتجا الى أحمد الايغشانى ، والقائد المدنى ومربيه ربه فذهبت حملة تحت رياسة مربيه ربه ليردوه الى داره ، فلم يغنوا شيئا ، الا انهم التقوا هناك مع الحاج حماد والتيبيوتى فأعلنوا المهادنة .

وتفصيل هذه السفرة على ما يستحضره الحاكى : انهم خرجوا فى جيش فيه مع المذكورين : القائد احمد بن البشير الاصبويثاوى والقائد محمد يحيا المشهور فى وادى نون ، والفقيه سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر - والفقيهان لا يفترقان - والشيخ سعيد البوبكرى،والفقيه احمد بنأبى الطعام، وسيدى أحمد الدرقاوى الذى كان له ظهور قوى مع المجاطيين ، وهو من شيعة الزكرى المظلوم ، قال : فلما وصلنا ونحن فى خيل كثير - ايت عبلا ، ونزلنا فىدار الرئيس عبدالله بن سعيد ، بقى مربيه ربه هناك ، والمجاطيون والرخاويون وسيدى الطاهر،قال فذهبناقدما نحن والقائد المدنى والبعمرانيون والفقيه سيدى على الى أن نزلنا فى (تركنين) ونزل جيش الآخرين فى (تقايت) وفيه الحاج حماد بن حيدةوالتيبيوتى والزكرى الذى فرطنا فيه بسوء معاملتنا له ، حتى ولى عنا الى الناحية الاخرى ، قال : فجاء الينا الاكنيضيفيون والتمليون ، وقد حملوا سلاحا جيدا وقرطاسا كثيرا ، وهم فى هياة حسنة تلفت الابصار ، قال فلم نزل نمشى ولما ننزل ، فاذا بالعدو يرمينا لما اشرفنا من مكان ، فصرنا نجيبهم رصاصا برصاص ، فبادر ابن المحفوظ الكنكى الاخصاصى ، وأناس من اصبويثا وانا معهم ، نقف منهم موقف المدافعين ، قال فأمرنى القائد المدنى ان اذهب بستين من المشاة الى أكمة تقابل (تاقيت) ثم أعطانى فى العشى خبزا ولوزا اوصلهما لهم كالزاد ، ثم نزل حواليهم الاكنيضيفيون والتمليون،ثم انتشبت الحرب،واشتبك الفريقان

فهرب الاخصاصيون ، وبقي الآخرون من اهل القبائل مرابطين على أهل (تاقيت) وفي الصباح سقط هؤلاء المرابطون في موقف العدو ، فصار يضربهم ، تم وقعت الهزيمة في هؤلاء المرابطين، فصار المدني يخاصم علينا لماذا نثير الحرب؟ فقلت له : الم تعلم اننا أنا وانت ما وقفنا هنا الا بهؤلاء ؟ فلئن ولوا عنا فسياخذنا العدو باليد ، ثم قلت له ولكاتبه ماء العينين ومن معهما: انزلوا أنتم هنا ، فذهبت انا وأصحابي ، فمررت بكراديس القبائل من الفرسان، فاتبعني ثلة منهم ، ثم مررت بعلي ابن القائد المدني واقفا في خمسمائة فارس ، فثار في وجهي الى اين تقصد أيضا ؟ كأنه يريد أن يتأمر علي ، كما ألفه من كل الاخصاصيين ، فقلت له بغضب : اريد الميدان الذى فيه نشأت ، وهو شغلي منذ عقلت ، ثم قلت له كلاما نابيا ، ثم اسرعت لاغيث المنهزمين ، ونحن في عشرة فرسان ، فاستدرنا وراء العسكر الذى خرج للحرب ـ عسكر الحاج حماد بن حيدة ـ وهم في حرب مع من بين أيديهم ، فلم يشعروا حتى جئناهم من وراء ، فانهزموا بين أيدينا انهزاما شنيعا ، ثم وقع فيهم البعمرانيون ، فقتلوا وسلبوا كثيرا من السلاح، حتى قل فيهم من لم يرجع ببندقيتين أو ثلاث قال هكذا علونا عليهم ببركة عشرة من الفرسان ، وببركة المشاة من التمليين والاكنيضيفيين ثم رجعنا الى محلنا ، فاخبرت أن واشيا من الاخصاص قال للقائد المدني : لو سمعت ما قاله الناجم لولدك على لساءك ، فقال له : يا ليت الناجم فتك بولدى ، انه ليس ولدى حقا ، والا فلماذا لم يقتد بالناجم فيذهب بالاخصاصيين حتى يشاركوا المنتصرين في شرف الانتصار ، قال ثم وقعت المراسلة بين الحاج حماد والمدني في اليوم وفي الليلة التي تلته ، وقد وقع أن الناس تكاثفوا في ثنايا مشرفة على معسكر العدو الذى تراجع بعد الانهزام ، فصرت أمشي في الناس فابتدأت من اولهم وهم في صف مستطيل الى أن وصلت الى المدني في أخريات الناس ، فثار في قائلا ـ وقد ظن أن في نيتي استثارة الحرب ثانيا ـ هل تريد أن تعيد الحرب اليوم ايضا جذعة؟ فكدت أجيبه بمثل ما أجبت به ولده أمس ، ولكنني ملكت ارادتي فسكت ، وفي ذلك الوقت ورد رسول من الحاج حماد الى المدني يقول : اظهروا قوتكم لمعسكرنا ليطيبوا للصلح ، فقال الفقيه سيدى علي بن عبد الله للمدني ـ وقد كان سمع ما قاله لي آنفا ـ ارايت الآن أن ما قلته للناجم غلط ، فانه لا ناقة له ولا جمل في هذه البلاد الا نصرة الدين ، والا فما الذى أخرجه من داره بمراكش حتى هاجر الى هذه القفار ، قال ثم وقع الاتفاق بالمراسلة على أن يقع الاجتماع لاعلان الصلح غدا ، فاجتمع الرؤساء فاستداروا ، فاذا بالحاج حماد ابن حيدة مقبل، فقال المدني لما رآه من بعيد : أهذا الاسود القبيح هو الحاج حماد الذى نسمع به ؟ وقد كان حليق الوجه ، اسمر السحنة ولم يعط وجاهة ثم لما جلس بادرت فقلت للحاج حماد ـ وقد خفت ان يقع في تداولهما وسط

الناس ما لا ينبغي أن يسمع ـ ان كان بينك وبين القائد المدني ما تتداولان فيه ، فانفردا وحدكما . فاتبعاني . فقاما وابتعدا عنا. ثم جاءاليهماالتـِّيـِيـُيو ْتـِي وقد اخبرت أن المدني ثر ْب على التـِّيـِيـْيو ْتـِي، فقال له : انك تضر بالمسلمين، وتقطع الطريق على قوافلهم . فاجابه الآخر . حاشا أن اضر بمسلم ، بل انا لهم نفع عام ، فاسأل عني جيراني ، وكيف اضر بالمسلمين وأنا مسلم مثلهم قال وبينما هم كذلك اذا بعابد الزكرى وعمر البـِيهـْمـَنـْد ْنـِي اقبلا الى هولاء ليشاركوهم فيما يقولون ، فثار فيهما المدني ، ارجعا عنا ، فلا تقربانا ، قال ويعلم الله أن افعال المدني وأمثال المدني هي التـي ضيقت عليهما حتى وليـا وجهتهما الى الناحية الاخرى قبل اليوم،فاستدبر ا مربيه ربه ومن في ايالته، فان مكائده بهما هي التي دفعت بهما حتى انحاشامضطرين الى التـِّيـِيـُيو ْتـِي ، فانسلخا عن ايالة مربيه ربه .

قال: هكذا وقع الاجتماع بين أقطاب الجيشين،ثم قبل الافتراق ناداني الحاج حماد ، فقال لي : قل للمدني انني مسلم حقيقي ، وأما أبي ـ غفر الله له ـ فقد غلط فوقع له ما وقع ، وقل له يثبت في العهد الذي بيني وبينه ، فـلا يتكلن على من حواليه ، فان كل من يستديرون به يكتبون الى ولا غرض لهم الا المال ، فلا يغتر بهم ، قال ثم ناداني العربي بـَهـْـبـَــاز أخو ا زـِّا بنت يبورك زوجة حيدة المشهورة برايها وكلمتها أيام زوجها . فسلم علي ، وقال لي ـ وقد راى علي اللباس الاسود : لباس أهل الصحراء ـ ما هذا اللباس يا فلان بعد تلك الحلل الحضرية ؟ فقلت له : لابأس ، فان هذا هو لباس غالب من أنا بين ظهرانيهم ، قال : كانت المعرفة بيني وبينه من قديم في عهد الباشا حمو ، فقد كان صاحب الصينية عند حيدة يوم كان شيخا. ثم صار يرد الى مراكش، من الذين يرسلهم حيدة ليهدوا في الاعياد ، قال ثم رجعنا فبتنا في (اكادِير نـْنـُوكـْرْمـَاض) وقد كان هناك جرحى لنا أتينا اليهم ، فوصلنا دار الر ئيس العبلاوى في (زْغـْنـْغـِين) فبتنا عنده ، ثم بتنا في (ا ِيـبـَانـَّارْن) بآمانوز، ومربيه ربه في (تيسكينت) وقد تبعنا الى ا يـِبـَانـَّارْن) الشيخ سعيد ، وابن عمه الحسين الخمسيان البعمرانيان ، فأنزلهما عند انســـان ، وبت أنا مـع القائد أمام دار هناك كنا نألف النزول فيها ، وفي الصباح لما افطرنا قال المدني: نذهب ليودعنا مربيه ربه ، لنذهب الى زيارة (تـِيمـْكـْـنـْشـْت) فودعناه ومعنا سيدى الطا هر ، وحمو بن القاسم ، وأما سيدى علي بن عبد الله فمع مربيه ربه ، فوصلنا (ا يخنف ْ آومـتجنوض) فصلينا هناك الظهر ، ثم صلينا العصر في (أكـْرْض ْ ا يمـْلا ْلـْن) ازاء الزاوية، فذبح القائد بقرتين في الزاوية على ضريح الشيخ سيدى أحمد بن محمد ، فنزلنا عند سيدى محمد بن الهاشم فلم نكد ننزل عنده حتى أرسل الينا والده شيخ الزاوية سيدى الهاشم ، فأتانا بصينية صغيرة أنا والقائد وماء العينين وسيـــدى الطاهر وحمـــو بن

القاسم ، ثم عشانا بطاجنة صغيرة ، فصار يخرج رجله وقد تقطعت اصابعها فقال انما تقطعت بسم وضعه اعداءى فى نعلى ، ولم يلبس الا قميصا متقلصا، وشفاهه غليظة ، وهو ادلمح الشفة ، فجالسنا وحادثنا ، وأظهر الفرح الكثير بنا وقد اجلت بصرى فى جدران المحل فرايت الطبل والدف والمزامير معلقة ، ثم لم نكد نخرج منه الى المحل الذى نزلنا فيه حتى ضرب الدف من عنده على عادته المالوفة ، وقد تولى ولده سيدى محمد كل اكرام لنا ، قال فصارسيدى محمد يقول لى لماذا لم ترجع الى مراكش ، فحتى متى تبقى عند هؤلاء الاجلاف، فقم معى لاردك الى مكانك ، فلا ازيد على التبسم ، فبقينا هناك خمسة أيـام أقام لنا فيها أحد رجالات الزاوية سيدى العربى حفلة فاخرة ، وقد انزلوا أصحابنا على حدة خير انزال ، ثم من الزاوية الى (تلات) عند مولاى اسمعيل ثم الى (الـغ) عند الايغشتانى ، ثم الى (ايت رخا) ففارقنا الفقيه سيدى الطاهر فى (افانـتـيقـي) فبتنا نحن عند الرئيس الفقيه أحمد الرخاوى ثم ذهبت الى محلى فى (ادجلـسول) وأنا لا ازال اذ ذاك هناك ، والقائـد الى (بنوزاكارن) . قال وبعد أيام ورد على احمد بن مبارك ، وبلعيد بن الطيب وقواد من قبيلة اصنـوتا ، فقالوا يا فلان : أين حظنا مما جاء من المال من عند الحاج حماد ؟ فقلت لهم : لا علم عندى أنا . ولا أتدخل فى امره ، فما انا الا مهاجر مجاهد ، فلا اتتبع امر الاموال ولا اتطلبها ، فلو كان لى فيها غرض لما فارقت بلاد الاموال ، الى بلاد الفقر وضنك العيش ، فقالـوا ان المدنـى غدرنا ، فقلت لهم : عليكم به ، فانه فى (بنوزاكارن) فذهبوا اليه فنفحهم بما نفحهم به ، ثم لم يكفهم ذلك ، فسافروا الى تاردانت عند الحاج حماد ، فبينما هم عنده اذا بمحمد بن بوهوش صاحب المدنى قد دخل فامتقع لونه حين رآهم ، فبادر الى الحاج حماد يناجيه ، ولا ريب انه حثه على أن لا يسمعوا منه أن هناك اتصالا ما بينه وبين القائد المدنى ، ثم رجع هـؤلاء الخطافـون من هناك أيضا بما خطفوه من الحاج حماد ، قال وغالب هؤلاء الرؤساء على هذه الحال الا قليلين جدا ، كالفقيهين سيدى على وسيدى الطاهر ، والقائد سعيد ابن أحمد الكردوسى، والايغشتانى، وأما القواد منهم فقد اكتفوا بما ياخذونه من قبائلهم انتهابا . (وهذه السفرة فى صفر 1342 هـ .) .

قال : ومما وقع وأنا فى (تيمولاى) أن توجه القائد المدنى بجيشه وأنا معه الى أن وصلنا الى (أقا) ودون معنا الفقيه سيدى الطاهر وسيدى البشير بن المدنى ، وسبب ذلك أن فى (بوزاكارن) اناسا هربوا من القائد محمـد أبنو النعيلات قائد طاطة ، فالتجاوا الى القائد المدنى ، كما أن اتباعا للقائد الطاطائى نهبوا قافلة فيها جمـال للاخصاصيـين ازاء (اموكديـر) فلهـاتين القضيتين خرج المدنى فى نحو ستمائة فارس ومـعه بعض المجاطيين كعـلى الابشلحينى ، وقليل من الخطافين امثاله ، قال فباتوا أولا عندنا فى (تيمولاى)

ثم في (اخنف ايغير) بافران ، ثم في (اداى) ثم في (القصبة) وقد تقدم معنا الحاج أحمد الابراهيمي الضارضوري ، ثم في (تامانارت) عند القائد البشير ثم في (ايمي اوكادير) ثم في (ايشت) ليلتين عند أبناء الخليل ، ثم في (تيصكي يني يغن) ثم في (ا كنفي) ثم في (توزونين) حيث القائد ابراهيم الذى فتك بأبيه القائد بلعيد وشيكا ، فاستولى على مخازنه وعلى ايالته ايت مريبض،وهناك قال القائد ابراهيم للقائد الناجم الذى يحكى لنا ها انذا ترى القائد يرعى خاس عهوده،فولى على عقبه، افلا يخاف ايضا أن نفعل انت فعلته ، فقلت الله يحفظ ، ويعطينا الصبر ، فقال : انني على لك كذا وكذا من التمر كل سنة ، فقلتجزاك الله كل خير، أن القائد المدني قد كفاني كل المؤن ، فقد سلم لى 23 بستانا فيها ما فيها من أنواع الاشجار والنخيل والمحارث ، دع ما يكفيها من المياه ، فلا أحتاج مع ذلك الى سواه ، قال : وهناك قال محمد المقدم الرسموكي الاقاوى للقائد المدنى الى أين أنت الآن تقصد ؟ فقال اقصد أن آخذ حقوق الاخصاص من القائد الطاطائي ، فقال : وهل يمكن أن يقف امامك من يفاوضك في ذلك ؟ فقال له: يمكن ، فوضع بين يديه خمسين بندقية اوربية كوثائق على كل ما على الطاطائي ، فردت الوثائق الى القائد ابراهيم ، قال وقد كان القائد ابراهيم هذا أنزل عندهأخيرا محمد بن بلقاسم النكادى لما ورد نحو : 1349 هـ . من سجلماسة ، فبقي عنده هو ومن معه ما شاء الله ، ثم ذهبوا الى (تاغجيجت) حيث بقوا الى آخر يوم ثم فتكوا سنة : 1351 هـ . بأهل (ايشت) فاحتلوها وأخرجوا منها اهلها ، ثم لم يبقوا هناك الا نحو سنة ، فدهمهم الاحتلالففروا، ثم أن القائد ابراهيم كان نزاع شديد بينه وبين القائد الطاطائي الذى دخل في ايالة الحكومة ، فاستولى رسميا على (طاطة) بعد منازعة عليها وعلى (تيسنت) بينه وبين الاكلاويين فوقف دمه القائد محمد بن ابراهيم النتيفي حتى وصل الحبل بينه وبين الحكومة . فاستراح من الاكلاويين،فعلا شانه هناك وقد كان (اداوبلال) متنازع السيادة عليهم بينه وبين القائد ابراهيم،وكان ابو الرحيم = أحد رؤساء اقا = يعاكس القائد ابراهيم ويمالى الطاطائي ، فاتصل الحبل بين القائد ابراهيم – وقد يئس من الانتفاع بجانب القائد المدني وايالة مربيه ربه – وبين رئيس سافن الذى انضوى تحت مركز (ايغرم) فاوصله الى الحكومة ، فرجع من عند الايسافني فاوقع بأبى الرحيم وامثاله من اعدائه رؤساء (أقا) فاستولى على كل هذه الناحية ، ولم يلق بعد الا الرئيس الايسافني من رؤساء الحكومة ، ثم لم يطل الزمان فاذا بغزاة من المتمردين عن (تافيلالت) وما اليها بعد احتلالها يتنقلون في نحر الصحراء ، فيقعون على القوافل وعلى الطرق ، وكانوا مائة وخمسين داهموه في مسكنه بقرية (توزونين) فحاصروه فدافع دفاع الابطال ، فقتل وحده خاصة

ببندقيته سبعة عشر، ثم أغاثته ايالته ، ففتكوا بجميع الغزاة ، فلم ينج منهم الا خمسة ، ولكنه قتل أثناء الحصار ، لانه أطل من نافذة فرماه رام منهم ثم تولى القائد الحسن وراءه وهو الذى ساير الاحتلال الى الامام .

رجع . قال : ثم لما كنا في (توزونين) كما تقدم ، كانت الخيل تلعب في الثمانية أيام التي قضيناها هناك ، قال : وفي يوم بعد الافطار ركبت أنا وسيدى الطاهر وسيدى البشير بن المدنى وسيدى محمد بن عبد الله القصبي من آل سيدى محمد بن ابراهيم التسيخ ، وسيدى عبد الرحمن من آله ، فذهبنا جميعا حتى رأينا اطلال مدينة (تامدولت) ثم رجعنا عند الغداء، قال ثم من هناك الى داخل وادى (أقا) فتقدمنا الحاج أحمد الضارضورى وسيدى الهاشم القصبي ، فقصدوا (اقبابن) - قرية هناك - فاذا بأهل القرية صاروا يطلقون الرصاص على الحاج أحمد والابراهيميين أصحابه ، فكأن اهل القرية خافوا من اجتياحهم،لما عسى أن يتوجسوه من دسيسة القائد ابراهيم، قال ، فتلقانا نحن أهل (أقا) بالفرح التام وبالبارود الكثير كل يطلق بندقيته ، قال : حتى أنا صرت أطلق فرحا ، فتضاحك على سيدى الطاهر وسيدى البشير ، فقالا أحتى أنت ؟ فقال قائل : أو لا ترون الى القائد المدنى نفسه يطلق بندقيته ؟ فكذلك امضينا ساعة ابتهاج،وما كانت لتمضى لنا لو كان معنا الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى صاحب الجد ، فربما خاصمنا أيضا كما خاصمنا في ايت بعمران في مثلها ، وأما سيدى الطاهر فانه هين لين يواتي كل واحد . ثم نزلنا عند المقدم الرسموكى أنا والقائد المدنى وكاتبه ماء العينين ، والرؤساء جميعا . وفرق الاقاويون جميع الفرسان، فرأينا الحضارة والانافةفيالطهو والفراش والاوانى والمزاولة،ثمأضافنا أوهابتول فبقينا عنده ثلاثة أيام مثل ما مكثنا عند الرسموكى ، ثم ذبحنا على مشهد سيدى عبلا بن مبارك . فغدانا رئيس المشهد سيدى الصغير ، ثم كنا عند ابن شعيب في (تاوريرت) ليلة ، ثم عند سيدىالامين في أكادير أوزرو) فلاقينا هناك فقيها أشيب - لعله سيدى المكى - ثم رجعنا الى (توزونين) ثم ضيفنا سيدى العدلانى(1)، ومن هناك رجعنا ادراجنا على منازلنا غالبا فبقينا أيضا عند القائد البشير التامانارتى ، فصارت الخيل تلعب هناك وحين كنا في (القصبة) عند أبناء الشيخ ، قال : هكذا هذه السفرة ، وقد رجع القائد المدنى بهدايا كثيرة كما أهدى هو أيضا ، وقد استرد مما ذهب للاخصاصيين بعضه . فاستقررت ثانيا في مستقرى في (تيمولاى) .

طلائع الاحتلال النهائى

قال : كانت ناصية القائد المدنى مباركة على تلك الجهة ، فليقل القائلون

(1) ويقال أيضا العدنانى . وهو ابن على بن مولاى الحاج الونيتفدى .

ما شاءوا في طمع المدني في الاستيلاء على القبائل وفي استبداده ، بالامور ، وفي حب السيطرة ليظهر وحده من غير منازع . وفي كونه يقتل ويغرم كل من استذلهم الاموال ، وكل ذلك فيه حق كثير وصدق لا ينكر ، ولكنه على كل حال لا يحب أن ينضوى تحت الكفر ، ولا ان يكون له اسم القيادة موسوما بطابعه . فكاد يكون هو الوحيد المخلص لآل الشيخ ماء العينين ، فيرسل اليهم من عنده ما يتوقفون عليه ، ويحارب ذودا عن ايالتهم ، فلا يتخلف عن كل مكان فيه حرب ، وقد فتك باحمد نطالب لكونه يناوئه في التملك على قبيلته ايت عبلا البعمرانيين . كما فتك بآخرين امثاله ، وقد كان بوده أن يفتك بالقائد مبارك البنيراني وبالشيخ سعيد الخمسي وبكل رؤساء مجاط ، ورؤساء آل بعمران ، لكنه لا يقدر . فبقي منغصا بمناوأتهم وهو في كل ذلك شديد الحجاب ، ممدود البساط ، مفتوح الابواب للاضياف ، لا يسأل أحدهم من اين ولا الى أين ، وان كان لا يلقاه الا الاخصاء منهم احيانا ، ثم انه مع ذلك لا تزال الرسائل بينه وبين كل قواد مراكش وراس الوادى وأزغار الا ما كان من الجرارى والتيبيتوتيي والكنتافي الذين يريدون أن يقودوه الى الحكومة. فانه يجابههم ولا يتصل بينه وبينهم أدنى حبل ، وكان في كل المجالس يدعو أن لا يلقى وجهه وجه النصارى ، فاستجاب الله دعاءه ، فادركه اجله قبل الاحتلال بشهرين ، فذهب الى ما قدم ، قال ثم اننا ذهبنا مع اهله معزين لمربيه ربه، فأرسلت الى زوجه فاطمة بنت الحسن أخت القائد مبارك البنيراني، فطلبت منى أن أقف حتى يكون ولدها الحسين قائدا في مقام أبيه المتوفى ، قال فصاحبناه هو والحنفي وماء العينين والقائد محمد يحيا ولد الهيبة الازافاضي ومبارك بن على البوفوسى - شيخ اد الاربعاء من الاخصاص - الى (كردوس) عند مربيه ربه ، فتداول الامر فيمن يتولى بعد القائد ، فسلم الحسين لعمه بوساطتنا عن حسن نية منا . ولم نعرف مقصوده السيء الا بعد ذلك الحين، فقد كنا لاقينا رجلا في طريقنا الى (كردوس) فمال معه هو وماء العينين الكاتب ، فرأيت الرجل تناول تميمة من عضده كأنه يتبرك بها ، ثم حلها ثم عرفنا بعد أن تلك رسالة من (تزنيت) كجواب عن أخرى من الحنفي ، وقد أراد بذلك أن يتبوأ مقعد أخيه ولكن تحت ظل الحكومة ، وايا كان فنحن لما رشحناه ككبير الاسرة ، لا خبر مثل هذا عندنا ، وقد ظنناه كأخيه مخلصا لا يضمر سوءا ، فكذلك تولى الحنفي مكان أخيه . فرجعنا على طريق مجاط ، فتلقاه شرفاء من أبناء الشيخ سيدى أحمد بن موسى ، فطلبوا منه صلة ، كما كان يصلهم القائد المدنى ، فأجابهم الحنفي : اتبعوا المدنى ، وأطلعوا اليه في السماء ، قال : فالتفت الى القائد محمد يحيا الزافاضي ، فقال : اسمعت ما قاله هذا البخيل الدنيء ؟ فليلعن الله كل آل عبلا آلنحاج - عبد الله بن

الحاج ـ ومن يتبعهم منذ اليوم وذلك هو اسم عائلة القائد المدني،فاستفزني أنا أيضا ما قال ، فرفعنا عنه هممنا . فلم ير منا بعد ادبا ولا حرمة كما كنا مع اخيه ، وقد كان بعض خلصائه هو محور تلك الخيانة ، قال فذهبت من (بوزاكارن) الى (تيمولاى) ثم صار يطرق الاذان أن الحكومة تتهيأ لاحتلال تلك الرقعة التى كانت آخر ما أحتل من المغرب . ثم سمعنا بأن الجيوش تهيؤ من كل ناحية ، ثم ذهبت الى (وادى نون) لآتي من هنـاك بمن فيـه للمقاومة ، فوجدت في (اكلميم) محمد بن بلقاسم النكادى سلطان تافيلالت امس فاجتمع الناس عند محل كان نزل فيه سيدى حسين الشرحبيلى لما زار تلك النواحى 1142 هـ وكان اتخذ مركعا تبركا به ـ فعقدنا هناك الاجتماع ، فقال النكادى ـ ولم أكن رايته قبل اليوم ـ ألم أرسل اليك يوما فيما مضى حين كنت في (تافيلالت) على يد الفقيه سيدى الطاهر الافرانى فقلت بلى ، قد وصلتني رسالتك ، فقال لماذا لم تاتنى فى محل صولتى ومظهر امرى ، ولو جئتني لنفعتني ونفعت نفسك ونفعت المسلمين ، ثم قال لاى شيء جئت، فقلت جئت لانادى فى المسلمين ليقودوا الى الجهاد ، لان جيـوش النصـارى قادمة ، فقال : اما أن يقوم مربيه ربه بكل شيء فيتزعم المقاومة ، واما أن يسلم لى فاتزعم واقاوم ، فاجبته باننى لم آت لهذا ، وانما جئت استنهاضا للناس ، فان النهوض واجب على كل أحد ، حتى على نسائنا ، ثم أعرضت عنه فذهبت فبت عند حمو أكاكا في (تيرت) وهو بربرى من الواردين مع النكادى ، وفي الصباح قدت البربر أصحاب النكادى . وهم نحو ثلاثمائة اتقدمهم ، فذهبت بكبرائهم الى الفقيه سيدى أحمد بن ابراهيم في (تاكانت) وفرقت أصحابهم على الناس هناك حتى اكلوا ، ثم أتيت بهم الى (بنوزاكارن) فاذا بالحنفى البخيل لم ينزلهم منزلتهم . فاهملهم ولم يقم بحق بياتهم ، كما كان يفعل أخوه الكريم . ثم خرجنا من هناك مع هؤلاء البربـر ، ومـع كـل الاخصاصيين ، ومع القائد الحنفى . فنزلنا فى (بوتيجاريفين) حيث دار عبد الله ابن عبد السلام ، والقرية معدودة من ايت همان بات برايم ، فعسكرنا هناك مع من معنا ، ثم اقبلت جيوش النصارى من كل جانب ، وضاق نطاقها من (أقة) ومن (اغرم) ومن (أزغار) والكل متوجه الى هذه النقطة التى نحن فيها ، فاستدعانى القائد الحنفى،فكتب لى رسائل الى الرؤساء البعمرانيين، وقد ظهر بعد أن ارسالي يقصد به ابعادى حتى يتم له أمر يزاوله سـرا ، فذهبت بها أنا والمختار بن عمر رئيس أيت الحسن عن حسن نية ، فاسرينا ليلا ، وما معى الا عبد لى هو الباقى من جميع أصحابى : وقد كان المختـار على فرس هزيل ، فصار يسقط فينة بعد فينة فى الاحجار ، فينادينى : يا ناجم ما هذا ؟ وقد غدر الشلحى يعنى القائد الحنفى ـ كلام تجريه القدرة على لسانه ، من غير أن يعرف شيئا ـ فاقوم معه حتى ينهض فرسه ، ثم اخذت

حقيبة ثقيلة كانت على فرسه ، فالقيتها على فرسى ، فوصلت مجمع الرؤسا البعمرانيين ، فوجدت بين أيديهم رسالة طويلة كأنها منشور عام ، فقال لى صاحبى لا ريب ان هذه من النصارى ، ثم لما افطرنا سألنى الشيخ سعيد عن مقدمى ، فدفعت اليه الرسائل . وقد كان حاضرا القائد أحمد بن البشير، وبلعيد بن الطيب ، وفوال وأبو شامة ، وكلهم من اصَبْويا ، وسى بلعيد من ايت بوبكر ، وبيها العلوى ، فقيل لى ما فى الرسائل التى أرسلها الينا الباشا - يطلقون ذلك على الحنفى استهزاء - فقلت : فيها أن ياتى كل واحد منكم لياخذ ما نفذ له من الشعير ، فمنكم من نفذ له أربعون غـرارة، ومن نفذ له خمسون ، وهناك من نفذ له حتى مائة . فقال الشيـخ سعيد ، الآن لما ادركه الغرق يستخرج من مخازنه ، فهلا أخرج ما فيها قبل اليوم ، ثم قام معى الشيخسعيد والقائد أحمد ، فقاللىالشيخ سعيد أفهمت منأين الرسالة؟ يعنى أنها من الحكومة رثم وصلنا (تيجاريفين) ، فلم نجد القائد الحنفى ، ثم قلت للكاتب ماء العينين : الى اين ذهب القائد ، فصار يعمى على ، فقلت له : اننى الناجم الذى حنكته حوادث الدهر ، فلا تتمشى على الحيل،وأنا الذى أعمى على الناس ، فقل لى الحقيقة . فقال : انه ذهب ليلاقى بعض رجالات الحكومـة فى (وُوعـلـكـة) ازاء (ميرتغت) ولكن ذلك لا يزال بعد سرا ، فحكيت ذلك للشيخ سعيد ، فقال أرأيت أنه يرسل الينا ثم لا نجده حيث تركناه ثم قال الكاتب ماء العينين : ان القائد أوصى أن تذهبوا الى رئيس ايت على فى دار الحسن ، فذهبنا فقعدنا هناك ننتظر ، وقد سقط فى أيدينا ،الى أن جاء الحنفى بعد مرور العتمة ، فجلسنا حواليه ، وهو يشتغل بالنابغة -ولميكن القائد المدنى يتعاطاها ، ولكن الحنفى لا يفتر عنها ، ثم قال له الشيخ سعيد - وقد كتم عنه أنه عرف الواقع - لماذا أرسلت الينا ؟ فها نحن أولاء جئنا ، فسكت عن اجابته الى أن اصبح الصباح ، فاجتمع الاخصاصيون والبربـر . وقد أتى اليهم أيضا الزافاضيون والبعمرانيون ، وقد توافر الجميع هناك فى الليل ، فقال لى (الزافاضيون) : ماذا صنع بنا هذا الرجل ؟ فقد غدرنا ، فقالوا أن يقتلوه فى الحين . فقلت لهم لا على ولا لى فيه ، فلم أزد على ذلك ، ثم ذهبت الى الشيخ سعيد فأعلمته بما ينوى الزافاضيون فى القائـد وفـى كاتبه ماء العينين ، ثم قلت له : ان الواقع لا يرتفع ، فان الجنود متوجهة وستحتل كل هذه البقعة بلا ريب،فلا معنى لسفك الدماء بيننا ، فان شاورك هؤلاء فلا تقبل لهم ذلك ، فقال حاشا أن أتسبب فى سفك محجمة دم ، فان كان الحنفى قد هادن عن قبيلته ، فلنا كلنا قبائلنا ، ثم لم ينشب الناس ان تفرقوا عن خزى ، فذهب البربر الغرباء ينظرون ما يصنعونبانفسهم،فرجعت انا مع الحنفى الى (اد التاجر) فبتنا هناك ، فأمرنى ان اذهب معه لملاقاة النصارى فى (وُوعـلـكـة) فقلت له لو كان مرادك علىالحقيقة نفعى لاعلمتنى

امس ، ولما أرسلتني مراوغة منك الى ايت بعمران ، أم تظن انني مجهول عند النصارى وعند غيرهم ، فلو ذهبت معك لعرفت ما انا قائل عنك وعن نفسي وعن جميع اهل هذه البلاد ، ولكن حين خادعتني امس فانني لا أصاحبك اليوم. فقال : ان أبيت أن تذهب معي فاذهب انت وماء العينين ، فاجمعا الناس في متسوق الثلاثاء ، وائتيا بجمال لتذبحها (نعرتيبات) أمام الجيش الزاحف ، فلما انفتل عنا، قلت في نفسي : انني كنت تركت عيالي مع نساء القائد المدني يجلن في الغابات ، وقد كانت نساء كل الامكنة الخائفة قد اجفلن من الديار الى (الغابات) خوف قنابر الطيارات التي صارت تحلق فوق (بنوزاكارن) وامثالها منذ أيام، فذهبت الى أهلي ، فمررت بالحسن بن المدني في (ادحيتوف) فحكيت له ما وقع ، ثم عين لي المحل الذى فيه زوجاتي مع زوجة أبيه ، فلما وصلت محل النساء ، قلت لزوجة القائد التي مع زوجاتي : ارجعي انت الى دارك ، فثارت فيها الغيرة الاسلامية ، فصارت تلعن الحنفي وتقول : أرأيتم أخي القائد مباركا ، هل يقدر أن يفعل مثل قائد ثم الحنفي؟فجئت الى نسائي، وهن في أجراف من جبل بين (تمسور) وبين (ورزت) فاركبتهن على بغلتين وعلى فرس ، فرجعت الى (تيمولاى) ليلا فأصبح الى شيوخ البلد ، فسلموا علي ، فقلت لهم معتذرا عن مجالستهم : انني قد أعييت فصرت اجمع متاعي بعجلة لارتحل ، وقد دخل الجيش الى (بنوزاكارن) عشية امس ، فصار رئيسه يسأل عني ، فارسل الى لآتيه في الحين ، فتسرب الى الخبر في الليل من أهل الغيرة ، فخرجت مسرعا وسط الليل من الدار بمتاعي وباهلي، على اربع بغال وثلاثة افراس ، فسرت في طريق (أستتار) وقد نكبت المرور حول (بوزاكارن) ، لان الجيش ، الذى احتله قد اطلق الاضواء حوله ، فمررنا على سلك ملقى على الارض يتبع ممر الجيش ، فأراد من معي أن يقطعوه فنهيتهم عنه،فامرت الذى يهدينا أن لا يمر بنا على(اد جلول)حتى وصلنا(تيوتريرين) (اوميلاً) - كديات اليمام - ثم رددت صاحبا لي فامرته ان ينام على هذه الكدى الى الليل ، ثم يرجع الى داري في (ادجلول) فمن سأله عني يقل له : لا علم لي به ، قال وقد كان عندي اذ ذاك من الغنم خمسمائة .

في أيت بعمــران

قال : ثم زدنا أمامنا وقد طلع علينا النهار ، فمررنا حول(الوس) ووصلنا (تيغيسيت) فوقفنا امام دار ابن الحاج سليمان من (ايت عبلا) فلما اطلت زوجه علينا فرأتنا سودا ، صارت تصرخ : يا رباه ، قد وصلنا السانغاليون جيش الفرنسيس ، فتعول اعوالا صارخا ، فقلت لعبد لي اذهب اليها ، وقل لها من نحن ، حتى تهدأ عن صراخها، فاذ ذاك فرشت ثوى الاضياف وبخرته، ثم اومأت الى العبد من الباب الموارب ، فامرته ان يدخل البغال والخيل ، ثم

أمرته أن يدخلني أنا ومن معي ، فوجدنا كل شيء مهيأ من الخبز وأواني الاتاي ، ولم تدخلنا حتى أوجدت كل شيء . قامت الزوجة الرشيدة بكل هذا كما تقوم به عادة أمثالها من ربات الديار السوسية اذ ذاك متى غاب أزواجهن ، ان ألم بهن معاريف أزواجهن. ثم جاء زوجها بعد ما دخلنا ، فصار يثرثر علي بالتشكي مما فيه الناس . ثم ركبنا فتسوقنا (سوق الاثنين) من ايت يَسْثِيمُور ، فلم نجد فيه أحدا مبكرا ، لان الخوف عم الناس ، فاذا بالشريف سيدي محمد بن يوسف - وهو من أهل وزان - وهوتاجر فارسلت عبدي فاعانه حتى أنزل الجوالق عن بغلته ثم جاء به الي ، فهنأني بالسلامة، فحكيت له ان الجيش دخل (بوزاكارن) وقال لي : اما هنا فليس عندنا الا مجروحون قليلون اصيبوا في ثنية (تيزي) فدفعت له مالا كان عندي اريد أن أودعه اياه لامانته ، فقلت له ان الامارة بيني وبينك لمن أرسله اليك : أن ياخذ خنصر يدك اليمنى ، ثم توارد بعض الناس الى السوق ، فسألت عن الشيخ سعيد ، فقيل لي : انه ذهب الى (ايكيسل) أمس ، فاشتريت لحما فارسلته الى داره ، فجاء الحسين ابن عم الشيخ سعيد وابن عمهما يحيا بن يحيا ، فأعطيت لهما أيضا احسانا ، فبت عند الحسين أنا ومن معي، فأرسلت الى سراج ليصلح لي بعض سروج ولجم ، وفي الصباح ذهبت مع الحسين ، فلما وصلنا مكانا لاقينا اعرابيا جاء من (أبايْنو) فأخبرنا ان مربيه ربه جاء عن (كردوس) هاربا ، فنزل في (أبايْنو) هو ومحمد بن بلقاسم النكادي ، فذهبنا الى (أبَايْنو) فلم نجد هناك أحدا الا الفقيه سيدي بلقاسم الرخاوي ، فذهبنا الى (ايكيسل) فمررنا هناك بانسان نظر الينا نظرا نزرا ، فقصدنا (اد الاربعاء) فلم نجد هناك أحدا ، فاذا بثلاثة جيوش جاءت من (بنوزاكارن) متوجهة الى(وادي نون) ، وهناك جيش آخر يسبقه الحاج احمد أضارضور ، جاء من جهة (أقة) فقلت للحسين: هل تريد أن نستشهد الآن ؟ فقال لا ينبغي لنا ان نلقي بأيدينا الى التهلكة ، ثم قرأ الآية الدالة على ذلك من القرآن ، وكان حافظا للقرآن ، ثم دخلنا دارا هناك خالية ، وقد فر الناس أمام الجيوش الزاحفة ، فذبحنا دجاجا به تعشينا ثم افطرنا ، ثم رجعنا الى (أبَايْنو) فاستدعانا هناك ثلاثة الى ديارهم ، فاكرمونا بطعامهم واحدا بعد واحد ، ثم غادرنا المكان ، فسرنا في (امي نفاس) فبتنا في قرية (اقران) عند ابراهيم بن مَامّاس ، وهناك اخبرنا أن البربر أصحاب النكادي طاردتهم الدبابات والطائرات ، حتى أدركتهم في مصب وادي درعة ، فرجعوا مع النكادي الذي كان ذهب معهم حين وقع ما وقع ، ففروا أجمعون ، وقد كانوا طمعوا أن ينجوا الى الصحراء ، لكنهم ادركوا قبل ان يصحروا ، ثم أخبرنا وارد أن مربيه ربه كان نازلا في (اصَبْويَا) فلم يقبلوا نزوله بين ظهرانيهم خوفا على أنفسهم من جريرته ، قال فبقينا هناك أربعة أيام ، ونحن نختلي في

الجبال ، حتى هدأت الحالة هدوءا ما . فرجعنا فوجدنا أصحابنا يفتشون عنا ، ثم بقيت في دار الحسين ، فبلغني أن كل ما فيالدار من (تيمولاى)قد انتهبه القائد الحنفي وقد أخرج منها عيالي .فذهبوا الى دارنا في(اد جلول) وقدكنت بعثتالى الغنم التي كانت هناك أن تنتقل الى ايت عبلا ، فلم يصادفها اصحاب الحنفي فنجت ، فكانت لي نعم المرجع في حياتي هناك . ثم التحق بي عيالي بعد ما اخرجوا ايضا من دارنا هناك،فانزلني الحسين في دار من(ا داو سـاكـم) حيث بقيت منذ : 1353 هـ الى أن أخرجنا منها اخيرا بعد وقعة البعمرانيينسنة: 1377 هـ . قال وفي هذه الدار استقررنا هادئين نزجي الحياة ، وقد استولى الاسبانيون على بعمرانة ، فمرت على الفترة الهادئة في حياتي حين لا معارك ولا مجاذبات ، فرجعت الى الحياة القديمة التي كنت أعرفها في صغري قبل أن التحق بالقائد ابن الطاهر ، ولله الحمد والشكر على ما اسبل من ستره ، فكنت أعيش كهؤلاء فاحرث واكسب مستسلما للقضاء والقدر .

مـــع اسبانيـــة

قال : اسم أول من نزل هناك من الاسبانيين (كباص) فقـد ذهبت انا والحسين الى (افنى) اثر نزوله ، فوجدت الخمسيين متفرقين فرقتين : فرقة مع الشيخ سعيد ، والاخرى مع الحسين صاحبي هذا ، يمشي بينهما بالنميمة من لا يراعون القرابة ، فعزلتهما عن الناس ، فقلت لهما اسمعا ما اريد أن اقول لكما : انك يا حسين رجل عظيم،وليس عندى ما اقول في كل احوالك، الا أنك ستضعف ان وقفت أمام النصارى ، فلا تطيق أن تماشيهم ولو خطوة، فالمعاملةمع الاوربيين غير المعاملة مع المغاربة ، ثم قلت للشيخ سعيد : اليوم يومك ، فقم واملا مقامك بين أقرانك الرؤساء البعمرانيين ، وكن احسن سياج لك وللحسين ولي أيضا ـ لانني منكم اليوم ـ ولجميع المسلمين ، فاقترح علي ان اذهب معه ، فقلت له : لا اذهب ، فالح علي الحاحا ، فذهبت فدخلتمعه الى مجمع البعمرانيين ، فاذا بالرئيس (كباص) سلم علي وقد عرف من انا ، فتوجهت اليه ورددت سلامه بالتي هي احسن،ثم اخبرته بانني كنت التجأت الى ايالته ، وان البعمرانيين فرحوا به حين نزلبين ظهرانيهم ، ثم اخبرته بما تقدم لي من الاتصال بالحكومة الاسبانية قبل ، وما اسدته الى من معروف ، فلما ختمت الحديث معه ، اشتغل مع البعمرانيين يعقدون معه الشروط التـي يملونها عليه املاء ، وغالبها يدور حول أن يستولي الرؤساء على الاعشـار والزكوات ، وان يكون لهم الكلام في قبائلهم ، كل رئيس من هؤلاء بقبيلتهـ قال ولم يهم هؤلاء الرؤساء الا الرياسة ، والسيطرة علىالناس، قال وقد نسوا مربيه ربه ، وأما لو كانوا اشترطوا ان يبقى اميرهم لبقي ، قـال : ثـم أن مربيه ربه أوى الى الصحراء في (طرفاية) فرجع الى حالته الاولى سكنـى

الخيام في الصحراء . قال فهكذا فارقته اليوم ، وسبحان من جمعنا امس ثم فرقنا اليوم ، وقد كان اول معرفتي به انني كنت زرت والده مسافرا اليه من وادى نون الى منزله في (الصمارة) يوم كنت اتعاطى التجارة في فجرحياتي. فاستحضر أنني ومن معي كنا صدنا غزالة صغيرة قبل اليوم الذى رحنا فيه الى الشيخ ، فأبقيتها عندى لافرح بها أول صبى من ابناء الشيخ يلاقيني هناك ، فكان مربيه ربه أول من جرى لملاقاتنا من أولاد الشيخ ، وعلى رأسه ثلاث ذوائب ، قال وقد بتنا اذ ذاك أياما عند الشيخ ، فسأل عما يكرمنا به . فذكر له اننا نحب الدجاج ، فذبحوه لنا وهو عندهم موجود كثير ، لانهم لاياكلونه، وحين صرنا نحن ناكله في خباء صار الشبان منهم يرفعون أطراف الخباء يطلون علينا ليروا كيف ناكله، ثم سمعناهم يذكرون بتعجب كيف ناكله .

قال : ثم ان الاسبانيين طلبوا أن ينزع السلاح من الناس ، فكان اول من سلمت السلاح من القبائل،قبيلة (ا صنبويًا) وقد اعطت اسبانيا ثمن السلاح للرؤساء فقط ، مع مال آخر لهم ليغضوا عن نزع السلاح من العامة ، قال : فاعطيت انا بدورى البندقيتين اللتين بقيتا عندى ، فودعت السلاح من ذلك اليوم ، ولا يلوم الا الله ، فاعتضت عن البندقية بالعصا والسبحة . ثم بعد نزع السلاح حدث الحدود بين المنطقتين ، ثم صار الشيخ سعيد يزداد ارتفاعا في عين (كباص) فيرسل اليه الهدايا كالاوانى المفضضة ، وقد سمى قائدا بين الرؤساء ، قال واول ما فعلته اسبانية من الاعمال أن مهدت لبناء مدينة (افنى) ولمحل المطار لنزول الطائرات .

يتفسح فـــى اسبانيـــة

قال : ثم أنه بعد ما قام فرانكو وتغلب على اسبانيا ، طلبت أن ازور ارض اسبانية التى كنت أعرفها قبل ، ومقصودى الوحيد:ان اتفسح هناك ، لانني سئمت من الركود فاجبت الى ذلك ، فنفس على بعض الرؤساء هذه السفرة ، فقد خافوا أن أعقد هناك ما اعقد . فاترأس عليهم ، كأن الرياسة عليهم فيها مجد ، فتطلب كثير منهم أن يذهبوا كما أذهب ، وهم القائد أحمد بن البشير ، والشيخ سعيد ، وعبد الكريم الخلفي ، ومربيه ربه ، وسيداتى بن الهيبة ؛ والسالك ، ولد عبد الله ، فسوعدوا جميعا ، حتى مربيه ربه ؛ فسافرنا كلنا في باخرة من (افنى) الى (طرفاية) حيث بقينا (12) يوما ، فوجدنا هناك التاجر عليا بوعيدة ـ هذا الذى صار الآن بعد الاستقلال عامل طرفاية ـ ثم على باخرة أخرى الى جزيرة (كنارية) حيث بقينا ثمانية أيام،ثم الى(تاناريف) فتلقناهنالك بكل ترحيب،ثم رجعنا الى(كنارية)ثم رجعنا الى(قادس) بأرض اسبانية فركبنا السيارات الى (الجزيرة الخضراء) ومن هناك الى (تيطاون) فأنزلنا في دار الاضياف ، ثم اتصلنا هناك بمن كنت أعرفهم قبل ، فضيفوني ، وقد

كان معنا يهودى متنصر يسمى منصيا ، كان ترجمانا ، قال وعند سفرنا من (تيطاون) قال منصيا هذا لصاحبى : أن الناجم لا يسافر معنا الى اسبانية. فلا تا ت بحقيبته ، فلما بلغنى ذلك قلت : اننى لم آت الا الى اسبانيــة ، فنرت فى وجهه مخاصما فجاء صاحب الخليفة مصطفى بن يعيش حين سمع المخاصمة ، فرجع بالحقيقة ، فأخبر الخليفة ، فاتصل هذا بعميد الحكومة فى (تيطاون) فأرسل الى أوراقى لاذهب وحدى حتى اتصل بفرنكو نفسه ، قال : ثم لما فارقنى الشيخ سعيد بكى من فراقى،فحكيت له الواقع ففرح ، وأعطانى مالا ، ثم سافرت بعد سفرهم ، فلحقت بهم الى (اشبيلية) ثم زرنا (قرطبة) و (غرناطة) و (قصرى) فهناك اتينا بالقناديل والقصاع والمناويل ، وكل الادوات المعروفة عندنا ، فقيل لنا : ان هذا كله مما يدل على اننا واياكم شيء واحد . فقد كان اجدادنا مسلمين ، ثم زرنا مدنا أخرى ، ثم كنا فــى (مدريد) فاحتفل فرانكو بلقائنا ،فالتقى أولا بمربيه ربه ، وساداتــى بسن الهيبة ، ثم خرج الينا ونحن مجتمعون فى بهو على الكراسى ، فسلمنا عليه ، فقدم اليه البعمرانيــون بندقيتيــن أهليتين مفضضتين ، وخنجـرين كذلك ، وقالوا له : ان هذه عربون اخلاص البعمرانيين لشخصك ، ثم بعد أن تكلم معهم وخرجوا ابقانى أنا وراءهـم استجابة للـذى كتب اليه فى شانــى من (تيطاون) ، ثم رجع مربيه ربه فأرسل الى الترجمان فقال له ما قال ، ولا ادرى الى الآن ما قال له ، الا أننى أظن أن ذلك كان حولى ، ثم رجعنا مـن هناك ، ثم أبحرنا حتى ألقينا العصا فى ديارنا بين اولادنا .

قال : وقد قاسيت من اجل هؤلاء الرؤساء ما قاسيت فى هذه السفرة . لانهم ظنوا أننى اتعالى الى السيطرة عليهم ، وان سفرى انما كـان لـذلك ، فلذلك سافروا معى ، ولذلك وقع أيضا ما وقع فى (تيطاون) مما اسروه الى الترجمان الذى معنا ، وقد لاقى هذا الترجمان جزاءه ، فسجن لذلك ، وربما لذلك ايضا رجع مربيه ربه حين تخلفت عنهم ، فجالست فرانكو ، هكذا يظنون ، ولا يدرون أننى وصلت من ضعف الصحـة والاستهانـة بالدنيا مـا زهدنى فى الرياسة ، وأهلى كله ، بل الواجب على أن أمضى باقى عمرى فى مناجاة ربى ، ومن تجاوز طور المجاذبات فليعرف ذلك حق المعرفـة ، وأنــا أعرف ذلك ولست بأبلـه ، وحين رجعت رفعت همتــى عن كل أحد ، فــلا اتصل بأى أحد من هؤلاء سنين كثيرة ، الى أن انقلبت الصحيفة ، فكان ماكان

تحت الحراسة

قال : كان الاسبانيون اول عهدهم يمادنون البعمرانيين الحبال ، فيتركون لهم حرينهم فى كل شىء،وقدرأيت مما تقدم كيف استهوتهم محبتهم لاحسانهم اليهم ، وقد مضت سنوات أكثر من عشر ، كان البعمرانيون يغبطون من كل

قبائل سوس المضغوط عليها من الفرنسيين ، ثم بدا للفرانكو بعد تمكنه ان يدمج البعمرانيين فى الاسبانيين ، فثار البعمرانيون فى وجهه وقالوا نحن مغاربة ، وملكنا هو محمد بن يوسف ، فادى ذلك الى أن اعتقل كثيرون من بينهم الشيخ سعيد ، وأحمد الذيب ، والاستاذ احمد بن زكريا ، والحاج المستى ، فنفى هؤلاء الى (الداخلة) بعد ما افرج عن الآخرين ، وفى هذا الوقت جعلت أنا تحت الحراسة الدائمة فى دارى ، ولم يعتقلونى كما اعتقلوهم لكراهتى لفرنسة ، ولا ريب أن فرانكو ومن اليه أعداء فرنسة ، ثم لم تزل عنى الحراسة الا بعد تسع سنين ، وخمس وأربعين يوما ، وهو القدر الذى قضاه الشيخ سعيد هناك ، وهو آخر من أفرج عنه بعد ان افرج عن أصحابه بكثير (وهكذا ذاق القائد الناجم حظه من الاستعمار الاسبانى ، ليكون ممن أوتى اجره مرتين) .

فى عهد الاستقلال

قال : امتد بى العمر ، وطالت أيامى ، حتى رايت والحمد لله راية الكفر قد انزلت ، وراية الاسلام قد رفعت ، فان فرح كل الناس برجوع الملك سيدى محمد بن يوسف الى عرشه ، فان فرحى أنا أعظم لما قاسيته فى سبيل الاسلام ، وفى اعلاء شأنه ، وقد نويت أن اطيب بالموت – ان طرقنى فى عهد الاسلام – نفسا ، فأقول (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) فان كل الذين نشأوا فى عهد الاستعمار وتشبعوا بما تروج به بيئة التفرنج لا يمكن أن يدركوا من الرجوع بنا الى الاستقلال ما يدركه مثلى الذى كان عاش من اول عهد مولاى الحسن : 1291 هـ . الى آخر يوم من عزة العهد الحفيظى قبل أن يكشف نوره : 1329 هـ . ثم لم يزل مثلى يجتر كل ما كان يعرفه اذ ذاك ، ويكون محور احلامه وآماله ان يعيش ولو لحظة فى يوم من أمثال تلك الايام ، ثم دار الفلك ، وطلع السعد ، واشرقت شمس الحرية ؛ وأشعت أنوار الاستقلال ، فانهزم ديجور الاستعمار ، فتفتحت ثانيا عيون الاسلام ، وعلا الابتسام ثغور الايمان . فجاءت الايام بما هو فوق الاحلام والامانى ، فكيف يكون مثلى فى هذا الجو المتموج بكل المنى المعسولة ؟ بعد تلك الدياجير التى كانت كلها ظلمات مسدولة ، افليس ان مثلى اكثر تقديرا للاستقلال ، ولجو الحرية بعد انقشاع الاحتلال ؟ فاللهم شكرا ، فاللهم شكرا ، أقول :

(هكذا) يعلن القائد الناجم عما يخامره حين أعلن استقلال المغرب الحر. فعاد وهو شيخ هم كانه ابن عشرين زهوا ومباهاة وابتهاجا ، ولا يقدر قدر السلسبيل العذب الا من كاد يتقطع عنقه عطشا فى القفر لايباب تحت الهواجر فى شهر ناجر ، ولا ينبئك مثل خبير .

بمثل أمام الملك المحبوب

قال : طارت القلوب بالافراح يوم أعلن الاستقلال ، فعم هذا الفرح كل نواحي المغرب ، قال وأما نحن هناك . فقد طفحنا حبورا،فكان لنا ولاصحابنا من البعمرانيين الحظ الاوفر، فوفدنا بوفد عظيم فيه كل الرؤساء البعمرانيين تقلنا ثمانية من المراكب الكبرى ، فنزلنا في الرباط على مكتب الحزب ، فقام بنا خير قيام ، ثم لاقى بعض الرؤساء جلالة الملك ، ولم يتيسر ان يكون منهم الشيخ سعيد ، فذهب بها نكتة في قلبه سوداء ، لم تزل عنه حتى مات بسببها ، وقد كان القائد الناجم من بين الذين تشرفوا بالمثول بين يدى جلالته ، والمتكلم عنهم الاستاذ سيدى احمد بن زكريا الذى نال بمصابرته الحظوة التامة والمكانة العظيمة بين البعمرانيين لفكرته الوطنية ولكفاحه العظيم.

في مراكش

قال رجع الوفد فبقيت أنا بعدهم في الحمراء ، وأنا أترجى ان استرد املاكي، فاتصلت بالقائد العيادى صاحبي القديم، وبأدريس منتو ؛وبكثيرين وقد ابثت برسائل من سيدنا نصره الله في شأن اطلاق املاكي ، ولكن لم تجد الا في عبد الصادق الاكلاوى ، فانه اسكنني في دار اكتراها لى ، وواسني بمال . ثم وقع بعد أن سكنت في مراكش سنة : 1377 هـ . أن وقعت الواقعة في ايت بعمران ، يوم ثاروا على اسبانية التى أبت أن تنصفهم بالكلام فحاولوا ان ينتصفوا منها بالحسام ، فهلكت أرواح ، ونهبت أموال ، وهدمت ديار ؛ فكانت داري من جملة ما أصيب،وقد كانت زوجتي وأولادها الصغار لا يزالون في الدار ، ثم زحفت اسبانية الى القرية التى اسكنها ، وتسمى (البطحاء) من (تيزنلمي) ازاء دار محمد بن على الرئيس ، فلم يكن أهلي على اهبة الارتحال ، حتى فوجئوا بالعدو ، فلم يكن ما يركبونه الا جملا حملت عليه النساء في الجوالق في وسط ليل باستعجال ، فبتن في مكان ، ثم الى قرية (ادجلول) في الاخصاص ، فماتت احدى الزوجين هناك من اجل ما لاقته في الطريق ، وكانت مراكشية وهي شريفة . قال: وكانت صالحة انتفعت هي وكل النساء التى معها بالفقيه سيدى الحاج عبد حين كن عنده في داره،فقد علمهن دينهن ، ولقنهن الاذكار . فحسنت حالتهن ، فيحافظن على صلاتهن وعلى الصدقات،قال: وليس عندى الآن من الاولاد الا محمد أبو يونس وهوالذى تقدم أنه هرب منى ، وقد عقني وأنا أتبرأ منه ، لانه ليس منى ، ولا دينه ديني ، وهو ليس على فكرتي ولا على ديني ولا على مبدأى ، فانه ليس بولدى، وان خرج من صلبي .

اقول : طلب مني أن لا اذكره كولد له ، لهذه الامور التى ذكرها ، وان كان ذلك لا ينفي كونه ولده الشرعي .

حول أملاكه

رايت أيها القارئ، أن القائد الناجم كان له بين اهله في (ادجلول) بالاختصاص نصيبه بين اخوانه . ارثا كان توصل به ، وقد صار يستغله يوم أوى الى ذلك المحل ، قبل ان يستقر في (تيمولاى) ثم لما أوى الى (بعمرانة) بعد الاحتلال وضعت عليه الحكومة يدها ، فصارت تكريه في كل سنة بالسمسرة في الاسواق ، وكذلك كانت له دار في فاس ، كان تركها في يد السيدادريس بوشتا من أهل (فاس الجديد) امانة لا غير ، ثم عدا عليها لما التهم الجنوب ربها ولم تبحث فيها الحكومة ، فأدخلها باسمه الى المحافظة ثم باعها ، فاتصل بثمنها ثم مات ، وكذلك له ديار متعددة في حومة (باب دكالة) بمراكش ، منها ما اشتراه بدراهمه وهو الغالب ، ومنها ما اقطعه له مولاى عبد الحفيظ ، كالرياض المنسوب للقائد الحافظي ، ثم لما ذهب مع الهيبة وضع الاكلاوى واصحابه يده عليها ، فبيع غالبها ، وربما صار بعضها لا يزال بين املاك الاكلاوى الباقية الى الآن،وكذلك عنده أرض اقطعها له السلطان المذكور قدس الله روحه ، ثم باعتها الحكومة بظهير يوسفي حجزت به كل املاكه يوم ذهب مع الهيبة كما اخبر ني به القائد العيادى .

هذه هي املاكه من الديار والعقار ، وأما ما فيها من الاثاث والمتاع والخرثي فشيء كثير جدا ، التهم الاكلاوي وأصحابه أو الحكومة بمصادرتها كل ذلك يوم خرج مع الهيبة، زيادة عن نحو ثمانين من البغال وكثير من الغنم والبقر في عزبته .

وبعد : فقد جاء الاستقلال،وهو ساكن في المحل المذكور قبل في بعمرانة وهو يحرث ويملك بقرا وغنما كالسكان هنالك ، وقد أمضى حياته كذلك في الخمس والعشرين سنة التي ابتدات منذ 1353 هـ . الى : 1376 هـ . فكان يزجي ايامه بالقناعة ، وهو يتعاطى من اسباب المعاش ما يتعاطاه من يقطن بين ظهرانيهم ، فلما أعلن الاستقلال ، وأطل فجر الاماني ، ورجعت الامال الى النفوس ، كان من بين المؤملين أن يسترجع مكانته ، وأن يسترد املاكه ، فوفد مع البعمرانيين -كما تقدم- على الملك المحبوب ، ثم توسطت له انا وسيدى الحاج أحمد بناني عند مولانا الملك نصره الله لاسترجاع أملاكه ، فقيل لي : ان استرجاع أملاكه لا بد أن يكون على طريقة القضاء ، فليدل بحججه امام المحاكم ، فما صح منها فان حقه يثبت به ، فذهبت رسالة من التشريفات الى عامل مراكش السيد البشير بن العباس،لينظر في الطريق الذى ينبغي ان يسلك في استرداد حقوقه كلها ، وكذلك كنت انا اوصيت اصحابنا في(حومة باب دكالة) من مراكش ، لينظروا من يشهدون له بدياره ؛ لان الحجج التي تمكن له انما هي في الشهود لا غير ، لان رسوم جميع املاكه كان غادرها فيما غادره يوم خرج من مراكش فضاعت فيما ضاع .

هذا ما كان منذ ازيد من سنة ، ثم توقفت القضية ، واما داره التى فى فاس ، فان ورثة السيد ادريس بن بوشتا . قد اقروا بأن موروثهم الميت هو الذى فعل ما فعل ، وقد اقروا بأنه تعدى على بيع الدار، وانه مات وليسوا بمواخذين بما فعله الموتى ، فتوقفت القضية هنا ، وقد كانت (التشريفات) عن الاذن المولوى ، كتبت أيضا رسالة الى عبد الصاد قابن الاكلاوى للنظر فى قضية الاملاك التى استحوذ عليها والده ، مما للقائد الناجم،فلم يزد على ان اسكنه فى دار لانسان آخر ، ثم اعطاه ما اعطاه من قليل المال .

واما ما يتعلق بملكه فى (ادجلول) فانه لا يزال يكترى الى الآن على يد الحكومة ، وقد مضى عن الاستقلال ثلاث سنوات فجا، الىَ الآن متشكيا باكيا على هذه المظالم المتوالية عليه وحده ، مع ان كل الناس رفعت عنهم المظالم فى عهد الاستقلال ، فكنت احس بوخز الضمير ازاء هذا الرجل الذى ضحى بحياته فى مقاومة فرنسة ، حتى اذا شاخ وبلغ : 92 سنة ، وقد عمى وعجز عن المشى ولم يجد ذواقا ، صارت الدياجى تتراكم عليه ، فقلت فى نفسى : اطلب الله أن يعيننى على أداء حق هذا الشيخ الضعيف ، فمكث معى فى (الرباط)نحو شهر ونصف ، وكنت ارسل اليه غالبا الى محلى ، يوم كنت اقيد عنه حياته هذه ، حتى أتممتها ، ثم سافرت معه بنفسى فى سيارتى الى (مراكش) فعقدنا من اجله ندوة استشارية ، تضم العامل السيد عمر بن الشمسى ، والفقيه المحتسب السيد العربى بنيس ، وقاضى الصلح الاديب محمد بن ابراهيم الدفالى . ومعنا مفتش الحزب فى سوس العلامة سيدى عبد العزيز بن ادريس - ورد مصادفة الى مراكش - والاخ الاديب سيدى مصطفى الغربى الرباطى ، والحازم النشيط محمد بن ادريس من الافذاذ الساعين فى المصالح العامة ، والكريم الاريحى مولاى على الرحمانى ، فبعد ما تداولوا القضية ، وعجموا عودها اتفقوا على ان أول ما يجب أن يصنع هو تعيين وكيل نصوح للقائد الناجم ، لانه مسن لا يقدر أن يتابع قضيته ، ولكونه يجهل الاوضاع،فقال العامل : على انا ان اؤدى مصاريف الوكيل ، وقال ابن ادريس على ان أقف أنا مع الوكيل حتى تهيىء الحجج من الشهادات المكنة فى حومة باب دكالة سواء منها العمومية ككونه خرج وترك كل أمواله ، وكون املاكه وضع عليها الاكلاوى يده ، وكونه كان يملك دورا فى حومة باب دكالة، والخصوصية ، كالشهادة على كل دار بعينها ان تيسر الشاهدون لذلك .

وقد كانت هذه الجلسة فى دار العامل يوم الاحد السابع من دجنبر سنة 1958 م . الموافق للسادس والعشرين من جمادى الثانية 1378 هـ .

وقد كان الحاج احمد بنانى ، كتب رسالة اخرى فى الموضوع الى هذا العامل وللحاج أحمد يد طولى فى اكرام القائد الناجم ، فقد توسط له عند جلالة الملك حتى نفذ له عشرين الف فرنك مشاهرة فى (الاحباس) مع صلة جلالته

له ، سمعت أنها بلغت مائة ألف فرنك ، زيادة على ما منحه له الحاج أحمد التريم في كل ميدان ، وللحاج احمد مقامات في الاحسان لا تنسى .

هذا وقد حثثت العامل على ان يكاتب (عمالة اكادير) في شأن املاكه التي في الاخصاص ، لتدفع له ، فوعد بكل خير ، بل لم نتفرق من هناك حتى أبرم مع فضيلة المحتسب الذي تحت يده أملاك الاكلاوي المصادرة . أن ينظر دارا حسنة ينتقل اليها القائد الناجم للسكنى ، ليخلى الدار التي فيها الآن لترجع الى صاحبها الذي اكتراها منه عبد الصادق ، ولم يبق الا المحاولة لاسترداد ثمن دار فاس ، فربما يتيسر ذلك بعد أن يكون له وكيل .

أكتب هذا في يوم الثلاثاء تاسع دجنبر 1958 م . ثم أبلغني العامل انه لا يمكن أن يتم شيء الا بظهير جديد ينسخ الظهير المتقدم ، فتقدم القائد بهذا الملتمس الى مولانا الملك .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

جلالة أمير المومنين الذي منه واليه جميع مصالح الشعب سيدي محمد بن يوسف ، السلام على حضرة سيدي ورحمة الله ، والنصر والتمكين لكم ولولي عهدكم المحبوب ، فالله يحفظ جميع أفراد أسرتكم الكريمة .

سيدي : انني عبد داركم وخديم دولتكم ، والمفني شبيبتي وكهولتي وشيخوختي تحت أوامر دولتكم العلوية المنيفة ، المسمى الناجم الذي كان قائدا من قواد اجنادكم في عهد مولاي عبد العزيز ، ثم في عهد مولاي عبد الحفيظ ثم انني ما أزال في مقدمة المدافعين دائما عن عرشكم الخالد امام الثوار، كأبي حمارة وامثاله . وبيد عبدكم هذا قيد الثائر ابو حمارة حتى سلمته بيدي الى السلطان مولاي عبد الحفيظ رحمه الله سنة : 1327 ه . ثم لما دهم الاستعمار هربت من اعدائي وأعداء دولتكم والاكلاوي ونظرائه من مراكش، فقد خرجت منها صبيحة احتلالها في اواخر رمضان 1330 ه.فذهبت فارا بنفسي مع اخواني السوسيين من سنة 1330 ه.الى أن تم احتلال تلك الجهة سنة 1352 ه.فاذ ذاك انكمشت في آيت بعمران الى أن رجعتم يا مولاي الى المغرب بالحرية والاستقلال، فوفدت على سيدي مع البعمرانيين سنة : 1376 ه . وأنا في غاية الفرح بعهدكم هذا المزدهي بكم ، ثم تشرفت يا سيدي أولا بالمثول بين يديكم ، ثم بما اسديتموه لي على يد (الاحباس) مما اسد به الرمق ، وقد اهتمت جلالتكم بعبدكم هذا ، فكتب لي على يد التشريفات رسائل بالوقوف معي حتى استرد أملاكي ، فبقيت في مراكش منذ سنتين ، وأنا أتطلبها حتى وجدت أن جميع أملاكي كان صدر الامر من قبل بتحويزها الى الاملاك المخزنية ، ولذلك أكتب اليوم الى سدتكم العلية اتطلب ظهيرا من مكارمكم ينص على استرجاع أملاكي في مراكش وفي فاس ، وفي مسقط رأسي من قبيلة الاخصاص ، لان الجميع دخل في الاملاك المخزنية ، وارفع الى مولاي من أعماق قلبي ما يرفع العبيد الى

السادات . والمومنون الى ملوكهم المخلصين . 28 جمادى الاولى 1378 هـ .

ثم وقع للعائد اثر ارساله لهذا الملتمس ان بعثت اليه المحكمة أن يستعد للخروج من الدار التي اكتراها له عبد الصادق الاكلاوى ، والا فسيطرح متاعه في الزقاق غدا ، فقام وقعد ، واتخذت الوسائط لتوقيف هذا الى ان توجد له دار تليق لسكناه ، لان المحتسب كان قدم اليه دارا خربة ، وهنا وصلت القضية الآن ، وهكذا يطلع القائد البطل في الدنوءة ويهبط (1)

خـاتـمـة

تتبع القارىء مفتتح حياة هذا البطل الى مختتمها ، فشاهد ما شاهد من البطولة النادرة التي يشايعها راى اصيل في الحروب ، وفي كيفية ادارتها ، كما قرا صفحات خالدة من تاريخ المغرب الذى لم يعتن به الا قليلا ، وقد اجتهدت أن أضم شمل أحاديثه عن المعارك التي خاضها ، فاسهب احيانا وأوجز احيانا ، بحسب ما يسمح به حديث هذا الشيخ النحيل الذى أنسج حديثه نسجا ، فمتى رايته نشيطا يثر كالينبوع المتدفق اسهب اسهابا ، ومتى أراد ثقيل الحديث عاجزا عن متابعته باسترسال اقنع منه بما التقطه بايجاز ، ولهذا يرى القارىء الاستطراد قد يوجد في أمكنة ، ثم لا يوجد في أخرى ، على أنني حرصت أن لا أكون الا مترجما لما يقول ، فمتى اعتراه شك في شيء ـ كما يقع له كثيرا في ترتيب معارك أبي حمارة ـ أتوقف معه عن الكتابة حتى يستبين الحق ، أو الخص ما يقول تلخيصا،وأنا حارص أن آخذ عنه كما تيسر.

على أن العجيب من الرجل أنه يستحضر غاية الاستحضار أسماء الرجال والبقاع التي مر فيها ولو مرورا ما ، فان كنت أجهل جبال الريف ، ونواحي وجدة وجبال غياثة ، وبني يزناسن ، فانني أعرف الجنوب وسوس ، فأعلم أن كل ما قاله في هذه الجهات صحيح ، ولا عيب في حديث الرجل الا أنه لا يستحضر التواريخ ، ولذلك يفقد حديثه كثيرا من دعائمه ، وقد وضعت انا بعض التواريخ لما ذكره عن سوس ولكن لم أتتبع ذلك تتبعا ، لكوني أريد أن يبقى حديثه كما هو ، والا فمن اسهل ما يكون عندى أن اجعل حتى لبعض حوادث ابي حمارة بله حوادث سوس تواريخ كنت أعرفها . وقد ذكرتها في غير هذا المكان ، اما في مقدمة كتاب (طاقة ريحان) واما في (من أفواه الرجال) أو (المعسول)

هذا ثم أعلن انني لا أزعم أن الغلط لا يحصل للقائد الناجم في بعض ماحكاه، وان وصفته بغاية الاستحضار . فقد رايت منه بعض اغلاط فيما عرفته من

(1) لا يزال في هذه الدار الى الآن 12 ربيع الثاني 1380 هـ . والقضية لم تتقدم شبرا . والرجل طريح فراشه لا ينعش الا من اعانة الاحباس .

حوادث سوس ، فنبهه اليها فرجع ، وقد ذكرني هذا الاستحضار الغريب ما نقراه عن المحدثين في كتب التاريخ .

وبعــد : فهاك ترجمة رجل كان عاشر أهل الغ زمنا كثيرا في ميادين الجهــاد يوم يكافح الجزوليون دون جزولة ، وكانت دار علامتهم علي بن عبد الله مخزن متاعه ما شاء الله ، فاستحق بذلك ان يكون في هذا القسم ، فقد رأيت ما بينه وبين علامة (الــغ) المجاهد الكبير سيدي علي بن عبد الله الالغي ، وما بينه وبين الاخوين سيدي أحمد وسيدي محمد ، وكل من بينه وبين الالغيين مصاحبة كهذه ، فالاجدر ان لا ينساه الالغيون ، وان لا ينساه مؤرخ الالغيين الذي يقول بملء فيه :

أنا الذائــد الحامي الذمار وانمــا   يدافع عن احسابهم أنا او مثلي

القائد المدني الاخصاصي

نحو 1290 هـ ... 7 - 9 - 1352 هـ

نسبه

المدني بن احمد بن عبد الله ابن الحاج محمد .
من فخذ تسمي (إدْ بيفولن) من قبيلة (الاخصاص) الشهيرة . وفيها افخاذ شتى . وكان للحاج محمد ذكر فسما أولاده به ، ويقال لهم (إدْ عبْلاَ ا'وحاج) أي أهل عبد الله بن الحاج . وقد خلف الحاج محمد من الاولاد عدة . منهم بلقاسم ، ومنهم احمد ، ومنهم الحسن .ثم خلف عبد الله ابن الحاج أحمد. والفقيه الحسن ، وعمر وسعيدا وأبا بكر .

الفقيه الحسن بن عبد الله

عالم له شهرة كبرى في تلك الجهة . تخرج بأبي العباس التيمكيدشتي ، كما أخذ أيضا عن أبي حامد سيدي العربي الادوزي . وقد أجازاه معا . وهذه هي الاجازة منهما(كما وجدناها بأسم يوافق اسمه.فقيل لنا انه هو المقصود) (الحمد لله الذي يجيز أهل السنة على الصراط كالبرق الخاطف ، ووقاهم ببركة الشريعة من الوقوع في المهلكات في كل المواقف ، والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى ءاله وأصحابه وكل التابعين . وبعد حمد الله على أن لم يزل ذوو الهمم في التحصيل أقول ان الاخ في الله سيدي الحسن الفقيه ابن عبد الله الاخصاصي ، قد طلب من العبيد الضعيف الاجازة فيما أخذناه ثم اخذه ، وحصل عليه مما قدر له . فاجزته طالبا من الله أن يكون ممن ينتفع به المسلمون ، اجازة مطلقة شاملة عامة بشروطها المعروفة المقررة المحررة عند العلماء ، على شرط أن يقول لا أدري فيما لا يدري . وأشياخنا رضي الله عنهم كثيرون في الفقه والنحو والحديث والتفسير والتصوف . وملاك الامر تقوى الله تعالى . وأطلب منه أن لا ينسانا من صالح دعائه والسلام في 15 من سنة: 1268 هـ . أحمد بن محمد الميموني حفظه الله ووفقه) .
وتحتها ما نصه :
(وبمثل ذلك أجازه الضعيف العربي بن ابراهيم وقاه الله من المساوي . جعلنا الله واياه ممن حفظوا من السقوط في المهاوي) .

كان أولا يزاول التعليم في مدارس بلده ما شاء الله الى أن طلب منه سيدى الحسين بن هاشم مرة الافتاء في مسالة او الحكم فيها . ورأى في ذلك الخروج عن الحق . فطلق مخالطة الناس في المشارطة في المدارس فلازم داره . يحكم لمن قصده بالحق . أو يستفتيه في نازلة . وقد كان دينا مراقبا لربه . صوفيا كبير المقام . وقد صاحب الشيخ سيدى سعيدا المعدري ، وكان هذا الشيخ ينزل عليه ، ثم دام مع اصحابه بعد وفاة الشيخ . وقد اخبرني العم ابراهيم انه كان سنة 1308 هـ . مع الشيخ الوالد الالغي ومعه طائفة كبيرة من أصحابه. فزاروه في داره بقرية (بوزاكارن) أو في (افران) فقام وقعد فرحا.يقول مخاطبا للشيخ البيت المشهور :

ان للناس كل عام لعيديـ ـن وكل وقت لنا بك عيد

ثم قال له : يا شيخنا فباى شيء نجازيك حين جمعت لنا هؤلاء الاحباب في مكان واحد نتبرك بهم وبرؤيتهم ، وبهذا الحال والشوق عرفه الفقراء ويذكرونه الى الآن، ثم لم يزل حيا الى ان جلا عن (بوزاكارن) نحو 1318 هـ. حين جلا القائد المدني واهله الى (فاصك) . فنزل هو في (افران) ثم لم ينشب ان توفى اما في سنة 1319 هـ . واما في السنة التي بعدها عن نحو مائة سنة . وذكره في النوازل شهير . وكعبه في الفقه عال ، لا تنقض محررات احكامه لاتقانها . وكان كلما حكم لانسان في نازلة يقول له : هذا هو الحق ، ولكن يحتاج الى أن تنفذه بعضدك . ومحرراته في النوازل تزخر بها تلك النواحي . وقد خلف لما توفي ولدين ليسا في مثل أوصافه . فباعا كتبه عددا .

أحمد بن عبد الله

أخو الفقيه المتقدم وهو الرئيس الكبير في الاخصاص في النصف الاخير من القرن الماضي ، واحد اوتاد نحلة (تاكوزولت) في ذلك العهد . كان أحد العمد التي تدعم نفوذ الرئيس سيدى الحسين بن هاشم الايليغي وأحد الافراد الذين ينتدون في ندوة (ايليغ) فيبرمون وينقضون . ويعقدون ويحلون . وكان ينوب عن كل (الاخصاص) في خارج ارضها . وان كان لا يستبد الا برأى فخذه (ادنبوفلن) فقط بين أفخاذ القبيلة في داخلها . فكان في ندوة (ايليغ) من تلك الجهة كالفقيه الحسين العبلاوى الذى ينوب عن (ايت عبلا) البعمرانيين ، وكمحمد بن عمر (افولوس) الرخاوى نائب (ايت رخا) وكمحمد العلوى والد القائد سعيد المجاطى نائب غالب مجاط الشرقية .

كان أحمد موصوفا بالاوصاف التي يحمدها أهل ذلك العصر . كريما صبورا شجاعا نافذ العزيمة متدينا تاليا لكتاب الله الذى يحفظه،ولدلائل الخيرات الذى

لم يكن يفارقه . ونشأت يده غير متسعة . ولكن ابن هاشم كان يسرب اليه كل ما يحتاج اليه . لانه عنده في مكانة مكينة ، لعقله ورصانته وتثبته في الذي يقول قبل أن يقول . فكان ابن هاشم يجرئه دائما ان لا يسكت في مجامع القبائل . وأن يعلن دائما ما يراه بكل صراحة . وقد كان حزب (تاكوزولت) اذ ذاك حزبا قويا له نفوذ وصرامة . لمكانة رئيسه ابن هاشم أسد سوس الجنوبية اذ ذاك . ويعسوب (ايليغ) الذى ان صرح فلا أحد يقدر أن يرد عليه . وقد كان ابن هاشم وفد نحو 1280 ه . وفادة لا يزال دويهافي الاحاديث الى الآن على القائد الحاج عبد الله الحاحي الشهير . فاختار لموكبه ورفقته من خيار القبائل . فكان في مقدمة من اختارهم معه الرئيس أحمد بن عبد الله وأمر ان لا يتصدى للتكلم الا ثلاثة من كل من معه . كان أحمد بن عبد الله أحدهم . ومن هنا تعرف مكانة الرجل عند ابن هاشم وانه منه في عين الرضا دائما .

أخبرني بعض المسنين من أهل (تيمولاى) السفلى بـ(افران) أنه كان يعرفه معرفة تامة في ذلك العهد . وذكر انه كان يتسوق دائما سوق الجمعة هناك . فينزل في مشهد (سيدى ابى الرجاء) فيقبل على (دليل الخيرات) حتى يناديه من يحتاجه لمهمته ، ولم يزل في عنفوانه حتى توفي نحو 1301ه. اثر ما رءاه من ابن هاشم اذ جلا عن (ايليغ) الى (سملالة) 1299 ه . أمام السلطان المولى الحسن ، ولا ريب ان ذلك يتأثر به في صدره . ولكن الله استأثر به قبل أن يرى ما سيقع سنة 1302 ه . حين حوصر ابن هاشم حتى غلب على أمره امام القبائل فسلم ، لها بخضوع وخنوع .

سعيد بن عبد الله

كان من البارزين بين الاخوة بعد وفاة أبيهم . فظهر بالرياسة بعد أخيه احمد عريفا لفخذه تحت القائد بوهيا الشهير . وقد كانت لبوهيا رياسة وعلو بعد ما توصل من السلطان مولاى الحسن بالقيادة . ولم تكن قيادته قبل 1314 ه . الا رياسة قبلية يتمشى كرئيس من رؤساء القبيلة . وانما يمتاز عنهم باسم القيادة امتيازا شرفيا فقط .

كان سعيد في مسلاخ أهله مقبلا مدبرا . ولم يزل على ذلك من وقت وفاة أخيه الى نحو 1312 ه . فدس اليه اخوه عمر رجلين فتكا به ، وهو راجع من سوق الثلاثاء في محل يسمى هنالك ازاء (تافراوتت نئد التابع) . ولا تزال مشهورة الى الآن البقعة التى سقط فيها بيد الحسن بن محمد الاعسر الملقب (أكتشار) ويد معاونه على بن عبد الله من (ادغزال) .

عمر بن عبد الله

برز الى الميدان بعد ما فتك باخيه . وكان القائد بوهيا هو الذي جالت دسيسته بين هؤلاء الاخوة . لمكان اسرتهم من (الاخصاص) . ليجد له متسربا عند اختلاف رأيهم. وقد رأينا عمر قد أخلص له بعد ما مات أخوه سعيد.فكان أحد الشيوخ تحت يده . ثم لما تمكن القواد من قبائلهم اثر استيلاء الكلوليين واجالوا أيديهم كما يشتهون في المغارم . كان عمر أحد شيوخ بوهيا المخلصين له اخلاصا تاما . وكان أحد عمدة يوم كان يستبد برأيه أمام القائد سعيد الكلولي . وقد تجلى اخلاصه للقائد بوهيا يوم ظهر المدني ابن أخيه في الميدان. فكان يوليه ظهره . ويساند القائد بوهيا حتى اجليا المدني نحو 1318 ه . فتمكنا في (الاخصاص) حتى هلك عمر سنة 1319 ه . فصفا الجو لابن أخيه المدني بعده .

القائد المدني

كان الزمان تقلب به تقلبا عجيبا منذ نشأته . فنشأ فقيرا مقلا مدقعا . الا أن له همة وطموحا واخلاقا ومصابرة للحوادث . فقد كان في عهد عمه سعيد لم يظهر بعد ولا يذكر بأي شيء . ثم لما فتك به بدسيسة عمه عمر صار ينظر الى عمر شزرا . وهو يستنكر كل الاستنكار ما فعله عمر بسعيد،مع أن بنت عمر كانت قرينة المدني . فلم يزل بعد هلاك سعيد نافرا من عمر . الا أن الاقلال منعه من كل ما عسى أن يقوم به.فقد أخبرني ثقة من أهل (تيمولاي) السفلى أنه كان يوما في هذا العهد في سوق الثلاثاء على رمكة. ومعه رفقة. فوصلوا المدني وهو يسوق حمارة هزيلة حمل عليها آصعا من شعير نفحه بها القائد بوهيا . قال : فحين وصلناه استنكف رفقائي من الوقوف عليه . والمحادثة معه ، فاشفقت عليه أنا،فسلمت عليه ، وحادثته وقد مرت رفقتي. فرأيت الرجل في مشقة من حمارته الهزيلة . وقد أعيت بتلك الآصع من الشعير . فمددت اليه مخلاة رمكتي فملأه فعلقته في قربوس سرجي تخفيفا عن الحمارة . ثم ناولته نعلي ليتنعلها . لانني رأيت مقدم احدى رجليه تدمى . وقد كان حذاؤه متقطعا متمزقا . فاصيبت أصابع احدى رجليه فتسيل دما . وقد كان في لباس خلق أسود.وعلى رأسه قطعة ملفقة من خرق شتى . وحين رأى مني الشفقة عليه ، قال : بالله عليك لا تتجاوزني حتى نصل قرية (بوزاكارن). فرفقت به وبحمارته . فصار يشكو الى بالزمان وبما لاقاه من الاقلال . فصرت أعزيه ، وأكشف عنه مرارة ما فيه ، حتى حادينا قريته . فأفرغت له شعيره فودعته وهو يشكرني شكرا جما . قال : انني ما رفقت عليه الا من اجل عرفاني لاسرته ولابيه .

ثم أن هذا الفقير المملق السائق لهذه الحمارة الهزيلة ، الذى كان يفرح بلا ريب بتلك الاصع من الشعير . هو الذى أصبح بعد زمان القائد المدنى الشهير الذى ترتعد الفرائص من ذكره . وتزخر المخازن بأمواله ، وتحنى له الرؤس اجلالا وهيبة . وسبحان مقلب الاحوال . فقد وقف فى وجه الاستعمار جبلا راسخا نحو ربع قرن .

ثم انه ينبغى لنا قبل أن نتمشى فى حياته أن نذكر أولا عدوه الالد القائد بوهيا الاخصاصى ، ثم نتفرغ لذكره هو .

قيادة الاخصاص قبل المدنى

كان القائد على قبيلة (الاخصاص) أولا هو القائد على بن الشيخ مسعود الاسحاقى العلوى الاخصاصى . فقد كان لابيه الشيخ مسعود ذكر مع آل عبد الله الحاج ، فبرز ولده على ، وسما ذكره فى آخر القرن الماضى، ولذلك اختاره رؤساء القبيلة 1299 هـ . ليتولى القيادة عليهم يوم يولى السلطان القواد على كل القبائل السوسية على اختيارهم ، ولكنه كان كبير السن اذ ذاك،ولم يكن بذى همة ولا طموح ولا قوة ، ولعل هذه الاوصاف هى التى دفعت رؤساء(الاخصاص) الى اختياره ، ليكون أمامهم مستضعفا . فيصنعون به ما يريدون ، فتكون له القيادة ، ويكون لهم ريعها . وكثيرا ما رأينا أمثالهم يفعلون مثل ذلك بأمثاله اذ ذاك . وقد كان للقائد على بنات تزوج بوهيا احداهن . وقد كان هذا رجلا شهما مقداما شجاعا طموحا سياسيا صليبا صوالا ، فكان يداخل صهره ويسانده ، ويعطف عليه ، حتى ملك لبه ، واستولى عليه . فصار يقول له : انك كبير مسن وضعيف البنية . فلم يزل به حتى قدمه الى السلطان مولاى الحسن 1303 . فطلب منه التخلى عن القيادة ، وأن يتولى مكانه صهره هذا .وأعلن اليه أنهما ذات واحدة . فبهذا توصل بوهيا حتى صار قائدا . وقد كان يوسوس الى صهره . أنه وان تولى هو القيادة لا يتخلى عنه . ولا يزال أمرهما جميعا فى المنزل وفى المال وفى كل شىء . ولبله القائد على وضعف عقله ، وللوثته حمل كل ذلك على الصدق التام . وعلى النصيحة والاخلاص ، ثم لما تمكن القائد بوهيا نبذه نبذ النواة . فلم ير منه بعد شفقة ولا آنس منه رحمة . فالقى عليه الدهر كلا كله ، ووالى عليه عواركه حتى لا يجد متبلغا ، ولا يقع على شملة . وقد قال فيه المؤرخ الاكرارى :

(ومنهم القائد على ابن الشيخ مسعود العلوى الاخصاصى. كانرجلا طماعا هلاعا . الا انه كريم حتى يعد من المبذرين ، وقد ساعده الزمان أولا ثم كر عليه بخيله ورجله . وداسه بفقره ورجله . فصار يبتزه ، وفى كل آن يهزه حتى لم يترك له الناطق ولا الصامت ، ولا رثى له لهزء العدو والشامت، فبقى يتململ كالولهان . ويتهافت تهافت الفراش على النيران . يصد من حيث

يحب وبمقارض الالسن يجب .....

أبـو العتاهيـة :

ما اذل المقـل فـى أعيـن النـا س لا قـلا لـه ومـا اقـمـاه
انمـا تنظر العيـون من الـنـا س الى من ترجـوه أو تخشـاه

وقـال ابن الرومـى :

مـن تصـدى لاخيـه بـالغنـى فهـو أخـوه
فـان احتـاج اليـه راء مـنـه مـا يسـوه
يكرم المثرى فـان املـق اقصـاه أخـوه
فـمـن احتجت اليـه سـاعـة مـجـك فـوه

... كان يوسع له في المجلس اذا قدم ، بل يتلاقى من الترحاب من الفهم والفدم . فلما مال به الحال . وفني ما حازه من المال ، بكر في بعض الاعياد على صاحب له من القواد،فمنعه البوابون من الدخول،ومقته المحجوب المامول. فرجع ودمعه ينحدر ، وقلبه للصد ينكدر . وحاله ينشد :

يسر بالعيـد أقوام لهـم سعـة مـن الثـراء وامـا المقتـرون فلا
هل سرني وثيابي فيه قوم سبا أو راقني وعلى رأسي به ابن جلا
من فاته العلم وأخطـاه الغنـى فـذاك والكلـب على حـد سـوا

.... واظنه قد توفي بعد العشرين من القرن الرابع عشر-نعم توفي صاحب الترجمة وما في بيته سبد ولا لبد - بعد أن كان في محله في رغد.

واما القائد بوهيا فانه صار رئيسا على كل (الاخصاص) من سنة 1303 ه فصار يترقى شيئا فشيئا ، ويجمع الاموال بعد فقره حتى كان له شأن كبير في تلك الجهة . وقد جرى ذكره في حياة القائد الناجم - كما تقدم - مرارا في أوائل أمره بعد ما تولى القيادة . وحين سافر الى (مراكش) راجلا لفقره أولا. ثـم ارتـاش فحسنت حالته ، ثم لما جاءت جيوش الحكومة الى سوس 1314ه. وساق القواد القبائل كما شاءوا ، صار القائد بوهيا من أكابر القواد ، وقد بدا له أن لا يسلس للقائد سعيد الكلولي كل الاسلاس . فكان يتمشـى معـه بمقدار ، فلا يعصى له الامر كل العصيان ولا ينقاد له كل الانقيـاد . وقـد اتصل ما بينه وبين القائد دحمان عميد الحكومة الكبير في (وادى نون) وقد كان هذا ذا شأن عظيم . تراعيه الحكومة ، وترى له مكانة مكينة وقد رابه ما تتخوفه من افلات الصحراء واهلها الذين لا يرامون للاوامر . ولذلك لا يحنى هامته للقائد سعيد الكلولي . ولا يماده في حباله ، بل كان ضده ويسرب الى الحكومة كل ما يصنعه بالناس سرا وجهرا . فقوى جناب القائد بوهيا به ، فكان يقف أمام الكلولي ذلك الموقف ، ثم ان الكلولي الذى غص به ، ولم يجد له مساغا ، وجد من القائد المدنى معاونا كبيرا فـولاه على بعض الاخصاص اثـر خصومة وقعت بين الذين كانوا مع جيش الكلولي من الاخصاص في الحرب مع

بعقيلة ، فقد ظهر هناك المدني شابا قويا يملأ العين ، فذبح أمام فسطاط قائد الحملة ، وطلب منه أن يفرده هو وفخذه (ايت بيفوئن) عن القائد بوهيا . فوقع ذلك من الكلولي موقعا حسنا، ثم وقف له حتى توصل بالظهير السلطاني على ذلك، فصار لقبيلة الاخصاص قائدان رسميان ثم لم يزل يضيق الكلولي على القائد بوهيا حتى جلا على داره الى (وادي نون) فنزل في جوار القائد دحمان . ثم رجع بأمر الحكومة الى داره، وقد أقلع الكلولي ، فأجلى الناس قوادهم فحوصر القائد بوهيا في قريته التي يسكنها ، وتسمى (تاغشتو) ثم لما جاء انفلوس ، وقد كان يسير ضد مسير الكلولي . ويختار غير سياسته ، ويقرب أعداءه ، ويقصي أولياءه. أعان القائد بوهيا ، فكان على كل (الاخصاص) بعد ما طرد المدني وشيعته ، ثم لم يزل يصول الى ان أقلع النفلوسيون 1321 ه . فرجعت الفوضى جذعة . فأجلى الناس القواد أيضا ، فحوصر القائد بوهيا في داره نحو سنتين . ومعه كثيرون من اخوانه (ايت بو ياسين) ، حتى نفدت المئونة ، فجلا الى ايالة القائد عبد السلام الجراري ، فنزل عليه في (تالعينت)، وذلك في سنة 1323 ه . ثم خاض حروبا ليرجع الى داره، فهدم ديار بعض أعدائه ، ولم يزل على ذلك الى أن قتل 25 صفر سنة 1329 ه . ولم يحصل على مرامه، فانطوت صحيفته. وهاك ما قاله فيه صاحبه المؤرخ الاكراري، فعند جهينة الخبر اليقين ، فانه كان من جلاسه ، ثم طرده المدني بعده من (الاخصاص) ، فأفاض على صاحبه سجلا من الثناء - واللهى تفتح اللهى - كما الهب القائد المدني باسجاع نارية - « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، قال :

(ومنهم الفطن الحفي اللوذعي الذكي ، الذي مجالسته تحف ، ومحاسنه طرف : القائد ابراهيم بن عدي بوفوس البوياسيني الاخصاصي . فكان رحمه الله رجلا ظريفا . حليفا أليفا ، جوادا صحيحا -وبمروءته شحيحا ، جاوزنا معه اياما عدت من الدهر غرة . ومن الزمان غرة . لا يناوشنا زيد ولا عمرو، ولا يناوئنا حين ولا دهر ، طواجين ممتلئات بالفراريج ، وقصعات يلمعن ويتبعن بالمقاريج ، كست(1) ذكي، وعنبر شهي ؛ مع أنواع المراش . وزراب فوق الفراش، ومؤانسة تنسى العقيلة ، وان كانت مع خصرها أسيلة . فوجب علي أن أمدحه ، واذكر فضله وأشرحه . فتبا لهذا الدهر المشت ، والزمان المهت (2). لا يصطنع لجواد ، ولا يراف لخراد . جرد له سيف العدوان ، وجر عليه ذيل النسيان، بعد ما كان للمجلس فانوسه ، وللحال به مانوسه ، حديثه احلى من الضرب (3) يشوق العجم والعرب . وقد حكى لنا مرة ، أن امرأة عندهم اضلها أبو مرة ، قال : ان الناس رأوا ما بايدينا ، فظنوا أن الله هو الذي أعطانا - يعني اعطانا بلا سبب - فانما هي تبتاسكارين- اي الحيل- لنا ولاولادنا . فحين تناقض مع القائد سعيد الكلولي، تخلف عن حضرته مؤذنا

(1) العود الذي يتبخر به . (2) المهت مبالغة في الهت والتمزيق .
(3) الضرب محركا : نوع من العسل .

بمنابذته ، فأرسل إليه ليؤمنه ، من عده حبائل مكره لا مأمنة ، وقلبه للغدر مكمنه ، على ما أخبر به من ائتمنه ، القائد محمد بن حسون التزنيتي ؛والقائد عبد السلام الجرارى ، والقائد عدى البعقيلي . فنزلوا عليه فى داره . فقالوا له جئنا مؤمنين من الكلولى ، وقد أعطانا عهد الله أن لا يضرك ـ فقال لهم : وماذا تفعلون ان ضرني . فقال ظننا أنه لا يضرك فقال : واما ان ضرني ، فقالوا : لا حول ولا قوة الا بالله . فقال لهم ان أسدا كان فى اجمة ، فتعاهد مع ثعلب أن لا يضره ، وتكفل له الثعلب بما يأكله ، فكل يوم يحتال الثعلب لوحشى حتى يوصله اليه فيأكله ، فأتى الى القنفذ . فقال له ان فى هذه الاجمة ولية من أولياء الله ذا بركة . تزوره الوحوش ، وانت لم تزره قط ، فامش معى أركه . فقال : أين الطريق اليه ؟ فاراه الطريق فتأمل الاثر فوجده ان ما فيه انما هو أثر الذاهب لا أثر الراجع ، فقال : انما رأيت هنا أثر الذاهب لا أثر الراجع ، فادع لنا من ها هنا ، فوالله لا ءاتيه ، ولا أتبرك به الا من هنا ، قال : فكذلك أنا فقد زرت فيه من هنا ، فبلغوا له السلام ، واطلبوا لى منه الدعاء بسلامة منه .

ان السلامة من سلمى وجارتها   أن لا تحل على حال بواديها

فرجعوا خائبين ، وللدعاء له من المرسل طالبين . فدعا له بالويل ، ولداره بالهيل . فتبعه الى (وادى نون) فدافعه القائد دحمان بولد جنون ؟ فخيم هو بـ(ايكيسل) فشرع يبني الدار ، ويوهم أنه فى المحل ذو استقرار . فوصلت الشكوى للسلطان ، فكتب اليه بالرجوع للحرمان،ـ يعنى الكلولى ـ فرجع بخفى حنين غير قرين العين. فسقط فى يده ، وتداعى ايوان مجده . فلم يلبث أن قام وحيا البلد بسلام، فرجع القائد بوهيا لمقره ، فوجده مهدوم فقره . فاسترجع وحوقل ، وتهيأ واحتفل . فبنى بناء لا يليق الا بالمدن ، وموضع التحصن. فحين كمله رجع للحال،فأفضى به القدر الى الترحال،فهدم هدما وكان والله ردما . فبقى الى الآن ، لا تطمع فى اصلاحه الولدان ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، والتسليم اليه فى الامور هو المختار .

يا دهر ما أقساك من متلون   في حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول ممهدا   وعلى اللبيب الحرسيفا مرهفا
لا أرتضيك وان كرمت لانني   أدرى بأنك لا تدوم على الصفا

ثم أنه لما تحزبت القبائل على القواد ، وخربوا دار القائد السيمورى ، ودار الخزار ، عمر القائد بوهيا داره بأعوانه واعيان قبيلته (ايت بوياسين) ورماة (اولاد جرار)فاستعصى لهم عامين،وفى داره من الرماة مائة وخمسون. ومن النساء خمسون . مان الجميع حتى نفد الزرع،وغاب عنه الضرع، وغارت النطافى . وتم الراسب والطافى ، وكمل القرطاس والبارود ، وأعيا المحصور القيام والقعود ، فرأى أن سلامته فى الانتقال ، ولعين بنى جرار الارتحال .

وان صحيح العزم والرأى لامرئ اذا بلغتـه الشمس أن يتحـولا

فجمع أولاده واغتنم مراده . فوصل بسلامة ، فلم يتركوا لداره علامـة ، عام 1323 هـ . فأقام فى (العين) واستـراح ، ثم عـاود لبلده الـرواح ، فاجتمعت عليه بعمرانة لم يبق زيدا ولا عمر انه ، فتلاقى معهم بحركة (أولاد جرار) وفيهم الخيل الكرار ، فهزموهم على (إفرِنْض نَدَاتَاحْمَاد) فلم ينج منهم الا من حمد ، فقتل فى الهزيمة زعيمهم الشيخ الحسين بن يحيا ، وقد حسده الصوابى أن يكون معدودا ممن يحيا . فنزع بيده بدل عزرائيل روحه.

وتولى بنفسه تسليمه وفضوحه ، فغرم للقواد منهم ما أكل ، وغـدر فيـه اذ عاهد ونكل ، فأفضى الحال لدار سى أحمد ابن الطالب ، وهدمها القائد بوهيا الذى هو بدينه طالب ، فحرق الابواب ، وأتبعها بالاخشاب . فتركها كجمل اجرب ، وشفى مضض قلبه الذى شرق فيه وغرب ، فلم تزل الفتنة تدوم ، والخوف يذيب الشحوم . ويسهر من الرجال النئوم ، الى 25 صفر 1329 فكان البارود على دار (بنى الشبين) فأتاه القدر والحين ، فجرح جرحا كان فيه أجله ، وانقطع أمله ، فحمل الى (تَانكَرْفَا) (ايت إيسمُّور)، فغاب فيه بدر السرور . وانحسمت الشرور ، واستحكـم المدنـى على الثغـور ، فاستعلى وعدم المنازع ، واستولى ولم يظهر له مقارع ، فقلت :

يا لك مـن قبـرة بمعمـر خلا لك الجو فبيضى واصفرى

ونقـرى مـا شيت ان تنقـرى

فنفخت أوداجه ، وامتلأت أدراجه ، وأجلسه فى منصـة الاحكـام الهيبـة ؛ وكانت له من ذلك اليوم الهيبة ، ففرض المال ووعى ، وجمع فاوعى ، فكره جميع من الى بوهيا انتسب ، ولو أن له أصيل النسب أو علما ينتخب فطرد واغتصب،وتكره واحترب،فاتبع هواه ، الى أن يرديه فى مهواه وينشد حاله:

نحن بما عندنـا وانت بمـا عنـدك راض والـرأى مختلـف

فقـلـت :

انفـوا المـؤذن من بلادكـم ان كان ينفـى كـل من صدقـا

ولله در ابن الخياط حيث يقول :

أتظننى لا أستطيع أحيل عنـــك الـدهــر ودى

من ظن أن لا بـد منـــه فـان منـه الف بـد

وقـال أيضـا :

لا تنكـرن رحيلى عن دياركـم ليس الكريـم على ضيم بصبـار

وعمدته شيخ شريف سكن عنده تشيخ ، يتكلم فى الغيب وطيـره عنـده تفرخ ، مراء فى الاعمال ، يعد عند نفسه من الرجال :

نعـوذ بـالله من أنـاس تشيخوا قبل أن يتشيخـوا

تقوسـوا وانحنـوا ريـاء فاحذرهـم انهم فخـوخ

الى أن قال : منشدا :

صلى وصام لامر كان يطلبه   فمذ حواه فما صلى ولا صاما

وقال آخر :

تصوئف كي يقال له امين   وما معنى التصوف والامانة

ولم يرد الاله به ولكن   أراد به الطريق الى الخيانة

والشريف الحاج محمد جاء مرة الى (رخاوة) وأنا بمدرستها ، فقال : لفقرائه ان فقيهكم لا تسالوه الا في مسائل الفقه ، فهو أعرف بها ، وأما أخبار الطريقة ، والاسرار الدقيقة ، فليس من أهلها ، ولا حام من حولها . فأخبرني واحد بما قال ، فقلت : صدق والله في المقال ، انما أنا من أهل الظاهر والله يتولى السرائر ، والصواب في الجواب ، وهو الحق ان شاء الله بلا ارتياب. ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في ابن صياد ، خلط عليك الامر ، وغرضك الاصطياد ، فعند الممات تظهر التركات ؛ ولذلك قلت : وفي النصيحة جلت :

أي فضل لناسك يطلب الفضل الخ ...

ـ وأنشد هذه الابيات المشهورة التي لا نطيل الكلام بذكرهاصيانة لعرض ذلك الشريف الصالح ـ . ثم قال : هذا ما انجرت اليه القلام ، من فضول الكلام ، فالكتاب كالمائدة يجمع الغث والسمين ، والسخيف والثمين ، فكل واحد ينظر بعين هواه . ويرنو لما يهواه ، وينبو عما لا يوافق فحواه، فالله يقيل العثرات ويعفو عن السيئات ، وهو المستعان ، وعليه في الجمع التكلان.

اذا اعتذر الصديق اليك يوما   فسامح عن مساويه الكثيرة

فان الشافعي روى حديثا   باسناد الصحيح عن المغيرة

عن المختار ان الله يمحو   بعذر واحد ألفي كبيرة)

ذلك ما قاله المؤرخ في صاحبه ، والشريف المذكور هو الشيخ سيدي الحاج محمد الدرقاوي البوزاكرني المذكور مع ولده استاذنا الاديب مولاي عبد الرحمن في (القسم الرابع) في هذا الكتاب .

كيف تولى القائد المدني

رأيت كيف كان عماه سعيد وعمر ، وكيف سقط سعيد بدسيسة عمر . وكيف كان عمر صاغية القائد بوهيا ، وكيف كان المدني يمتعض لما أصاب عمه سعيدا . فلا ريب أنه ينطلب الفرص ليبرز الى الميدان ، وليتقلد الرياسة التي ما خلق الا لها ، وفي سنة 1316 هـ . اشتدت الحرب في وجان بين الكلولي والولتيتيين . وقد كان يزحف مع الكلولي كل القبائل المنضوية تحته، ومن بينها قبيلة الاخصاص ، فقد كان خيلهم ورجلهم مرابطين هناك ، وعلى رياستهم خليفة القائد بوهيا واخو قرينته ، عبلا بن حمو بن عمر ، اخبرني

من حضر معهم اذ ذاك أن عهده بالمدنى اذ ذاك انه كانت له ولبعض ءاله خيمة من الذ عـر يأرون اليها . فكان الخليفة عبلا بن حمويكثرخصومتهم ويستغشهم، فكان المدنى يراجعه الكلام حتى بلغ بهما الحال يوما الى مخاصمة عنيفة، فصمد اليه المدنى يقول : لا ؤالله لا نكون ءمعكم بعد اليوم ، فانتم (ايت اسحاق) ونحن (ايت بوفولن) والمخزن لا ينظر الا لعدد الكـوانين ، ولا يريـد الا الخدمة . وهناك صال المدنى عليه ، وقد كان الآخر رعديدا جبانا ، ثم عمد المدنى الى صاحب أبيه القائد ءحمد بن هيبة الزفاضى ، وقد كان معهم فى اخوانه ، فشد عضده ، وقوى أمره . ولعل ذكر هذه التفرقة الاخصاصية كاز هذا الزفاضى يتطلع اليها ، نكاية للقائد بوهيا الذى صار كلجيرانه يرمونه بالنقص منذ أن انتقض ما بينه وبين القائد الاعلى الكلولى ، فيكون هو الـذى دفع بالمدنى الى هذه الخصومة ، ثم أنه أوصله الى الكلولى . وقد كان للزفاضى دالة عليه . فذبحا كبشا أمام الدار التى ينزل فيها بـ(وجان) فصادف ذلك ما فى فؤاده على القائد بوهيا ، فقد وجد من المدنى رئيسا جديدا يناوئه ، وله شرف واسرة وفخذ تخالف فخذ بوهيا ، فلهـذه الاسباب أخذه الكلـولى بضبعه افقدمه على فخذه فى الحين ، والمدنى اذ ذاك شاب قوى متين العضلات اجرد لا نبات بعارضيه بعد ، وكانت تلك الخصومة قبل ان يقتل الحاج أحمـد الكلولى بثلاثة ايام . ثم جاءه الظهير العزيزى بالقيادة . وهذا هو الظهير :

(خدامنا الارضيين ايت بوفولن وايت اد غزال واد شعـود وايتم اغرمـان وايت اعلاتن من قبيلة الاخصاص أرشدهم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد ولينا عليكم أخاكم خديمنا الارضى القائد المدنى بن أحمد . واسندنا اليه النظر فى أمركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما وليناه من الامـر والنهى فى امور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام فى 22 جمادى الثانية عام 1317 هـ .)

وفوقه الطابع العزيزى الكبير

ونص رسالة من الكلولى الى الاخصاصيين الضافين اليه بعد ما جلا عز داره نحو 1318 هـ .

(اخواننا قبيلة الاخصاص كافة قبيلة بنى ياسين وآل تيمولاى وأيت على وايت العربا خصوصا طلبتهم وكبراءهم وفقراءهم ، وفقكم اللهوسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله . وبعد فان اخاكم خديم سيدنا ، القائد المدنى ممن آخترنا لكم اسناد أمركم اليه . وتعويل صلاحكم عليه ، لما نعلم فيه من القابلية والاهلية لمباشرة أموركم . وانه أحق بالواسطة بيننا وبينكم ، بعد ما أخذنا فيه أن يسير بكم بسير الرفق ، ومراعاة جانبكم بما يليـق بمقامكم ، ، فكونوا ان شاء الله عند اشارته ومشورته ، واجتهدوا فى جمع رأيكم لا تتفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وارجعوا الى مواطنكم ومساكنكم .

ولا يمنعكم منها الخوف ، فقد امناكم بامان الله ما دمتم فـي طاعة السلطـان نصره الله . وصدقتم في خدمته ، ولا خوف الا على من خان أو بدل ، والله تعالى حسيبه.وهو حسبنا ونعم الوكيل . والسلام،في متم شوال عام 1317هـ)
وتحته طابع القائد الذى رأيناه قبل يختم به رسائله .

هكذا ظهر المدنى بالقيادة ، فتمكن أمره ، وصار له مقام كبير بين القواد اذ ذاك . وهو يخالق ويأخذ ويعطي ويعرف كيف يتملص من الانشوطات والربق وقد عجم أعواد الزمان بما مر له من فقره ، وبما يسرى في شرايينه مماورثه عن أهله . وهكذا السعد اذا لاحظ انسانا فانه سرعان ما يفوق أقرانه .

يرأس أيضا على ايت رخا

هكذا طلع السعد للمدنى فجأة ، فقد قرت به عين الكلولى . فصار يرفع من شانه . فقد وقفنا بين ظهائره على مكتوب فيه رضى قبيلة ايت رخا به وفيه أسماء رؤسائهم . ونصه :

(وبعد فبحول الله وقوته وبمنه وايمانه اتفقت قبيلـة الرخاويين عمومـا وخصوصا أهل الرأى والحل منهم كالحاج أحمد بن علي بن محمد ، ومبارك بن أحمد بن حمو في فخذ (أوتاتن) . وبلقاسم بن مبارك آزكن به عرف من فخذ بنى علي بن أحمد ، ومبارك بن كوكتوس بن مسعود أبو الطعام ، بـه عرف . من فخذ بنى أحمد بن ابراهيم . والشيخ محمد بن محمد من بنى بولا وبوجمعة بن أحمد بن همو من بنى ورحمان وبلال بن منومتا ، من بنى عبد الله بن الحسن ، وسيدى علي بن الطالب أحمد بن بركا مع جامع بن عمـر بن مجوب من فخذ آل (تاكننستا) وغيرهم من القبيلة كبيرا وصغيرا بحضورهم كلهم على الاحاطة والشمول . اتفق هؤلاء كلهم على أن يولوا امورهم للقائـد المدني ابن الطالب أحمد بن عبد الله الحا ج الاخصاصى . ويسندوا اليه امورهم في كل شيء. ومكنوا له أعناقهم، ويكون واسطة بينهم وبين المخزن فيجميع التكاليف المخزنية . والوظائف السلطانية . مئونات وغيرها مما يتعلق بهم من جانب المخزن . وبه كتب من اشهدوه بتاريخ 28 يوما من رمضان المعظم في عام 1317 هـ . عبد ربه بلقاسم بن الحسن بن العردا الرخاوى لطف الله به وعبد ربه عبد القادر بن أحمد بن ابراهيم الوفوغلاوى الرداوى لطف الله به وعبد ربه أحمد بن ابراهيم بن حميمدات الاخصاصى البوفولتنى لطف الله به.
وهذه رسالة الكلولى في توليتهم للقائد المدنى :

(وبعد فبحول الله وقوته ثم من سعادة سيدنا أيده الله ونصره أسندنا الى ماسكه خديم سيدنا دام عزه ، القائد المدنى ابن الطالب أحمد الاخصاصي أمر ربع اد علي بن أحمد ، واد أحمد بن ابراهيم من ايت رخا . وكذلك ربع اداورحمان . وايت وافاتن ونصف ربع اداعلي ، كلهم من قبيلـة الرخـاويين ليباشر امورهم بوجه المشيخة ، وجعلناه واسطة بيننا وبينهم في اللوازم

المخزنية ، والتكاليف السلطانية . وألزمناهم الخدمة معه،ومتابعة ما يقتضيه نظره في المصالح . وأن لا يقدموا على أمر من الامور حتـى يكونوا فيـه على بصيرة ، وموافقا لهم فيه حتى هو عليه فيهم بمراعاة المصالح ، والوقوف عند حدود الله فالله يسعده بهم ويسعدهم به . ويكمل بخيره ، ويسهل جميع الامور . والسلام في 20 من رمضان عام 1317 هـ . وتحته طابع القائد الكلولي المكتوب فيه : خديم المقام العالي سعيد بن أحمد الكلولي وفقه الله) .

ويظهر من النظر في تاريخ هذه الرسالة وفي تاريخ ما كتبه الرخاويون، أن هذه الرسالة كتبت أولا للقائد المدني ، ثم طلب بعدها موافقة الرخاويين لان الرخاويين كانوا في ضمن قيادة ءال (ايليغ) رسميا عليهم القائد أحمد بن محمد بن الحسين ، ولذلك لم يكن للكلولي ان يجعل عليهم القائـد المدنـي الا على وجه المشيخة .

اتسعت ايالة المدني كما ترى ، وارتضاه حتى جيرانه على أن يكون بينهم وبين القائد الكلولي . وما ذلك الا لما كانت أسرته معروفة به أولا ، ثم لما ظهر منه جديدا من حسن ادارة الامور بلباقة وتأن .

جلاؤه الى فاصك

كان القائد المدني أحد عمد القائد الكلولي ، وقد رأيت كيف انبسطت يده في اواخر سنة 1317 هـ.ثم لم يَمض الا قليل حتى انقلبت السفينة بمخلومه القائد الكلولي . فغادر تزنيت في نحو أول ربيع الاول 1318 هـ . فاثر ذلك في كل الذين يخلصون اليه . كالقائد المدني ، كما فرح بذلك من يناوئونـه كالقائد بوهيا . والقائد دحمان الوادنوني ، فهاج النأس . فـأوى القائـد المدني الى (فاصك) ، وقد جمع اليه لصوصا فتاكا يدافع بهم عن نفسه ، بل وجدهم هناك مجتمعين فنزل بينهم ، وقد كان هؤلاء اللصوص يجولون فيما قرب منهم وفيمابعد،حتى أنهم وصلوا مرة مراعي مرابطينا في ا يسافن ازاء الغ في رمضان 1317 . فذهبوا بغنم زاوية الشيخ الالغي . فتبعهم العلامة سيدي علي بن عبد الله الالغي يستردها منهم ، واذ ذاك هجا اهل (فاصك) بقطعة شعرية معروفة تقدم ذكرها . ثم أن القائد لم يـزل يساير القائـد أنفلوس الى أن انكشف هو وجيشه الحاحي عن تزنيت سنة 1321 هـ .

مع المولى عبد الحفيظ

كان القائد المدني معروفا عند الحكومة في العواصم . وهو في نظرها من القواد المخزنيين ، ولذلك كتب اليه المولى عبد الحفيظ كما كتب الى كل قواد سوس يوم ثار على أخيه المولى عبد العزيز . ونص ما كتب به اليه :

(خديمنا الارضى القائد المدني الاخصاصي وكافة اخوانه الذين الى نظره

اخص أعيانهم وكبراءهم وفقهاءهم وشرفاءهم ومرابطيهم واهل الحل والعقد منهم ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد علمتم أن الله تبارك وتعالى أمر بأوامر وحضنا على اتباعها . ونهانا عن اشياء وأمرنا أن لا نبحث عنها ، أمرنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأمرنا بالجهاد عند مفاجأة العدو وأخذه أرض المسلمين ، وطالما رأينا وسمعنا ، ولا زاجر ولا واعظ ولا من يتعظ ، أخذت (وجدة) فاتخذنا أمرها هزءا ولعبا وتهكما وسخريا ، ولم يجد اهلها لا ناصرا ولا معينا . فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى حف بنا العدو من امام ووراء، وحيث علم العدو عجز من يقوم بأمر المسلمين وضعفه ، وركونه الى الدعة ، وترك ما طوق به من الدفاع عن المسلمين وثغورهم عمد الى (الدار البيضاء) التى هي من أعظم الثغور بأرض المغرب، ومركز البلاد ووسطها.فأخرج أهلها منها . واستولى عليها . ووجه عددا من الفراكيط الى جميع المراسى ، بقصد الهجوم عليها كذلك . وشاع وذاع انه بصدد الحلول بـ(فاس) و (مراكش) ، وحيث كان هذا الامر الهائل الذى تبكي منه العيون دما وازدادت به النفوس مرضا وألما ، وعلم جميع المسلمين أن بمجرد فجاة العدو على ثغر واحد من ثغور المسلمين تعين الجهاد على كل مكلف وغير مكلف.اتفق المسلمون على بيعتنا ونصرتنا والدخول تحت طاعتنا للنظر في مصالح المسلمين ، ، والدفاع عنهم ، وأخراج العدو من ثغور المسلمين فلم نجد بدا من مساعدتهم على ذلك ، لما ورد في ذلك من الايات والاحاديث الشريفة . فأجبنا داعيهم لذلك ، ودخلوا تحت طاعتنا ، ونصروا رايتنا ، وأعلنوا بالنصر الموزر لجانبنا الشريف ، سائلين من الله سبحانه أن يعيننا على ما كلفنا به ، ويوفقنا فيما به طوقنا . فأنه ولى ذلك . وهو حسبنا ونعم الوكيل . وها نسخة من البيعة السعيدة تصلكم بطيه لتاخذوا حظكم من الفرح والسرور ، وتوجهوا لشريف حضرتنا ببيعتكم صحبة أعيانكم وكبرائكم . والله يوفقكم لما فيه رضاه ؛ آمين ، والسلام في 10 رجب الفرد الحرام عام 1325 هـ) ، وطوقه الطابع الحفيظى الكبير .

هكذا كان القائد المدني ، من الذين تعتمد عليهم الحكومة . ولكنه هو عرف كيف يمكن له أن يتملص مما يصيب القواد أمثاله اذ ذاك ، كلما جزر مد الجيش الحكومي عن الجنوب . . فداخل القبائل ، واسترد ما كانت أسرته معروفة به من الاستناد الى نحلة (تاكوزولت) ، فنفعته ، فاستطاع أن يمتد بها ظله من سنة 1321 هـ . الى سنة 1330 هـ . وقد كان يقنع من القيادة بالخيال . فلا يطمع الا أن يكون أحد الرؤساء من أهله . فيخالقهم ويسايرهم ويهطع امامهم في كل ميدان يقصدونه . ولذلك لم يكن يعدو هو وأمثاله كالقائد مبارك البثنيراني هذه الدائرة الضيقة،طوال هذا العقد الثالث . ولم

يكن يعتمد الا على ذات يده وحدها . فصار يمعن فى تنميتها بكل ما يمكن له مما تنمو به عادة بين اهله وجيرانه ، من حرث وتسبب الى مثل ذلك .

مــع الهيبـــة

كان القائد المدني من الذين خبوا ووضعوا فى مبادىء أمر الهيبة . وحصل له تشوف وظهور كبير معه.وذلك الوقت فى الحقيقة هو مطلع فجره الصادق. ومبرزه بروزا كبيرا . ولذلك لم يكد امر الهيبة يبزغ نوره حتى جعله على كل الاخصاصيين .وكتب له هذا الظهير .

(كافة ابنائنا قبيلة ايت اعلاتن وايت على وايت ميرتغت وأهل الاربعاء وايت بويسين وايت بوتاشن وايت اغرمان وآل تيمولاى . وفقكم الله وأصلحكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فاننا بحول الله وقوته قد ولينا عليكم أخاكم القائد المدنى ابن الطالب احمد الاخصـاصى . وأسندنا اليه النظر فى اموركم . فنامركم أن تسمعوا لامره ونهيه فيما يحبه الله ويرضاه ، كما امرناه أن يرعى ذمة الله ورسوله فيكم . اصلحكم الله به. وأصلحه بكم ، والسلام . صدر به امرنا فى الثالث عشر من رجب الفرد عام 1330 هـ .) وفوقه طابع للهيبة ، كبير جميل الوضع والخط . مكتـوب فـى وسطه احمد الهيبة ابن شيخه الشيخ ماء العينين كان الله لهما 1330 هكـذا بالتاريخ الهندى . ولفظة الله مكتوبة فوق ما تقدم . وهذا هو المكتوب فـى وسط الدائرة . وفى المستدير بها البيتان :

ومن تكن برسول الله نصرتـه ... ان تلقه الاسد فى آجامهـا تجـم

من يعتصم بك ياخير الورى شرفا ... فـالله حافظـه من كـل منتقـم

والطابع بلا ريب مصنوع على شكل الطابع الحسنى الكبير وقدره . الا أنه دونه فى الرونق ـ لقد حكيت ولكن فاتك الشنب .

تولى القائد المدني هكذا تحت راية هذا الملك الجديد الذى يقول انما قام غيرة على الوطن. وذودا للاجنبى الذى أغار على البـلاد . فتهيأت كل القبائـل لمصاحبته . وفى مقدمتها ايالة القائد المدنى قبيلة الاخصاص . وعددهم كثير. وقد ذكرنا فى أخبار الهيبة فى (القسم الثالث) أن القبائل الكبـرى عينت خمسين فارسا لمصاحبة الامير الجديد . فنفذت القبائل السوسية ذلك تنفيذا .

فــى مراكش

سافر القائد المدنى مع الهيبة من (تزنيت) فى ابهته . ويخالطه فى الطريق كثير من أصحاب أسرتهم كالعلماء الكبار ، كسيدى الطاهر بن محمد ، وسيدى ابشير بن المدنى الناصرى . وقد كان معروفا بأن حضرته يأوى اليها دائما أمثال هؤلاء العلماء والفضلاء وأهل الخير . ولا يجهلن القارئ ان اسمه المدنى

كان مما سماه به الشيخ سيدى المدنى الناصرى.والد سيدى البشير المذكور. وقد كان الشيخ بات عند والده ليلة ولد فسماه باسمه تبركا . ولذلك لازم أولاد سيدى المدنى الناصرى دائما .

نزل القائد فى مراكش وهو يظن أنه سينال مقاما عظيما كما يظن كل السوسيين . ولكن سرعان ما خاب ظنه كما خابت ظنون كل السوسيين حين رأوا الهيبة يعرض عنهم اعراضا كما اجمع المتحدثون بذلك عن ذلك الوقت ، ولذلك حنوا الى سوسهم ، فصاروا يتسللون فرادى . وممن صبر الى يوم الهزيمة القائد المدنى . فغادر مراكش صبيحة الهزيمة،فنجا هو وأهله بجريعة الذقن . وكان منزله بمراكش الدار الكبرى فى (جامع الفناء) التى هدمت ثم صيرت سوق الخضر . وكانت فى ملك والد ادريس منو ، ثم نزعت منه ، واتخذت ما شاء الله من منازل الحكومة للاشغال العامة ، ثم هدمت .

فى محاصرة تزنيت

اخرج أهل (تزنيت) الخليفة النعمة فى أواسط ذى الحجة ، فلم تكدالقبائل الجبلية تسمع ذلك ، وان ابن دحان قائد المستعمرين قد احتلها ، حتى نزلوا فاستداروا بها ما شاء الله ، وفى مقدمتهم القائد المدنى ،مع كل القبائل البعمرانية والاخصاصية زيادة عن قبائل (ولتيتة) مع ما أنضم اليهم من قبائل (أزاغار) لانها اذ ذاك لا تزال مفلتة من قبضة (تزنيت) وذلك فى سنة 1331 هـ .

فى مقاومة حيدة أولا

كان القائد حيدة بن مايس بطل الحكومة فى سوس ، فقد قاوم الهيبة ، حتى اخرجه من (تارودانت) ثم تبعه الى أن انتزع من قائده الناجم قبيلة (هشتوكة) ثم زعزعه ايضا من . اسارسيف) ثم من (تيمكر) ، فأوى الهيبة الى (كردوس) وكان ذلك فى زحوف متعددة . وقد امتدت يد حيدة مرة حتى وصلت (أزاغار) فتجاوز (تزنيت) فطلع الى الاخصاص ، فوصل دار القائد المدنى التى فى الظهر فانتهبها، ثم صالحه الرئيس مبارك أبو الطعام الرخاوى فرجع بلا حرب . وقد كان المدنى منحشرا فى داره من (بنوزاكارن) ينوى ان يلتحق بالصحراء ان زحف اليه حيدة . لانه يوقن أنه لا يطيق ملاقاته اذ ذاك.

كاتب القائد يتحدث عنه

قلت لماء العينين ملازم القائد المدنى وكاتبه ، فى أى سنة ولادتك . قال: فى سنة 1310 . فى (الصمارة) . ووالده محمد فاضل بن نوى بن محمد بن أحمد بن خليل . من فخذ أهل الطالب عثمان . من قبيلة أهل الطالب المختار ،

قبيلة الشيخ ماء العينين . وأمه موانا بنت الشيخ ماء العينين . سميت باسم أم الشيخ نفسه . أخذ القرآن عن الاستاذ محمد بن النوبالزة . والعلوم عن الشيخ نفسه في (الصمارة) ثم انتقل من الشيخ الى (تزنيت) حيث بقى مع الشيخ الى أن توفي . وقد كان سافر مع الشيخ اثر البيعة الحفيظية الى (مراكش) وقد كان نوى فاسا . فاذا ببيعة مولاى عبد الحفيظ . فمال اليه فبايعه ثم رجع . وفى 1327 هـ . سافر أيضا معأحمد الهيبة الى (فاس) وقد مروا من (مراكش) على (فطواكة) ف(دمنات) ف(تادلة) ف(زيان) وقد حاول الزياني أن يرد الهيبة عن فاس بدعوى أن عبد الحفيظ نقض العهد ، ومال الى النصارى ، ولكن الهيبة أبى من الرجوع . ثم مكثوا فى (فاس) ثلاثة اشهر وعشرة أيام . واذ ذاك أطلق على يد الهيبة الشيخ عبد الحي وسيدى المهدى الكتانيان من السجن ، بعد موت الشيخ الاكبر الكتاني، ثم رجعوا على طريقهم الى (مراكش) الى (سوس) الى (الصمارة) . واذ ذاك تهيأ الشيخ ماء العينين الى الجلاء الى (تزنيت) ثم سافر على نية (فاس) ولكنه رجع من الطريق . ومما قاله الشيخ اذ ذاك بعد مروره في جبل دون يوم رجع .

رأيت ما رأيته من جبل   وغابة والامر لله العلى
والآن ها أنا اليه راجع   وعالم الحال مقالى سامع

ثم بعد وفاة الشيخ فى آخر 1328 هـ . بقي المحدث في (تزنيت) حتى وقعت بيعة الهيبة فسافر معه الى (مراكش) وقد كان مع عمه محمد الامين حاجب الهيبة كمعينه . ثم لم يفارق الهيبة الى أن حل فى (كردوس) وقد كان مع القائد الناجم في (هشتوكة) فجرح فى احدى الحروب مع حيدة . فكان عند بعض الناس في (ايت والنياض) يمرض الى أن يبرىء

فى مصاحبة القائد المدنى

قال : سبب اتصالى بالقائد أنه أعجبنى حاله حين كان يفد مع البعمرانيين وغيرهم الى (كردوس) فقد رأيت ثباته وعقله ورزانته ثم صار الاتصال بيني وبينه الى محرم 1335 هـ . فانقطعت اليه ، فوجدت الفقيه أحمد بن ابراهيم كاتبه الخاص . وبعد سنة عينني كاتبه الذى يلازمه ، مع ملازمة الفقيه وتصديه للقضاء . وأول ما حضرته معه حرب حيدة يومقتل 13 من ربيع الاول 1335 هـ. وقد خرجنا من (بنوزاكارن) واجتمع الناس . فنزلنا مع القائد فى دار بقرية ازاء (اسنك) وهناك عيدنا.وقد كان القائد أرسل جاسوسا ، فأتصل بالقائد العربى الضرضورى من جيش حيدة . يطلب منه أن يعين له الطريق الذى سيسلكه حيدة . فأجاب بأن حيدة لا يشاور أحدا ، وانما يأمر فيأتمر من معه ، ولكنكم أنتم فى جبال ، وستطلون منها ، فترون اية طريق سلك . فكذلك فعلنا . فقد بعثنا حراسا الى قمم الجبال ، لينظروا اى طريق يسلك

حيدة . فمن شاهد أنه يسلك جهته فليرفع الدخان ، فنعلم كيف نقاوم . فلما تبين متوجهه ، وقد ركب الفرسان ، واجتمع الناس ، فتقدم القائد وهو على فرسه . فنادى فى الناس أن حيدة قد أتى على طريق(ايت برايبيم) فاذا أردتم أن تقاوموه ، فنظموا أنفسكم كراديس ، يتبع بعضكم بعضا ، وان أردتم الفرار فدونكم وما تريدون ، فنادى الناس كلهم بالعزم على المقاومة . فتقدم الاصبويائيون خيلا ورجلا.وتبعهم ايت بوبكر كذلك ، ثم الاخصاصيون ثم ايت الخمس ، ثم ايت جمل الوادنونيون ، ثم ايت بلا قبائل تكنا ، ثم ايت عبلا وايت يعزى البعمرانيون . والكل كراديس متتابعة ، فكان الأولون الاصبوياثيون أول من تلقى الصدمة.فكان فيهم قتلى وجرحى،فانهزموا فاذ ذاك نادى القائد المدنى فى الناس أن يدفعوا جميعا دفعة واحدة . فوصلت الحملة مواقع المدافع . فقتل الطبجيون . وقد كان المكان متسعا . ثم لما ماج من مع حيدة ولوا هاربين . واذ ذاك وقع الزحام فى مضيق ، حين قتل حيدة جاءته رصاصة من حيث لا يعرف راميها . وهو على بغلته . وقد غنمت هذه البغلة فيما غنم . وقد حازها القائد المدنى ممن غنموها من اهل الخمس ، بخمسمائة ريال. ثم لا تسل عما غنمه الناس من الخيل والاثاث والبغال والابل، وقد كان القائد المدنى يشترى من الغنائم الفساطيط والسلاح والخيل . هذا وقد اشتغل الناس بعد هزيمة الجيش بالغنائم.ولم يعلموا بموت حيدة ، وقد كان وقت القتال المذكور نحو الحادية عشرة الى الثانية عشرة ، ثم تفرق الناس بعد جمع الغنائم الى مبيتاتهم على عادتهم اذ ذاك على أن يجتمعوا غدا . فلما اجتمع الناس فى الغد . ووصل وقت الظهر اذا بالناس أتوا برأس حيدة قال : فلما طرح الرأس بيننا فى المجمع ، لم يستبن ملامح وجهه الا أنا ومبارك أبو الطعام . وقد كان عرفه ولاقاه فى الزحف قبل هذا . فاذ ذاك أرسل الرأس الى (كردوس) عند الهيبة ، وقد كان الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالغى حاضرا ، وكذلك سيدى الطاهر . وقد طار أهل الجمع الحافل بالفرح حين فوجئوا برأس حيدة ، ولم يكونوا ينتظرون مثل هذا النصر العظيم .

ثم بعد ذلك بقليل كانت وقعة الجنرال (لاموط) التى حشر فيها القواد الكبار من الحوز وحاحة ورأس الوادى وآزاغار حشرا . فبقوا فى (وجان) حين أخرج منه الشيخ النعمة وقد احتله الكنتافى ، قال ثم جاء رسول خاص من عند الحاج التهامى الى القائد المدنى يقول له ان الحاج التهامى يقول لكم اننا جئنا رغم أنوفنا . وأريد أن نتلاقى قبل الحرب ، فان اتفقنا فذاك . والا فالحرب . فأجابه القائد بالمساعدة . فجمع الفقهاء والرؤساء للمشاورة . فوقع الاتفاق على ذلك . وعين المكان والزمان . فحضر القائد المدنى مع كاتبه الحاكى مع كثيرين من كل من له رياسة . فى نحو 500 — ثم لما قاربوا المحل انتخب نحو ثلاثين للملاقاة ، قال : فكنت أنا أحد هؤلاء مع القائد . فتكلم

الكلاوى وقال : ان المقصود حقن الدماء . ولا سبيل لذلك الا رد تلك المدافع المخزنية التي بقيت عندكم يوم موت حيدة فقال له المدني : ان جميع آلات المدافع متوزعة ، وتشتتت في الايدى ، ولم يبق الا سلات المدافع - على حسب تعبيره - فقال الكلاوى : اعطونا هذه السلال ، فاننا نكتفي بها فأبى الناس من رد المدافع بلسان واحد . فقال الاكلاوى : ان الاولى أن نفترق عليه هو أن يرجع كل فريق على المشاورة . بهدنة ثلاثة أيام . ثم بعد الافتراق أجاب القائد المدنى بأن الناس يأبون رد المدافع . كما أجاب الكلاوى كذلك أن الجنرال (لاموط) أبى كذلك أن يرجع الا بالمدافع (1) . ثم زحف الجنرال ومن معه . فطلعوا في (تيزى) ففر من هناك من الحرس ، وذلك في الليل . وما طلعت الشمس حتى وصلوا (اسكك) فنزلوا على البير التى ألقيت فيها المدافع ، فاستخرجت منها . فربضوا هناك اياما . لا يتصل بهم أحد من الاهالى . والناس مستديرون بهم من بعيد . وفي عشية يوم جاء جاسوس فاخبر بأن الجيش يجمع متاعه . وسيرحل مبكرا . فتراسل الناس على أن يبيتوا متهيئين . قال وعند الفجر سمعنا طلقتين فركبنا فوجدنا الجيش متوجها من (تاكراكرا) الى (ايت يعزى) والكلاوى هو واصحابه في الطليعة ، فدفع الناس في نحر العدو ، وقبل الشروق صارت الموتى والجرحى ترد علينا.قال: ونحن مع القائد في قرية (أدنار) من (ايت يعزى) ، فاستمرت الحرب من الصباح الى الثانية بعد الزوال ، فصار الجيش يتياسر شيئا فشيئا لينزل على (سيدى بوعبدلي) وقد هيئ من يحارب وراءه ، وفي العشى نزلنا ازاءهم ونحن جياع عطاش ، قال : والفقيه سيدى علي بن عبد الله على فرسه في نحر العدو ، يقبل أحيانا ، ويدبر أحيانا . والقائد المدنى على فرسه واقف ، ينظم الناس على قدر وسعه ، ثم نزل جيش العدو في (تالعينت) فنزلنا نحن أيضا في (ايت الاربعاء) فوق (مرغت) وبقي الامر كذلك خمسة أيام،واذ ذاك أرسل أبو السلام الخليفة المتوكي النازل تحت (ميرغت) ثورا ليذبح على ضريح في (ميرغت) ووصي أن يتصل مع من تيسروا هناك ، ثم قال لمن اتصلوا به : أريد أن يرسل الى القائد المدني رجلين من أصحابه لاتكلم معهما.فوصل الخبر الى المدني،فأرسل الى سيدى علي بن عبد اللهوسيدى الطاهر ، فتئامروا على أنه يجب الاتصال بأبى السلام . لان الناس أعياهم ما هم فيه حتى صاروا يتفرقون الى ديارهم ، فأرسل القائد صاحبيه ، فرجعا بأن أبا السلام يقول: ان الاولى الحيلة ليتفرق الناس انتم ونحن معا ، فقد أعيا الجميع . فان ارسال جمل وثور الى الجنرال (لاموط) يفتح هذا الباب.فاستشار المدني الفقيهين فقبلا ذلك . لارتكاب أخف الضررين،فارسلوا رسالة الى الهيبة

---

(1) قابل بين رواية هذا المتحدث وبين ما تقدم في رواية الاستاذ المانوزى الذي ذكر أنه حضر يظهر لك ما يظهر .

في ذلك ، فأجاب بان عندكم الاذن المطلق فيما استوجبه نظركم،قال : فارسل المدني عشرة من وجهاء الاخصاص بجمل وبقرة . فقدم ذلك للجنرال في يوم مشهود ، على أنه هدية جميع القبائل المحاربة من بعمرانة وغيرها . وقد قيد أسماء العشرة على أن كل واحد منهم من قبيلة من القبائل . فعل ذلك تعمية لان هذه القبائل لو طلب منها أن يمثلوا هذا الدور لابوا كل الاباء ، ثم طلب أبو السلام من القائد المدني بوساطة فارسين من أصحابه أن يكتب وقوع الصلح بين الفريقين ، قال الحاكي : فامرني بذلك فنزلت ونحن على ظهر طريق الى ظل شجرة . فكتبت ما يدل على ذلك ، وقد املى على ما كتبته في ذلك :

(يعلم من كلامنا هذا أننا جعلنا الهدنة مع الجيش الذى يقوده الجنرال لاموط . من حد قبيلة ايت عبلا وا داو گزگري من ايلالن الى حدود الساحل ببعمرانة . وان حدث أمر ما من أحد الجانبين من زيادة أو نقصان على المعتاد الان فيعلم به صاحبه على يد أبي السلام المتوكي ، والسلام) .

قال : وبذلك صار الاتصال بين المدني وأبي السلام دائما الى أن مات أبو السلام (1) .

قال : كان ايت الخمس من البعمرانيين وايت جمل من الوادنونيين دائما ضد القائد المدني . واصبويا وايت بلا معه ، وكان ايت يعزى وايت عبلا أولا معه ، ثم قلبا له ظهر المجن اتباعا لراى سي أحمد نطالب ، فكان مع أعدائه . فذلك هو السبب حتى اوقع المدني بسي أحمد نطالب . وقد كان سي أحمد نطالب تعين قائدا على قبيلتي ايت يعزى وايث عبلا من أول عهد الهيبة . فكان له شأن كبير ، وقد كان أمر هؤلاء فيما بينهم غير مجتمع . فلن فيهم من هو ضد هذا القائد الجديد . وفي عهد مربيه ربه الذى خلف الهيبة بعد وفاته 1337.كان من العادة أن يخرج مربيه ربه فيدور على القبائل ومعه الرؤساء ، وفيهم دائما المدني . وحين نزلوا في الاخصاص وأرادوا أن ينزلوا في ايت عبلا أرسل هؤلاء مع ايت الخمس يرحبون بمربيه ربه، على أنهم لا يقبلون ان ياتي معه المدني . فذهب اليهم سيدى على بن عبد الله الالغي فراودهم على ان يرجعوا عما يقولون فابوا ، فركب المدني راسه ، وقال لا بد أن اذهب . والا صرت ذليلا . فراح مع مربيه ربه.فتقدم ايت عبلا معقائدهم الى مربيه ربه . فرحبوا به وتقدم ايت عيسى فخذ من(ايت عبلا)تضاد أحمد نطالب . فرحبت بالقائد المدني ومن معه ، ثم لما تم الدور من (بعمرانة) الى (وادي نون) صار المدني يحبك الشبكة حول سي أحمد نطالب . فاتصل بأعدائه من اخوانه ايت عيسى وايت حمو ، فقام هؤلاءفي سحر فهاجموه في

(1) قابل كل هذا بما قاله الاستاذ المانوزي رحمه الله في الموضوع تعرف الحقيقة كما هي .

داره ، فخرج ليهرب ، فضرب برصاصة ، فهلك أمام داره في مزبلة . وقد كان الاخصاصيون متهيئين في جوارهم : فحين سمعوا البارود هجموا بدورهم. فكان ذلك هو السبب حتى انضاف ايت يعزى وايت عبلا الى ايالة المدنى . وكانت هذه الواقعة 1339 هـ . في رمضان ، وقد كان ايت يعزى يعدون من ذلك الحين من عداد الاخصاص ، يدفعون أعشارهم ، ويغرمون كالاخصاص بخلاف ايت عبلا . فان المدنى يكتفى منهم بالموالاة ، وبما تيسر . ولا يعطونه اتاوة كما يعطيها الاخصاص ومن اليهم .

ومما وقع في عهد المدنى محاربته مع الكنتافى في (ميرغت) فانهزم الى (تزنيت) وفي تاسع رمضان 1341 وقعت حرب بين القائد عياد الجرارى والقائد المدنى ، مات فيها محمد بن عبد السلام الخليفة لعياد ، ثم لم تعلن الهدنة حتى أعطى القائد عياد ستة ءالاف ريال للمدنى . فرقتها القبائل التي تعين المدنى .

ثم ان المدنى تقدم خطوة أخرى الى توسعة ايالته باستيلائه على (ايت همّان) وما حواليها من قبيلة (ايت برايم) . وهذان ظهيران لمربيه ربه يصدران له في ذلك .

الاول :

(يعلم من كتابنا هذا اسمى الله قدره وجعل في الصالحات طيه ونشره ، أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته . ولينا عاملنا الارضي القائد المدنى ابن الطالب أحمد الاخصاصي على قبيلة ايت همان كافة من ايت برايم ، ونوصيه كأنفسنا بتقوى الله العظيم والرفق بهم . والعدل فيهم كما أوصيناهم على طاعته. والوقوف عند أمره ونهيه ، أسعده الله بهم ، وأسعدهم به وجعل الكل عملا منا مبرورا ، وسعيا مشكورا . ووفقه لما يحبه ويرضاه . فنامر الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه وأن لا يحيد عنه ولا يتعداه ، صدر به أمرنا القائم بالله أواخر ذى الحجة عام 1342 هـ .) وفوقه طابع من طوابع مربيه ربه في وسطه: محمد المصطفى مربيه ربه . الله وليه 1337 ، ولفظة الله فوق . وفي دوائره : (ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والله يعصمك من الناس) وهو طابع مستدير لا رونق عليه لا شكلا ولا خطا . وهو وسط ليس بكبير ولا صغير .

الـثـانـي :

(يعلم من مسطورنا هذا أسمى الله قدره،وجعل في الصالحات طيه ونشره ، اننا ولينا خديمنا الارضى القائد المدنى ابن الطالب أحمد على بنى ا نتتر وايت اليسر وتيثاك وايت يعيش وبنى بمنصور وايت محماد من قبيلة ايت برابيم . وأمرناهم أن يتلقوا ولايته عليهم بالقبول والسمع والطاعة واتفاق الجماعة . صدر به أمرنا القائم بالله في 8 من شهر رمضان عـام 1343 هـ .

وفوقه ذلك الطابع نفسه .

(تفاصيل أخرى عن حروب المدني مع مجاط وغيرها)

حكى لي سيدي مبارك بن عمر المجاطي قال :

وصل حيدة الى (ادحنينتوف) فأهدى له مبارك الرتخاوي وقد ذهبت مجاط الى (تمكرت اخسان) ولم يهد أبو الطعام لحيدة الا برأيه الخاص . وكان له شأن اذ ذاك . وكانت نافذة في (تيز لمي)قبل ، ومن تلك الساعة حين أهدى بغير اذن مجاط تناقص نفوذه بين المجاطيين ، وقد كان الشيخ أحمد الامازري له كلام مع حيدة ليخرج الهيبة من (كردوس) فارسل الى حيدة لياتي الى (كردوس) فجاء حيدة الى (وجان) بسبب ذلك . ليدخل من بعقيلة حين تابت مجاط . فقال أبو الطعام وعلي الشلحيني ويحيا بن بلا من ايت موسى : اننا قد أعلنا السلم مع حيدة في بلادنا فليتفرق الناس فقام القائد سعيد البعقيلي ضد هؤلاء . وقد كان جاء مع شيعته البعقليين الى (تمكرت ايخسان) فقال للمجاطيين ان أنتم أوجدتم السلم في بلادكم فان حيدة يقصدنا في بلادنا ، فانا أطلب منكم المعونة . فاختلف المجاطيون بينهم ، فمن أطاعوا أبا الطعام وشيعته رجعوا الى ديارهم ، والذين أبوا برز اليهم القائد مبارك البيتيراني ، فقال لهم : من أرادوا أن يجاهدوا فليذهبوا معنا . فاننا نروح الى (ايغبير ملولن) ومن ذلك الوقت ظهر القائد مبارك وعلا شأنه من جديد . فراحوا الى (ايغير ملولن) ف(توماتار) وفي الصباح سمعوا البارود في (وجان) وقد بكر اليه حيدة ، فبادر فقراء من مجاط كانوا سمعوا ما في الجهاد يوما في الزاوية الالغية من سيدي سعيد التناني ولم يقف في (وجان) سوى الوجانيين ، ولكنه احتل (وجان) الى (أكادير أوفلا) فاذا بالمجاطيين أطلوا من الجبل . ولم يكونوا كثيرين فظن حيدة أنهم كثيرون فاجفل منهم من في القرى بـ(وجان) فغادروها . وقد كاد سيدي النعمة يوخذ باليد . فقد دخل المهاجمون الى وسط الدار الذي كان فيها . ولم يبق الا أن يدخلوا الى البيت الذي كان فيه . فاذا بهم انسحبوا . وقد كان في قرية (اد علي بلا) ثم نزل المجاطيون حتى احاطوا بكل أسوار قرى (وجان) وقد ترك حيدة 40 موتى حين انسحب ،وفي اليوم التالي رجع حيدة،ولم يقدر على شيء. وفيه،بشيعة القائد سعيد البعقيليين، وقد حضر القائد الناجم وبيهي خليفة ارتعا كما عرف به. وقد دامت الحرب في اليوم الثاني الى العصر من الصباح - فماتت خيل كثيرة لحيدة . وقد ءاب بموتاه - وقد تولى الحرب المجاطيون ، فلم يقع الا جرح واحد منهم . وقد كان الهيبة كتب اليهم حين كان يستنهضهم أن قفوا ، فانني أرجو الله أن لا تقع منكم نقطة على الارض . وعدت من كراماته . وقد تواتر أخيرا الولتيتيون كالمحشر فهادنهم حيدة فرجع .

هذا وقد رحل كل الاخصاص أمام حيدة.ونوى القائد المدني أن يصحر

أن أتاه حيدة الى (بوزاكارن) وبعد موت حيدة وقبل أن ياتي الجيش الجنرالي كانت الحرب بين أبي الطعام والمدني . وسببها أن أبا الطعام كان مع الجراري . فادعى المدني أنه يريد أن يدخل الاعداء ، فاستشار اليه بعمرانة ومجاط كلهم ، فقامت الحرب يوما بينه وبين تلك الجهة التي فيها بعمرانة . فبادر أبو الطعام فذبح على مجاط . فدخل المجاطيون . فاستولوا على (ايت رخا) وقالوا للبعمرانيين لا تدخلوا بلدنا وهذا أخونا . فخرجوا من بعد ما دخلوا قرى قليلة . وقد كتب المجاطيون رسالة الى المدني ومن معه يقولون قفوا حيث أنتم. فان صاحبنا قد ذبح ، فسنصلكم هناك. وذلك بعدما باتوا في (ايت رخا) وفي اليوم الثاني ذبح المجاطيون بذبيحة (ايت رخا) وطلبوا منهم أن لا تمتد أيديهم الى (ايت رخا) فأسعفوا ، الا أنهم طلبوا أداء ثمن الخيل الميتة في الحرب . فقومت بخمسة ءالاف ريال حسني . فضمنها المجاطيون . وقبل الاداء جاء الجيش الجنرالي.وبعد رجوع هذا الجيش جاء الرخاويون وافدين الى القائد مبارك فطلبوا منه أن لا يؤدوا ذلك المال . فأبى لهم وقال : انني قد ضمنت المال ، ثم أتوا بذبائح الى المجاطين الآخرين مع بعض رشا الى الرؤساء منهم . فاختلف المجاطيون فتفصّى الرخاويون من المال . فكان ذلك هو السبب حتى فسد ما بين الرخاوي وبين المدني ، وذلك أن المدني كان يقول معه اننا لا بد ان نزيل الرخاوي تماما من طريقنا،وحين أبى المجاطيون ان يؤدي الرخاويون ذلك المال أرسل اليه القائد مبارك يقول له انني قد عجزت وقد أبى اخواني أن يسلموا في الرخاوي ، فعد المدني ذلك منه غدرا . وحين لم تفد هذه السياسة المدني رجع الى مواخاة الرخاوي ليمهدا (تيزْنْمِي) فكان ذلك هو السبب لما ياتي :

ثم لما طلع الكنتافي الى (ايت ودريم) جلا الحسين بن عمر والتجا الى هذه الجهة ، فوصل مربيه ربه . فخرج معه حتى دار دورته السنوية ، فاتفقت القبائل على أن يجيء البعمرانيون من جهتهم الى الكنتافي ، والاخصاص من جهتهم ، ومجاط وبعقيلة الى (ايت حامد) وقد كان الحسين بن عمر يسكن في (ايت حامد) بعد جلائه . فكانت حرب شديدة هناك بينهم وبين الكنتافي في (اينت حامد) فانهزم الكنتافي . فوصلت هذه القبائل الى (ايت موسى أ بكْو) و (ايت الوكان) ثم صارت الهدنة مع الكنتافي.وأما البعمرانيون فانهم نزلوا في (بونعمان) فأصلتهم الطيارات بقنابرها ، فقتلت كثيرا من خيولهم . وقد نزل القائد المدني الاخصاصي اذ ذاك على الجراري ، ولكن لم يتحاربا . ثم تبعتها الحركات الى (ادوزنكري) فذهبوا مرتين وفيهم مربيه ربه والمدني والقائد مبارك الى (اداوزكري) في جيش كثير ، وسببها أن الزكريين بعد ما كانوا مع الشيخ.وحتى نافروه فاستجاشوا اهل الجنوب.فكانت الحرب في (تافراوت) ب(اداونزدنوت)، وفي المرة الثانية كان السبب أن

الزكرى تصالح مع التّيييئيو‌تِي ولم يعد الزكرى يأمن من أهل الجنوب وقدقيل ان المدنى ومن معه نووا أن يحتلوا داره ويقبضوا أمواله التى ملات أعينهم ثم ثار حمو بن بلقاسم على التّيييئيو‌تِي. فتعاون عليه مع الزكرى ، فأجلوه فذهب يستجيش بقبائل الجنوب . فوصل (كردوس) وعند المدنى . فجاشوا وذهبوا على نية نهب (اداوزكرى) فانقسم المجاطيون وغالبهم كان ضد المدنى . فاذ ذاك تفرق ما بينهما . وقد كان ابن حيدة والمدنى يتكاتبان . ومقصود ابن حيدة هو اهلاك التّيييئيوتِي . الا أنه بليد لا سر له . فكل ما ابرمه بالرسائل مع المدنى يعرفه التيييوتى فيوصله الى الحكومة . فلما توجه مربيه ربه والمدنى والجيش الجنوبى . وقعت النفرة من بعض المجاطيين. فدروا الى (اداوزكرى) وقد كانوا يردون عليه . وقد كان (ايت الخمس) ايضا ضد المدنى . فلم ياتوا فى هذا الجيش الا بعد تحققهم أن المجاطيين كانوا ضده . وقد كان الشيخ سعيد الخمسى يراده فى المجامع . وقد قال المدنى اذ ذاك في مجمع (ايت عبد الله) يا (قبائل الجبل) يعني قبائل تلك الناحية أدوا وثائق عن الخيل الميتة للقبائل التي جاءتكم ، فرد عليه المذكور لماذا ؟ فكل قبيلة ماتت خيلها تؤدى لبنيها . ثم التقى المدنى مع ابن حيدة ، فقبل رجوع حمو بن بلقاسم فقاموا على الصلح.ومنذ رجوع القائد المدنى من هذه الوجهة صار يتهيا للحرب بينه وبين مجاط ، ليمهدها حتى يتمكن منها .

فقد قال للرخاوى صاحبه . اجتهد ان تثير خلفا فى (تيزلمى) حتى يتحاربوا . وقد كان القائد مبارك البنيراني يساير الجرارى ضد المدنى فضمن له الجرارى أن يؤدى كل ما صرف ضد المدنى فى الحرب ثم كان أن نهب سيدى على بن محمد التازاروالتى دار مولاى البشير ابن عمه . فكان القائد مبارك من شيعة مولاى البشير . فأمره مبارك أن يدور بذبائحه على المجاطيين.فائتمرت شيعته أن يقفوا حتى يسكن مولاى البشيرفى(تازروالت) قهرا . فنزل القائد مبارك معهم الى (الزاوية) فجاء الرخاويون الى (تاجاجت) بجيشهم . فرجع البنيرانيون من (تلازاروالت) الى بلدهم ليدافعوا عنه ، فطلع سيدى على التازاروالتى مع كثيرين من مجاط معه الى الرخاويين . وكان (ايت موسى) و (ايت تاجاجت) مع الرخاويين و (ايت على) و (ايت همان) مع البنيرانيين وايت وفقا . فقام الجرارى فدفع المال للبنيرانيين ، فقاموا ضد المدنى فى تلك الجهة الاخرى.وقد كان الاخصاصيون جاءوا الى (تاجاجت) فتلاقى القائد مبارك مع محمد ابن القائد المدنى فجعل يسأله عما يريد . فقال له انما أنا مع الناس والرأى العالى فى (بوزاكارن) فارسل القائد مبارك ولده الى (بوزاكارن) يجس النبض من القائد المدنى فقيل له : لا بد من أن تذبحوا وتقبلوا الانقياد أنتم المجاطيين . وقال له القائد المدنى : ما أريد أنا مجاط الا للقائد مبارك ليخدموه ، واما الآن فانهم

رعاع يلعبون بالجميع . وكانت كل هذه المخابرات من القائد مبارك انما هى تطويل حتى يجتمع اليه مجاط.وحين نزل البعمرانيون فى تلك الجهة انسحب الاخصاصيون مع محمد ابن القائد المدنى . فوقعت الحرب هناك فى حدود (ايت يعزى) فذهب علماء وصلحاء فاصلحوا بين الفريقين . وكذلك عند الفريق الآخر . فقد رجع اهل (تاجاجت) وأهل (ايغير ملتولن) الى شيعة البنيرانى وكانت حرب يوما واحدا . ولم يطل الزمان . فغدر القائد المدنى (تاجاجت) بجيش سربه ليلا.فاجفل الناس.وكان العام عام مجاعة ، وذلك عام 1345هـ. فنفر الناس . فوجدوا الرخاويين والاخصاص دخلوا (تاجاجت) فكانت الحرب فى (أكادير نيت الطالب يعزى) فاخرجهم منه المجاطيون . وكذلك دخلوا (ادبنتيران) فاندحروا منه . ثم تلتها حرب (افران) فقد اتفق القائد المدنى مع فريق من رؤساء (افران) فاتوا به . فتمكن القائد المدنى الى اعالى (تانكرت) فاستجاش الفريق الآخر بالمجاطيين ، ونعنى بالمجاطيين شيعة القائد مبارك البنيرانى (ايت على) و (ايت همان) وأما (ايت موسى) فمع الرخاويين . فلما استغاثوا بهم اجتمع الجيش الذى يضاد القائد المدنى من مجاط فى بلدهم ، فذهبوا الى (تانكرت) فاخرجوا القائد المدنى الى حدود (السوق) فبقى فى (اداوشقرا) وقد كان المجاطيون غرموا كل فريق القائد المدنى خمسة آلاف ريال حسنى . ثم جاء مربيه ربه . فنادى بالسلم.وقد كان العادة من القائد المدنى انه كلما اعيا يستغيث بمربيه ربه . فقال لهم مربيه ربه لا بد أن تذهبوا معى كلكم يعنى مجاط . فذهبوا معه الى (تيمولاى) فخطب هناك سيدى الطاهر بن محمد خطبة عظيمة ، معناها : أيها المسلمون « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » فان الجوع والاشرار انما هى أسواط يضرب الله بها من عصاه . وهناك سوط عظيم باق ستضربون به ان لم تطيعوا ــ يعنى الاستعمار ــ ومن هناك رجعوا ، فبقى (اداوشقرا) و (امسترا) فى يد القائد المدنى ، ثم تفرق (اداوشقرا) فاراد فريق منهم مجاط . فاتوا بالقائد مبارك البنيرانى ، فتمكنوا من (اداوشقرا) الى (ادسالم) فرحل اصحاب القائد المدنى . فكانت حرب شديدة . فجاء أيضا مربيه ربه . فنادى بالسلم . فغرم البنيرانى (اداوشقرا) وقد أدوا ثمن الخيل وقد قومت بـ 6000 ريال . ولم يعط البنيرانى للمجاطيين مما اخذه من الغرامة شيئا . فكان ذلك هو السبب حتى تباعد المجاطيون عن القائد مبارك.وقد مال الفقيه مبارك بن عمر من مجاط الى القائد المدنى ، فكان السبب ، وذلك لان القائد البنيرانى ترامى على (تومانار) فنزعها من سيدى على التازاروالتى باذن من الجرارى . فارتمض قلب الفقيه من ذلك لان سيدى على بن محمد التازاروالتى اخوه فى الطريقة الالغية فهما معا من أصحاب الشيخ الالغى ، فاتمر الفقيه مع أصحابه. فكتبوا الى القائد المدنى ، اننا خالفنا القائد مباركا

فكتب اليهم أن اقدموا الى . فذهبوا اليه بـ 22 فارسا . فوجدوا عنده محمد ابن القائد مبارك مع خيل يريدون اصلاح ذات البين ، ويخطبون بنته للطاهر ابن القائد مبارك . ثم خرجوا حين دخل المجاطيون . فقال لهم هل تقدرون أن تاتوا بجيشكم وآتي بجيشي حتى نلتقي في وسط (إدبنتيران) فقالوا له لا . فقال لهم لماذا : فقالوا لان الناس مرنوا أن يتبعوا القائد مباركا ، الا أننا نضمن لك اذا جئت بجيشك أن لا ياتي (ايت علي) الى البنيراني . فلم يعجبه ذلك، فرجعوا من عنده ، وقد واعدهم مجيء مربه ربه الى (افران) ولكنه أخلف الموعد . ثم صار القائد المدني يكتب اليهم بعد فلم يصلوه، ولم يزل على أوبخيس الموسوي رسوله اليهم حتى ذهب بهم. وهم 12 فلما رجعوا من عنده ، صار القائد مبارك ينادي في موسم الشيخ (سيدي المدني) في (تانكرت) أن من ذهب الى القائد المدني دمه هدر . فجازوه بأن نادوا بمثل ذلك في (سوق الاثنين) في (انكرن) فكتبوا الى القائد المدني بذلك . فجاء بجيشه حتى نزل في (إد سالم) أسفل (إداوشقنسرا) فصار القائد البنيراني يطلب من يكون معه من ايت علي المجاطيين فلم يجده . فجاء أحمد ابن أبي الطعام بجيشه الى (ايت موسى) فتواعدوا مع القائد المدني أن ياتي من أسفل (افران) وهم من أعلاه ففعلوا فالتقوا ، وقد حارب الافرانيون فهلك قليلون . وإذ ذاك قال القائد المدني للمجاطين يطلع الجيش الى (تيزنلي) فأبى (ايت علي) فتملصوا ، وذهبوا الى ديارهم . فرجعوا الى القائد مبارك البنيراني لما فهموا ما يريده القائد المدني . من الاستيلاء على مجاط . وفي ليلة قريبة نزل المجاطيون فاستولوا على(تانكرت) في ليلة واحدة . ثم اتفق (ايت موسى) والقائد المدني ، فجاء القائد من أسفل (تانكرت) و (ايت موسى) من فوق ، فخرج ايت علي هاربين، ثم طلع القائد المدني الى (ايت موسى) . فاستجاش المجاطيون ايت همان وايت علي وايت بنيران ، فكانت حرب شديدة . وقد جاء الرخاويون وايت (تاجاجت) تحت يد الخليفة الحنفي أخي القائد المدني . وكانت الواقعة في (زكون) وفي (إيمي نتفراوت تيشت كرمون)وكانت الحرب في الواجهة الرخاوية فقط . فحصر المجاطيون ، وأما واجهة (ايت موسى) فلم تكن فيها حرب . فلما رأى القائد المدني ذلك دعا الى السلم . فرجع وغرم الافرانيين ثلاثين الفا . وقال ان فصل دعاويكم في (بوزاكارن) وردوا سلاح الاخصاصيين الموتى . ولم يطل الحال أن استجاش الافرانيون كلهم بالمجاطيين ، فأتوا فأخرجوا القائد المدني من (افران) حتى (أمسترا) وهناك مرض المدني فهلك .

وهكذا دامت الحروب طوال عهد القائد المدني . وكان يضرب البعض بالبعض ويجمع ويفرق . وقد جاش مرات الى نواح أخرى الى (اقة) مرة

الى القائد ابراهيم في شأن قافلة نهبت هناك كما بعث ايضا في قضية الشيخ محمد ازنكض أخاه الحنفى ، ومرات الى (اداوزكرى) والى (ايت عبلا) اخيرا في الحرب مع التيبيتيوتي. كما بينا ذلك في مواضع اخرى في هذا الكتاب وآخر حروبه تلك التي ذكرناها في (افران) .

أخريات أيامه

ابتدأ فيه مرضه الذي هلك به في جوفه . ويحجو انه مسموم . فيقل أكله.وتنحل صحته . وكان يدعو الله دائما ان لا يلتقي وجهه مع النصارى ، وهو الطلب الذى يطلبه دائما من الطلبة كلما أكرمهم . فقد جاءه أجله يوم الاثنين بعد العصر 7 رمضان 1332 هـ . ودفن في اليوم الثاني في قريته (بنوزاكارن) بل عاصمته التى أحاط بها سورا بأبراجه وأبوابه . فكانت تزخر أزمانا بالذين يقصدونه من جميع النواحي .

من أخلاقه

كان يتلو دائما خمسة احزاب من (المصحف) ولم يكن حافظا للقرآن. ولكن لكثرة تلاوته صارت تسهل عليه القراءة . وكثيرا ما يسأل عن تفسير آية . وكذلك كان يقرأ (دلائل الخيرات) ولم يكن يتركهما ، ويحب اهل الخير محبة امثاله لامثالهم . ويفتح بابه لكل وارد . الا انه غليظ الحجاب وقلما يلقاه انسان الا بصعوبة ، وكان محببا اليه أن تعمر بابه بالواردين وكان سياسيا يعرف كيف يخالط كل احد بما يوافقه ، فيلبس لكل حالة لبوسها . وقد صير عاصمته (بنوزاكارن) مثابة لكل تلك النواحي . ففيها يكون الابرام والنقض . لا (كردوس) وقد صارت قبلة الجنوب في عهده يقصدها الفقهاء والرؤساء والطلبة والصحراويون والغرباء وطوائف الفقراء وله حسن ظن بأهل الخير . وقد قام بكل مواد الحياة للشيخ سيدي الحاج محمد الشريف البوزاكارني فوجد بركة ذلك ، ومع كل هذا الكرم والاخلاق لم ينج من ألسنة الناس رحمه الله فقد قال فيه صحراوي :

قد كنت احسب أن القائد المدني ... قبل استضافتنا اياه غير دني
حتى استضفناه يوما فاستبان لنا ... أن لا دني سوى المدعو بالمدني

أولاده

1 محمد الخليفة الكبير . كان توفي بالجلدي في حياة أبيه . وترك أولادا ادركوا الان نزلهم جدهم المدني منزلة أبيهم .

2 علي هذا الذي لا يزال حيا . وقد ذهب الآن الى الحج 1379 هـ . وهما من بنت عمه عمر بن عبلا .

3 القائد الحسين الذى سنذكره ، وقد توفى
4 الحسن لا يزال حيا
5 القائد الطاهر الآتـى
6 عبد الله لا يزال حيا
7 ابراهيم لا يزال حيا
8 أحمد هو أصغرهم لا يزال حيا . وهؤلاء الخمسة من زوجته البنيرانية أخت القائد مبارك .

القائـد الحنفـي

هو شقيق القائد المدنى ، وهو الذى تولى مكان أخيه يوم مات . كـان خليفة لاخيه . ويوم مات المدنى جاء أولاده وقبلوا رأسه وقالوا لـه مـات ابونا ، وانت أبونا اليوم . فسلموا له الامر . وقد وقف معهم حتى قسم بينهم مالهـم ، فأسدى لهـم بذلك كل خيـر . قال الحاكي مـاء العينين : ـ المتقدم ـ لما اجمع المخزن على احتلال تلك الناحية اثر وفاة القائد المدنى بقليل ، نزل جيش في (بونعملن) ونـزل جيش الاخصاص مع الحنفـي فـي (تيمشجّاض) من (ايت برايم) وكانت من ايالتهم ، قال : فدهم قنبل من خيلنا هذا الجيش في (بونعمان) فاذا بخيلنـا منهزمـة تركت قتـلى . وفـي الصباح اصبحت حادية وعشرون طائرة على (بوزاكارن) ترميها بالقنابر . فهربت النساء والعيال الى الجبال . قال : فارسلنا رسالة الى القائد قدور الكرائمى فى (تزنيت) نفتح به باب الاتصال فأجاب بأن على القائد الحنفى أن ياتى غدا الى (ميرغت) حيث يلتقى مع من يبعث لملاقاته . فذهب الحنفـي ووصانى أن أكتب الرسائل الى رؤساء القبائل لياتوا الى للمشاورة . فأتى من اتى منهم ، ومن بينهم ابو شـامة الاصنبويتائى فقال لى هذا سرا ان البعمرانيين اتصلوا بالقائد الحسن فى (أكلو) وقد ارادوا أن يتقربوا بكم أنتم . ولذلك بادروا فى النظر لانفسكم ، ثم فى العشية اجتمعنا فى دار مع الحنفى . فقال لنا الحنفي أن من لاقيتهم واعدونى ثانيا بملاقـاة أخـرى غدا . وفى الليل طرقنا على ابن القائد المدنى . فافضى الينا بما وقع فى (بوزاكارن) من التخـريب بالطائـرات فبعثنـاه ليحـافظ على المال والمتـاع والنساء . قال : وفى الصباح وقفت فى الناس المجتمعين أعلن لهم مـا نحن فيه الآن ، واننا محاطون من كل ناحية . والجيوش توجهت الينا من كل جانب وهى أحد عشر جيشا . فارونا ما هو المصنوع ، فقال القائد سعيد الخمسى: يا فلان ادع للناس ليذهب كل واحـد الى دارم ، يصنـع ما تيسر لـه . فدعونا دعاء اختتمت به مجتمعاتنا فى سنى الكفاح،والناس فى بكاء ونحيب عمّا وقعنا فيه . ثم أن الحنفى ذهب أيضـا الى (ميرغت) فرجـع فى طليعـة الجيش يقدمه بنفسه الى قبيلته . فنزل بهم فى (سوق الثلاثاء) فاتى بالهدايا

تقدم علامة على الاستسلام . هذا والجند الزاحف واقف عند حده لا يمس شيئا ، فجاء الاعيان البعمرانيون كلهم الى (سوق الثلاثاء) فاذ ذاك أعلن للناس أن البعمرانيين يكونون تحت نظر (اسبانية) وهذه القبائل الاخرى تحت نظر (فرنسة) وفى اليوم الثاني تقدم الجيش فاحتل (بوزاكارن) وهناك التقى هذا الجيش مع الاتى من (أقا) . فطويت بذلك صحيفة لتنشر صحيفة اخرى (ولله الامر من قبل ومن بعد) .

هكذا تم الاحتلال لهذه الجهة بهدوء . ولم يواخذ أى انسان بجريرة ، الا آن السلاح كله حتى الخناجر التي الف الناس التقلد بها دائما قدم وألقى أمام رئيس الجيش مع ريالتين حسنيتين على كل دار . واذ ذاك نودى بأن الحنفي هو القائد على ايالته كما كان ، ثم ذهب الى (الرباط) فتوصل بالظهير على ذلك . فبقي الحنفي قائدا الى أن توفي ليلة الجمعة عاشر شعبان 1364 هـ . ويظن أن عمره - 65 - وله ولد واحد صغير ، بلغ الآن 1379 هـ. مع بنت اخرى . وللحنفي أخلاق كادت تكون معاكسة لكل ما ذكرناه لسلفه رحم الله الجميع .

القائد الحسين

ثم تولى الحسين ابن القائد المدني في مقام عمه ولاية خاصة . من غير ظهير ملكي .وقد كان رجلا مذكورا بكل خير بشوشا هشوشا ، يحاول مجاراة عصره بكل ما فى امكانه . فيراعى ويخالق ويظهر بمحاسن الاخلاق. اقول قد عرفته قبل القيادة . وكان اهلا للرياسة . ثم انه وقع له انقلاب في سيارته يوما ازاء (بوزاكارن) وكان فيها وحده . فهلك من غير أن يحضره أحد.وذلك فى زوال الاثنين مختتم صفر 1367 هـ . عن خمسةأولاد.

القائد الطاهر

تولى بعد اخيه . وقد عرفته ايضا ، وهو دون اخيه الحسين فى أخلاقه حتى فى السعد . فقد نالته اهانات من المراقبة متوالية . لم تزل تتوالى عليه الى أن جاء الاستقلال . فكان نحسه مستمرا ، فجالت فيه اليد التي جالت فى أمثاله من قواد سوس . فاعتقلوا الى أن أعدموا اثر واقعة الطائرة التي حملت الجزائريين الذين اعتقلهم الفرنسيون غدرا فى طريقهم الى تونس فى رفقة الملك سيدى محمد الخامس الذى خفرت ذمته فيهم . وبه انقضت الرياسة فى هذا البيت . فلم يبق لهم من الاملاك الا قليل ، وقد حكم على هذا الاخير من (لجنة البحث) بمصادرة بعض أملاكه . فرحم الله الجميع ورحمنا واياهم وحفظنا بما حفظ به الكتاب المبين .

القائد الحسن بن احمد

البنيرانى المجاطى

قبل 1255 هـ ... 1304 هـ

نسبه

الحسن بن احمد ويرتفع النسب الى من يسمى مبارك بن الحسن الجد الاعلى هذه الاسرة يقول ابناؤها ان لها اتصالا بايت (يعزى و هدى) وجدود هؤلاء الذين يسمون اليوم (ادنبرك الحسن) انتقلوا الى (أكشتيم) من قرية (اد على الحاج) من قبيلة (اد از شنقرا) وهناك ضريح مشهد قديم يذكرون أنه جدهم الاعلى . وبيدهم الآن مشجر نسب يؤيدون به هذا ، ولم اتوصل به . ثم أن الرياسة قديمة فيهم من عهد مولاى اسماعيل ، لانعندهم من الآثار الاسماعيلية ما يشهد بذلك ، كما سمعت ممن له اتصال بهم . وأول من سمعت عنه من هؤلاء المتأخرين . امغار احمد الذى كان رئيس قبيلة (اد بنيران) فى اواسط القرن الماضى ، ويذكر المتحدثون أنه كان شجاعا بطلا . اشتهر بالاقدام ، وخوض المعامع ، ككل أفراد أسرته الى الآن . ولا يمكن أن يرى واحد منهم الحرب مشبوبة ، فيعرد عنها مع المعردين (1) . بل يخوضها يمينا وشمالا ، ولسان حاله ينشد :

أنا الرجل الذى حدثت عنه ... اذا الخفرات لم تستر براها

أكر على الكتيبة لا أبالى ... افيها كان موتى أم سواها

وكانت لامغار احمد حروب لا تنقطع بينه وبين قبيلة (اداونشنقرا) و (ايت تزنومت) وهم آل (السوق) وايت (أوساكا) فلما رأى هؤلاء من امغار احمد ما رأوا ، انحاش كل فريق منهم الى مجاط ، فايت (أوساكا) ذبحوا على (ايت على) و (اداونشنقرا) على (ايت موسى) وايت (السوق) على (ايت همان) ، هكذا ينحاش هؤلاء الى مجاط ، واما (تانكرت) و (امسرا)

(1) التعريد : الادبار فى وسط الحروب .

فاهلهما أقوياء أباة . لا يسامون بسوء ، ولا يطرق حماهم ، لاجتماع كلمتهم ولكونهم جعلوا لانفسهم هيبة أمام جيرانهم . فلم تَخْضَع قط (تانكرت) و (امنسترا) لمجاطى الى الآن . ولم يقع في ذلك الا (اداوشقرا) ومن اليهم . ثم أن امغار أحمد جرت أيضا حرب جديدة بينه وبين هؤلاء ، فكانت (ايت موسى) عندهم فانجدل فيها رئيس من رؤساء (ايت موسى) يسمى أحمد بن احمد من قرية (أتامر) ثم انهزم البَنْيرانيون ذلك النهار هزيمة منكرة ، فأصيب أمغار أحمد . فقطره جواده (1) ، فلم يقدر اخوانه أن يحملوه للهزيمة التي لم ينتظر الغادى فيها الرائح ، فتمكن منه اعداؤه فاما ادركوه جثة هامدة ، واما أدركوه بذمائه (2) ، ثم دففوا (3) عليه لا يستحضر من حكى لى ايهما كان . وكان ذلك قبل 1286 هـ . ثم تولى ولده الحسن مقامه في رياسة (اد بنيران) ، فكان خطيرا لما فيه في الترامي على الامور . وقد وصفه لى من عرفه بأنه يميل الى الطول . ابيض ، جميل الوجه ، ناضر البشرة ، لحيته مجتمعة على ذقنه . ثم انقطعت على حد الذقن ، ثم كثر أيضا شعر عارضيه . وكانه وهو يجول فى قربوسه البرق اللامع مع خفة ونشاطا ، وكان البنيرانيون ينقسمون في أيام الحسن قسمين (ادنبارك أولحسن) فخذ صاحب الترجمة و (اد والوزال) و (اد على)هؤلاء فريق ، و (اد بلاّأ وحاج) فريق آخر وهو كثير . ورئيسهم الذى يدير أمورهم بوستة ، وسبب هذا الانشقاق بينهم أن عبيدا لبوستة هذا سرقوا ، ولم يظهر لهم أثر ، فاتهم بهم بوستة واخوانه الحسن واهله . فأداهم ذلك حتى امتشقوا الحسام بينهم. ثم لم يلتئموا بعد حتى جاء الكيلولى ، فمال عليهم القائد مبارك ، فشتت شملهم . وقد دارت حروب متعددة بينهم في أول تلك المنازعات ، فكان (ايت موسى) و (ايت رخا) يعينان بوستة وذويه دائما . (وكان أيت على) يكونون دون شيعة الحسن بن أحمد وفريقه . فهكذا انشقت عصا مجاط شق الأبلمة ، والباقى من (ايت كرمون) و (ايت همان) و (ايت تاجاجث) يوما عند هؤلاء ، ويوما عند هؤلاء . فكانت الحرب والاغارات وتخريب الديار من الغالب للمغلوب لا تفتر . وخصوصا بين (ايت على) و (ايت موسى) ، فكل من علت رايته فانه يغرم الآخر الغرامة الحربية . ثم أن للآخر عليه أن يعيد تلك الشدة بعينها يوم ينتصر ، ثم لما جاء الى سوس السلطان مولاى الحسن سنة 1299 هـ . نزلت مجاط الى (ازاغار) مع الجزوليين ، فقدمت له الطاعة والهدايا . كما جاءت كل القبائل السوسية مهطعة ، وكان لرأفته وحسن سياسته وزهده فيما فى أيدى الناس . قد تلقاه كل السوسيين بالتوقير والاحترام والاجلال . فعين لجميع القبائل عمالا ، فتعين بوهيا على (الاخصاص)

(1) قطره فرسه بالتشديد رماه .

(2) الذماء بالفتح : بقية الروح . (3) التدفيف على الجريح :الاجهاز عليه

وتعين على (ادْبنْتيران) و (ايت تاجاجت) و (ايت همان) القائد الحسن صاحب الترجمة ، وعلى (ايت كرمون) و (ايت على) القائد سعيد المجاطى ، وهكذا عين لجميع القبائل عمالها ، ثم فى ربيع الاول سنة 1303 هـ . طلع قبل نزول السلطان المرة الثانية الى سوس صاحب الترجمة ومعه الفقيه الحسن التيناسينتي الالغى كاتبا معا . كما طلع القائد سعيد المجاطى مع الفقيه سيدى محمد بن عبد الله مؤسس مدرسة (الىغ) . فجددا ملاقاة السلطان بمراكش ، فاكرمهما بفرس لكل قائد ، وبكسوة لكل فقيه . ثم رجع أيضا صاحب الترجمة مرة أخرى الى مراكش لهذا القصد . هذا وليس له فى القيادةالا الظهير الذى هو حبر على ورق . واما أن ينفذ كلمة مخزنية ، او يفتح للحكومة باب منفعة ، أو يجول بسطوة ، فذلك كله لم يكن . فبقى أحد كبار مجاط ، غير أن له شفوفا بينهم بالفضائل التى ارتداها واتزر بها ، ولا يخلوا مجمع من مجامعهم ، ولا معترك من معتركاتهم ، فقد خاض معهم معمعة (تازاروالت) المسماة بحرب (تمدا ارْعْمان) وكانت نحو سنة 1304 وكانت له اليد الطولى فيها ، حتى انهزم البعقيليون . كما تبجبج أيضا معركة (أكادير نْطّالب يعزى(و (تاجاجت) حيث استنصر التاجاجتيون بالبعقيليين ، فأجازوهم من (ايغير مَلُولْن) ليرفعوا كابوس (ايت على) عن (ايت موسى) بعد ما غلبوهم أيضا ، فالقوا عليهم بكلاكلهم . فانتدب للتاجاجتيين ومن معهم من البعقيليين القائد الحسن مع شيعته ، فحاصرهم فى ذلك الحصن المتقدم ، بعد أن هزمهم ، ثم استخرجهم منه ، وجردهم من سلاحهم بعد أن قدموا اليه يد الاستسلام ، وقد حكى أحد البعقيليين الذين حضروا ذلك النهار انه يشاهد صاحب الترجمة اذ أراد أن يدير بندقيته، يبرق تحت ابطه قميص أزرق ، ثم لا تخطىء رصاصته الهدف الذى يصوبها اليه . وكان مشهورا بالرماية شهرة متواترة . ثم لما تم أجله انتشبت حرب من ذيول تلك الحروب المتقدمة بين (ايت على) و (ايت موسى) على حين أن خيلا كثيرة من الاولين كانت عند من كانوا شيعتهم فى قبيلة الاخصاص . وقد قامت حرب أخرى هناك . قال الحاكى وهو من بين اولئك الفرسان الذين فى الاخصاص، فوصلنا الخبر بموته . فقمنا ونزلنا على (ميرغت) فايت جرار ، فبتنا فى(ايليغ) عند الشريف سيدى محمد بن الحسين . فاخبرنا ان الحرب اشتدت اليوم،وأن منازل (ايت على) بين البعقيليين الذين نزلوا ب(أكنماض آوساكا) وبين (ايت موسى) فحين تعشينا أخرج الينا الشريف رصاصا وبارودا ، فتناولنا منهما ما شئنا . فطلعنا ليلا من جبل (تاكنجكالت) فاصبحنا فى منازلنا، فاذا بايت موسى قد غمروها ، وانتهبوا ما فيها . فديل للموسويين علينا من جديد . ففى أول هذه الحرب مات القائد الحسن . وذلك أنه خرج ثالث فرسان معه ، ومعه نحو عشرين من الرجال . فوصلوا قرية جمعة (تيغيرت)

فقال له بعض من معه اننا قليلون . فلنرجع،فقال لهم لا بد ان نسير قدما. ولا يمكن أن نتخلف عن حلفائنا (ايت على) فلاقاه ومن معه رجال كثيرون من الموسويين ، فهزموه ومن معه لقلتهم فأطلعوهم فوق دار (أكعثموس)فانتدب اليه الحسن بن بلخير أخو أحمد بن بلخير أوبنخيس فاصابه برصاصة في رقبته ، فقطرته عن جواده ، فمات لحينه . فهكذا اختتمت حياة ذلك البطل الصنديد ، ولسان حال ينشد لكل رعديد :

وانا لقوم ما نرى القتل سبة	اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول
فما مات منا سيد حتف أنفه	ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا	وليست على غير الظبات تسيل

ثم خلفه في مقامه ولده القائد مبارك بن الحسن.فقد تولى بظهير شريف. ولكن لم يظهر مقامه كقائد الا في عهد الحاحيين . وانما كان أحد فرسان قبيلته ، وأحد شجعانها . يحضر دائما في المعارك التي يخوضونها . فلما جاء الحاحيون 1315 هـ الى (مجاط) ظهرت رياسته . فبقي الى أن جلوا فقبلت منه التوبة أمام القبيلة . وقد دافع عنه اخوانه . وقد كان يصانع ولم يكن جبارا كالقائد سعيد بن امغار محمد ، فوجد بركة ذلك ، وفي وقت الهيبة كان من أكابر (مجاط) ومن المسموعة كلمتهم . وقد كانت ذات يده متسعة. وقد أخلصت له قبيلة (بنتيران) ، وله مقامات محمودة في معارك الكفاح أيام مقاومة تلك الجبال في نحر الاحتلال . وقد كان يضاد غالبا صهره القائد المدني الاخصاصي ، وبينهما حروب ذكرناها في ترجمة المدني . وان كان سرا لا يخلو من مكاتبة القواد المنضوين تحت ضبن الحكومة ، كالجراري القائد عباد . وحين تم احتلال تلك الناحية 1352 هـ . وظهر برنامج الاحتلال في عرك (مجاط) خاصة بين تلك القبائل : تصدى له المراقبون في مركز (افران) ينطلبون أن يتسربوا اليه . وقد حدثني الفقيه سيدي بريك بن عمر أن مراقبا هناك يسمى (كرواس) يتطلب منه أن يشهد زورا ضده بأشياء ، ليتوصل بها الى مواخذته . ثم سنحت له فيه فرصة . فاعتقل أولا ، ثم نفي الى (درعة) حيث بقي سنين الى أن قرب أجله . فأتي به فتوفي في داره بعد 1360 هـ . بسنوات ، ولم يكن بمرضي عنه في نواح شتى على ما يحكى . وكان على عكس أخيه الحاج ابراهيم ، فانه ينحاش الى الخير . ويعتقد الشيخ الشريف سيدي ابراهيم بن صالح . فقد قال يوما ما كنا نظن سيدي الحاج على الالغي الا مرابطا فقيها فقط . فلم نعرف مقامه العظيم الا بما يحكي لنا عنه سيدي ابراهيم بن صالح . فاذا به مثل سيدي أحمد بن موسى ونظرائه، وعند ما توفي الحاج ابراهيم خلت دارهم من مثله . وللقائد مبارك أولاد

متعددون موجودون الآن . ولم اكن توسعت قبل اليوم في خبر رجالهم ، ولذلك اختصرت الآن فيهم اختصارا . وقد قال الرفاكي في الحاج ابراهيم المذكور :

(ومنهم الشيخ الحاج ابراهيم ابن القائد الحسن البنيراني المجاطي ، توفي في 12 رجب 1348 هـ .)

مبارك الرخاوى المجاطى

1263 هـ - 28 - 3 - 1366 هـ

نسبــه

مبارك بن كوكتوس بن مسعود (أبو الطعام) من فخذ بني أحمد ابن ابراهيم من أفخاذ قبيلة (ايت رخا) من رجالات مجاط المشهورين . طال عمره فخاض مخاضات كثيرة ، وهو من تغالب المجاطيين الا أنه مستقيم معروف بالتؤدة ، وحسن المعاملة ، والتعفف عن أموال الناس . وبالكرم الفياض حتى لا يوصد له باب . فبذلك احبه اخوانه الرخاويون حبا جما .

كان له ظهور قبل أن ينصرم القرن الماضي بين الرؤساء . فكان أحـــد الذين شاركوا في مفتتح هذا القرن في حروب (تازارْوالت) وكان قبل ذلك ممن ينحاشون الى سيدى الحسين بن هاشم الايليغى . ثم كان ضده يـوم حاصره المجاطيون 1302 هـ . وفى عهد الكلثولى نالته على يده محنة عظيمـة بالاعتقال ثم نجا من ربقتها . وأخوه على هو الذى فتك به القائد سعيـد المجاطى ألقاه من الجرف في (تاكنجكالت) ، ثم كان ابن اخى المقتــول الفقيه أحمد بن مبارك هو الذى أخذ منه الثار بنفسه يوم أقبضه له أحمـد الهيبة في (اسرنسيف) .

وحين تموجت سوس بحركة الهيبة كان المترجم الفقير مبارك ممن ذهب في خيل اهله مع الهيبة الى (مراكش) ، ثـم فر معــه يوم الهزيمـة الى (تاروداننت) ثم في نحو 1335 هـ . يوم زحف القائد حيدة الزحف الاول الى تلك الناحية . ووصل الاخصاص . وفر منه الناس ، وقف المترجم حتى هادنه عن تلك الجهة فرجع . وقد ليم مبارك على ذلك كثيرا ، ووقع له ما مر في

ترجمة القائد المدني مبينا . ثم ظهر اسم مبارك ظهورا بينا يوم بدا للقائد المدني أن يبسط يده على مجاط . فكان مبارك ممن قاوم حينا . فرجعت اليه اطراف مجاط للاعانة بعد ما انحاش بعضهم الى القائد المدني . ثم طلبت منه غرامة فضمنه القائد مبارك البنيراني الا ان أمرها لم يتم كما بين في ترجمة القائد المدني . وقد كان الشيخ النعمة نزل عليه فرحب به مع حاشيته ، منذ خرج من (وجان) وقد ظهر ولد مبارك الفقيه سيدي أحمد . فصار يقوم مقام أبيه الذي شاخ ، فلزم داره . وقد جاء الاحتلال وهو على ذلك . فطال به العمر الى أن مات عن 117 سنة فيما قيل .

كان عاقلا متزن الرأي . وبهذه الميزة كان يحل كثيرا من الامور ، منها هدنة بين السملاليين والايغشانيين الالغيين . فقد كان الحاج ابراهيم يساند صهره الباشا بن عابد بن صالح من (أسيف متقورن) – الوادي الكبير – تزوج بنت الحاج ابراهيم . وكان هذا يرفع من شأنه . ويضيف اليه أهل (أمانوا أدرار) وقرية (ايمولا).وقرية (أوتزارت) وقرية (تاكاضوين) فلم يعجب ذلك الرئيس أحمد ابن الحاج ابراهيم . وقد صار يأخذ بيده زمام أمور القبيلة . ثم لم ينشب الحاج ابراهيم أن توفي 1333 هـ . فتفاقم ما بين أحمد بن الحاج ابراهيم وبين الباشا . حتى أدى ذلك الى حرب بينهما . وقد تفرق عليهما السملاليون.وحين كان احمد صاحب حيل لطيفة أوعز الى اصحابه المجاطيين . فأتوا بمبارك الرخاوي الى السملاليين ، ليصالح بينهم ، كانه أتى بنفسه لا بايعاز من أحمد ، فدخل من مخرم سوق الجمعة . ثم وصل الى (ايغشان) عند المدرسة ، فحين رأى كثرة اللوز ، قال : ان هذا اللوز هو سبب هذه الحرب . ثم جمع الشمل بين الفريقين.بعد ما عجز عن ذلك غيره.

وأما ولده الفقيه أحمد فانه تخرج بالاستاذ المحفوظ الادوزي ، ثم صار رئيس (ايت رخا) ثم بعد الاحتلال صار قائدهم . وهو كريم متدين ملازم للمروءة فياض بالكرم . وقد بارك الله له في ذات يده . وبعد الاستقلال كادت السيول الجارفة لامتانه تجرفه الا أن الله سلمه . ولا يزال الى الآن : 1380 هـ في حسن سمعة .

وابن عمه الفقيه الحسين بن علي من الذين أخذوا عن شيخنا سيدي الطاهر وعن ابنه سيدي محمد . ثم شارط حينا في مدرسة . ثم توفي قبل الشيخوخة ، وقد قال فيهما المؤرخ ابن الحبيب :

« ومنهم العلمان المشهوران والاخوان النيران الفقيه سيدي أحمد بن مبارك أبي الطعام الرخاوي وابن عمه المتوج بتاج التكريم والمتحلي بحلل التبجيل والتعظيم العلامة البدر الفهامة : سيدي الحسين بن علي أبي الطعام الرخاوي وكان كل من هذين السيدين الجليلين خلد في صحائف تلك الديار مآثره . ونشر فيها مفاخره . الا ان الاول منهما انتظم في سلك الولاة والاعيان ،

فصار واليا على من بتلك الديار من السكان . وما ضاعت فيها وظائفه ولا مناصبه ، ولا ضعفت فيها جوانبه ولا مراتبه » مع سخاء وافر وأدب باهر. وأخلاق وسعت الناس ، وأزالت بجوانبه الباس ، أدام الله فى الخيرات مهجته وأبقى في الناس حلته ، واما الثاني ففاطن حتى ليس له في حل العويصات ثاني ، فاضل جرى في بساتين فضله ، فوقف دون مداه حسدته ، لحذقه ونبله ، فطما بحره ، وارتفع قدره ، وزهر عمره . فحاز في العربية فصاحة نجد ، واقتنص أو ابد المعار فانجلى به لسحره فرند. فمعول أمورها عليه ، ومنصرف وجوهها اليه ، حتى اصبح حاله حاليا ، وحظه مرتفعا عاليا، وقد حضرت مجلس اقرائه يوما للنحو ، فاعجبنى ذكاؤه ، فلم يترك شاذة ولا فاذة في الاعراب الا استحضرها مع تلامذته . حازما مجدا وفاح عنبرا وندا . والله جميل يحب الجمال ، والدهر يسعده وان كان عدوا لاهل الكمال.

عطاء ولا من . وحكم ولا هوى وحلم ولا عجز ، وعز ولا كبر

ومجده عصامى ، وأخيرا دخل باب العدالة،فصار يحضر مجالس الحكومات عند فصل الخصوم ، ويتولى القسم للاملاك ، حتى توفاه الله » .

اقول توفي آخر سنة 1370 هـ .

أمغار محمد المجاطي

نحو 1225 هـ ـ 1322 هـ

نسبه

محمد بن محمد ـ فتحا فيهما ـ بن مسعود بن علي أوباها . تركه أبوه في بطن أمه . ولذلك سمي باسمه أمغار محمد هذا . كان من حسنات (ايت علي) في ايامه . وممن تأسست رياستهم على أسس متينة راسية . من كرم ودين وخلق وحسن عهد . وحفظ ميثاق . مع حسن صمت يتحلى بـه بين اقرانه يوم ينتدون . كان كثير الصمت في المحافل . فلا يكاد يتكلم حتى يرى أنه يصيب الهدف. فيلقي كلمة واحدة ـ فتقطع جهيزة قول كل خطيب ـ حتى عرف في قومه باصالة الرأى .وقرطسة الغرض. والابتعاد عن السفاسف والدنايا في المقاصة . فاولته قبيلته الرياسة العليا عن جدارة . فكان أمغارا لا يتجاوز بالاراء . ولا يبرم أمر بدون أن يكون له فيه نصيب نظر . وهذه الرياسة التي تكون في هذه القبائل في ذلك الوقت رياسة طبيعية . . لا يتتوج بها الا من كانت له في القلوب مكانة مكينة . وسبقت له سوابق وأياد على قومه . يعرفها له اقرانه ، ويشكرونه عليها . فيجعلون هذه الرتبة علامة شكر ينبعث من أعماق القلوب . فلا استبداد بالرأى ، ولا تفوق على الاقران ، ولا عنجهية بالاوامر والنواهي . بل لا بد لمن كان في هذا المقام ان يضع نفسه في منزلة خادم قومه . يصدر عن أغراضهم . وأن كان يظهر لمن كان لا يدرك الحقائق أنهم هـم الذين يصدرون عن غرضه . ويكون تابعا في صفة متبوع .

كان امغار محمد كريما مفضالا . لا يعرف من ماله الا ما يهيئه للنازلين والمعتفين.فتراه اذا كانت القبيلة تفرق أضيافا الموا بساحتها . أو جيشا استجاشت به لتنفيذ المآرب التي تريد أن تجتني بها النصر من متن الحديد الاخضر . يقف وأهاليه يذهب كل واحد بما قدر عليه من الاضياف ، حتى يبقى خمسون أو ستون فارسا ، فيقودهم هو الى رحله مستبشرا بساما . فيعلف الخيل بالشعير . ويدور على الفرسان بالجفان المكللة بأطيب اللحوم . لا يمل من ذلك ، ولا يزداد في ذلك الا كرما على كرم . وقد كان لـه ازاء ذلك أولاد مغاوير اشداء ، صحاح الاجسام . يجرون يمينا وشمالا ، فيقومون

بالحرث والكسب ورعى المواشي أحسن قيام . فينـدرئون الى دار والدهـم سيولا متدفقة من الخيرات من وراء جريهم المتواصل ، وكدهم الذى لا يسأم . ومن لا كسب له فلا كرم له . ثم أنه قبل أن يدركه ولده القائـد سعيـد كان قرة عين لفخذ (ايت على) خاصة ، ولقبيلـة (مجاط) عمومـا . حيث يدير بيده الحكيمة دفةالسياسة برفق وهوادة وحكمة . ومخالقـة للنـاس . ومداراة الاقران . ثم لما ادركه ولده القائد سعيد على رأس هذا القرن ، وقد توصل بظهير القيادة من السلطان مولاى الحسن ، صار الولد يمشى مشية الناقة العشواء . فلا يبالى ولا يدارى ولا يخالق ، مع أن يده صفر الا ما كان من الظهير الذى هو حبر على ورق لا غير فى تلك البيئة ـ فكـان والامانـى تحفزه والغرارة . يتخطى الحدود . فثارت بسبـب ذلـك بيـن (ايت على) و (ايت موسى) فتن ومشاغبات وحروب . كان الشيخ الالغى يراب منها ما استطاع ، ويحل العقد باناته وحكمته ، ووعظه المؤثر . حكى لى ان حربا قامت مرة بين هاتين الفخذين بسبب أمور أعظمها ما أثرته يد القائد سعيـد الاثيمة الظالمة ، فبقى الشيخ اثنين وعشرين يومـا ، وهـو يجرى بينهـم بالصلح ، ويسعى غاية السعي ، لشعب الانصداع ، حتى تقارب ما بينهما . فتواعد مع رؤساء (ايت موسى) أن يجتمعوا مع رؤساء (ايت على) ليتناولوا هم بانفسهم ما بينهم.وليتعاونوا على حل العقدة ان أزالوا بينهم سوء التفاهم. فجاء الشيخ يقدم الرؤساء العلويين ، وبينهم امغار محمد ، ، وهو على رمكته يسير وحده ، وبيده سبحته . والوسن يرنق على اجفانه . ووراسه فينة بعد فينة يهوم تهويمات خفيفة الى الامام . فصار من معه يتناعتونه ، ويغمـز بعضهم بعضا عليه ، فكانهم يتكلمون فى ذلك ، فسمعهم الشيخ وهو يقدمهم على بغلته امام . فالتفت فقال ما ذاك ؟ فقال له قائل منهم : ارايت امغار محمدا وما هو فيه من عدم الاهتمام ، حتى صار ينام فى هذه الساعة التى تطير فيها القلوب فرقا . وترفرف فيها النفوس فزعا . كان الامر لا يهمه . او كانه ابله مغفل لا يدرى الى اين يسير الآن . فقال الشيخ : دعوا امغار محمدا . فانما وقع فيما وقع فيه بعض صحابـة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يوم أحد حين ألقى عليهم النعاس . فأثنى الله عليهم : ونلد بالآخرين الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . كما ذكر ذلك فى القرءان . ثم وصل الشيخ بهم الى خصومهم ، فانتدب كل فريق يلقى ما فى ضميـره . فكان كل ما اشتكى منه الموسيون قضايا ظلمهم فيها (ايت على) وغالبها من تأثير يد القائد سعيد . ثم ما انفض المؤتمر حتى ردت المياه الى مجاريها . وتعانق الفريقان فى قصة طويلة تتعلق بالشيخ الالغى مبسوطـة فى كتـاب « من أفواه الرجال » وهو أولى بها من هذا الكتاب .

وكان امغار محمد هو مستند اسرتنا نحن بـ(الغ) حيث اتخذه جدنا أحمد

ابن محمد هو الخفير الذي يذود عن الاسرة . فكانت دارنا بـ(الخ) منـزل
أمغار محمد ، كلما اعمل رحلته الى تلك الجهة ، فحافظ أيضا مع الشيخ على
عهود السلف ، حتى أن ولده القائد سعيدا بعد ذلك لا يزال يراعى، وينافح
فيما يزعم ، وكذلك كان مع الرئيس الشريف سيدى الحسين بن هاشم ، فلا
يكاد أن يختلفان الا ريثما يقضي احدهما غرضاً شخصياً في بعض الاوقات من
بعض اجانب . ثم لا يلبثان أن يرجعا الى ما كانا عليه . ثم أن أمغار محمدا
بعد أن أسلس لولده القائد سعيد . وألقى اليه عنان سياسته ، وارخى له
كل ما يريد. أداه ذلك الى أن خالف ايضـا اخوانـه (ايت على) أنفسهـم
فقاموا الى داره فحاصروها ثلاثة ايام ، وقد انحاش اليها بعض من لم يسلم
منهم في الاخوة، وعطفته الرحم. ثم أفلت ليلا مع ولده القائد سعيد فخربت داره، حتى
لم يبق منها حجر على حجر . وذلك فـى أواسط 1315 هـ . ثـم لـم ينشب
الكلولى ان مد ظله على ما فى اخبار القائد سعيد الكلولى، ومنذ هذا الحين انزوى
صاحبنا المترجم في رحله . واقبل على شانه . والناس يتناجون بأن كل ما
يصنعه ولده كان عن رضا منه . وايا كان فانه نفض يده من السياسة ظاهرا .
وليس له فى كل وقائع ولده من أيام الكلولى الى ان مات أية جولة في المجامع
بين رؤساء القبيلة ، وان كانت تؤثر عنه كلمات ينصح بها ولده . ويريه
به كيف يسود . فقد قال له في أواخر ايام انفلوس : ما دمت لم تهدم قرية
(بيعنلاتش) فلا تطمع ان تستقيم لك (مجـاط) توفى المترجـم 1322 هـ .
ودفن في مقبرة (اد' الحافـر) عند قبور أسلافه . هو وزوجه ، وكانت
هذه وهي أم القائد سعيد أيضا ممن يتدين ، حتى انها كانت لا تتنـاول
من مخزن دارها ما يطحن من زرعها الا بعد ان تتوضأ .كان ذلك قبل أيام
ولدها . ثم أتى الوادى فطم على القرى . وقد ماتت هى وزوجها فـى عـام
واحد ، ولم يكن بينهما الا أيام قليلة . كنت حررت ما تقدم عن اناس . ثم
اتصلت بولد المترجم الفقير ابراهيم بن محمد فاستفدته منه ايضا ما يأتى :

سبب تولى أمغار محمد رياسة (ايت على) أن المجاطيين كانـوا حاربـوا
البعقيليين محاربة عنيفة دامت سبع سنين . ثم حاربوا ايضا حربا اخـرى
مثلها فى (أداى) فرجعوا وايتمروا فيما بينهم أن يجعلوا رئيسا منهم
يئولون الى رأيه ، ويصدرون عن حكمه ، ويكون بمنزلة قطب يدورون حوله
كما فعل (اد' بتنيران) حين اقاموا الشيخ احمد رئيسا عليهم . فبينماهم
يأتمرون اذا بسيدى الحاج محمد بن ابراهيم أعنجلي قد نزل بابنشن مـع
تلاميذه فقصدوه يستشيرونه تبركا برأيه . وتيمنا باشارته . فأراهم محمد
ابن محمد هذا . وقد كان له أخ عفيف صالح يسمى سعيدا ، فعاتب اخاه
على قبول هذه الرياسة ، وقال له لقد استأصلت جذورك وجذور أولادك ،
منذ الآن ، ولكن أمغار محمد قال له ان هذا السيد المبارك عينني ، وما كنت

لاخالف رايه ، واتجاوز اشارته . وكـان هذا نحـو 1260 هـ . فهـذا أول امره . وقد ذكر أن سيدى الحسين بن هاشم كان فى حين معتديا على(مجاط) ومن اليهم بواسطة موسم (تازاروالت) حتى ادى ذلك الى أن ألقى القبض على القائد سعيد بن محمد نحو 1302 هـ . فثار أمغار محمد دفعا عن كرامته فمد يده الى (اداوبعقيل) أعداء ابن هاشم ، فكادوا يقوضون (ايليغ) لو لم يرسل ابن هاشم من سفر بينهم ، حتى رجعت المياه الى مجاريها . فثابت (مجاط) الى ابن هاشم فى صف واحد . فكانت الحـرب المشهـور بحـرب (تَامْنْدَا ا يرْغمَان) سنة 1304 . بتازاروالت مع سيدى محمد بن الحسين ابن هاشم حين زحف البعقيليون ليهدموا (ايليغ) فنافح نحو ستين فارسا من الصحراويين ، كانوا فى (ايليغ) دائما اذ ذاك ، حتى جاءت (مجاط) فانهزم البعقيليون هزيمة منكرة . القوا فيها كل ما معهم من السـلاح فى تلك الغابة . حتى أن النساء الحاطبات ليقعن على البندقيات فى ذلك المهمه طوال سنتين فيما تقول الاحاديث .

وقد ذكر لى أيضا كيف خرج صاحب الترجمة مع أهله جالين عن قريتهم (ا دْعلى أُوبَاهَا) قال لما اقبل الكلولى ونزل بـ(تزنيت) ارسل ثلاثة جيوش: واحد يطلع من (اداوْبعقيل) وقد فتحوا له الطريـق اذ ذاك حين تكفـل لهم قوادهم كالقائد عدى الكردوسي وغيره أ نلا يعطوا درهما . والثانـى طلع من (ا يغيرْ ملْكولن) والثالث من (الاخصاص) بينما تتهيأ هذه الجيوش طلع قبلهم احمد بْورْغا مع ستين فارسا . فنهبت قبيلة (ايت وافقا) فى خبر بين فى ترجمة الحاج ابراهيم الايغشانى فى (القسم الثانى) ، ثم ايتمر الموسويون اذ ذاك ـ وامغار محمد غائب عنهم فى ايت وافقا ، والقائد سعيد فى الزغار ـ أن ينهبوا دارهم فى (ا دْ على اوبَاها) فتجمع الموسويون قريبا من الدار . فانسل بعض من يسير سير امغار محمد فانـذر أهلـه . فـاذا بالدار ليس فيها الا النساء فقط . فاطلقت الطلقتان اللتان هما علامة الخوف. فابتدر بعض أصحابهم فعمر الدار . ثم أن غنمهم فى (أمْتَضى) مع ابراهيم اخيهم هذا الذى يحكى لى هذا الذى أكتبه عنه. ثم انقض عليها أيضا الموسويون فذهبوا بها . ثم جرى هذا الى الدار . ثـم جاء ابوه واخوه ، فحاربـوا فـى الدار . وعندهم رؤساء من (ايت على) فاجتمع مجمع المجاطيين فى(أفَانْتِـقِـى) فقرروا أن يهدموا فى الغد ديار الذين يبقون مع امغار محمد وولده القائد سعيد . فسرى الخبر الى هؤلاء.فقرروا هم بدورهم أن يخرجوا ليلا، ويتركوا الدار . فقالوا لان تهدم دار واحدة أولى من أن تهدم ديار كثيرة ، فخرجوا بين العشاءين ، قال الحاكى فخرجت الى (الغ) لالتجىء الى شيخنا سيدى الحاج على ، ليقف على الدار حتى لا تهدم ، فمر بالفقيه سيدى على بن عبـد الله . فركبا بغالهما . فلقيا فى الطريق من قال لهما ان الدار لم يبق منها حجر على

حجر . وكان هذا كاذبا اذ ذاك . ولكن المخبر يريد بذلك أن لا يذهب من هذين من يمنع من هدم الدار . فرجع الشيخ والفقيه ، فمال المجاطيون على الدار . فغادروها قاعا صفصفا . ثم جاءوا الى (الغ) ليتحككوا بالحاج ابراهيم الذي هو من أوتاد امغار محمد . فقالوا لا نجد ما نرزأه به الا الاستيلاء على (تاكانزا) فأطلقوا خيولهم الى حصنها . فحارب أهله دونه ، حتى اغاثهم احمد بن الحاج ابراهيم في مائة . فدخلوا الحصن من جهة (السغ) فارتد هؤلاء على اعقابهم . فاجتمعوا في (والكثوت) في مجمع ضخم . وفي ذلك الحين اتصلوا بخبر الحاج احمد بن محمد الكلولي أنه نزل بـ(الاخصاص) وانه يقصدهم ، فنادوا بالنفير العام ، فأجفل الناس جميعا الى (تامكرت ايخسان) حيث انهزموا ، فركبتهم الحكومة بجيوشها ، واستولى القائد سعيد ، فصار يبني (تاكجكالت) فكان الامر للولد . وانسحب الوالد امغار محمد ظاهرا . هذا ما حكاه لي الفقير ابراهيم ، ذكرته مختصرا ، رحم الله الجميع . وابراهيم هذا فقير وقير اليوم 1356 هـ . ممن يرحمه كل من يعرفه .

هذا هو أمغار محمد معاصر على نبوهوش واقرانه . المعمر نحو مائة سنة . وكان من اماثل اهل زمانه تعففا وتكرما وتدينا ، رحمه الله . وبموته انقضت الرياسة في دارهم . فان ولده القائد سعيد الجبار العنيد الذي أبدا واعاد في اهلاك العباد ، وتخريب البلاد ، قد جلا عن (تاكجكالت) في تلك السنة نفسها . ثم لم يزل في غربة ودوران وترام على الحكومة ، الى أن اختتم عمره بترام على الفرنسيين يوم احتلوا (مراكش)فرجع ليشوش على المجاهدين من السوسيين . فاعتقل في (هوارة) ثم اخذ منه الثار اهل ابي الطعام الرخاويون الذين كان قتل عليا اخا مبارك أبي الطعام في أيام جبروته القاه في ذلك الجرف الذي ازاء (تاكجكالت) على عادته في الذين يعدمهم وقد مكنه منهم الهيبة ، بعد ما جمع المجاطيون لذلك ما قدموه للهيبة ، وقد استوفينا اخباره في محلات من كتابنا « من افواه الرجال » فلنكتف منه بذلك وقد قتل في حدود 1331 هـ .

واما الفقير ابراهيم فانه تاخر عمره الى ما بعد 1360 هـ » فتوفي بعد ما تملى من الاذكار ومن الفقر معا ، فسبحان مقلب الاحوال .

علي نبوهوش المجاطى

نحو 1225 هـ – نحو 1313 هـ

كان من أوتاد فخذ من (اد بوبكر) من (ايت على) من (مجاطم) أواخر القرن الماضي ومفتتح هذا القرن.من أقران أمغار محمد – فتحا – والرئيس الحسين بن الحاج الايدكورتانى ، والحاج الحسن أزكوك . وابراهيم بن الحسين الوهياوى . والفقير على المشهور ببولهادنا . هؤلاء هم رؤساء (ايت على) في عصر واحد . فهم الذين يبرمون وينقضون . ويصدرون ويوردون . وكان اذ ذاك الشريف سيدى الحسين بن هاشم التازاروالتى فى عنفوان قوته . وفى علو كلمة انبسطت بها يده على هذه القبائل المتاخمة لـ(تازاروالت) من جميع الجهات.فكان لمجاط وهم معتمد الشرفاء الهاشميين من قديم اليد الطولى في كل ما يزاول فى (ايليغ) عاصمة الشرفاء . حتى انهم ليمهدون لهم بعض القبائل التى هى مستضعفة ، فيجبون لهم منها المغارم . ويوظفون لهم عليها الاتاءات ، فقد كان مرابطو (تاغلولو) اولاد سيدى محمد بن يدير من هؤلاء المستضعفين الذين لا يقدرون ان يذودوا عن نفوسهم ولو ذبابة ، متى حامت منهم حول الاماقى . فجبا منهم سيدى الحسين بن هاشم خمس ريالات لكل كانون . ثم مدت تلك الحبالة نفسها لقبيلة الوفقاويين الذين كانوا أيضا بمجاورتهم للمجاطيين العفاريت . لا يقدرون ان يقاوموا أى يد تمد اليهم . متى كانت لها صولة وجبروت . فكادوا يؤدون ما أدى السابقون . وكان على نبوهوش هذا وبعض الرؤساء المذكورين ممن قاموا في ذلك . وزاروا وسلوا سيف ابن هاشم العضب فوق هامات الوفقاويين المساكين . وارادوا أن يزحفوا مع جيش لفقه الشريف من العمرانيين والبعقيليين . والبعقيليون اذ ذاك لا يزالون والشريف يسيرون سيرا واحدا . ولما يتفاقم ما بينهم . ولما يدقوا بينهم عطر منشم . ثم دب الخلاف بين رؤساء (ايت على) هؤلاء فانبعثت منهم طائفة لمناصرة الوفقاويين، يراسها الحسين ابن الحاج المذكور . فلما عزم امغار محمد أن ينزل الى (تازاروالت)ليقود الجيش المجتمع فى (ايليغ) تمارض على نبوهوش ، حين رأى انصداع صفاة (ايت على) فقال لامغار محمد : لا تطلع بالجيش من جبل (تاكنجكالت) لئلا ينقض عليكم هؤلاء المناوئون ، وانتم تتسلقون من الثنية.فطلع امغار محمد بالجيش من الثنية التى فوق (تاوتريرت ايفغلال)

فنزلوا في (ايت بودنريم) وسط فخذ (ايت علي) هـؤلاء المنشقين وعلى الرئاسة العليا في الجيش الشريف سيدى محمد بن الحسين بن هاشم . وفي الجيش سوى من ذكرنا السملاليون الذين ينضوون دائما الى الشريف الحسين بن هاشم وقلما يفارقون أسرته منذ القديم . لما بينهم من الرحم . ثم تجمعت شيعة الحسين بن الحاج الايدكوراني لصدهذا الجيش.والحسين اذ ذاك غائب في تطلب من يعينه وشيعته في مقاومة هذا الضيم الذى اراد هؤلاء ان يلقود على الوافقاريين المساكين . ثم تداولت شيعته الامر . فقالوا : ماذا تنظر بهؤلاء منذ الآن . فانقضوا على الجيش . فقامت المعركة ، فجندل فيها اليزيد العروسي أحد رؤساء السملاليين ، ومحمد بن حمو الملقب باكيسوار الوانكضائى البعقيلي. وفي الحين طلع الحسين بن الحاج بمن وجدهم من المعينين . فجال الناس وماجوا . ثم ولى الجيش الايليغي أدباره ، ونجا من فيه براس طمرة ولجام . هكذا تمارض على تبنوهوش ، ولم يحضر لا مع هذا الفريق ولا مع ذلك . ولعل ذلك يدل على سياسة ودهاء ، واما الجبن فما كان ممن يتدرعه . بل يخوض الحرب العوان مع الخائضين . فقد جرح مرات ، مرة في (تامانارت) ومرة في (اكنضاض أوساكلنا) ومرة في (تازاروالت) وجرح في غير ذلك . وقد أصابته في بعض المعارك رصاصة يوما فطارت ببعض شفته العليا فبرئى فوه على عوج . وكان من الاركان التى يعتمد عليها الحاج ابراهيم الايغشانى طوال حياته . كما كان ايضا في مثل تلك المثابة للشرفاء الايليغيين .

كان مرة في مبادىء أمره نحو 1261 هـ . في وادى الساموكنيين . فلذا به سمع أن الشرفاء القواد التامانارتيين فتك بهم أولاد سيدى محمد ابن ابراهيم الشيخ . فكان من الذين اغاثوهم.وهو اذ ذاك لا يزال شابا كما قام بنفسه فكان يجول مع شباب مجاط على عادتهم من هنا الى هناك . فكان ذلك سبب حضوره في تلك الهيعة التى سمعت انها كانت احدى المعاركات التى تكون بين الفريقين ، وكان ممن حبب اليهم أن يقضى بين الخصوم بالعرف وان اصطدم والشرع . فكان الشيخ الالغي يقول للمجاطين كلما كان يخاصمهم ويعظهم ويريد ردهم الى الخير : أنتم لا تريدون الا شرع على تبنوهوش . يقول ذلك تنديدا وتحذيرا ، وأما أخلاقه فقد كان شجاعا كما ذكرنا ، غير أنه مسيك . فكان بينه وبين قرينه أمغار محمد - المذكور قبله - في ذلك بون بعيد ، فبينما هـذا يرفل في مطرف حاتمى ، اذا بذاك ملزوز بأغلاله في خلق مادر وامثاله . وأما عهوده ومواثيقه فكما كانت عهود غالب الرؤساء من غالب المجاطيين الذين يدورون مع الرياح كيفما دارت ، وكأن كزازة يده استمدت من حزونة أخلاقه . فكانت لـه خلائق لـم تكن مما يرتضـى فيما يحكى . فقد قصده مرة الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى مع طائفته

لارشاده الى الخير ، فقابلتهم زوجه ورحبت بهم . ثم لما جا' على ووجدهم فى بيته ، كاد يتميز ، لولا ان قرينته هذه الكريمة ، كفكفت من غربه . ثم لما سمع من مواعظ الشيخ . ودب بعض الليونة والرقة الى قلبه ، قال له : بالله عليك يا سيدى الا ما أرغمت أمثالى على سماع هذا الخير . فان أمثالى فى واد ، وهذا الخير فى واد آخر . ثم بعد ان جال ما جال بين القنا والقواضب . وغادرته المعامع وليس منه جانب لم تنشب منه رصاصة . فاظت نفسه على فراشه . ومات كما يموت البعير . فلا نامت أعين الجبناء . كما قال خالد بن الوليد . وله أخبار كثيرة نقتصر منها على ما ذكرنا . وقد خلف ستة ذكور أشهرهم محمد والمحفوظ وسيدى بريك . وبنت غريبة فى بنات جنسها . تسمى مَا مَّاس ، كانت تخوض أيضا مع الخائضين فى السياسة .

الحسين بن الحاج

الايدكوراني المجاطي

قبل 1240 هـ - قبل 1295 هـ

وتد من أوتاد فخذ (ايت علي) ممن أدرك الرياسة بكرمه . كانت له فلاحة متسعة . وعبيد ومواش ، فبسط سماطه لمن كانوا أكبر منه من رؤساء قبيلته . فكانوا يتخذون داره دار الندوة . ففيها يبرمون وينقضون . ويصنعون البرامج والخطط التي يرسمونها لكل قضية توجهت اليها انظارهم. وارادوا أن يديروا دفتها وفق ما تهب به ريحهم ، ان حقا او باطلا . فكان الحسين يجعل اراءه على حاشية سماطه . فتفتح له المسامع . والموائد تؤيده. والجدى تدلى بحجج لا ترد . والبطون شهود ، والامعاء تقول هذا هو الحكم الملهم . فدبت ريسته مرتكزة اولا على هذا . ثم لم يكن الا عشية وضحاها حتى زاحم من هم اقران ابيه . فصار بدوره يجر النار الى قرصه . وكان أبوه رجلا عاقلا ساكن النامة . ممن حجوا بيت الله الحرام . وما كان يخوض مع الخائضين . ولكن ولده نبغ في ذلك نبغه . حتى كان الرئيس الحسن ازكوك وامغار محمد . ومن في قرنهما ممن يحسبون له الف حساب .وقد اتصل الحسين في ريق شبيبته بالسيد البركه سيدى ابراهيم بن سليمان الانغى فراه وهو أعور . فدعا له ان يجعل الله بركه اعين الذاهبه في العين الباقية . ثم انه كان ممن يشتغل بالسياسة الداخلية من وسط القبيلة . ولا يكاد يتعداها . ولا كان يشرئب الى الخارجية ، كما كان أقرانه يصنعون . وهو الذى قاوم الشريف سيدى الحسين بن هاشم حين أراد أن يجبي المغارم من الوفقاويين فهيا له شيعة تعينه . وكان هو في فريق المناوئين رئيسا . وكان أمغار محمد الرئيس العلوى في الفريق الآخر الذى يعاون سيدى الحسين ابن هاشم في ذلك . وقد استدعاه اذ ذاك الشريف المذكور الى (ايليغ) فزحزح ذيل قطيفة كان تحتها مال مركوم . فقال للحسين : تناول هذا . وكن لى خير معين في هذه القضية . فاستنكف من اخذ الرشوة عما كان صمم عليه . فركب فرسا جموحا في هذا العزم .فأبى ان يحني هامته تحت طمع هذا المال الممدود اليه . ثم أنه قاوم جيش ابن هاشم في (بنومريم) فهزمه ومن كان معه.فكانت كلمته هي العليا . فنجت قبيلة (ايت وفقا) وما كادت تنجو ، لولا هذا البطل المغوار . وقد كان أيضا يستنكر مغرما جباه ابن هاشم قبل هذا الوقت من مرابطي ايت (تاخلخلولو) ولكن لما كان

التاغلولوثيثون ممن يمد عليهم نفوذ (إداوبعقيل) لم يكن له في ذلك ما يفعل . فكانت هذه الواقعة التي نفذ فيها رأيه على رغم الانوف . وقاوم فيها الاسد الهصور ابن هاشم . مع كل من انحاش اليه من رؤساء مجاط ، هي المنارة التي علا فوقها علمه الخفاق الذي يشاهده كل أحد . ثم بعد ذلك علا كعبه . وانفى جانبه . فلا يحرش له ضب بعد ، ولا يقعقع له بشنان.

وكان ممن انتصروا للاشكر الايعتنناني . وايت يبورن في الحرب المشهورة بينهم وبين السملاليين ، وقد كان له من الكرم ـ كما ذكرناه ـ احاديث تطيب بها النوادي وتشنف بها المسامع ، فقد ذكرنا أن ذلك هو سبب نبوغه بين رؤساء قومه بعد ان لم يكن ما شاء الله شيئا مذكورا ، ولم يكن يطمع من مال احد . ولا كان يتمصص ما يتمصص منه الرؤساء أقرانه . فلا يطمع الا من كد يده ، فجعل الله البركة فيه . حتى كان أغنى غني في قومه. وكان بيدره يدرك ما يناهز أربعمائة غرارة فأكثر دائما ، مع رباط خيل متعددة بين ذكورها واناثها . وقد كان من عادته أن يستدعي طلبة القرآن ليقرأوا له ختمة في كل أسبوع من أسابيع رمضان . ثم بعد موته حافظ اولاده على هذه العادة المستحسنة ففرقوها على حساب مواريثهم ، فكان أولاده ثم احفاده الى الآن في كل أسبوع من أسابيع رمضان لا بد من استدعاء الطلبة عشية آخر يوم من الاسبوع لذلك . ثم يفيضون عليهم من الخيرات مايفيضون.

ثم أنه بعد موته حتف أنفه خلف خمسة ذكور : محمدا ، وعليا ، وابراهيم وبلقاسم ، وبريكا ، فكان الصيت لبلقاسم وعلي . فكانا أيضا من الرؤساء كان الثاني أولا ، ثم تبعه الاول . وكان علي هذا متدينا حسن الاخلاق . كثيرا ما يزور الشيخ الالغي ، ويذكر أنه شاهد منه أمورا خارقة للعادة ، فيذكرها كرامات له . وقد زار الشيخ بعد رجوعه من الحج سنة 1306 هـ . في (الغ) فقال له الشيخ : اننا ما كدنا نسافر حتى أثرتم ما اثرتهم أيضا بينكم من الفتن . وانكم لتثيرونها هوجاء قاصفة ، ثم لا تدرون ما يتبع ذلك . ثم مات قبل 1310 هـ . ثم خلف هذه الطبقة في الرياسة ولدهم علي ابن محمدالذي يسمى اليوم (علي ايشلحين) وهو اليوم أشهر من نار على علم . وهو رئيس اخوته (ايدكوران) الرسمي ، بعد أن امتدت يد الحكومة الى تلك الجبال 1352 هـ . وقد كنا ونحن صغار نسمع بذكره يروج كثيرا في الاندية.ونراه فيمقدمة الرؤساء المجاطيينالذين يديرون دفة قبيلتنا المستضعفة مع صفر (الـغ) الحاج ابراهيم الايغشاني ، وكان ممن يبدئون ويعيدون في كل ما يخوض فيه المجاطيون قبل عهد أحمد الهيبة وبعده،تكون له الصدارة دائما.ويعد من أركان الدولة الجزولية في سنى الكفاح من 1330 هـ الى مختتم 1352 هـ . وهو أحد الذين ابرموا مع الجنرال (لانموط)على يد الكلاوي ، تلك الهدنة المصطنعة 1335 هـ . ولم يكن بمصون في امتصاص

أموال المستضعفين، اشتهر بذلك عند كل احد . وقد يغيس العهد فى حلفائه بدراهم معدودة . وله بالاستاذ علي بن عبد الله اتصال كبير . يقف معه فى فصل النوازل . وفى الوساطة بين أهلهـا حتى يصطلحوا أو ينفذ الحكـم على المحكوم عليه . وكذلك كانت له عروة وثقى مع استاذنا سيدى الطاهر بن محمد التامانارتى . وأظن أنه من يده تلقن الطريقة الاحمدية التـي يحافظ عليها دائما . ثم له وراء ذلك اذكار يقوم بها صباحا . ولا يمكن ان تطرقه سنة منذ الاستيقاظ مبكرا حتى ياتى عليهـا . وقد عركته المـراقبة بعد الاحتلال عركا شديدا ، فيسجن ويمتهن ، مع ما كان له في أوله من ظهور . ثم امتد به العمر الى أن جاء الاستقلال ، وكاد يرفع رأسه لولا ان رأى أن ذلك غير ممكن ، فانخنس ، الى أن رئم العهد الجديد . فها هو ذا الآن سنة 1380 هـ . مستكين دسكين يرحمه اليوم من كان يغبطه أمس . والدهر قلب . حفظنا الله من عواقب السوء . ولا ريب أنه وجد بركة ما فيه من ناحية الخير. فمال اليه في آخر عمره ، والله لطيف بعباده .

احمد اوبخيس المجاطي

نحو 1270 هـ نحو 1320 هـ

نسبه

أحمد اوبخيس بن احمد

كان اوبخيس بن احمد قطبا من أقطاب (أيت موسى) . وشجاعا من شجعانهم في القرن الماضي . فكان دائما من الرؤساء الذين يتقدمون بأنفسهم ويخوضهم للمعارك . فلم تسوده قبيلته عن كلالة ، ولكنه يحمي حماها وينفي اذاها ويرمي من رماها بسبب . فما زال يسدي ويلحم ، وينقض ويبرم مع اقرانه من (ايت موسى) حتى سقط في بعض الحروب ، يغلب على ظن من حكى لي أن ذلك في حرب بين (ايت علي) (وايت موسى) وذلك نحو 1290 هـ . ثم تولى مقامه ولده الاكبر محمد أوبخيس ، فكان نظير أبيه كرما وبسالة . فملأ المكانة التي غادرها والده بكل ما تتطلبه من الكفاءة ، وكانت الفلاحة والاملاك التي لهم بوادي (تانكرت) وحظائرهم التي تعج بالغنم تدر عليهم ما يقابلون بهم كل صادر ووارد . وكانت دار اوبخيس وولده محمد في قرية (بويبغد) هذا والحروب بين (ايت علي)و (ايت موسى) لا تفتر . وبينما هو ذات يوم في مناوشة بينهما اذ تردى أيضا بين الصفوف وقد وصف لي من حكى لي هذا الخبر وهو من (ايت علي) أنه كان يحمل عليهم . فاذا به قد أصيب برصاصة . فمال عن السرج حتى وصل الارض. ثم تجارى العلويون الى الفرس. فتحامل حتى اتصل بعنقها . وأراد أن يركبها ليفر، فرماها رجل من العلويين أيضا برصاصة. فأقعت الفرس على رجليها الخلفيتين ثم سقطت . فتجارى اليه الموسويون اخوته فمنعوه ، ثم لم ينشب بعد يومين ان مات ، وذلك نحو 1300 هـ . ثم تولى أخوه أحمد . فكان هو واخوه الحسن رجلي طعان وراي . ثم تفاقم احمد هذا مع (ايت بوهيا) حول رياسة (ايت موسى) فكل يريد أن لا يعلى كعبه . ولا يستانف رأيه . فكان ذلك هو سبب الافتراق (ايت موسى) فيما بينهم.فكان)(ايت بوهيا) يستميلون اليهم (ايت علي) ورأس (ايت بوهيا) هؤلاء يسمى حمو . فكان هؤلاء يغلبون أحمد أوبخيس بذلك . فمات حمو قبل 1314 هـ . فكان هذا هو سبب اتصال أحمد أوبخيس بالقائد سعيد المجاطي ، حين كان هذا ينظر اليه

بين قبيلته وغالب اخوته (ايت على) بالنظر الشزر . والآخر كذلك مغلوب من قومه (ايت موسى) باستفحال (ايت بوهيا) والاغراض تجعل عدو العدو صديقا طبعا . ثم اطلت سنة 1314 هـ . فاهتزت سوس بصدى الكلوليين الذين يتحدث بأنهم نازلون بجيوش عظيمة الى سوس . فكان القائد سعيد وأحمد أوبخيس يتطلعان الى مجيئها ليستولى كل واحد منهما على اخوته .
فكانت حركة من مجاط الى جهة أزاغار مع سيدى محمد بن الحسين بن هاشم ولكن القائد سعيد وأحمد أوبخيس يمنعان من اليهما من الذهاب مع الذاهبين ثم انهزمت مجاط من (تامكرت ايخسان) وكان القائد سعيد وأحمد اوبخيس معروفين عند الحاج أحمد الكلولى .فجعل أحمد أوبخيس رئيسا رسميا على اخوته (ايت موسى) تحت قيادة القائد سعيد ، ولكن (ايت موسى) توجست خيفة منه . فظهر منها تمرد وعدم انقياد ، فكان ذلك سبب حمله الحاج أحمد الكلولى عليهم ، حتى اناخ على حصن (تيكيدا) فحاربوه ولكنهم غلبوا بعد ثلاث . فهربوا من الحصن . وقد حشروا فيه كل من ملكوه . فذهب كل ذلك شذر مذر . ثم بقي الحاج أحمد هناك نحو 20 يوما . ثم القى القبض على الحسن وعبد الله من (ايت بوهيا) والمهدى من (ايت على) وولده ، وعلى بن حمو ، ومحمد بن كروم ، وابنوكاض محمد بن مبارك بن ابراهيم ، فسلسلهم ووجههم الى (تزنيت) حيث هلكوا كلهم . فخلا الجو لاحمد أوبخيس يقبل ويدبر بلا معارض . ثم انه بعد ذلك رجع الى أناس آخرين فقتلهم غدرا . وهم أحمد من (ايت بوهيا) وأخ له يسمى الحسين ومحمد من (ادبنوهرو) من أبناء أعمام (ايت بوهيا) قتلهم وهدم ديارهم حتى ليس فيها أنيس الا اليعافير والا العيس.ان كانت اليعافير والعيس هناك هكذا طحن (ايت موسى) وعركهم عرك من لا يشفق ولا يرحم ، ولا ينظر في العواقب . فصار يبني داره الموجودة الى الآن في مخرم ما بين الجبلين حيث الطريق الى (تانكرت) ، فقد بنتها له قبيلة (ايت موسى) في أواخر 1316 هـ . وأوائل التي بعدها . هكذا صفت له حكومته فيما يزعم ، ولكن سرعان ما انقشع سحاب الكلوليين . فثارت الثورات من كل جهة على القواد وأعوانهم من الناس بدورهم . فقام الثائرون يهدمون ديارهم أو يحاصرونهم فيها ، حتى يستنزلوهم بالايدي صاغرين . فقام المجاطيون الى القائد سعيد وأحمد أوبخيس هذا ، والقائد مبارك البنيرانى ، فحاصروا منازلهم ، وقد انحاش الى كل واحد من هؤلاء الثلاثة أصحابه وأعوانه . فبقوا كذلك والقبائل التولتيتية قد امدت مجاط برجال لاعداد لهم . والشيخ أحمد الامازرى بلغ مقامه عند هؤلاء الثائرين مبلغا لا يعلى عليه . ثم لما افرج عن هؤلاء المحاصرين جيش الحكومة الذى قاده القائد أنفلوس الذى نزل أواخر سنة 1318 هـ . رجعوا الى ما كانوا عليه. فرجع أحمد أوبخيس الى قبيلته بكل

ما اراده منها . ثم ان القائد سعيدا الذى كان اعانه امس خاف منه اليوم ، فاعد له سما في طعام بعد ما جربه القائد في عبد له ارداه في الحين فيما يقول الناس . ثم ما طعم احمد اوبخيس من ذلك الطعام في دار القائد بـ(تاكنجكالت) حتى سقط . قال لى الحاكي : وكنت ذلك النهار حاضرا امام دار القائد ، فرايته محمولا على بغلته الى داره . ثم لم يلبث الا يوما او يومين حتى كان من المرموسين . هذه حياة هذا الرجل وقد صدق فيه المقال المشهور من اعان ظالما سلط عليه . ثم ان اخاه الحسن وكان بهمة من البهم قد لبس للقائد سعيد جلدة الاسد . وانقطع في داره الى أن وصل وقت الحصاد . فطلع من دارهم بتلك الشعبة الى دار صهره بوهوش بن حمو بن ابراهيم . فكان خبره عند القائد . فارسل اليه من حاصره حيث هو ، فمر بهم الشيخ الالغى ، فطلب منهم أن لا يحدثوا شيئا حتى يرى القائد . لعله يتركه ، ولكنه ما غاب عنهم حتى ثلاثوه الحرب ، فرجع الشيخ فوجدهم قد قضى الامر فوقعوا فيما اراد أن يكفهم عنه حقنا للدماء . فتولى عنهم وتركهم فيما هم فيه يعمهون . ثم في وسط الليل خرج الحسن أوبخيس هاربا الى داره حيث بقى مع أعوان له ما شاء الله ، حتى خرج منها مرة أخرى لغرض ، فصادفه أعوان القائد فقتلوه. وهكذا جندل كل افراد هذه الاسرة الاباة كما قال الشاعر :

وانا لقوم لا نرى القتل سبة اذا ما راته عامر وسلول

ثم أن على بن احمد هذا الذى هو اليوم الرئيس الرسمى لقبيلة (ايتموسى) منذ احتلال الحكومة هذه الجبال . قد تركه أبوه صغيرا . ثم لما شب صار ايضا يسلك غير طريق قبيلته . لما كان بينهم مما ذكرنا . ولكن لم يكن له كبير امر ، حتى اتصل بالقائد المدنى . فصار هذا يصله ويقوى جناحه بالعطايا . وأعطى له ولاخيه سلاحا جديدا من آخر طراز . فصار امره يظهر ثانيا حتى تقوى أمر القائد المدنى بعد 1335 هـ . فاتخذ (افران) الى (تانكرت) منطقة نفوذه.فاحتاج الى أعوان من (مجاط) ليكونوا له في (افران) خير نصير، فوجد من صاحبه على بن احمد أوبخيس طلبته . فاتخذ له من بين (ايت موسى) شيعة تقول بقوله . وتؤمن برايه . حتى لما انتشبت الحرب المشهورة بين القائد المدنى والقائد مبارك ، وكان المجاطيون من شيعة الاخير. كان فريق كبير من (ايت موسى) تحت راية على أوبخيس ممن انضووا الى القائد المدنى . وهكذا استرجع مكانة آبائه . وعلا له شأن ، وانتشرت له شهرة رشحته لهذه الرياسة التى نالها اليوم من الحكومة . وهو اليوم 1357 هـ.ابن نيف واربعين سنة.ولا يزال الكرم المشهور به آباؤه محلقا على دارهم هذه الى الآن . فيما يحكيه الناس (ولا يزال على حيا 1380 هـ .) .

الحاج الحسن ازكوك المجاطي

نحو 1225 هـ 1295 هـ

اذا كان العلماء المصلحون والقواد الفاتحون والباحثون المكتشفون،والنقابون المدققون ، يدرون وراءهم دويا كأنما تداول سمعك أناملك العشر - فان هناك أيضا فتاكا مغاوير خلفوا وراءهم صدى لا يزال يتردد في الاجواء ما دام في الوجود صماخ يسمع احاديثهم الغريبة ، وينصت لمايقتحمونه من المهالك، ثم ينقشع الغبار فاذا هم ناجون، فمن السليك بن السلكة والشنفرى وعنترة غير فتاك لا يبالون أوقع عليهم الحمام أم وقعوا عليه ، فغادروا بعدهم ما غادروه من الانباء التي تتغلغل في العجب . كانت (ايت علي) في القرن الماضي (وايت ،وسي) وهما فخذان كبيرتان من قبيلة (مجاط) في تناطح وتطاحن دائما ، والحرب بينهم سجال ، فمن غلب منهما صاحبه فان يده تجول في (افران) و (ايت وفقا) و (ايت حربيل) التي هي كما قيل في مصر من قديم هي لمن غلب ، وكان أزكوك هذا صقرا من الصقور،شجاعة وقوة ، فكان ربما يبيت عندهم جيش فيضيفهم هو بكل أنواع الضيافة ، حتى اذا ناموا طار الى (ايليغ) في (تازاروالت) فيقطع تلك الجبال ليلا ، عدوا ثم يصبح ايضا بين الاضياف فكأنه نائم معهم ، مع أنه ابرم ونقض مع ءال (ايليغ) ما يريد ، وكان مع ذلك فتاكا لا يبالي بازهاق الارواح ، ولا بهتك الحرم ، هكذا أمضى عمره ، ولا يجول مع أحد الا تبعا . حتى أن امغار محمدا لم يعل مقامه بين اهله الا بعد ما هرم هذا وأعيا . وأما قبل ذلك الحين ، فانما كان يسايره . فدام على ذلك طوال شبابه ، ثم لما انحنت صعدته ، وجفت نطفته ، بدا امره في النقصان ، ثم صارت ذات يده تغيض شيئا فشيئا ، حتى ذبلت ، ثم كان حينه على أيدي (ا داو'سلام) لدماء كانت بينهم وبين المجاطيين يوم اجلاهم هؤلاء عن أوطانهم (تاغُونِي) تحت (اساكا) بـ(افران) فقام السلاميون وهم أباة لا ينامون عن ثار . فصاروا ياتون على كل من قدروا عليه من خصومهم المجاطيين فكان صاحب الترجمة من الهالكين على أيديهم ، جاء من (تامانارت) فمر بـ (تانوت محمد بنيزريكن) حوالي (اداي) . فلم يرمن اختباوا لهحتى أطلقوا فيه الرصاص فجندلوه ، وهكذا سقط الغضنفر بعد ان صال زمنا ، وقد خلف ولدا له صغيرا يسمى سعيدا حوله الله من دم ابيه الى دم هادئي ساكن.لا يعرف الا الاشتغال بشأنه ، ومراقبه ربه : فسبحان الله الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى . ويخرج الحمل الوديع من الغضنفر الهائج ، ولا تزال الاغاني الشلحية من مجاط وما اليها تلهج بذكرى الحسن أزكوك الى الآن،وله اخبار كثيرة لم نر داعيا لتتبعها ، ويكفي من القلادة ما احاط بالعنق . وفي كتاب (منية المتطلعين) ترجمة سعيد ولده . لانه من المنقطعين في الزاوية الالغية

القائد الحاج احمد التامانارتي

1244 هـ - 22 - 7 - 1336 هـ

نسبه

أحمد بن حمو بن عبد الرحمن بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن منصور بن محمد .

قد اشتهر ان هذه الاسرة شريفة النسب من الكثيريين المنتشرين في سوس ، وقد تكلمنا على الكثيريين غير ما مرة في بعض التراجم المقدمة في الكتاب . ووجد مكتوبا كما قال ثقة - ولم أره أنا - أن جد هذه الاسرة الكثيريه كان من جالية الاندلس ، خرج نحو القرن السابع ، لما احتلت أواسط الاندلس كقرطبة وغيرها ، فتوجه الى سوس ، كما توجه الى سوس من تلك الجاليات آل يزيد والاغرابُويِّيُون ، وأبناء أبي بكر القاضي ابن العربي المعافري. يقول هؤلاء الكثيريون السوسيون انهم سكنوا أولا في (تاعازا) ازاء (تيينشبكتنو) ، وبعد حين دخلوا مع عربان اولاد دليم والسباعيين وتكنة الى صحراء سوس ، ثم تخللوا عمران الجبال . فخالط منهم من خالط بنباء الديار ، وتأثيل الاملاك ، وان كنت انا أستبعد أن ينتقلوا الى بادية الصحراء من حاضرة الاندلس ، وانما أريد أن اسوق كل ما يقال ، على أن الكثيريين لا يزالون في فاس الى الآن . ومن بينهم هذه الاسرة التي القت في سوس رحلها في (تامانارت) وقد ذكر الفقيه سيدي محمد الكثيري الذي مات قريبا أن اصل أهله الكثيريين الجبليين كان من (تامانارت) ولا تزال عند بعضهم رسوم املاكهم القديمة - وقد تقدم في ترجمة هذا الفقيه ما يتعلق بنسبه في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) .

رياستهم

ان اشتهر كثيرون من الكثيريين بالعلم في (جزولة) فان هذه الاسرة مع اسر اخرى كثيرية كاسرة آل القائد محمد بن ابراهيم التيييوتي ، اشتهرت بالرياسة الدائمة . وقد عرفنا عن التامانارتيين أنهم اتصفوا بالرياسة من أوائل القرن العاشر . منذ انبثقت الدولة السعدية ، ولا ندري الهم اتصال بالرياسة قبل.الا ان أخبار أوائل هذه الاسرة وأنباء رياستها.

من السعديين ، قد فقدناها ، لعدم اعتناء الناس بكتابة التاريخ ، وان كانت رياستهم في القرن العاشر في الايام السعدية محققة، وانما فقدت آثارها لما أصاب الاسرة على يد محمد العالم العلوى حين خرب (تامانارت) كما سياتي قريبا. فقد احرق كل الرسوم وآتى على جميع ما في دارهم . مما عسى أن يستمد منه التاريخ . ويذكر ان في قرية (اِكِيوَاز) مخطوطا عند آل القاضي سيدى احمد بن ابراهيم حفيد الشيخ سيدى مَحمد بن ابراهيم ، يتضمن وصية للشيخ هذا بأحد افراد هذه الاسرة الرئيسية . وقد سماه هناك قائلا: انه آواني فأحسن نزلي . وقام بواجبي مع كل ا يالته . أوصى أولاده ان يَعرِفوا لاولاده ذلك . لما لاولاد الشيخ عند السعديين من الشفوف ، فانت ترى ما في هذه الوصية . فان ذلك يدل على ان الرياسة اقدم في هذه الاسرة من اوائل السعديين ضرورة ان السعديين ما ثبتت قدمهم في الرياسة في سوس على الاقل، الا في العقد الثالث من القرن العاشر ، والشيخ سيدى مَحمد بن ابراهيم الذى كان نزل في (تامانارت) قبل 930 هـ بسنوات احد من اخذ بأعضادهم . وقام بنصرهم ، فدل هذا ـ ان صح كله ـ على قدم الرياسة في هذه الاسرة قبل السعديين . ولنتتبع رؤساءهم على حسب ما عندنا من أسماء رجالهم، وما وقع لكل واحد منهم معتمدين على ما عند الاسرة التي اكتب هذا وسط دارهم . معولا على احد فقهائهم سيدى عابد بن عبد الرحمن من نسبهم وغيره من المسنين في الاسرة ، فاكتب كل ما يملى على ، كما اسوق الوثائق والظهائر التي تكدست حولي الآن ، واضعا كل ظهير او مكتوب في محله .

١ ـ الشيخ محمد ـ فتحا ـ

هذا هو الموجود في نهاية السلسلة المتقدمة ، وقد ظهر انه يكون حوالي آخر القرن العاشر ، ولا ندرى من أخباره شيئا .

٢ ـ منصور بن محمد

يذكر بثروة هائلة ، حتى انه ليملك ثلاثمائة من الرقيق على ما اشتهر وهو أحد الرؤساء بلا ريب . ولعله يدرك أواخر السلطان احمد المنصور الذهبي السعدى برياسته التي يظهر انها امتدت كثيرا في أيام الدويلة الايليغية، وسنرى أن هذه الاسرة من عمد دولة الامير على بن محمد بودميعة .

٣ ـ عبد الله بن منصور

ولد من قبله وهو بلا ريب يكون في دولة بودميعة .
فيقال انه كان قائدا كبيرا . ولم يؤثر عنه ما يكتب الا هذا الكتاب الصغير

الذى وجدته بين الاوراق الرسمية للاسرة.فاحسب انه له من احد العلويين او ممن قبلهم . وذلك بعد تولى أخيه محمد الآتى .

ونـصـه :

« الى عبد الله التامانارتي وابراهيم بن عبد الله ، سلام الله عليكم مع الرحمة والبركة ، وبعد فاذا وصلكم كتابى فاقدموا الى عندى بالعزم بامان الله عليكم ، وان قعدتم فلا تلوموا الا أنفسكم ، ونشتت شملكم والسلام » .

هكذا الرسالة بلا تاريخ ، والله أعلم .

٤ ـ القائد محمد ـ فتحا ـ بن عبد الله

والد من قبله . هو اول رجل عظيم وجد بعض ما يدل على مكانته العظيمة، فقد امكن ان يعرف من ثنايا ما وجد من مخطوطات نسوقها ، ببعض ما يتعلق به .

ذكروا ان القائد محمدا ـ فتحا ـ كان من اركان الدولة الايليغية ، واحد الناشئة اذ ذاك ، كالمولى الرشيد ، والمولى اسماعيل ، ثم انه بعد الآتي ـ وقد قوادها الكبار ، فكان ذلك بلا ريب مما تقلدى عنه عيون ملوك الدولة العلوية دخا الناس من سوس في ايالة المولى اسمعيل ، وتمكنت ولاته في النواحي ـ راى ان يجبر الصدع ، فيدخل في الجماعة . فيكون داخلا فى ايالة السلطان او فى ايام احمد بن محرز . ثم يراجع السلطان . ويتعهده بالهدايا ، وفى مرة عول على مثل ذلك ، فاستدعى قاضى حضرته ، وهو القاضي الذي كان جد آل (ايكيوتاز) شعبة من ابناء الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي الشهير . وقد كانوا اشتهروا بالقضاء من قبل ذلك الحين ، فامره ان يتهيا للسفر الى مكناس حاضرة السلطان ، فكتب رسائل عن فم القائد، وهيا له القائد هدية كثيرة من الذهب . ويقولون انه ملء جلد عنق جمل ، فلما ودعه القائد ليلا على ان يبكر على المسير . بيت هو واهله ما بيتوا ، فقد أحرقوا الرسائل المكتوبة عن فم القائد.فكتبوا هم من عند أنفسهم شكوى يتشكون الى السلطان من ضيم القائد محمد . وما يلاقيه منه ضعفة الناس . خصوصا ابناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ.وانه لايحب الدولة العلوية(1)، وقد جعلوا تلك الهدية هديتهم أنفسهم.وبذلك احتالوا ومكروا مكرا كبارا، لمنافسة الرياسة . ولمكان المجاورة التى لا يرضى فيها بعض ببعض . فحين اوقعوا بالقائد الذى هو من أسرة بينهم وبينها عداوة من قديم .

(1) هذه حكاية هؤلاء . وأما حكاية أبناء الشيخ فتخالفها . وقد تقدمت فى تراجم آل الشيخ فى (الفصل الثانى) من (القسم الثالث) فى (الجزء السابع) .

تغير خاطر السلطان بسبب ذلك على القائد فاوعز الى ولده محمد ـ فتحا ـ العالم خليفته على سوس أن يزحف الى (تامانارت) ليلقى القبض على القائد . فقضى الامر ـ فحاصر محمد العالم (تامانارت) شهورا ، يقول بعضهم انها ستة ، وبعضهم تسعة . حتى اقتحم على المدافعين حصنهم ، فاعتقل القائد ، وساق محمد العالم كل ما وجده على دار القائد من العبيد والاثاث ، حتى الرسوم يذكرون ان الذى احرق منها اذ ذاك مقدار حمل جمل . ويقولون ان ذلك في مخطوط عندهم لم أره فيما رأيت ، وانما الذى رأيته هو هذا ـ وقد كتب فى أيام الشيخ ابراهيم الآتى ، ونصه :

يعرف شهوده أتم المعرفة وأكملها . ويشهدون انهم عرفوا وحققوا القائد محمد بن عبد الله التامانارتي ، حين حصره مولانا محمد ابن مولانا اسماعيل نصره االله ، حتى قبضوه وربطوه في الحديد ، وطلعوا ـ يعني واطلعوه ـ لمدينة مكناس عند ابيه مع جميع متعلقاته ـ وفي الاصل مع تعلقه ـ ولم يرفدوا في دارهم ـ يعني لم يحمل من دارهم ـ قليلا ولا كثيرا . ودخل حصنه وأكل جميع امواله ، وحرقوا فيه وثائقه ـ أى رسومه وغصبوهم، وجعل الخليفة في حصنه،حتى مات مولانا محمد.وخربت حربيلة حصنه الخ) ثم ساق اسماء الشهود . ثم ارخ الرسوم بتاريخ سقط المقصود منه .

ويقول هؤلاء اليوم ان أهل الحصن بعد أن خربه الحربيليون تفرقوا شذر مذر . فمنهم من ذهب الى قرية (أضارنومان) براس الوادي ازاء تيثيونت، ومنهم من ذهب الى (تارودانت) او (حاحة) ، ويقولون ان السكان اذ ذاك كانوا كثيرين جدا في الحصن وما حواليه ، وانهم اثنتا عشر فخذا ، ثم انهم لم يرجعوا بعد . ولذلك قل البيض الى الآن في سكان (أكرض) على حين ان السود كثيرون

وبعد جلاء هؤلاء تولى المرابطون أبناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ (تامانارت) باعانة الحربيليين ، وكان هؤلاء اذ ذاك أقوياء كثيرين . لما تفل شباتهم ، وتبرد نارهم . فاستولوا على أملاك القائد محمد واهله . وقد رأيت استرعاءات كثيرة يسترعي بها أبناء القائد محمد على من عمروا أملاك أبيهم القائد . بعد ما حصلوا في رسوم أخرى على شهادات كثيرة بتعيين كل الاموال التى كانت تحت يده الى وقت الجلاء . ويذكر ان هناك رسما فيها شهادة كثيرين من الحربيليين بانهم يتحققون ان أملاك القائد اغتصبها الناس بعد جلائه، فعمروها ظلما . وأعلنوا انه مصدق في كل ما يدعى أنه له .

ثم ان القائد سيق معتقلا الى سجن مكناس ، فالقى فى السلاسل والاغلال.

ويقولون ، ان السجانين يفجاونه فيجدونه قائما يتنفل ، وقد تملص من قيوده . وقع ذلك منه مرارا . فانهوا أمره الى السلطان ، فاستدعاه فساله عمن يحل وثاقه . فقال انه يقف عليّ النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتي ـ جد خصومه ـ فيحلان سلاسلي واغلالي ،

ثم استفسره عن قضيته التي سجن بسببها . فادلى اليه بالحقيقة ، وانه مظلوم بايدى أبناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ . فحينذاك اطلقه السلطان من السجن ، وامره بالرجوع ، فتضرع اليه القائد ان يسامحه في الرجوع ، فانه وجد الامن في مكناس والراحة.فاحب أن يمضى باقي عمره في العافية. وهو اذ ذاك شيخ كبير . وحينئذ ارسل السلطان أولاده كما سياتي،وسياتي ما يدل على أن السلطان راى أن محمدا العالم انما ظلم هذا القائد . ولذلك اطلقه بعد صفر سنة 1118 هـ . حين قتل محمد العالم ، ثم ان القائد بقي هناك حتى مات في وقت لم يعين ، وسياتي ما يدل على ان وفاته كانت قرب 1130 هـ .

اما ما عندنا مما يتعلق به من الوثائق فاننا نسوقه قريبا . لان ذلك يتعلق باولاده اكثر مما يتعلق به .

ومما يتعلق به انه كان مليا كثير الاملاك ، معنيا بالحرث ، ويقولون انه كان اذ ذاك في (تامانارت) اثنتان وسبعون عينا ، فكان يسوق مياهها في ساقية كبيرة لا تزال آثارها باقيةالى الآن . حتى يصل بها المكان المسمى الى الآن (القصبات) وهما قصبتان متجاورتان ، فيزرع هناك ما يريد من الحبوب . وهذا ما يدل على كثرة العيون حينئذ . واما الآن فقد غار غالبها ، وان كانت آثارها لا تزال بادية للعيان . والقصبتان المذكورتان يقولون انهما من بناء الامير على بودميعة سلطان (ايليغ) (1022 هـ — 1049 هـ) .

ومما يتعلق ايضا بالقائد محمد عند القاء القبض عليه ان فقيها يسمى داود ابن احمد وهو المدفون امام باب الجامع الكبير في هذه القرية ، كان اذ ذاك مشارطا في جامع (اكرض) وهو اجنبى عن البلدة ، وشريف النسب كما ذكره انه قاله الشيخ ابو على التيمكيدشتي ، وحين آن وقت ان يلقى القائد بد الاستسلام خرج القائد من داره،وخنجره في يده . يشير به الى كل من مد اليه يده من اصحابه الذين يحاولون ان يمنعوه من الذهاب الى المحاصرين . فيجرى وهو يقول انا في طاعة الله ورسوله ، وفي طاعة السلطان . فلم يزل يمشي قدما ، وهو يعلن بذلك حتى تجاوز القنطرة الصغيرة المبنية على مسيل عين (تيملت) فاذ ذاك استفاق من شبه شيء استولى على عقله ، حتى اندفع الى ايدى المحاصرين ، فوقف فالقي عليه القبض حينئذ . ويقولون ان ذلك الفقيه هو الذى سحره حتى صنع ذلك،وهذا ما يقولون،والعهدة عليهم. والمحل الذى أرسيت فيه المدافع من المحاصرين للقائد اذ ذاك لا يزال معلوما عندهم الى الآن . كما علم محل فسطاط محمد العالم .ياثرونه أبا عن جد .

ويقولون انه كانت عند القائد زوج لها بنات منه ، فبمجرد ما استسلم القائد ألبست بناته ثياب الحداد المعهودة عندهم ، وهو الابيض من الكتان ،ولم تزل بناته على ذلك الى أن نقلن الى (تارودانت)،ويقولون ان احداهن تزوجت الى

رؤساء (أمازّر) ببعقيلة . وتلك الزوج تسمى هما – فاطمة – بنت احمد وكان ابوها احمد من الرؤساء الكبار ، وهو من شرفاء (آبَيْنُو) ببعمرانة. وقد قالوا انها وكل عيال القائد طلب الرؤساء الجزوليون من محمد العالم ان يطلق الجميع بعد ما استولى على القائد وعلى امواله ، فاسعفهم . فرجع الجميع الى (تنونين) في (الغ) عند المانوزيين .

أقول : لفت بصري الاحداد باللون الابيض مع انه ليس من عادة اهل هذه البلاد ، وقد أخبرني التامانارتيون هؤلاء أنهم كانـوا مختصين بهذه العـادة اولا . الا أنها الآن عمت كل هذه الجهة ، فالنساء المحدات يلبسن البيـاض – ومعلوم أن الاحداد بالبياض عادة اندلسية .

٥ – القائد ابراهيم

هو ابن القائد محمد المذكور قبله،وقد كان للقائد اولاد منهم عبد الرحمن وهو كبير ذهب مع ابيه الى مكناس ، وبقي معه هناك . وسترى قريبا اذنامن المولى اسماعيل له في زيارة له لبلده (تامانارت) والولد الثاني ابراهيم الذى نذكره هنا والثالث منصور ، وهو مع أخيه ابراهيم .

قالوا ان ابراهيم كان صغيرا في حضن أمه ، حين جلوا عن بلدهم . حوالى 1110 هـ . وحين تشفع في العيال الجزوليون – كما تقدم – رجعوا الى قبيلة (امانوز) فبنوا لهم دارا في قرية (تونين) فمكثوا هناك حتى شب ابراهيم قالوا : وكان حين ادرك يختلف الى مرابط من مرابطى (الغ) فيطلب منهم الدعاء بالرجوع ، فبشره بذلك بن اربعين،يعني اربعين رجلا . فكان نصره اولا بهذا العدد ، والموجود اذ ذاك هو أحد احفاد الشيخ عبد الله بن سعيد الذين انتقلوا من (ايمور) وقد أتوا بأولادهم الى (الغ) وقد كان الحربيليون الذين هدموا دارهم بـ(تامانارت) قد عمروا البلدة مع المرابطين ابناء الشيخ فلما بلغ ابراهيم ، وعرف كيف يحمل سلاحه ، وكان شابا لبقا احوذيا ، سروا ليلا حتى وصلوا وادى (تامانارت) في الهاجرة ، وكان ذلك في شهر غشت من سنة لم تعين ، في أيام موسم سيدى احمد بن موسى ، وبينما الناس في القيلولة ، اذا بابراهيم وأصحابه تقلدوا بنادقهم بحبال . فهجموا من جهة شجرة خروبة لا تزال الى الآن موجـودة ، فادال الله لهـم على خصومهـم ، فاستولوا حينا على البلدة . فاجفـل من بها الى الفـرار ، ومن بينهم ابنـاء القاضى الذى كاد ذلك الكيد الكبار – فقد رحلوا الى قرية (ايكيوان) وتخلف غيرهم من أبناء الشيخ،وقد فتك القائد ابراهيم بسبعة منهم كلهم طلبة ، وفيهم عالم كبير يسمى محمدا ، وكان قاضيا (1) ، ويقولون انه هو بعينـه

(1) يقول أبناء الشيخ ان قضية الفتك بالقاضي سبقت قضية القائد محمد وانما كانت هذه القضية جوابا عن تلك وربما تعدد ذلك فكانتا قضيتين .

الكائد للقائد محمد ، ومن بين المقتولين مؤذن المسجد . أدركوه فى الصومعة فاردوه لانه أعلن بعد الاذان بشعر شلحي يعلم فيه زوج القاضي بقتله ، وهذا الشعر متداول في الافواه ، وقد كان من بين من جلوا اذ ذاك الفقيه سعيد الكثيرى ، فذهب الى (افران) وله شهرة فى افران الى الآن . وهو من ابناء اعمام القائد محمد ، وهو سعيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ابن عبد الله . وكان السبب الكبير فى تنشيط ابراهيم منذ عقل ان اباه كان يسرب اليه المال حين يجد متملصا من سجنه ، ويذكر انه كان ربما ارسل اليه كرة اللعب مملوءة ذهبا بين متاع كثير ، يرسله اليه على يد التجار . فتتصل به أم ابراهيم فاطمة بنت احمسوكانت من لبيبات النساء فتستخرج الذهب فتؤثل به الاملاك لابنها ابراهيم ، ومن بين ذلك ارض فلاحة في (تزنزيت) في (السغ) الشرقى لا تزال معروفة لهم الى الآن .

وبهذا المال الذي يواصل القائد محمد ارساله تمكن القائد ابراهيم فى المانوزيين ، حتى تهيا له ما تهيا من الرجوع ، وقد سلك القائد ابراهيم مسلك الساسة في تقوية اجنحته ، واعداد العدد ، فيصاهر باخواته ذوى البيوتات . كالامازيين الذين كانوا رؤساء بعقيلة ، وكالحسونيين التزنيتيين . وقد كانت احدى اخواته ايضا عند اهل سيدى أحمد بن يحيا ، من أبناء سيدى محمد بن ابراهيم ، كما كانت اخرى عند الشيخ مسعود جد الفقيه الحاج عبد الله الذى توفى اخيرا بتامانارت 1360 هـ . مرت ترجمته في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) .

ثم لما تمكن القائد ابراهيم من (تامانارت) وقف معه المانوزيون والايسيون فيرسل اليه كل فريق منهم 50 رجلا . فالجميع 100 نصفهم لبناء الدار ، ونصفهم للحراسة ، وياتون بزادهم من عند اهاليهم ، بقوا على ذلك سنة تامة ، ثم أنه صار يتتبع جميع أملاكه من تحت الايدى المستولية عليها ، وقد رأيت له ما يدل على كل ذلك كما تقدمت الاشارة اليه . كل هذا يزاوله بيده ، ويد السلطان مولاى اسمعيل وان كانت مبسوطة فى كل نواحي المغرب ، قصيرة في هذه الجهات . كما هى العادة دائما فى هذه الجبال . فكلما زحف جيش قاهر يحنون الرؤوس ، ويسلسون القيادة ، ومتى جزت المدة او شغل السلطان أو جيشه هذا بشاغل ما ، فسرعان ما ينتثرون من عقد الطاعة ، فيتراجعون الى ديدنهم ، فترجع القبائل لما يعهد منها ، ويجب ان لا يستثنى المؤرخ من هذه الكلية حتى ايام المولى اسمعيل من هذا الحكم المسمط ، فقد وقفنا على ما يدل على هذا دلالة واضحة لا شك فيها (I) . ولهذا لم ينتفع

(I) عندنا رسائل من محمد العالم الى أحد الجزوليين حوالى III2 هـ . عديدة صرحت بذلك ، وقد نشرناها فى كتاب (ايليغ قديما وحديثا) ولا يزال فى مسودته ، يسر الله تخريجه وطبعه بفضله وكرمه .

أولاد القائد محمد بكل التوصيات الرسمية الآتية الا بمقدار عند الرؤساء الرسميين في مركز الحكومة بـ(تارودانت) وأما ما سوى ذلك ، فقد اتكلوا فيه على سواعدهم التى رجعت بهم الى دارهم فاستقروا . ولا يغترر القارىء بكل ما نسوقه من الظهائر فيخال أن الحكومة تأخذ دائما في كل مكان من هذه الجبال بأزمة الحكم . فان ذلك لا يكون الا فينة بعد فينة على حسب ما حررناه في الموضوع .

وهاك ما وجدناه متعلقا بالمقام :

1 - « انعمنا على خدامنا أهل (تامانارت) اخوان خديمنا القائد محمد التامانارتي كافة احرارهم وحراطينهم بالرجوع لبلادهم وأصولهم واراضيهم وجناتهم المعروفة لهم . وأمرناهم بالارتجاع ، والسكنى ببلدهم (أكرض) كما كانوا ، وأن يعمروها ، فقد رددنا عليهم جميع متاعهم وأملاكهم وديارهم واصولهم ، واسقطنا عنهم من ذلك جميع التكاليف والمطالب والتبعات ، وحررناهم منها تحريرا دائما ، محمولين فيه على كاهل المبرة والاكرام انعاما كليا . دائما بدوام الشهور والاعوام ، من غير معارض لهم ولا منازع ، رعيا لوجه أخيهم خديمنا الارضى القائد محمد التامانارتي ، فاننا اردنا أن نوجهه لبلاده قائدا كما كان . وثبطناه قدر ما يسكنون ويوطئون له موضعه.وحسب الواقف عليه العمل بمقتضاه ، والسلام . في الرابع والعشرين في الربيع الثاني عام 1118 هـ . » .

2 - « دملوكنا أحمد العلج الذى عمدتنا بمعدن (تازالاغت) سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فان كتابك الذى وجهته لخديمنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتي بلغه لنا وقرأناه . وعرفنا مضمن خطابك ، وما أنت عليه في خدمة ذلك المعدن ، جزاك الله عنا خيرا . وهذا خديمنا القائد محمد التامانارتي المذكور،كثيرا ما أخبرنا بأنك انت محتزم ، وواقف على ساق الجد والحزم في أمورنا ، وخدمتنا العلية بالله ، جزاك الله عنا خيرا أحسنت احسنت ، الله يرضى عليك ، ويزيد على عنايتك - لعل - والذى نؤكد به عليك انك تشد روحك في موضعك .واحتزم اليه ، ورد بالك من كل جانب ومكان ، ولا تغيب عنا الاخبار - كذا - تلك البلاد حيث كان . ورقاصك لا ينقطع عنا أبدا . ونؤكد له عليك ثانيا انك تتهلا في أولاد خديمنا القائد محمد التامانارتي ونستوصي بهم خيرا . وان احتاجوا الى شيء عندك فاقضى لهم . وعندك (1) أن تفرط فيهم . أو تتعامى عليهم في كل ما يحتاجون عندك.واتهلا فيهم ، ثم اتهلا فيهم . وهؤلاء اخوانه اذا وردوا عليك بهذا الكتاب الكريم نأمرك أن تتهلا فيهم . وتستوصى بهم خيرا واحسانا ، وثق بهم في كل ما يبلغه عنا اليك - كذا - من أمورنا العلية بالله ، وهذا

---

(1) كلمة يقصد بها في اللهجة الدارجة : رد بالك .

اخوهم خديمنا القائد محمد التامانارتي،ها نحن ان شاء الله نبعثه في اثرهم لبلاده ، ليبني داره ان شاء الله، ونوليه تلك البلاد ان شاء الله تعالى بحوله وقوته ، وشد روحك ثم شد روحك في موضعك ، ورد بالك لنا ؛ والله سبحانه وتعالى يعينك على ما أنت عليه ::: والسلام . وكتب رابع من جمادى الاولى (اعله من سنة 4118 هـ) » .

انتهى على ما هو عليه من التصحيف ، وقد طبع فوقه بطابع وسط ، لم استبن منه الا انه اسماعيلي ، وهذا لا ريب فيه .

3 ـ « ولدنا الارضي مولاى عبد الملك اصلحك الله ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالمؤكد به عليك أصلحك الله واثمر غرسك ، هو أن تتهلا في حملته اولاد خديمنا القائد محمد التامانارتي ، هذا الذي جاءنا ، والذي هو بالبلاد ، وعاملهم بالخير والاحسان ، وراعهم لخدمة والدهم ، وملازمته الينا ، وطول مكثه عندنا . حتى توفي رحمه الله ، وان احتاجوك لبعض المقضيات القضيها لهم ، واستوص بهم خيرا واحسانا،فلا تسمع فيهم لقول قائل ، والله تعالى بمنه يوفقك ، ويرشدك بمنه ويمنه آمين ، والسلام . في اواسط ربيع (ثم لفظ المائة او كلمة الثاني)عام ثلاثة وعشرين ـ لعل ـ وألف (او سقطمنه عشرين وبقيت المائة) » .

صح من اصله مع ما هو عليه . وطابعه في وسطه اسمعيل ابن الشريف الحسني وفقه الله . دون ما في دائرته مما لم اتبينه جيدا.فان صح أن تاريخ هذا الظهير 1123 هـ . نعلم منه أن القائد محمدا توفي قبل 1123 هـ . وان كان يظهر فيما يلي أنه مات بعد.ولعل التاريخ الصحيح ثلاثة وثلاثون ومائة وألف.

4 ـ « كتابنا هذا اسمى الله امره ، وأدام مجده وفخره ، بيد خديمنا الانصح ومربى نعمتنا الاصلح : القائد محمد بن عبد الله التامانارتي وولده واخوانه ليعرف به بحول الله وقوته،ويمنه وبركته،اننا وقرناهم واحترمناهم وحررنا لهم بلادهم وارضهم وديارهم ، وجنتهم واملاكهم ، ومن انضاف اليهم من الاحرار والحراطين ، والمرابطين القاطنين معهم ، وكذلك أهل الذمة ، وكل من هو معهم بـ(اكرض) وكل ما لزمهم ، ووجب عليهم من الزكوات والاعشار يدفعونها لدار خديمنا القائد محمد التامانارتي ، فهم الينا ومنا اليهم ، فلا يلزمهم شيء من المغارم والتكاليف السلطانية من كل ما سيجرى على اهل (تامانارت) وغيرها من قبائل سوس . فقد صرفنا ما ينوبهم على دار خديمنا المذكور ، لا يزاحمهم فيه مزاحم ، ولا يعارضهم معارض . ونأمر ولدنا مولاى عبد الملك اصلحه الله أن يتهلا في اولاده ويحترمهم ويوقرهم ويعمل لهم بمضمون كتابنا هذا . أعزهم الله ، ولا يترك من يتعدى عليهم في شيء، ومن ظلمهم أو تعدى عليهم فليحفر جذره ـ ولا يكلفهم احد ولو بشربة ماء . والواقف عليه يعمل به والسلام في اوائل صفر الخير سنة 1127 هـ .

واعلاه طابع فيه مثل ما تقدم .

5 — « على خديمنا الشيخ ابراهيم ابن خديمنا القائد محمد التامانارتي ، سلام الله ورحمته وبركاته ، عن اليمن والعافية ، وبعد فاعلم أن والدك مع خديمنا القائد عبد الملك أماهدى اعطونا خبرك ، انك تحزمت في دارنا التي هي داركم . فذلك الظن بك ، والمعتقد فيك . بارك الله فيك وأصلحك ، والآن نامرك أن تشد روحك فيها ، فانها قضيتنا ، وكلامك معنا لا لغيرنا ، ولا تنصت لكلام أحد كائنا من كان — ولا تعترر فيأمورك . واحتزم في شغلك والله تعالى يعينك فيما انت بصدده،ولا تخرج منها آناء الليل واطراف النهار. فان تلك البلاد بلدة الغدارين (حربيل) قبحهم الله . واياك ، ان خديمنا الشيخ مبارك بن عبد الله المرابطي واخوانه ، والشيخ احمد أوبيهي المانوزي واخوانه ، والشيخ عبد العالي واخوانه الساموكني تحزموا معك ووقفوا معك وقوف الجد والاجتهاد ، في مصالحنا ، وبنيان دارنا . وأعانوك على اعدائنا (حربيل) فالله يجازيهم عنا خيرا . ويعمرهم ولا يروا منا الا ما يسرهم ويرضيهم بحول الله وقوته ، ونامرك أن لا تغيب عنا اخبار ذلك البلد . ما يزداد وما ينقص في تلك النواحي كلها . وكتبك لنا تاتينا على يد والدك ، وعلى يد عبد الملك أوماهدى ، فانهما كثيرا ما شكروك ومدحوك بثناء الخير ، فالله يكون في عونك ، ويصلح حالك آمين والسلام ، في الثامن عشر من ربيع الثاني سبعة وعشرين ومائة والف » .

وأعلاه ذلك الطابع المذكور ، وفي أواسطه بتر كما يرى .

6 — « الابر الارضى ولدنا مولاى الشريف ، أصلحه الله وخديمنا الباشا عبد الكريم بن منصور ، سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فاعلموا أن اخوان خديمنا القائد محمد التامانارتي حضروا لدينا بدارنا علية . وأتوا بما لديهم من ظهائرنا له ولاولاده ، وبلادهم وما احتوت عليه من الاملاك والاجنة والسواقي ، ، وكذلك أهل (أكرض) بوادي (تامانارت) من حراطين وأحرار وذميين وما انحاز اليهم من سكان وغيرهم ، يدفعون زكاتهم وأعشارهمومطلبهم بيده بدار القائد محمد المذكور بـ(تامانارت) وأخرجناهم من القبائل الذين هم بازاءهم ، فلا مدخل لهم فيهم . فقد انعمنا لهم بهم ، فلانه خديمنا ومعتوقنا الينا ، — يعني والينا ، ومحبوب علينا فقد عرفتم ما كان بيننا وبينه ، ونؤكد عليكما أن تتهلا فيهما . ولا تترك من يطوف باختهما ، ولا يقربهما ، وكذلك نؤكد على وصيفنا سعيد بن الخياط اتهلا فيهما . هذا قليل في حقهما عندنا ، وكل ما يحتاج اليه فاقصدوه لهما من الزرع وغيره ، ولا تتركوا من يزاحمهم ، ولا يترامى عليهم . فلان القائد محمد خديمنا ، وملازم بابنا ، وعزيز علينا . دون من كان بسوس ، فوالله الا كنا بنصروه ونستحيوا منه ، — كذا — فاياكم ثم اياكم ان يطوف أحد بساحتهم والسلام . وفي سابع

وعشرين رجب الفرد سنة ثمانية وعشرين ومائة والف ؟ وضمير التثنية لابراهيم ومنصور . كما يظهر ، واعلاه ذلك الطابع نفسه .

7 ـ كتابنا هذا اسمى الله تعالى امره ، واطلع في المعالي شمسه المنيرة وبدره : ليعلم من وقف عليه من خدامنا ووصائفنا واولادنا ، اننا حررنا خديمنا القائد محمد التامانارتي واولاده بلادهم واملاكهم،واجنتهم وسواقيهم، ابقيناهم بها ، وكذلك اهل (أكرض) بوادي (تامانارت) من حراطين واحرار وذميين ، ومن انحاز اليهم من سكان وجيران ، يدفعون زكاتهم واعشارهم ومطلبتهم ووظائفهم لدار خديمنا القائد محمد المذكور . فلا مدخل لهم مع غيرهم من القبائل في كل شيء جليلها وحقيرها ، فقد انعمنا له بهم،فلانها دارنا ، وهم خدامنا ، وله الحق علينا . فلا ينازعه في كل منازع ـ ولا يعارضه معارض ، والواقف عليه يعمل بمضمنه ومقتضاه في سابع وعشرين من رجب الفرد سنة ثمانية وعشرين ومائة والف ؟ وفوقه طابعه المتقدم

8 ـ ولدنا الارضى مولاي الشريف، اصلحك الله ، وخديمنا الباشا عبد الكريم بن منصور ، ووصيفنا سعيد بن الخياط ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد اعلموا أن اخوان خديمنا ، ومربى نعمتنا ، القائد محمد التامانارتي وردوا على مقامنا العالي بالله بهديتهم ، وفرحنا بهم لوجه خديمنا، وحررناهم له ليتعاونوا بهم . وانعمنا عليه بقبيلته (أكرض) احرار وحراطين واهل الذمة ، وجميع ما احتوت عليه (أكرض) انعاما كليا بجميع زكاتهم واعشارهم ومغارمهم ، وجميع ما يلزمهم من الوظائف المخزنية ، والتكاليف السلطانية . قلت اوجلت ، فمنهم لخديمنا المذكور ومنه اليهم،فلا مدخل لاحد غيره فيهم ، كائنا من كان . واستوصوا خيرا بأولاده وقبيلته ، وجميع ما يحتاجون عندكم اقضوه لهم ولا بد . والسلام وكتب في الثاني من رمضان المبارك عام ثمانية وعشرين ومائة والف ؟

وفوقه ذلك الطابع

9 ـ خديمنا الحسن الحربيلي ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد اعلم أن القائد محمدا التامانارتي حين سمع ان الشيخ محمد بن كريش الاداوتبلالي هو وولد السيد محمد تاركماط كتبنا لهم على البلاد التي ذكروها لنا وغشونا فيها ، جاءنا بعد ذلك التامانارتي ، وقال لي : نصرك الله ، البلاد بلادي ، وانا اشتريتها ، وفكرني (1) في الشراء حين كنا محاصرين (تارودانت) حين كان مولاي الحران رحمه الله ، وحضرنا له للشراء ، وباذننا خلص ثمنها . ويخبرنا فيها ، فاترك له بلاده ، ولا تترك من يقربها له بوجه ولا بحال ، فانه رجل مسكين جربناه كم من مرة . فوجدناه لا ينقز على متاع الناس ، وحين كانت بلاده وفي حوزه وفي ملكه وعلى يدنا ، وهو هنا عندنا ، فاتهلا

(1) هذا يدل على أن لمولاي اسمعيل اتصالا بالقائد قبل أن تقع له الواقعة.

فيه . ولا تترك من يتجاسر عليه وعلى أولاده وأملاكه وساقيته ، وأينما كان ماءه في (تامانارت) وغيرها لا يقربه أحد فيها الا أولاده ، فانهم معاتيقنا ، واقبض له متاعه من عند من كان لا ولديه ولا غيره - كذا ولعله لا الذي بلاق ولا غيره - وكل من تعدى عليه اقطع له ظهره ، وأولاده محررون موقرون ، هم ومن معهم من أهل (اكرض) اعمل لهم انت الخير ، كما عمله لهم ولدنا مولاي الشريف ، أصلحه الله، وخديمنا الباشا عبد الكريم، وجازيناهم بخير، واتهلا فيه انت كذلك ، والسلام ، في أوئل جمادى الثانية عام تسعة وعشرين ومائة والف ؟ .

وفوقه الطابع المتقدم .

والملك المتقدم في هذا الظهير (تامزاورت) سالت عنه الاسرة . فأروني تبريحات للقائد ابراهيم عليه ، وقد بقيت في يد الحربيلين ، ولم ينصتوا لكلام السلطان . فكان ذلك أحد الشواهد على ما ذكرته آنفا من أن يد السلطان قصيرة في هذه الجهة ، وان كان في هذا الوقت (1124 - 1132) تمكن الباشا عبد الكريم في توطيد جبال سوس من جديد ، وقد مر بالغ .

ويظهر ايضا على ان العامل على وادي (تامانارت) من غير قرية (أكرض) هو الحربيلي المذكور الساكن في قرية (القصيبة) وان (أكرض) صيرها السلطان كزاوية محررة . تخدم دار القائد محمد فقط ، على ما يظهر ، وان كان ذلك انما وقع في أول الامر ، ثم رجعت الرياسة الى دارهم . كما سترى ذلك فيما سياتي :

10 - الى خديمنا الشيخ ابراهيم واخوانه اولاد القائد محمد التامانارتي .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد ورد علينا ولدنا مولاي الشريف أصلحه الله ووصيفنا سعيد بن الخياط ، وخديمنا عبد الكريم بن منصور . ذكروا لنا أنكم أحزمتم معهم ارواحكم ، ووقفتم وقوفا بالجد . وظهرت فيكم نصيحة الخدمة مع جيشنا السعيد الذي كان هنا لك . فحتى الآن نحن انعمنا عليكم من فضل الله بقبيلة أهل (اكرض) أحرارا وعبيدا ، وما احتوت عليه من ذميين وغيرهم، من أهل (تاكاديرت) وآل (تيسلكيت) وأهل (تانغزوت) وكافة (امزيبض) يدفعون لكم مكاليفهم وزكاتهم وأعشارهم الواجبة عليهم، منهم اليكم ، فلا مدخل لاحد فيما أنعمنا به عليكم ، كان من كان . فقد حررناكم ، ومن طاف بساحتكم او قربكم فلا يلوم الا نفسه ، وكتبنا به والواقف عليه يعمل بضمنه ، والسلام . وفي ثاني رجب الفذ سنة تسعة وعشرين ومائة والف ؟

وفوقه ذلك الطابع نفسه

يعلم من هذا أن هذا الجيش مع مولاي الشريف وعبد الكريم كانوا في (تامانارت) ولا يزال محل وسط قرية (اكرض) معروفا بنزول السلطان، وهل

يعنى به ولد السلطان هذا . أو كان ابن محرز . أو مولاى اسماعيل حين كان في الصحراء يطارد أعراب الصحراء ، وربما مر بتامانارت عند الرجوع او محمد العالم يوم تولى الملك ثائرا على أبيه هذا . وقد وقعت في يدى ورقة مكتوب فيها ان جيشا يضم عشرين الف فارس نزل بقرية (اِ كنلي) بـ(الغ) سنة 1124 هـ . تحت امرة القائد عبد الكريم . فهو هذا ، وقد امتد وجودذلك الجيش في سوس الى ما حوالى 1132 هـ . واياً كان فقد عرفنا بعض الاخبارعن هذا الجيش .

ثم ان الشيخ ابراهيم نراه الآن يتولى على هذه الامكنة فكان موظفا رسميا ، مستوتيا بعد ما كنا نراه كرب زاوية ،حظه أن يحترم هو واهله ، وأن تنفذ له زكوات أناس وأعشارهم .

11 ـ كتابنا هذا اعزه الله واسماه بيد الشيخ مبارك بن عبد الله المرابطي وخديمنا الشيخ محمد بن داود ازوكني ، وخديمنا الشيخ محمد بن ابراهيم. وخديمنا عبيد ، وخديمنا الشيخ عمر،وخديمنا الشيخ الحسن . يعلم الواقف عليه اننا أنعمنا عليهم بطلب اهل (تانغورت) واهل (تاكاديرت) وزكاتهم وأعشارهم ، يقبضها الاشياخ المذكورون من غير منازع لهم في ذلك . وكما اسقطنا عنهم الكلانف ، والوظائف المخزنيه . فلا يقربهم احد ، ولا يطوف بساحتهم ، ومن رام التعدى او ترامي عليهم ، فلا يلومن الا نفسه ، والواقف عليه من خدامنا وصائفنا ، يعمل بمضمنه ويبقيه بأيديهم ، والسلام وفي وسط صفر الخير سنة ثلاثين ومائة وألف .

وفوقه الطابع المتقدم

ثم ان هذا مشكل ، لان هذه القرى لم يمض على تنفيذها للشيخ ابراهيم الا سنة أو دونها ، ثم نرى هذا الظهير ينفذها لآخرين . وهذا عجب ، ولا يدرى الا الله ما وقع.فهل عوض السلطان للشيخ ابراهيم بمكان آخر ،. أو ماذا وقع ولا يحسبن متخرص أن محمد بن ابراهيم هو ابن الشيخابراهيم الذى سياتى ذكره ، لان ابراهيم ان كان لا يزال صغيرا نحو 1114 هـ . فكيف يكون لمولد يذكر مع الرؤساء سنة 1130 هـ . وزد على ذلك أن أباه لا يزال حيا . اللهم الا اذا أدى ما نفذه السلطان الى ما لا تحمد عقباه ، فاختار ان يتالف بخراج هذه القرى هؤلاء الرؤساء وبقى (آل مربيض) في يد الشيخ ابراهيم . وكيفما كان الحال فالامر مشكل . ولهذا سقنا هذا الظهير هنا . وان لم يتصل بالشيخ ابراهيم .

12 ـ كتابنا هذا اسماه الله تعالى واعز أمره . وأطلع في المعالى شمسهالمنيرة وبدره . يستقر بيد أولاد خديمنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتى ، وقد انعمنا عليهم ببلادهم وقبيلتهم اهل (اكرض) جملة ، وما احتوت عليه من الحراطين والمرابطين واهل الذمة ـ يقبضون منهم الواجب عليهم ، منهم اليهم،

واسقطنا عنهم الكلائف بالكلية ، والوظائف المخزنية لانهم اعتقاؤنا ،ووالدهم ملازم بابنا . فقد فوضنا لهم يقبضون منهم مطلبهم وزكاتهم وأعشارهم يستعينون بها على أنفسهم فمن قربهم أو طاف بساحتهم ، أو رامَ التعدى عليهم فلا يلومن الا نفسه . كائنا من كان ، ونؤكد على الواقف عليه من خدامنا وولدنا عبد الملك أصلحه الله أن يتهلا فيهما ، ويستوصى بهما خيرا ، ويبقيهما على ما انعمنا عليهما به . فلا يخرقن عليهما عادة سوى ما ذكرنا كما فعل معهم ولدنا الشريف أصلحه الله ، وخديمنا عبد الكريم بن منصور ، ووصيفنا سعيد بن الخياط فقد احسنوا اليهما . وسرنا احسانهم اليهما ، فلأنهم اعتقاؤنا ، ووالدهم خديم نصيح فى جانبنا ، فلا نحب أن نسمع فى جانبهما الا خيرا ، والواقف عليه يعمل بمضمنه ويبقيه بايديهم ، والسلام . فى أوائل ربيع النبوى المعظم سنة ثلاثين ومائة وألف ؟

وفوقه الطابع المذكور .

اقول : ربما يستروح من هذا ما يلقيضوءا على ما اشكل علينا فى المتقدم. وربما كان هو عبد الملك ابن السلطان ، الذى كان الخليفة على كل سوس . ولا يبعد انه هو أخ من اليه هو الذى تسبب عنه ما تقدم ، فقد رأينا كيف اكد على عبد الملك ليكون على بال فى هؤلاء ، كما كان اخوه المولى الشريف ، ولعله لو كشف الغشاء لوجدنا الامر على ذلك ، والله أعلم ء

13 ـ كتابنا هذا أسماه الله تعالى وأعز أمره ، وأطلع فى المعالى شمسه المنيرة وبدره . ليعلم الواقف عليه من أولادنا وخدامنا ووصائفنا انا سمحنا للشيخ ابراهيم ولد خديمنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتى . وانعمناعليه ببلاده وما احتوت عليه من قبيلة أهل (أكرض) وما انحاش اليها من الذميين وغيرهم يستعان بزكاتهم وأعشارهم . فمنهم اليه أحرارا وعبيدا ، فلا مدخل لاحد فيهما ، فلا يقربهما أحد . ولا يطوف بساحتهما بكلفة ولا وظيفة ، كائنا من كان ، فقد أنعمنا عليه انعاما كليا ، والواقف عليه يعمل بمضمنه، ولا يتعدى ، والسلام . وفى منتصف جمادى الثانية سنة ثلاثين ومائة والف؟

وفوقه طابعه المعهود فيما قبله

14 ـ خديمنا الحسن الحربيلى ، بعد السلام عليك . وبعد اعلم اننا حررنا لخديمنا القائد محمد التامانارتى ، وأولاده بلادهم وأملاكهم وأجنتهم وسواقيهم وابقيناهم بها . وكذلك أهل (اكرض) بوادى (تامانارت) من حراطين وأحرار وأهل الذمة . وما انحاز اليهم من سكان،فلا مدخل لهم مع غيرهم من القبائل فى كل شىء ، جليلها وحقيرها ، فقد انعمنا لهم بهم فلانهم خدامنا ، ولهم حق علينا ، فلا ينازعهم فى ذلك منازع . انعاما تاما شاملا عاما . والواقف عليه يعمل بمقتضاه . ولا يتعرض لمن احتاج به ابداه . والسلام فى مستهل المحرم الحرام فاتح سنة احدى وثلاثين ومائة وألف ؟

15 ـ خديمنا القائد ابراهيم بن محمد التامانارتي . سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . هذا وان اخاك خديمنا الشيخ منصورا ورد علينا مقامنا الاسمى بالله ، زائرا ففرحنا به ، واقام عندنا فى كرامة ، واحسن ضيافة ، حيث دخل مع مقدمنا على يد خديمنا وربى نعمتنا الاحظى الباشا عبد الملك ابن عبد الله اماهرى اصلحه الله ، واثمر غرسه . وها هو اليوم رددناه اليك ردا جميلا ، ونائبا عنك لدينا فى الزيارة لعلى اعتابنا ، فاتهلا فيه ، فاتهلا فيه ، واستوص به خيرا واحسانا . وقد اعجبنا عقله ومروءته ، ولا تفرط فيه . وهو ان شاء الله الواسطة لك معنا بحول الله تعالى وقوته . وانت نامرك امرا اكيدا محتما شديدا ان تشد روحك فى الخدمة والمحلة . وبذل النصيحة لنا.ولمن هو على ايدينا ، تربح وتغنم ان شاء الله دنيا وآخرى وانت عندنا تمت بمثابة والدك فى كل شيء . وكلام قبيلتك وجماعتك اهل (تامانارت) جعلناه بيدك ، والى تحت نظرك كافة ، من غير معارض لك فيه ولا منازع ، عليه ولا مدافع . وجددنا لك على كل ما كان بيد والدك المرحوم بكرم الله تعالى خديمنا القائد محمد ، فشد روحك فى الخدمة والمحبة ، كما وصفك لنا خديمنا الباشا عبد الملك ابن عبد الله اتماهسري ، فانه يمدحك ويثني بالخير عليك . وحمر وجهه فيما قال لنا فيك . وجاء فيه عندنا بمحضر الخاص والعام ـ يعنى حل فاه ـ ولا لك فينا ان شاء الله ان كنت على هذا الا الخير التام العاجل والآجل بحول الله تعالى وقوته . والله تعالى تبارك يعينك ويوفقه بمنه آمين . وفى اواسط ربيع الثاني عام ثلاثة وثلاثين ومائة والف ؟ . وفوقه الطابع المذكور

اليوم تولى القائد ابراهيم القيادة الرسمية ، ويظهر ان الذى حدا السلطان الى ذلك امران : احدهما انه راى موالاته للاحترامات له . مع عدم احترام جيرانه له . فراى ان يصرح بما يمكنهم ، فجعله قائدا رسميا . والثانى أن والده كانه توفى قريبا من 1133 هـ . فاراد ان يوليه مكانه فى القيادة رسميا. وربما يكون هذان الاحتمالان صحيحين . والقرائن تعطى ذلك .

16 ـ ليعلم الواقف على مسطورنا هذا اعزه الله اننا اذنا لحامله خديمنا عبد الرحمن ولد القائد محمد التامانارتى ان يقدم لبلده ، يتفقد اخوانه ، وينظر اهله واحواله ، فلا يتعرض له احد على ذلك ولا يمنعه منه . فمن وقف عليه فليترك سبيله ويباعد جانبه ، والسلام فى الثانى عشر من رمضان المبارك عام ثمانية وثلاثين ومائة والف ؟ . وازاءه طابع اسماعيلى على شكل آخر كانه بيضاوى الشكل .

عبد الرحمن هذا،هو الذى قلنا انه كان مع ابيه القائد محمد فى مكناس. ولا ريب انه تولى هناك خدمة مخزنية ، فمكث هناك بعد موت والده ولم يظهر له عقب الآن .

17 ـ كافة أهل (تامانارت) اخص منهم الطالب ابراهيم ، ولد خديمنا القائد محمد التامانارتي.سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد اعلموا أن من فضل الله علينا ومن عوائده الجسيمة لنا ان ولانا الله سبحانه امر هذه الامة المحمدية ، وصرف لنا بمنه رعاية هذه الرعية ، ويوم الكتب اليكم اخذنا العهد مع الله ومع أهل البيعة من العلماء والفقهاء والمرابطين ، واتكملت بيعتنا لله الحمد وله المنة . واليوم بنفس وصول كتابنا هذا اليكم اقدموا علينا عزما دون توان ولا تراخ لتكمل بيعتكم بين ايدينا ، وترجعوا لبلادكم واسبابكم ومعاشكم ، سالمين غانمين ان شاء الله ، لان الله تعالى قال : « يايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، ولا عدو لنا الا الشيطان ومن يجرى مَجْراه ، وأمان الله عليكم فى اموالكم وانفسكم ، ولا اردناكم الا ان تاتونا برماتكم بين أهل هذا القطر السوسى ، فنقد اعناق العادين وغيرهم من أهل الفساد والضلال . وكفى الله بحديث المصطفى صلى الله وسلم عليه : ان من مات من غير امام مات موتة جاهلية . واللهالمسئول، ومنه ارجو الاعانة والقبول فى توفيقكم وهدايتكم الى واضح الطريق بالنبى وابا بكر الصديق والسلام ، فى ثالث عشر من شعبان عام 1139 هـ .

وفوقه طابع كبير ، فى وسطه عبد الملك بن امير المومنين الله وليه ومولاه ، وفى دائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد فى آجاتها تجم

هذا وقد علمنا أن عبد الملك تولى الامارة بعد احمد الذهبى بن اسمعيل ؛

ثم ان هذا آخر الظهائر التى عندنا الآن من ايدى هذه الاسرة ، مما يتعلق برجالها القدماء.وتحتوى على أخبار كثيرة لمن تتبعها ، وعرف كيف يستشف ويقيس ويستنتج ، وقد حرصت على ان ابقى الظهائر على عباراتها الاصلية ، التى يكثر فيها التصحيف . وغالبها مكتوب بخط ردىء . واننى لاتعجب من السلطان المولى اسمعيل كيف يرضى لنفسه هذه المكانة لمكتب رسائله،مع ما أوتيه من طول وبسط يد . ومن كثرة الخطاط والمترسلين فى الحواضر وغيرها ، اذ ذاك . وقد وقفنا فى المنسوخات على ذلك ، والكمال لله . ثم لم تتغير خط الظهائر الا فى عهد حفيده سيدى محمد بن عبد الله .

أمور أخرى تتعلق بالقائد ابراهيم

قد رأيت له من بين مخطوطات قوانين وضعها آل (اكرض) فى ايامه كيف يتمشى فى الحقول والماء ، كما كان فى مرسوم آخر ما يتعلق بامور السرق من الحقول ومن الديار . وهو مؤرخ بمفتتح جمادى الثانية 1172 هـ . وذلك مما يدل على ان عمره لا يزال ممتدا الى العقد الثامن فى القرن الثانى عشر . وقد

شاع عند أهله أنه معمر . كما يدل على أنه سياسي ماهر يلبس لكل حالة لبوسها . فانه بعد ما زالت الحكومة الاسماعيلية،وتقلص ظلها عن هذه الجبال، اتخذ من اهل(أكرض)رؤساء يكون لهم حظ فيادارة البلد ، وقدعينوا باسمائهم في تلك القوانين .

ومن اخباره ايضا ان الشيخ الصالح سيدي حسين الشرحبيلي حين زار جبال جزولة حوالى 1140 ردّ اولاد سيدي محمد ابن ابراهيم الشيخ الى ديارهم في قرية (أكرض) وقد كانوا جلوا يوم هاجمهم القائد ابراهيم كما تقدم،وبعد حين تآمر المرابطون ابناء الشيخ مع الحربيليين وغالب آل (أكرض) على القائد ، فثاروا عليه ، وقد تسرب اليهم من الحربيليين 200 من الرماة ، فدافع القائد والذين يقطنون معه في (أكادير) فاديل لهم على اعدائهم ، فقتلوا من الحربيليين 40 رجلا . فجلا بعض ابناء الشيخ ايضا ، وهم الذين صح أنهم مكروا ودسوا لهذا الغدر . وبقي غيرهم في ديارهم . ويقولون انه خلف ثلاثة اولاد : سعيدا ، ومحمدا ، واحمد . والاولان لا عقب لها الآن؛ولم يبق الا عقب احمد . وقد ذكر ان هناك رسالة موجودة فيها ان الشيخ المسمى أوبرتايم المانوزي التونيني ارسل الى القائد ابراهيم يتطلب منه ان يرسل اليه فارسه المشهور ولده سعيدا . ليقف معه حتى يفصل امر قتيل سقط من آل (تاغلولو) بايدي آل (أكرض) و (ايت واففا) ، فان أولياء القتيل يتطلبون فصل القضية

ويذكر لنا انه راى مخطوطا فيه تقييد شعير كثير قد فرضه ووزعه القائد ابراهيم على قرى (تامانارت) وقد بين هناك ما اعطاه اهل كل قرية . فدل ذلك على ان بيد القائد صولة وبسطة في كل (تامانارت) في ذلك الوقت الذي عادت فيه القبائل بعد موت المولى اسمعيل الى عادتها، فمن عزّ بزّ ، ومن غلب سلب .

وقبر القائد ابراهيم في مقبرة الرؤساء القديمة التي في شرق المسجد الموجود ازاء مسجد الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم . وهو لا يزال معروفا عند رجال الاسرة الى الآن .

محمد بن ابراهيم

هو الذي تقدم انه احد اولاد القائد ابراهيم ، وهو الذي خلفه في الرياسة، وامه وام اخوته تسمى الزهراء بنت احمد ، وهو شيخ رئيس من آل قرية (تانغورت) واصله من قبيلة (تكنة) من (اد حمّاد) ولا يزال وسم جهاز الزهراء موجودا الى الآن . ويذكر الشيخ محمد بن ابراهيم باخلاق والده من الشجاعة والاقدام ، وقد جرت بينه وبين قبيلته آل (أكرض) حرب شعواء امتدت ما شاء الله . حتى تكافات الكفتان ، فوقع الصلح بين الفريقين ، ثم

وقعت حرب أخرى بين الشيخ محمد بن ابراهيم ، وبين الحربيليين.وكانت شيعته التي يعتمد عليها دون آل (اكرض) آل (امانوز) وءاله الذين سكنوا معه في (أكادير) وعبيده ، وكانوا كثيرين ، فبينما هو يوما في حرب مع الحربيلين والوغى قائمة ، وقد حمي وطيسها ، اذا بئال (أكرض) خرجوا الى ملعبهم يلعبون ويرقصون رقصهم المعتاد . لعدم مبالاتهم بما وقع.وكانت لهم قوة وعدة وكثرة . فولجت امرأة وسط الملعب ، فتناولت حجرا فرمت به الى فوق ، ثم رجع فسقط وسط الملعب ، فقالت لهم تبا لكم . ايموت اخوانكم في مدافعة أعدائهم ، وانتم هنا سادرون ، فلا مناص لكم من الرجوع الى اخوانكم،كما رجع هذا الحجر الى مكانه،وان بعد ما بعد في السماء .فالخفتهم عتابا اثارتهم فيه فجروا الى سلاحهم . فلحقوا بصفوف الشيخ محمد بن ابراهيم ، فدحروا الحربيلين وهزموهم .فبذلك التام الصدع ثانيا بين الفريقين . وقد كان الشيخ الحضيكي زار (تامانارت) فراود آل (أكرض) ان يشتروا فرسا للرئيس منهم . فاشتروها فامر الشيخ الحضيكي محمدا هذا فركبها ، فثار آل (أكرض) فقال لهم الحضيكي هي له بلا ريب ، فصحح الله كلامه ، وهذه الحكاية يشك الحاكي من وقعت معه ، امحمد بن ابراهيم ام اخوه ، والله أعلم .

وقد تزوج محمد من اسرة (ادبلال) من (ايمي انوكادير) ويكثر فيهم العلم. وكانوا اذ ذاك ارباب ثروة كثيرة .

أحمد بن ابراهيم

اخو المتقدم ، وليه في الرياسة حين توفي عن عهد قليل قصير في الرياسة. كما وقع لهذا ايضا . فانه لم ينشب بعد فترة من عهده في الرياسة ان سافر خافرا مع 100 من جمال المرابطين ، ذهبت بالملح الى جهة الجبال . فتعرض للجمال المجاطيون في بطحاء (تافلتاست) فقتلوه ، ولم يعرفوه ، ولا ادركوا انه يخفر القافلة ، وسرعان ما ردوا كل ما نهبوه حين عرفوا ما صنعوا ، فحمل الشيخ أحمد الى مشهد سيدي عيسى بن صالح الايزنزبيي فدفن هناك .

وقد اعقب عبد الله وعبد الرحمن ، لا غير .

عبد الرحمن بن أحمد

ولي بعد والده ، وان كان اصغر من اخيه عبد الله . الا أن اخاه قدمه واظهره . ويذكر بمال كثير . وقد ثارت حرب بينه وبين الحربيلين فاستجاش المجاطيين ، فحاربوا يوما ، فمات منهم تسعة ، ثم داخلهم الحربيليون بمال كثير . فانفضوا عن الشيخ عبد الرحمن بغير توديعه ، اثر اكلة قدمت لهم في

فضاع كثيرة في جبل (ايزيلنكي) فاغتاظ عبد الله من فعلة المجاطيين . فقال له أخوه الشيخ عبد الرحمن لا ردهم الله . فانما أتى الله بهم حتى أخذنا منهم ثار أبينا ، فهو واحد ، وهم تسعة . ثم أن ذلك لم يفت في عضد عبد الرحمن ، بل ثابر مع اخوته على حرب الحربيليين ، حتى دخلوا في الهدنة .

توفي الشيخ عبد الرحمن في وباء 1214 هـ .

عبد الله بن أحمد

ثم برز عبد الله الى الميدان ، حين لم يجد ازاءه مثل ذلك الاخ الجسور الذي كان يكفيه المهمات ، ويدرأ عنه الملمات . وكان مشهورا بالجرأة وخوض الحروب بنفسه . لا ينكص اذا قامت قائمة الوغى ، ولا يقدر أن يملك نفسه . وبذلك كان شواظا متلظيا على الحربيليين . حتى أجلى غالب المرابطين من قرى ما فوق وادي (تامانارت) وكان يتكئ على حزب (تاكوزولت) وهؤلاء المرابطون على حزب (تاحكات) ، وسبب اجلائهم عن تلك القرى أنهم يتعدون على عين (تيمتلت) ، ويفسدونها، وقد عمدوا مرة الى ثياب الشعر فملئوها بالنوى، بعد ما يخيطوها . فيلقونها في مجرى العين ، ثم اذا انتفخ النوى يسد مجرى الماء . فادى ذلك الى الاضرار العظيم بـ(تامانارت) فشمر الشيخ عبد الله عن ساعده حتى لم يدع هناك مرابطيا ، ولم يقطنها الا غيرهم من الحراطين ، وضعفة أناس آخرين . حتى هذا الحصن المنسوب الى (ايت على) المرابطين، لم يتقو الا بعد.وهو الذي خرب كثيرا من حصون تلك الجهة المنسوبة للمرابطين، كـ(تاكاديرت) ومعقل (اموش) كما خرب (امزوروا) أسفل (تامانارت) .

وكانت يده متصلة بيد رئيس (ايليغ) الهاشم بن علي ، الذي كان اذ ذاك يعسوب جبال (جزولة) كلها . وهذا هو السبب حتى لا نرى عنده أيّ أثر رسمي للمولى سليمان الذي كان سلطانا اذ ذاك – كما لم نر عند أبيه أثرا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله . كأن رجال هذه الاسرة اذ ذاك يفهمون أنهم لا ينتفعون الا بقوة جيرانهم هؤلاء ، فزهدوا فيما في يد الحكومة . وان كان ذلك لا يليق بأمثالهم . وقد كان الجيش السليماني الذي يقوده محمد بن يحيا أغنتاج الحاحي خاض الجبال هذه من سنة 1224 هـ . فأجفل من أمامه الرئيس سيدي الهاشم الايليغي . وباتصاله بنال (تامانارت) نكصوا أيضا عن ملاقاة أغناج . بعد ما أرسل الى الشيخ عبد الله هذا فلم يصله ، وقد أجابه بأن قبيلة (تكنة) يحسب منهم ، فما يريده منه فليذكره لهم ، وقد اعتذر اليه بالخوف . وبعدم مفارقة داره ، لئلا ينقض على داره أعداؤه الكثيرون . توفي الشيخ عبد الله 1242 هـ .

خلف أهله في مركزهم وفي غناهم وفي بسالتهم ، وقد نالت دارهم في عهده ثروة لا تكيف فيما يقولون ـ وكان يقايض في تجارة السودان . فبذلك بجرت حقائبه ، ويذكر القائد أحمد ولده أنه يعرف وهو صغير جلودا كثيرة وضع بعضها على بعض ، في نواحي دار من ديارهم . قال وكاني بها ونحن صغار غلف نضع أيدينا على الجلود ، فتتناثر الدراهم في أيدينا . فتعمد أمهاتنا الى الدراهم التي تفيض مما يتمزق من الجلود . فيرددنها الى محلها . ثم يخطن الجلود ، قالوا : وكان له تبر كثير في أكياس تكال بالموازين. واشتهر بمحبة أبناء الشيخ ابن ابراهيم ، وكان كريما فكلما هم احدهم بالزواج أعطاه مائة مثقال ، كما يعطى مما يتزوج من آل (أكرض) خمسين ، وكان عمه عبد الله ينهاه حين رآه يصنع ذلك يقول له : فارق آل الشيخ ، فانك سترى منهم ولا بد وترى،فان الاحسان الى الاعداء يعده الاعداء ضعفا ، وفي الحديث : اتق شر من أحسنت اليه .

وقد ذاع عن الشيخ حمو محارباته مع الحربيلين . فقد ثارت حروب شديدة بين الفريقين . والحزبية اذ ذاك بين آل (تاكوزولت) وآل (تاحكات) بالغة اشدها . ينصر كل فريق صاحبه ظالما أو مظلوما ، وباتصال الشيخ حمو بمركز (تاكوزولت) (ايليغ) كان جانبه دائما قويا ، ولم يزل عالي الشأن، مبسوط اليد في ايالته،حتى قتله المرابطون أبناء الشيخ غدرا في سنة 1256هـ في وسط غوشت والفواكه موجودة ، والناس في ظلالهم يقيلون .

ومحصل الخبر ، أن فقيها من أبناء الشيخ يسمى سيدي محمد بن عبد الله كان يحمل معه مصحف الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم تحت ابطه . فكان كلما لاقى من آنس منه انصاتا ورجولية ، من آل (أكرض) يميل به الى ناحية. فيستحلفه في المصحف ، على أنه اما أن يتبع ما يقترحه ، والا فانه يكتم عن كل الناس أيا كانوا ما سيسمعه . ثم يسر اليه بأنه يهيىء حملة يفتك بها بنال حمو . ثم ان استحلفه فاما أن يسلس له القياد في الدخول في حزبه . والا فانه كاتم لما سمعه ، وحين أبرم ما أبرم ، والناس كلهم في أمان. والقرية تجمع كلا أبناء الشيخ والرؤساء وغيرهم . اجتمع أناس من أبناء الشيخ في مسجد الشيخ على أضياف نزلوا عليهم.وهم أناس من (إدبنوفولن) من آل القائد المدني الاخصاصي ، وقد أتى بهم أبناء الشيخ ليتقووا بهم فيما يهتمون به . فأرسلوا الى عبد الرحمن ولد الشيخ حمو . وكان رجلا باسلا كبير القدر بين أهله . له أولاد قبل . يقترحون عليه أن يوافيهم في الليل الى المسجد فجلس الاضياف فسهروا هناك يتضاحكون . ويتراءون فيما بينهم خناجرهم . أيها أجود ، فأراهم عبد الرحمن خنجره أيضا . بطلبهم بعد ما

مده اليهم بحمائله . لسلامة طويته ، ولم يخطر بباله ما يقصدونه به . فحين توصلوا بالخنجر اعتقلوه.فاخرجوه من المسجد الى المتوضا فذبحوه ذبح الغنم. ثم لـزموا محلهم من غير ان يشعر احد بما كان . وحين اصبح الصباح هيأوا ما يريدون . فانتظروا حتى جلس الشيخ حمو امام درب (ايت بُووشُورِّغ) في الهاجرة ، فرموه برصاصة .، فاشتعلت فيه النار ، ثم قتلـوا الشيـخ مبارك بن عبد الله أمام المسجد ، وأمغار باها أخاه عند الدرجة السفلى مـن درج (اكادير) ثم ولجوا باب (أكادير) فقتلوا أمغار على ابن الشيخ حمو أمام دويرة بني يحيا،داخل (أكادير) كما مات عبدان آخران،وكانت زوجة الشيخ حمو جريحة في الدار ، ثم ماتت بعد ذلك ، لانها تدافع عن الدار مع ابنها محمد . وقد كان امغار حمو بن عبد الرحمن الحربيلي في بستان له جالسا مع محمد ابن الشيخ حمو في ذلك الوقت،ومحمد يقول له : أحب منك أن تتوسط بيني وبين أبي أن يسرحني الى الحج ، فاذا بطلقات البارود ، فقال له حمـو الحربيلي ان أباك مقتول ، فخذ سلاحي كله ، وتسلح به ، وادخل الى الدار فاصنع ما امكن لك . وأرسل معه عبده . ثم أن العبد مات دون الـدار ، واما محمد فانه تجلد حتى دخل الدار.فصار يدافع مع أمه المذكورة بالرصاص عن الدار . ومعهما رجل آخـر ، وهذه الـدار وسط (أكاديـر) وتسمـى : (تِكْمِّي أوفلاّ) ـ الدار العليا ـ فصبروا ذلك النهار والنهار بعده . وفي النهار الثالث عند العصر ، جاء الإيشْتِيِّون ، فوقفوا لهم حتـى أخرجوهـم بالخفارة بين سماطين من آل (أكرض) وخصومهم أبناء الشيخ ، والحربيليين وشيعتهم ، فجلوا على ارجلهم رجالا ونساء وصبيانا . ثم توجهـوا مـع آل (أتَامَّر) الساموكنيين وآل (ايشت) وقد عزموا على الذهاب الى (ايشت) خوفا من ان يغدر بهم الساموكنيون ، وحين وصلوا قرية (ايغير ويْلكُولْن) رأوا خيل المجاطيين تَغِدُّ نحوهم لاغاثتهم . وقد وصلتهم الاخبار على يـد بعض آل (ايغير ويْلكُولْن) فجاء كل فرسان مجاط ، فحين لقوهم رجعوا بهم ، فنزلوا عند مشهد الشيخ ابن ابراهيم أسبوعا تاما . ريثما هُيِّئ لهم الدخول الى دارهم بحيلة ، وذلك ان المجاطيين حين نزلوا بخيل كثيرة داخلوا اهل (اكرض) ومن اليهم بلطف ، فقالوا لهم ان مقصودنا الوحيد ان يرجع هؤلاء الاولاد والنساء الى الدار ، وأما الرياسة فاختاروا أنتم من يصلح لها . فاذن هؤلاء لذلك . فاسلسوا لهم القياد في انجاز ذلك ، فنادى اهل (أكرض) بأن يكون الرئيس سيدي ابراهيم بن محمد من آل الشيخ ، نادوا بذلك على المسجد ، فتناجز الناس وتصالحوا ، وتم الامر . وكانت دور الراحلين قـد انتهب المحتلون متاعها كله ، الا ما كان من الحبوب والتمر ، فانهم قالوا يبقى لنا متكئا في الملمات . ثم انهم يضعون على باب (أكادير) حارسا وفي ليلة خلا فيها (اكادير) وليس فيه احد . ذهب الحارس مستخفيا الى مشهد الشيخ ،

فوجد القائد محمدا جالسا . فاعطاه مفتاح (أكادير) وذكر له انه لا احد هناك فارسل مائة من رماة (مجاط) الى جوار (أكادير) عند مصلى العيد . استداروا اليه من بعيد . وامرهم أن يبقوا هناك . وأنه سيدخل في الباب ، فـان وصل الدار فذاك،والا فانه سيناوش الحرب عند باب(أساكا)واذ ذاك يتسلقون الى الدار . فجاء القائد ومن معه . فلم يجدوا عنـد باب (أسكا) أحـدا ، فدخل مع أربعين من الرجالة معه . فطلعوا الى (اكادير) فنادى فيه بالشرع. ثم أخرج من معه بارودا كثيرا ، فاندفع من كانوا بالخارج من بقية (مجاط) فاحتلوا البلد ، فاجلوا آل الشيخ كلهم بنسائهم وصبيانهم ، ولم يأخـذوا معهم قلامة ظفر . لكونهم لا يظنون مثل هذه الفعلة . فدخل أولاد الشيـخ حمو دارهم . وأكبرهم القائد محمد وهو اذ ذاك شبه أبله . لا يرتجى منه ان يكون ربان السفينة ، الا أنه ظهر منه خلاف ما يحسب ، فحين تمكن في داره التي لم يبق فيها الا الحبوب وحدها ، وصلته رسالة من أمغار حمو بن عبد الرحمن الحريبلي الذي كان مكنه من سلاحه من بستانه آنفا ، يقول له : ان آل الشيخ نزلوا أمام داري بعيالهم . هل اقبلهم أو لا . فاجابه بان الاولى ان يقبلهم هو ، لا أن يذهبوا الى أحد الجزوليين . فتختلف كلمة (تاكوزولت) فذلك هو السبب حتى نزل آل الشيخ الى الآن في (القصبة) . وقد تركـوا ديارهم ، فاحتلها آل (أكرض) الى اليوم . وهي كلها معلومة . هكذا خبـر هذه الواقعة التي لم ينسها الفريقان الى الآن ، وهذه رواية أهل هذه الاسرة .

وقد بقي الشيخ حمو مع المقتولين خمسة أيام في حفرة . وقد هـم بعض السفلة بحرقهم . فمنعه العقلاء ، الى ان جاء السادات أولاد سيدي علي بن ياسين فدفنوهم وسط المقبرة الجديدة ، وقبورهم معروفة الى الآن .

ولم يكن الشيخ حمو بمسن حين مات ، وان ترك ثمانية من الذكـور . وانما تزوج مبكرا . وشغله الشاغل التجارة الواسعة مع تجار السودان ، وقد بنى لذلك دارا خاصة وتسمى (دار اكنـّيد) لانها مبنية في محل منسوب لسلطان من السلاطين كما تقدم .

ومن اخباره أنه كان مرة حاضرا في حرب بين (مجاط) و (بعقيلة) فانهزم البعقيليون حتى وصل المجاطيون (دار آل عدى بن احمد) الكردوسيين فحال دونهم ودون نهبها . وكان بهمة من البهم . وفارسا كرارا في كل مجاله . وهو مع المجاطيين لانه من (تاكوزولت) .

القائد محمد بن حمو

أمه فاطمة بنت أحمد بن محمد بن ابراهيم . بنت عمه . وهي التي تقدم انها دافعت في سطح الدار يوم الفتكة بزوجها ، حتى جاءتها رصاصة من ثقبة فجرحت . ثم لم تنشب اثر الرحيل أن ماتت في الطريق . قبـل ان تقـر

عينها برجوعها الى دارها .

واول ما فعله القائد محمد ان خرب بعض ديار خصومه آل الشيخ. ثم صار يتتبع قتل رؤساء الراحلين ، دسا لرجال يثق بهم ، لان كثيرا من حراطين (أكرض) كئال (ا صنْفَارْنْ) تمالئوا مع آل الشيخ . فرحلوا برحيلهم . ثم دامت حرب بين الحربيليين الذين شايعوا آل الشيخ المغلوبين ومن معهم ، وبين آل (أكرض) سبع سنوات . حتى استجار بعد حروب عنيفة أبناء الشيخ بالرئيس الحسين بن هاشم . فأرسل الى أهل (أكرض) فلم يزل بينهم حتى تصالحوا ، فدفع آل الشيخ اثنى عشر قنطارا من الفضة ، أو اثنى عشر ألف ريال . ومصطلحهم أن يطلقوا القنطار على الف ريال ، واذ ذاك فقط توصل آل الشيخ باملاكهم من (تِمِلّت) فصاروا يستغلونها بعد ما كان القائدمحمد هو الذى كان يستغلها . ثم ارتفعت عنها يده ثم يد من بعده من أهله الى الآن.

ومن حروبه أيضا حرب كبيرة بينه وبين (آل مربيض) على قضية (ايشت) وكانت من الحروب التى تناطح فيها حزبا (تاكوزولت) و (تاحكأت) جاء اليها رئيس (تاكوزولت)الحسين بن هاشم يجر اليها جيشا لَجِبا . فيه من الولتيتيين والبعمرانيين رجلا وخيلا ، حتى انهم ليعبرون عن كثرة الخيل بأنه ولدت اذ ذاك مائة رمكة ، قبل أن يتفرق الناس (ولا يغيبن عن القارىء أن اهل هذه الجهات انما يستخدمون الرمكات كثيرا فى ركوبهم وفي حروبهم ، وقليل جدا من يملك الفرس الذكر ،لأنهم يريدونها للولادة وللحرث) وذلك أن (ايشت) احتلها حزب (تاحكّات) جاءوا من (طاطة) ومن (أقا) ومن كل من فى تلك الجهة، فهاجم الجزوليون (ايشت) الى أن تبحبحوها ، الا أنهم غلبوا وهزموا من وسط القرية . وقد نزل هذا الجيش كله فى المرور فى (تامانارت) فقام القائد محمد بضيافتهم كلهم . فتعجب سيدى الحسين بن هاشم مما رآه ، فقال انا لاتعجب للحبوب فانها تشترى من الاسواق ، ولكنى أتعجب من التبن الذى يكفى لهذا القدر الكثير من الخيل .

ويؤثر أن القائد محمدا كان مشهورا بطول الاناة في المحاربة . وبذلك أمضى كل عمره . ومما جرى اذ ذاك أن الحربيليين والمرابطين اعنى (آلمربيض) كما اشتهروا به ـ زحفوا مرة الى (تِمِلّت) سنة 1286 هـ . فحاصروا القائد. وحرقوا كل نخيل (تيملت) وقد وصلت خيولهم هذا المكان الذى بنيت فيه السوق الجديدة اليوم. وحتى وردت عين (امانينو) التى فى مقابلة قرية (أكرض) وفي سنة 1290 جزاهم بالجزاء الاوفى . فحاصر قرية (القصبة) التى منها جرثومة (تاحكات) وهي قرية بينها وبين (أكرض) نحو ثلاث كيلومترات فقط ، الا أن بينها الاشجار . يحجب بعضها عن بعض ، والا جبيلا صغيرا ناتئا ، وكل ضروريات القريتين متشاركة دائما ـ فلم ينكشف عنها حتى القى أهلها يد الاستسلام . وخضعوا وذبحوا الذبائح أمامه ـ وهى علامة الاستسلام

عند كل الشلوح - ثم استنقذ من تحت أيديهم قرية (ايغير وتيلتولن) وقد كان ذلك الحزب انتزعها من حزب (تاكوزولت) فكان ذلك اعظم نصر ناله ، لتكون قرية القصبة بين (أكرض) و (ايغير ويلتولن) (1) .

اما ما يتعلق بالقائد محمد من اتصاله بالحكومة على ضعفها في ذاك الحين، فانه تنجلي في هذه الظهائر التي نسوقها، وهي كلها في عهد المولى عبد الرحمن.

1 (خديمنا الارضى الشيخ محمد بن حمو ابن القائد التامانارتي ، وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اخبر محبنا الفقيه البركة الارضى سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتي بما وفقك الله له من الخدمة ، وما هداك اليه من كمال دينك ، والسعي لآخرتك . من الدخول في الطاعة ، والانخراط في سلك الجماعة ، واحياء خدمة داركم . وتجديد حرمتها كما كان سلفكم الصالح مع سلفنا . قدسهم الله . وحقق لنا ذلك خديمنا الارضى حماد ابن بومهدى الهوارى. فقد أوتيت بذلك رشدا . ولقيت سدادا وهدى . واستبرأت لعرضك ودينك واحتطت لدنياك وآخرتك ، وقد ورد على حضرتنا الشريفة اخوك أحمد . وقام بواجب السمع والطاعة ، وناب عنك في المثول بين أيدينا ، ومعاهدة حضرتنا . وها نحن وجهناه صحبة ولد الفقيه . وقد وليناك أمر قبائل جبل سوس الاقصى (زدوتة) الى (ايشت) ومن (وادى الغاس) الى (وادى نول) وجعلناك واسطة بينهم وبين خديمنا القائد حماد المذكور ، وخليفة عنه عليهم ، لتتولى قبض جبايتهم ، وتدفعها له ؛ ليوصلها الينا . وأمرناه ان يكون معك على رأى واحد . ونظر متحد ، وأن يشد عضدك ويعينك فيما تحتاج اليه من أمور خدمتنا الشريفة . فكن معه ذاتا واحدة ونفسا متحدة فانك تجد منه خير معين ، وأفضل ناصح ان شاء الله . وقد كتبنا له في ذلك ، وعليك بتقوى الله وطاعته ، والقيام بما كلفته جهد الاستطاعة ، والله يتولى هداك ، ويعينك على ما أراك . وقد اطلعنا على ظهائر أسلافنا الكرام قدسهم الله ، التي بيد أخيك . ونحن على أثرهم والسلام ، في 16 شعبان عام 1262 ه) . وفوقه طابع وسط في أثنائه عبد الرحمن ابن هشام ، الله وليه ، وفي دائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامها تجم

2 (خديمنا الارضى الشيخ محمد بن حمو ابن القائد التامانارتي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ،وبعد فقد وليناك على جبل سوس الاقصى من (زدوتة) الى (ايشت) ومن (وادى الغاس) الى (وادى نول) وما بين ذلك من القبائل الجبلية ، وأسندنا اليك أمورهم الخاصة والعامة . وبسطنا لك يد التصرف عليهم ، وجعلناك واسطة بينهم وبين خديمنا القائد

---

(1) في تراجم آل الشيخ تفاصيل أخرى عن هذه الحروب وقد تقدمت في) الجزء السابع (.

حماد بن بومهدى الهوارى . لتولى قبض جبايتهم ، وفصل دعاويهم . واخذ الحقوق منهم ولهم . اسعدك الله بهم واسعدهم بك آمين. ونعهد اليهم بالسمع والطاعة ، وحسن الخدمة معك، ببذل النصيحة . ومن حاد عن السبيل الاقوم فليرتقب سطوة الله وانتقامه ، ولا يلوم الا نفسه (والله عزيز ذو انتقام) وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته ، والقيام بخدمتنا الشريفة جهد الاستطاعة ، والاعتناء بامور الدين ، والهداية الى سبيل رب العالمين ، والرفق بالضعيف والمسكين ، والتشديد على أهل الفساد والمتمردين . والاهتداء بهدى العلماء العاملين ، والاقتفاء للخدام الصالحين ، والسلام فى 16 شعبان عام 1262 هـ).

وفوقه ذلك الطابع نفسه .

(وهو وما قبله شيء واحد ، مدلولا وتاريخا ، الا فـي بعض العبـارات . كما يراه القارىء)

3 (خديمنا الارضى الطالب محمد بن حمو التامانارتي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك ، وعرفنا مضمنه ووصل عيادة قبائل ايالتك صحبة أخيك أصلحه الله ، وشهدوا العيد ، ودعوة المسلمين ، وقاموا بواجب السمع والطاعة . وأدوا الهدية كثر الله خيرهـم ، وشكر بركم ، وعوضهم خلفا آمين ، وما طلبت من الخدمة مع خديمنا الهوارى، وجعله واسطة بيننا وبينكم . فقد وفقت وارشدت ، فانـا امرنـاه بذلك ، وأوصيناه عليك غاية ، والسلام ، فى فاتح المحرم الحرام فاتح عام 1263 هـ .

وفوقه طابع صغير فيه : عبد الرحمن بن هشام الله وليه .

4 (خديمنا الارضى القائد محمد بن حمو التامانارتي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك . وعرفنا مضمنه . ووصل احمد بن على الهشتوكي الذى وجهنا اليك مع الخيل للخدمـة معك . حسبما طلبت ، فاخبرت أنه لم يقف عند حده . واشتغل بالخوض والوسوسة والافساد عليك ، وحذرته وانذرته . وحين لم ينته من فعله قبضت عليه ، ووجهته لحضرتنا العلية.فذلك جزاء من تعدى طوره ، فانا انما وجهناه لقصد الاصلاح والمعونة ، والكون عند اشارتك وامرك . وقد ذكر أن خيله وحوائجه بقيت هناك ، وها زمامها يصلك ، وجه له ما خلفه . وما طلبت من اعانتك ، وشد عضدك . وانك لا تقصر فى الخدمة . فما قدمناك الا لذلك ، لانك من دار خدمة وصلاح . وعلى بالنا ما كـان عليه سلفك الصالـح من النصيحـة والارشاد ، وحسن الخدمة ، مع أسلافنا رضوان الله عليهم، والفرع تابع لاصله. وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم:الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولايمة المسلمين وعامتهم . ولتكون ولايتك ارشادالضالين،ونصح المسترشدين.وجمع كلمة المسلمين.فان الله تعالى ييسر أمرك ويشرح للخيرات صدرك ، قال الله سبحانه « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » والسلام فى 29 المحرم

الحرام فاتح عام 1263 ؟) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير المذكور آنفا .

سألت عن الهشتوكي هذا فقيل لي انه كان لا يبالي بالقائد محمد . ويختلف الى (آل مربيض) والى الحربيليين ، وينصت اليهم . وكاد يثير ما يثير ولذلك بادر القائد محمد ففعل به ذلك .

5 (خديمنا الارضى القائد محمد بن الشيخ حمو التامانارتي ، وفقك الله واعانك ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بعزمك على القدوم على حضرتنا العلية بالله . وانك خرجت من دارك على نية ذلك . ووجهت على أعيان قبائل تلك النواحي لتصحبهم معك ، استيناسا لهم ، وتدريبا لما شرح الله له صدرك من أمور خدمتنا الشريفة ، والدخول في سلك أهل لا اله الا الله ،والسعي في هداية تلك القبائل وارشادها . والوقوف في استقامتها ، فاقدم على بركة الله . فمرحبا بكم وأهلا . فلكم لدينا من الاثرة والعناية ما تطيب به نفوسكم ، وتقر به اعينكم ، ولا تروا بحول الله الا ما يسركم . أصلحك الله ورضى عنك ، والسلام ، في 28 من ربيع الاول عام 1263 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الصغير الموصوف قبل الظهير المتقدم

6 (خديمنا الارضى القائد محمد بن حمو التامانارتي ، وفقك اللهوسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فقد وصلنا كتابك صحبة اخيك ومن معه وعرفنا مضمنه . وقد قاموا بواجب السمع والطاعة ، وأدوا الهدية التي وجهت صحبتهم كثر الله خيركم وعوضكم خلفا ، آمين . وعلمنا العذر في تأخر ورودكم على حضرتنا الشريفة ، لما رأيت من دخول الناس في الطاعة ، واعطائهم البيعة على الخدمة والنصيحة ، وتجديد النظر في امر القبائل . فهذا من آكد الامور وأولاها بالتقديم . وأحقها بالسبقية والاهتمام ، فقد احسنت في ذلك ، وقد قام أخوك مقامك ، وأدى عنك . ولك لدينا المكانة والعناية ، سواء أتيت او أقمت . أصلحك الله . وما ذكرت على شأن المرابط سيدى الحسين بن هاشم والخديم الشيخ مبارك بن عبد الله بن سالم ، فها نحن كتبنا لهما.وأمرناهما ان يعيناك على قبائل ايالتك.ويكونا معك دائما يدا واحدة، ونفسا متحدة في المعاونة على الصلاح ، وشد العضد ، فطب نفسا وقر عينا. وما ذكر على شأن توجيه المحلة . وانك انما تحتاجها بركة وهمة . والقتال يتولاه قومك،وأهل الخدمة معك،فاعلم أن هذا وقت اشتداد الحرارة - والناس حديثو عهد بغلاء الاقوات ، ولو طلبت منا هذا في أول الربيع ليسرناه لك . فسدد وقارب ، واحمل الناس اليوم على الاستقامة والصلاح . وألف بين قلوبهم، واجمع كلمتهم على الخدمة والمناصحة ، حتى يدخلوا في الطاعة افواجا؛ ويألفوا الخدمة والاستقامة . وفي العام القابل تتهيأ لك المحلة على الوجه الذى

ينبغي في ابانها ، ويقضى الغرض ان شاء الله تعالى ، والسلام . في 2 رجب الفرد الحرام عام 1263 هـ .) .

وفوقه الطابع الكبير المتقدم .

والشيخ مبارك بن عبد الله بن سالم ، هو من قبيلة (ازَافَاضَنْ) ، وهم عرب رحالة ، وهم قبيلة من (تكنة) وقبائل تكنة : اد حماد . واد مسعود ، وايت الحسن،وازافاضن، وايكنوت؛ واد ياسين . واد زكرى . واد بوهو . واد بوعشرا ، واد موسى بن داود ، واد ابراهيم،واداوُلْكْنَان . ويقال لهم أيضا (ايت جَمل) ولا تزال الرياسة في (آل مبارك) المتقدم . ومركزهم في المحل المسمى (تيغنمرت) بـ(وادى نول) وللزفضيين رياسة أخرى كانت الآن 1363 هـ . في يد القائد محمد بن يحيا ولد الهيبة في (أسرير) .

7 ـ (خديمنا الارضى الطالب محمد بن حمو التامانارتي ، أصلحك الله . وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته،وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بجدك واجتهادك في الخدمة الشريفة.وسعيك في امور الصلاح،وتاليف القلوب على الطاعة. ذلك هو الظن بك . والمعهود من عمال الصلاح وولاة الجد . وعلمنا ما عليه قبائل ايالتك من الوفاق والائتلاف،وانه لم يخرج عن نظرك غير قبيلة (حربيل) ومن انضاف اليهم من شذاذ القبائل . ولم يقصروا في الفساد حتى عزمت على حربهم واخذهم ، فتوقفت على الاذن منا في ذلك . فبوصول كتابنا هذا اليك تقدم لهم بالاعذار والانذار ، والوعظ والتذكار . فان رجعوا عن غيهم ، واقصروا من قبيح سعيهم ، فذاك وان أصروا على بغيهم وعنادهم،فقد أذنا لك في قتالهم وجلادهم حتى يفيئوا الى أمر الله ، أعانك الله وارشدك . وأخبرت أن خديمنا الارضى الشيخ مباركا ولد عبد الله بن سالم التيكنى امتثل أمرنا الشريف في شد عضدك ، والوقوف معك ، والغير لم يمتثل . فان فائدة العمال نتيجتهم هي شد العضد بعضهم بعضا . وامتثال الامر والنهي ، ولا يزالون كذا بخير مادادوا شادين عضد بعضهم بعضا . متعاونين على الخدمة والصلاح . وما ذكرت في شان ما وقع في ايالة الطالب حماد بن بومهدى ، وما شاع فيهم من الفساد ، وتكرر قتاله معهم ، حتى مات من الفريقين عدد كثير . وان ذلك من قلة سياسته ، وعدم الرفق في سيرته . فقد صار ذلك منا على بال . وقد اديت ما عليك أصلحك الله ، والسلام . في 3 ذى القعدة الحرام عام 1263 هـ .) . وفوقه ذلك الطابع الكبير .

8 (ولدنا الابر الارضى سيدى محمد اصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فيصلك كتاب وجهه لحضرتنا العلية بالله الخديم القائد محمد بن حمو التامانارتي . في شأن فتنة واقعة بينهم وبين الحربيليين حسبما تطالع فيه مع كتاب وجهه له البركة الفقيه السيد أحمد التيمكيدشتي في شأن ذلك . فطالعهما . والله تعالى يقول « وان طائفتان من المومنين اقتتلوا

فاصلحوا بينهما» وقال: «لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو صلاح بين الناس» وقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا التقى المومنان بسيفهما ، فالقاتل والمقتول في النار . فيجب السعى في حقن دماء هؤلاء المسلمين.واطفاء نار الفتنة التى اضرم بينهم الشيطان اللعين.ونحن نحب الرفق بعباده . لان الله سبحانه وتعالى أمر به.والنبيءعليه السلام ندبهإليه « ان اريد الا الاصلاح ما استطعت » وعليه فبوصول كتابنا هذا اليك وجه لهم من هنالك طائفة من المسلمين تصالحهم . وتذكرهم وتنذرهم ، حتى تنزول الضغائن من صدورهم ، ويرجعوا لاحسن أحوالهم،واكتب لهم كتابا من عندك بهذا ، وعرفهم وخامة رأيهم ، وحذرهم شؤم سعيهم ، وان الالفة رحمة ؛ والفرقة عذاب ، والفتنة نائمة ، من أيقظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . ووجه لهم أيضا كتابنا هذا ليقرأوه ويعلموا ما امرناك به في شأنهم وانما يمتثاون امر الله . وهذه الطائفة التى تعين ، وجهها لسيدى أحمد التيمكيدشتي ليوجهها اليهم على يده ، مع اناس من عنده . والله تعالى يوفق للخير ويهدى اليه ، والسلام . في 12 المحرم الحرام فاتح عام 1268 هـ .) .

وفوقه الطابع الكبير المذكور .

هذه هي الظهائر التى أخرجها لنا القائد محمد بن البشير . وقد انقطعت هنا ، وعمر القائد محمد ممتد الى 1293 هـ . فما الذى وقع حتى انقطعت المراسلات،ان انقطعت حقا . ولم تضع بين الاوراق الكثيرة المكدسة في دارهم؟ فهل غلبت الحزبية التى يرأسها سيدى الحسين بن هاشم يعسوب هذه الجهة اذ ذاك . فادى ذلك حتى انكمش القائد محمد عن التعلق بالسلاطين ، وخصوصا ان رأينا أنه يتطلب الجيوش التى يتقوى بها فتعوزه ، ولا يفوز الا بالمواعظ ان تلق لمن يحسن دينه ، وتتفتح عقليته . وتلطف شمائله . فانها لا تصلح لامثال هؤلاء الهمج الرعاع ، الذين يقول فيهم الشيخ الحضيكي ان أموالهم يحل للناهب منها أن يشترى بها أضحيته ، لانهم مبتدعون.ويؤثر مثل ذلك عن الشيخ أبي العباس التيمكيدشتي . وقد سمعنا حكاية ربما تلقى ضوءا ما على هذا ، فقد كان مرة القائد محمد عند سيدى الحسين بن هاشم . فقال له هذا : بالله ماذا تفتشعنه بعد.وهل يسرك ان نلت القيادة وكانه يرمى الى ما يتطلبه من السلاطين . ـ فاجابه القائد محمد بانه انما يتطلب القيادة التى تنثر هنا في (ايليغ) على كل عبد ، فلا نسمع الا القائد فرَجي ، القائد صَنْبا ، القائد مَعْطَلاّ . حتى كان كل العبيد بـ(ايليغ) قوادا. ولكنك انت يا سيدى الحسين ما تطلبه بعد ؟ . يومىء الى ما يتهم به الناس سيدى الحسين من تطلب السلطنة . وكذلك ان عرفنا ان القائد محمدا احد أركان حزب (تاكوزولت) كان مكرها على ان لا يفارق شيعته ، لانه لا يجد ازاءه سواها في محارباته مع اعدائه . فربما نجد هذا السبب

قويا في تعليل انقطاع الاتصالات بالسلاطين.ـ ان كانت انقطعت حقا ـ فهذا الحسين هيا جيشا من أهل نحلته كلهم ليقاوم المولى الحسن ، حين أرسلهوالده السلطان سيدى محمد الى سوس . حوالى 1282 هـ . ولا ريب أن أمثال هذا القائد لا يجد مناصا منموالاة حزبه . ومن مماشاة جيرانه ، لئلا يتعرض لهدم داره ، ثم لا تنفعه الحكومة بذرة ، لان أهل تلك الجهة لا يخضعون لها الا ما دام جيشها عليهم . والا فانهم يقلبون لها ظهر المجن وان كانوا دائما يعترفون بالجالسين على العرش تدينا ، وقد بينا هذا في محلات من هـذا الكتاب وغيره . وقد كان الواجب أن يلتفوا دائما حول العرش . ولا يخرجون عن دائرته .

توفي القائد محمد 1293 هـ . عن خمسة ذكور وبنتين . ودفن في المقبرة الحديثة التي كان هو بنفسه أدار عليها السور .

ومما يتعلق بالقائد محمد أنه كادت تقع عليه حادثة كبرى بيد (ايت عبلا ابن حمو المسمين الآن (ايت علي بن حمو) اولاد عمه ، فقد أدخلوا الحربيليين وآل مربيض واخصاصيين ، فتمكنوا في كل القرية الا (أكادير) الا أن القائد اديل له عليهم . فأخرجهـم بعد ما هلك الغادرون . وكان ذلك ليلا . ووقعت له أخرى مثلها من ايدى (آل الاشكر) ، لكنها ايضا خرجت بسلامة .

القائـد أحمـد

هذا هو الذى اعلنا به اول هذه التراجـم ، لانه هو الـذي أدركنا له اتصالا باهالينا ، وان كان هؤلاء كلهم يعتنون بهم كل الاعتناء . أفلا يشكر له ولهم قلم الالغيين هذه اليد . فيخلدهم في الخالدين . في كتاب الالغيين .

كان له المام بالقراءة والكتابة ، وكان من رجال الدين والسياسة ، مشهورا في عصره بمعالي الامور ، وبالكرم وبمحبة اهل الخير دائما،فكان له مغناطيس يجذب به كل عالم سوسي. أو مرشد له سمعة . فلا يهدا حتى يحل بداره .

تقدم أن ولادته كانت 1244 هـ . ثم لما وقعت الواقعة بوالدهم الشيخ حمو برز الى الميدان في اعانة اخيه ، وقد رايت انه في سنة 1262 هـ . زار حضرة الملوك . وهو اذ ذاك دون العشرين . ثم أنه يشارك اخاه القائد في كل ما تقدم انه يجول فيه . وقد حج الحجة الاولى 1279 هـ . والثانية 1307 هـ . وقد كان صاحب معه العلماء . وقد رايت رسالة فيها ان العلامة الشيـخ سيدى الحاج الحسين الافراني لباه فيما اقترحه عليه من المصاحبة في حجة 1307 هـ . وقد كان هذا الشيخ لا يغب داره ، ولنسق أولا ما يتعلق به من الظهائر ، ثم نعود الى ما يمكن ذكره عنه .

1 (يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره ، واعز امره ، وجعل فيما يرضيه لله ونشره ، أننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته . جددنا لماسكه

خديمنا الارضى الحاج أحمد ابن الشيخ محمد التامانارتي حكم ما تضمنته ظهائر أسلافه . قدس الله أرواحهم . ونعّم في الفردوس اشباحهم . من التوقير والاحترام . والمراعاة والاكرام ، وتحرير بلادهم وأملاكهم وجناتهم ، وسواقيهم التي بأيديهم بوادي (تامانارت) تجديدا تام الرسم ، نافذ الحكم ، حسب الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا أن يعمل بمقتضاه ، ويقف عند حده ومنتهاه . صدر به أمرنا المعتز به في 21 من ربيع الاول النبوى عام 1295 هـ) .

وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه ومولاه .

2 (خدامنا الارضين أهل (تامانارت) وقبيلة (اد ابراهيم) وقبيلة (اد حمد) وقبيلة (مجاط) وقبيلة (ايت وافقا) وقبيلةآل(امانوز) وقبيلة (تاسريرت) وقبيلة (اداويزيد) وقبيلة (تحت أدرار) وأهل(ا مينيسي)و(عنق الرمال) وآل (سموكن) وآل (ايشمت) وقبيلة (ا كننان) وفقكم الله وأعانكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فاننا ولينا عليكم خديمنا الارضى الحاج أحمد ابن الشيخ التامانارتي ، مكان اخيه الشيخ محمد المتوفى . وبسطنا له يد التصرف عليكم . نيابة عن خديمنا الارضى الحاج عمر ابن سعيد المنوني. فاسمعوا له وأطيعوا فيما يامركم به من خدمتنا الشريفة ، اسعدكم الله به ، وأسعده بكم ، وعليكم بمراقبة الله تعالى ، والتقوى والطاعة جهد الاستطاعة وبالمحافظة على صلاتكم فانها عماد الدين ، قال تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وأقيموا الصلاةولاتكونوا من المشركين) وباداء زكاتكم ليبارك لكم في أموالكم ، فان اداءها سبب للنماء . ووفور النعماء . قال تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال جل وعلا : (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال صلى الله عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكاة . وورد في صحيح البخارى أن ساقطها — كذا — في النار ، ويقاتل عليها . قال سيدنا أبو بكر : والله لو منعوني عناقا لقاتلتهم عليه . وكونوا في ذات الله اخوانا ، وعلى الخير أعوانا . ولا تحاسدوا ولا تباغضوا (انما المومنون اخوة) وليكن لكم بأهل الخير والدين اقتداء واسوة ، ونسأل الله تعالى أن يوفقكم ويرشدكم ، ويسلك بكم سنن المهتدين ، ويعينكم على التقوى والدين ، آمين . والسلام في 21 ربيع الاول عام 1295 هـ .) .

وفوقه طابع كبير حسني في وسطه الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ومولاه . وفي طرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ... ان تلقه الاسد في آجامها تجم
من يعتصم بك ياخير الورى شرفا ... فالله حافظه من كل منتقم

3 (خدامنا الامجاد (آل ابراهيم) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الارشد القائد أحمد التامانارتي ،

وأسندنا له النظر في اموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، اسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الكل لما فيه رضاه .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

4 (خدامنا الارضيين آل (امانوز) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الامجد القائد أحمد التامانارتي ، وأسندنا له النظر في اموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي من أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به ، وأسعده بكم ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام، في 14 جمادى الاولى عام 1300هـ.)

وفوقه ذلك الطابع الكبير

5 (خدامنا الانجاد آل (أقة) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

6 (خدامنا الانجاد آل (تامانارت) كافة وفقكم الله وأرشدكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

7 (خدامنا الانجاد (آل النص) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

8 (خدامنا الانجاد (آل الهوتات) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

9 (خدامنا الانجاد آل (ساموكن) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله

تعالى وبركاته، وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الارشد القائد أحمد التامانارتي واسندنا له النظر في امور كم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أولينا من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة . أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

10 (خدامنا الانجاد قبيلة آل (طاطة) وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الحاج أحمد التامانارتـي ، واسندنا اليه النظر في اموركم ، فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أولينامن الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله ، وأسعده بكم ووفق الكل لرضاه والسلام ، في 7 جمادى الثانية عام 1300 هـ .)

وفوقه ذلك الطابع الكبير

11 (خدامنا الانجاد أهل (الويدان) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الارشد القائد لأحمد التامانارتي واسندنا له النظر في اموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أولينا من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

12 (خديمنا الارضى القائد الحاج أحمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد وصل كتابك متضمنا فصولا خمسة : الاول الاعلام بسلامة أهل هاتيك النواحي، واحسانهم لملاقاة الموجهين من قبلنا، والمبالغة في البرور بهم ، والوقوف معهم ، حتى عاينوا جميع الثغور. الثاني الاعلام كذلك بتوجيه الخديم ابن الحاج العيوبي مع البعض لـ (أركسيس) للوقوف على وضع المحبوب من البابور ، وابقاء الخديم ابن حمو مع العسكر في المحلة بـ (ايت بوبكر) الثالث كون خدمة البناء بـ (تزنيت) في غاية الاجتهاد . الرابع الاعلام بكون ما وقع من الخلف بين القبائل هنالك كـ (رسموكة) و (المعدر) و (بعقيلة) و (ماسة) لا بأس به . الخامس كون الناس عند السمع والطاعة » وكونك تطلب صالح الادعية من قدرة الطاعة وصار بالبال .فاما احسانهم الملاقاة مع الموجهين فذلك المعروف منهم أصلحهم الله . وأما توجه العيوبي لما وجه له . وابقاء ابن حمو فقد علمناه . واما اجتهاد خدمة البناء بـ (تزنيت) فيه فبذلك امروا تقبل الله . واما كون خلف اولئك القبائل لا بأس به ، فقد صار بالبال . واما طلبك صالح الدعاء فقد أجبت لذلك ، واستوجبته بحسن اعلامك . أصلحك الله ورضي عنك والسلام ، في 3 ذي الحجة الحرام عام 1300 هـ .)

وفوقه ذلك الطابع الصغير الموصوف أول هذه الظهائر .

13 (خديمنا الارضى الحاج أحمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله ، وبعد وصل جوابك عما امرناك به من التاهب لملاقاة جانبنا السعيد ـ(باكلميم) بأن الحال وجدن متهيئا لذلك ـ غير انك تأنيت حتى يتحقق لك حلول جانبنا العالي بالله هناكم ، وصرنا من ذلك على بأل . فقد حللنا يوم الاحد المؤرخ بمشهد سيدي بيبي من بلاد هشتوكة حلول يمن وعز وسعادة والاحوال والحمد لله صالحة ، ونعم الله غادية ورائحة . وها أنا في الاثر بحول الله ، والسلام . في 20 رجب الفرد عام 1303 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الصغير .

14 (خديمنا الارضى الحاج احمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد فقد وصل كتابك مخبرا بحلولك مع من ورد معك من ايالتك لملاقاة ركابنا السعيد ، بمحلة ولدنا مولاي محمد أصلحه الله . واستفهمت هل تقدمون او تنتظروننا هناك ، وصار بالبال . فابقوا هنالكم منتظرين قدومنا السعيد ، والسلام . في 15 شعبان عام 1303 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الصغير .

15 (خدامنا قبيلة (اداويزيد) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد وافى جوابكم عما أمرتم به من الوفود على اعتابنا الشريفة بأنكم عند السمع والطاعة في كل ما نشير به . وانكم الى نظر خديمنا الحاج أحمد التامانارتي فنعم . وانه بحضرتنا العلية بالله بقصد النيابة عنكم ، وقد أخبر بذلك ، وقام مقامكم ، وناب عنكم أحسن مناب ، أصلحكم الله وأصلحه . ورضي عنكم أجمعين آمين . في 26 من شعبان الابرك عام 1303 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير الموصوف آنفا .

16 (خديمنا الانجد الحاج أحمد التامانارتي وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى،وبعد فقد وصل كتابك بنفور القبائل التي الى نظرك منك. فاستملهم بالرفق والاحسان والسياسة . فقد ورد أن الله يعطي مع الرفق ما لا يعطي مع العنف ، والنفس مجبولة على حب من احسن اليها ، والانسان صنيعة الاحسان . أي مصنوع بالاحسان . يؤثر فيه ، وينفعل من اجله بالحكمة الازلية ، فالايلاف بما ذكر أنفع وأوثق في التئام الافئدة،لانه طبيعي للقلب والقالب ، وبغيره بالقالب ان حصل فقط . وليس به وثوق ، والسلام. في 24 ربيع الاول عام 1309 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

17 (خديمنا الارضى القائد أحمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فنامرك أن تفرض على خدامنا ايالتك ستمائة من الرجال . الكل يكون منتخبا من أعيان اخوانك ، ووجوه قبيلتك،يكونون من ذوي قوة ونجدة ، يستعد بهم أقوى عدة ، ورجالة فعالة صوال . وتقدم بهم على ولدنا البار مولاي محمد أصلحه الله في (ردانة) وتخيم عليه بحرتنك المذكورة،وان

وجدته نهض فالحقه حيثما وجدته ، واصحب وكابه لملاقاة جانبنا العالي بالله ان شاء الله بالمحل الذي نعينه لكم بحول الله ، والسلام . في 5 حجة الحرام عام 1310 هـ .) .   وفوقه الطابع الكبير .

18 (جددنا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته،لماسكه خديمنا الارضي القائد أحمد التامانارتي حكم ما بيده من ظهير سيدنا المقدس بالله ، سقى الله ثراه شآبيب رحماه . المتضمن توليته على اخوانه على التمام . وأسندنا أمرهم اليه في كل مقام . والامر لهم بأن يكونوا عند الامر والنهي لما يامرهم به من أوامرنا الشريفة ، السامية الاعلام ، تجديدا تام الاحكام . في كل نقض وابرام . فنامر الواقف عليه من الخدام ، أن يعلمه ويعمل بكريم مقتضاه. والسلام في خاتم محرم الحرام عام 1314 هـ .

وفوقه الخاتم العزيزي الكبير في وسطه عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه . وفي طرته (ومن تكن) البيتين .

19 (خدامنا الانجاد آل (تامانارت) وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد أقررنا خديمنا الارضي القائد أحمد التامانارتي على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة،أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 19 صفر عام 1314 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير .

20 (خدامنا الانجاد (آل النص) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد أقررنا خديمنا الارضي القائد أحمد التامانارتي على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة،أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 19 صفر عام 1314 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير .

21 (خدامنا الارضيين آل(ساموكن) كافة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد أقررنا خديمنا الارضي القائد أحمد التامانارتي على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة،أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 19 صفر عام 1314 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

22 (خدامنا الارضين آل (أمانوز) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد أقررنا خديمنا الارضي القائد أحمد التامانارتي على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من

الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة،أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الخير عام 1314 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

23 خدامنا الارضين (آل ابراهيم) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد أقررنا خديمنا الارضي القائد أحمد التاماناَرتي على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور لخدمتنا الشريفة،أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الخير عام 1314 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

24 (خدامنا الارضين (اداويزيد) كافة وفقكم الله،وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد أقررنا خديمنا الارضي القائد أحمد التاماناَرتي على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة،أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الخير عام 1314 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

25 (خدامنا الارضين آل(اهوتات) ـ اثنان من ايسي ـ كافةوفقكم اللهوسلام عليكم الله ، وبعد اقررنا خديمنا الارضي القائد أحمد التاماناَرتي على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة،أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الخير عام 1314 هـ .) .

وفوقه الطابع .

26 (خديمنا الارضي القائد أحمد التاماناَرتي وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد فقد بلغ علمنا الشريف أنكم لا زلتم مع القبائل في قتال. ولم تصرفوا وجهتكم لما أمرناكم به من النهوض للحركة في الحال . وعليه فنامرك أن تجعل معهم سدادا حتى يفوت غرض المخزن، وحينئذ يظهر ما يكون بحول الله . فلتعجل بذلك ولتقم على ساق فيه فقد أمرناهم بمثله ، والسلام. في 9 جمادى الاولى عام 1314 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الصغير المذكور آنفا .

27 (خديمنا الارضي القائد أحمد بن محمد التاماناَرتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد وصل كتابك مخبرا بأن تلك الناحية بخير وعافية ، وانه نزل بها مطر غزير ، وانتفع الناس به ، وحمدوا الله على ذلك. وان الخديم القائد سعيدا الكلولي قد سكن بـ(تزنيت) في هذه الساعة ، ووجه خلائفه لافران ـ وجل أهل افران هربوا لما حصل لهم من الخوف طالبا الكتابة

للقائد المدني الاخصاصي في شان (ايت ابراهيم) و (ايت جرار (1)) بأنهم من ايالتك منذ أزمان . وصار بالبال . اما ما ذكر من فرار جل أهل(افران) فسكن الله روعتهم . واما ما طلبت من الكتابة للخديم القائد المدني في شأن ما ذكرنا فقد أصدرنا أمرنا الشريف للخديم الكلولي بتحقيق الواقع في ذلك . والسلام . وفي 15 من ذي القعدة الحرام عام 1317 هـ .) .

وفوقه الطابع الصغير .

28 (خديمنا الارضي القائد أحمد التامانارتي . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فبوصوله اليك نامرك أن تقوم على ساق الجد في جمع حركة ايالتك ، من أهل الثروة والملاء والاشياخ والاعيان والكبراء . وتنتخبهم من أنجاد فرسان القبيلة ورماتها الذين يعتد بهم في جلائل الامور ومهماتها . ذوي عدة معتبرة مغنية في كل كفاح . وخيل جياد صحاح . وتنهض بها لحضرتنا الشريفة عاجلا . وفي أقرب حين تكون بها واصلا . أعانكم الله تعالى والسلام . في 18 حجة عام 1320 هـ .) وفوقه ذلك الطابع الكبير العزيزي

أقول ان هذا من الاستنفار العام ايام ثورة أبي حمارة من (تازة) ، ولكن المرسل اليه لم يلب الاستنفار .

29 (خدامنا الارضيين قبيلة (تامانارت) كافة أخص أعيانهم وأشياخهم وكبراءهم وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد بلغ لشريف علمنا ما حدث بنو أحيكم من التشوش والاضطراب.وتشوف العامة من قبيلتكم الى احياء الفتنة واستفزاز الالباب . حتى صار ذلك من جهة الى أخرى.وكاد أن ينشب في أهل الصلاح منهم ظفرا ، واستبعدنا وقوع ذلك بينكم مع تهاونكم في اخماد ناره ، وعدم مبادرتكم الى تسكين روعته وحسم اضراره ، لاننا نعدكم من قبائل الصلاح والدين ، وممن لا يدخلهم في جانب الخدمة تقصير . ولا في أمر الطاعة توهين . وعلى تقدير أن لو صدر ذلك من بعض الغوغاء منكم والعوام . فالمعتقد من العقلاء والكبراء منكم أن يردوهم لطريق الرشد والالهام ، ويسعون في هنائهم وتسكينهم ، ويصلحون ذات بينهم . ويقومون بما اوجبه الله عليهم من نصيحتهم ، والاجتهاد في استخلاصهم من مصيبتهم ، حتى لا يحترق الاخضر باليابس ، ولا يلتطخ البريء بعمل الذين ارتدوا من الفساد أسود الملابس ، فغير خاف أن قضاء الله موكل بمعاقبة المعتدين . وان من لم يتشكروا نعمة العافية فقد ضلوا عن طريق المهتدين .وأي مفسدة للناس كحدوث الخلل فيهم والافتتان ، بعد أن كانت نفوسهم مطمئنة واجفانهم رقودا في ظلال الامان.الم تعتبروا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « الفتنة نائمة فمن ايقظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » ، وقوله

---

(1) لعله يقصد ايت جرار اراء افران جيران اد ابراهيم بتاعاجيجت .

صلى الله عليه وسلم : عقوبتان معجلتان في الدنيا البغي والعقوق . وقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وعليه فنامركم ان تقوموا على ساق الجد في كف المشتغلين بالخوض والفساد . وقمعهم واطفاء شرورهم . والضرب على أيديهم،وأن تكونوا عليهم يدا واحدة.وأنفسا متعاضدة وتجتهدوا فيتطهير ساحتكم من تلطيخ فتنتهم . واسباب محنتهم ، حتى يستقر حالكم على ما رجوناه لكم من الهناء العام ، والصلاح التام . وان لحقكم ضرر من أحد أو اذاية فاعلموا به جنابنا الشريف . فنحن أولى برفعه عنكم وازالته،لكون أهم الامور عندنا هو حفظ دين الرعية وصلاحهاوهدايتها وارشادها ، ورفع الضرر عنها والرفق بها الا من ورطوا أنفسهم في الفساد والعدوان فنقمة الله تعالجهم في كل مكان (ولا يحيق المكر السيء الا باهله) وقد كتبنا لغيركم من قبائل سوس بما عسى أن يلهمكم رشادكم ، ويجعل لكم من التوفيق والهناء ملاذا ، وها نحن في انتظار ما نسمعه عنكم ، أن يرد الله بكم خيرا والسلام ، في 5 جمادى الثانية عام 1321 هـ .) .

وفوقه الطابع الكبير .

صدر هذا الظهير وظهائر أخرى مثله الى قبائل سوس يوم ثارت القبائل على قوادها اثر ذهاب القائد الغلوسي الحاحي وجيشه المرابط في (تزنيت) الى (تازة) كجميع جيوش الحكومة لمقاومة أبي حمارة .

30 (خديمنا الارضي الحاج أحمد التامانارتي ، وكافة اخوانه الذين الى نظره، اخص أعيانهم وكبراءهم وفقهاءهم وشرفاءهم ومرابطيهم ، واهل الحل والعقد منهم ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، فقد علمتم أن الله تبارك وتعالى أمرنا بأوامره حضنا على اتباعها ؛ ونهانا عن أشياء وأرشدنا الى اجتنابها ، وسكت عن اشياء رحمة منه سبحانه غير نسيان . وأمرنا ان لا نبحث عنها . امرنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج . وأمرنا بالجهاد عند مفاجأة العدو واخذه ارض المسلمين ، وطالما رأينا وسمعنا ، ولا زاجر ولا واعظ ولا من يتعظ ، اخذت (وجدة) فاخذنا أمرها هزءا ولعباوتهكما وسخرية ولم يجد اهلها ناصرا ولا معينا . فلم يكن الا كلمح البصر او هو اقرب حتى حفنا العدو من امام ووراء . (الى آخر المنشور ـ وقد تقدم في ترجمة القائد المدني الاخصاصي برمته ـ وقد كان المولى عبد الحفيظ وزعه في كل نواحي الايالة على جميع المسئولين ، لا سيما الجنوب الذى كان فيه خليفة رسميا ، وقد رأيت منه نسخا في جهات متعددة . والمقصود استفزاز الناس للانحياش اليه ، وللقيام ضد اخيه مولاى عبد العزيز ليصمد الناس أمام العدو المهاجم للبلاد اذ ذاك ، حين كان ملك الوقت لم يتصد للكفاح،ولكن لم يكد المولىعبد الحفيظ يتم له الامر ، ويحتل فاسا ، حتى عجز عن المقاومة بدوره . فكان ما

كان مما طم به الوادي على القرى . ولله الامر من قبل ومن بعد) .

بقية من أخباره

هذه هي الظهائر التي وجدناها عند الاسرة ، وناهيك بها دلائل قاطعة على المكانة التي تحب الحكومة أن يتبوأها المترجم ، لو تيسر له ذلك . ولكن الحقيقة انه لا يعدو حكمه قرية (أكرض) ، ولا يستولى الا على من هناك من الحراطين ، وعلى ما هناك من النخيل ، وقد قيل له مرة كم عدد ايالتك ؟ فقال عشرون آلفا . فشده السائل من هذا الجواب ، فاستفسره عن مقصوده فقال له : ان في سقي (تيملت) عشرين الف نخلة ، ولي عن كل نخلة قنو ، فهي التي تصح لي ايالة . والمعتاد آن يؤخذ من كل نخلة قنو للقائد أو لشيخ القبيلة ، أو لهري الجماعة ـ هذا هو عرف تلك الناحية الى أن جاء الاحتلال . وقد كان مع مولاي الحسن في سفره الى (تافيلالت) فظهر له مال عتيد بين أقرانه من القواد السوسيين، فقد انقضى للغالب ما معهم من الزاد والمال . فصار هو يريشهم مما عنده . وقد انتفع اهله وكل افراد أسرته بما تدره عليهم حقول (تيملت) وبما يحرثونه خارجها من (المعدر) وغيره ، وقد كانت حرب شديدة مرت بينه وبين أعدائه الحربيليين نحو سنة 1307 هـ . بسبب ما وقع حول (ايشمت) حيث حلفاؤه ، وكذلك اخرى نحو 1327 هـ . اثر قتل الفقيه أحمد الايفيرى (1) . فذهبت فيهما مدخراته الكثيرة ، ثم صار يستدين من ذلك الوقت ، فانقصم فقار تموله الذى كان مضرب الامثال ، ثم صار يرهن من بساتينه عند كل ملمة تنزل به ، فتناقص بذلك ما كان عرفت به دارهم من الكرم . وقد كان معتادا قبل من عهود أجداده أن ينادي منـاد بعد المغرب كل عشية . بأعلى صوته ان ياتى كل من أراد العشاء ، فبقـى النداء وحده . ولكن الناس أدركوا انما ذلك عادة لا غير فلا يلبيه أحد الا من يجهل ذلك من الواردين ، فيرجع خائبا . وقد كانت ثلاث ديار في جنوب سوس لا توازى تمولا وكرما وشفوفا دار (ايليغ) ودار (آل بيـروك) ودار هؤلاء التامانارتيين ، وكانت كلها ديار نحلة (تأكوزولت) ثم صارت كلها الى تضعضع في وقت واحد بعد 1325 هـ . الا أن هذه لم تنهر بالكلية الى الآن 1362 هـ . كما ستراه أمامك . وقد صار الحاج احمد يتمشى بالهوينى أخيرا . مع انكماش وانحياش الى العبادة ، والى أهل الخير ، وقد صارموئلا لكل من ساقته الاقدار الى (تامانارت) من القواد الذين لعب بهم الدهـر ، كالقائـد أحمد الصوابي قائد (ايت يعزى) البعمراني الذى أوى اليه حتى توفى هناك في منتصف جمادى الاولى 1346 هـ . ومن العلمـاء السائحين ، ومن الـذين

(1) ذكر ذلك بتفصيل في ترجمته السابقة في هذا القسم نفسه .

يلازمونه ، كالفقيه الشافعي السكناني ، كاتبه الخاص الذي استورده من (تيمكيدشت) وابني عمه محمد الطيب ، وعابد ابني محمد بن عبد الرحمن ، فصار الشافعي امامه وجليسه وكاتبه ومستشاره ، وقد ألم به الشيخ الصالح سيدي الحسين الزرهوني الجديدي سنة 1316 هـ . فنزل عليه ما شاء الله ، ثم أركبه فرسا ، وكذلك لا يغب زيارته علماء تلك النواحي ، كالفقيه أحمد الايغيري ، الذي كان قاضيه ، حتى انه لما قتل قام لاخذ ثاره بحرب زبون – كما تقدم – وكالفقيه القاضي ابن بداح الذي أوى اليه اخيرا بعد ما فارق آل بلعيد ، واما فقهاء (الغ) فان (تامانارت مغداهم وممساهم وخصوصا الشيخ الالغي ، والاستاذ علي بن عبد الله اللذين لهماهناك بساتين كثيرة ، وكم أحاديث بينه وبينهما ، كما كان لآبائه مع آبائهم كذلك مخالطات شتى. وقد ألمنا في كتاب (من أفواه الرجال) وفي (خلال جزولة) في (الرحلة الثالثة) ببعض اخبار عن هؤلاء الرؤساء التامانارتيين .

قولة الرفاكي فيه

ومنهم ابو العباس : القائد الحاج أحمد التامانارتي الجزولي ، كان رجلا عاقلا، وبمزيد الصبر كافلا ، يتهوع(1) لذباب رآه، ولايأخذ عند ذلك مأواه ؛يوهمه بعض الحذاق ان رآه ، وانه أخذه ورماه ، فيتركه ولا يتعشاه ، وعينه لا تغشاه ، وطريقه لا يتمشاه ، بل يتهوع ، وبطنه يتجوع ؛ شنشنة (2) لا يفارقها ، وبلية يدافعها ، بنى حصنا أمنع من الابلق (3) وحماه بكماة (4)على قلب ابن الازرق(5) ، ولا يحوجه للخندق ، ولا يطمع فيه الا الاحمق : وان شئت قلت : انه الخورنق (6) وبريق الغيظ راميه أشرق ، يقول لابن هند أرعد وأبرق (7) ولساكنه اصطبح واغتبق (8) وارج عفو المعتق (9) ومثل ذلك في السوس لغيره لم يتفق ، ويقال لطالب التمر لخصيبه انطلق ، ولا

---

(1) يتقيأ . (2) شنشنة : طبيعة .

(3) الابلق (الفرد) : حصن للسموأل بن عاديا ، بناه أبوه بأرض تيماء

(4) الكماة ج . كمي : الشجاع ، أو لابس السلاح .

(5) ابن الازرق : أحد الشجعان من الخوارج واسمه نافع،واليه ينسب الازارقه

(6) الخورنق قصر للنعمان الاكبر باليمن (7) ابن هند : هو عمرو بن هند ملك العراق تحت الفرس ، ذكر في (المعلقات) وارعد وابرق : أي تهدد وتوعد

(8) اصطبح : أي شرب الصبوح وهو ما يشرب صباحا ، واغتبق اى شرب ما يشرب عشيه ويسمى الغبوق بفتح أولهما

(9) المعتق : اى الله سبحانه وتعالى .

عار على المسترفد (1) الملق ، وعنده يمتاره العافون (2) وبسحائب جوده يستكفي النازحون لا يرد سائلا ، ولا يعده ثاقلا ، شهد بذلك الزائرون ، ويريه عن الرئي الرائيون (3) استفاض ذلك وذاع ، وأدرك ذات الخدر في المخداع (4) كم ذي رتبة قعسا ، اصبح عنده وامسى ، وملأ حقائبه وأكسى(5) فلله ما أبدى وما أعسى (6) .

الناس اكيس من أن يمدحوا رجلا   حتى يروا عنده آثار احسان

ومن تمام عقله ، أن اختار لمجاورته ووزعته الحراطين اذ لا غرض لهم في رتبة السلاطين ، لا يانفون اذا ضربوا ، ولا يعصمون متى استصحبوا منهم الحراثون ؛ والغسالون والجزارون ، ومنهم القلم والابارون (7) وفي عراض(8) المواكب يسيرون ، يصلحون للخدمة ، ولا أنفة عندهم ولا حرمة ؛ يرضون بالدون ، ويحفون بالزبون ، أمن منهم من الاعراض ؛ وفقد منهم الامتعاض . ويتبعون من مخدومهم الاغراض ، بأدنى أمر ينقادون ، ولحزبه يتحاشدون ؛ لا يطمعون في الامرة (9) ولا يلتفتون في خدمتهم للاجرة ، وكفاهم ذلك فخرا (10) ، اذ غنموا بالتواضع اجرا ، وهم أيضا اخوان أفضل النبيئين؛واجل المرسلين ، من أختهم هاجر حليلة ابراهيم الخليل ، وام اسماعيل النبيل الجليل . ولهم المرتبة العليا ، وان كانوا ظاهرا في السفلى ، وان انحط قدرهم من جهة حام ، بعصيانه دعوة آدم عليه السلام. فلهم المزية من الجهة الاخرى وفاقت هذه اليمنى تلك اليسرى ، فتوجه اليها الواحد بالشخص ، والتفضيل بالتمحيص والفحص .

---

(1) المسترفد : المستعطي المستمعين ، والملق : الفقير جدا .

(2) امتار : طلب الميرة بالكسر . المؤونه والزاد ، والعافون : الفقراء .

(3) كذا ، ولعله يقصد : (الراوون) او (الراءون)

(4) كذا ، والمعروف المخدع .

(5) كذا ، والمعروف كسا : ثلاثي .

(6) ما أعسى لعه يقصد قولهم : اعس به ، أي أجدر به .

(7) القلم : يقصد به الذين يقلمون الاشجار ويشذبونها ، والابارون : الذين يابرون النخل أي يصلحونه ويلقحونه .

(8) كذا ، ولعله يريد عرض بضم فسكون ، اى جانب المواكب الخ .

(9) الامرة : الامارة والحكم .

(10) **مستملحة :**

يحكى أن حرطانيا من الحراطين هؤلاء سافر الى جزوله ، فسئل من هو ؟ فقال انني صهر صاحب ابن عم خماس القائد . فانتسب الشرف هكذا حتى صار يتباهى به . وهذا مصداق ما قاله مؤرخنا الاكراري الاديب الاريحي رحمه الله .

الى هنا جرى بنا خيل الكلام   فلتعف مولانا علينا والسلام
توفي رحمه الله في أواخر جمادى الثانية عام : 1336 هـ . بداره ، المسمى بلده : بـ(اكرض) ، بتمنرت ، بلدة الولى الصالح ؛ والخبير الرابع : سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ المتوفى في صفر عام : 971 هـ .
اقول : ان المترجم لزم داره ، ولم يكن له في أعمال الهيبة أى يد ، ولعل ذلك مما يراه وفاء للدولة العلوية المجيدة .

القائد البشير

كان للقائد الحاج احمد ولدان ، من الذكور : عمر ومحمد ، ثم توفيا قبله؛ فاعقب عمر ولده البشير ، وقد صار رجلا مذكورا بين اهله ، يعرف ما يفعل وما يذر عن تجربة . وقد كان حفظ القرآن حفظا لا بأس به على يد الاستاذ مبارك بن هدو الاكرضي ، كان يشارط في مسجد (أكادير) حيث دار القيادة، توفي نحو : 1346 هـ . ثم أخذ المبادىء العلمية حتى استطاع أن يطالع ، عن الاساتذة الملازمين لدارهم ، الشافعي وسيدى عبد الله بن مسعود الالغي وسيدى محمد الطيب ابن عمه .

وبهؤلاء انتفع اخذا ومجالسة ، وقد قام بامر دارهم بعد جده ، وكان هو الرئيس على (الكزوليين) أمام (الحاكيين) فخاض لذلك على رياسة اهل نحلة (تاكوزولت) ثلاث حروب ، ضد النحلة الاخرى (تاحكات) التي يرأسها آل القائد بلعيد المربيضي – وقد رأيت ترجمته وتراجم كل أهله فيما تقدم – واحدى هذه الحروب كانت حوالى 1327 هـ . في قيادة القائد الحاج أحمد ولكنه اذ ذاك هرم عاجز . فكان القواد في يد حفيده اللبق البشير . وتسمى هذه الحرب : حرب بوسعيد . وهو رجل من (اد ابراهيم) قتل فيها ، وسببها هو قتل الفقيه سيدى أحمد الايغيرى المشهور . وقد طالت ما شاء الله من الشهور – وقد تقدم ذكرها في ترجمة الفقيه – والحرب الثانية سببها المنازعة حول قرية (ايغير و'يلتولن) لان الحربيلين انقضوا على هذه القرية لينزعوها من أهل (تامانارت) فقامت الحرب اثر جلاء هذه القرية الى (أكرض) دامت سنة ، فوقف القائد بلعيد حتى رجعت السيوف الى اغمادها.والحرب الثالثة نشأت أيضا على هذه القرية.فقد دهمأهل(تامانارت) هذه القرية ليسترجعوها، لان السلم المتقدمة تأسست على أن تبقى (ايغير) خارجة عن منطقة(تامانارت) ولذلك نقض هؤلاء ذلك ، ولكنهم اندحروا بعد ما احتلوا القرية . وهكذا بقى الجالون من القرية الى (أكرض) لا يزالون فيها الى الآن ، وكانت هذه الحرب الثالثة سنة 1340 هـ . والذى أوقف الحرب ي(المعدر) فقد اعلنت الهدنة ليشتغل الناس بالحرث،ثم دامت المناوشات بكل مناسبة الى أن جاء الاحتلال

فلم تقع حرب بعدها هنا بين هاتين النحلتين .
ومما وقع على يد القائد البشير المداحسة الواقعة في زاوية (تيمكيدشت) بين رئيسها سيدى محمد بن هاشم . وابن عمه سيدى العربي ابن الحنفي . كما بين في كلام المانوزى ـ في القسم الثالث ـ وكان القائد من شيعة العربي . ولكن هذه الشيعة قد اندحرت أمام خصومها .
ومما وقع اذ ذاك أن القائد المدني ومعه القائد الناجم ذهبا في جيش فيه فرسان كثيرون الى (أقا) فمروا بـ(تامانارت) فنزلوا على القائد البشير ، فباتوا،وفي الصباح صاحبهم الى (ايمي أنوكادير) على نية أن يصاحبهم لطيتهم الا أنه أخبر سرا أن المدني ينوى أن يفتك به ، لانه هناك هو الحاجز دون ما يتمناه المدني من الاستيلاء على تلك الناحية،ففارقهم الى (ايشت) فنزل على بنته هناك - ثم رجع . وقد بعث معهم بعض أصحابه وأولاده » ولذلك لم يمروا بـ(تامانارت) يوم رجوعهم من(أقا) ، والغدر اذ ذاك بين الرؤساء مسترسل ، حتى لا يأمن معضهم بعضا ، وان كنت أنا أكبر المدني عن أن يرتكب مثل هذا.
هكذا كان القائد البشير هناك رجلا مهيبا نافعا وضارا . لا يقرب حماه . وهناك كان منزل محمد بن بلقاسم النكادى حين جلا من(تافيلالت) هو و (ايت سفول) و (ايت حمو) و (ايت خباش) . وذلك بعد ما فتكوا بالقائد ابراهيم ابن بلعيد ـ كما تقدم في تراجم آل بلعيد في هذا (القسم الخامس) نفسه ـ وكان قتلهم له 1349 هـ . وبعد شهور ذهب النكادى الى (تاغجيجت) وقد كان أكرم وفادتهم لما نزلوا عليه ، مع أن اصحاب النكادى قيل انهم تسوروا ان يغدروا القائد البشير ، وان يحتلوا داره،كما فعلوا بعد ذلك بأهل (ايشت) ويقال ان ذلك بايعاز من أبناء الشيخ ، وابن هاشم التيمكيدشتى ، والقائد المدني . غير أن القائد البشير ومن معه استفاقوا ، فارتحل الآخرون الى (تاغجيجت) وذلك بعد ما استيقنوا أن (أكرض) ليست لهم بدار مقام .
هذه أنباء عن القائد البشير من هذه الجهة ، ومن جهة أخرى كان رجل المائدة والفائدة ، يألف ويؤلف ، استطاع أن يجعل حوله حاشية تنظر اليه باكبار . وقد كان أخي أحمد رحمه الله ممن يطرقه كثيرا ، ثم صار يذكره لي كثيرا بعد ذلك في أحاديثه . وهو الذي وقف له وللاخ الحبيب حتى توصلا من عند أهل (ايشت) بثمن ما اغتصبوه منهما من الاملاك التي اشتراها الوالد بالبيع البات ، ثم استرجعها هؤلاء ظلما ، ومن أخبار القائد البشير انه استرد كثيرا من أملاك أهله المرهونة . واستنمها ولده القائد محمد ، فانتفعوا بذلك . فاستطاعوا أن يحافظوا على دارهم بالثروة ، وهكذا مضت أيام القائد البشير قبل الاحتلال . ثم صار بعده احد الرؤساء المحترمين ، ورئيسا على (اكرض) و (ايت تيكني) و (ساموكن)ولم يزل يمشي بالسياسة

الى أن توفي ثاني ربيع الاول 1362 هـ . وهو الذي أحدث الدار السفلية ، وبني فيها بناء حسنا ، وهي التي زاد فيها ولده محمد الآتي حتى كانت منزلا مرموقا ، مستجمعا لجميع الضروريات،والمنازه المشرفة،والقباب الفسيحة.

القائد محمد بن البشير

ولد سنة 1336 هـ . في الوقت الذي توفي فيه جده القائد الحاج أحمد،وقد كان والده يرشحه للمعالي . والى أن يكون خير خلف لسلفهم الباسل . ولذلك لم يكد والده تغمض عيناه ، ويزور الرمس جنباه ، حتى برز للميدان خير فتى يكاد يكون كله عصريا ، وقد كان يسمع في مجلس أبيه أخبار الوطنيين حين يذكرون في تلك المجالس ، اما باعتقاد واما بانتقاد . فصار يتطلع الى ان يكون أحدهم . فيتساءل كثيرا عما يقع في الحواضر . خصوصا منذ حوادث 1944 م . فيتناجى بها مع بعض جلاسه وأودائه . ولم ينشب فرع من فروع حزب الاستقلال السرية أن برقت بارقة منه هناك . فانخرط فيه سرا،وحين كنت في (مراكش) بعد 1364 هـ . صار كلما زار المدن يتردد الي،وربما بات عندي . فكنت أراه لقنا حاذقا غيورا عيوفا . لولا أنه يلابس بعض خصال اتمنى لو أنه تباعد عنها ، وقد كنت زرت (تامانارت) في رحلتي (الثالثة) المدونة بين مجالاتي (خلال جزولة) فنزلت عليه ، فرأيت كل ما يعجبني من بناء حسن . وطهو حضري ، وزرابي مبثوثة ، ووسائد مصفوفة ؛ ثم ركبت من هناك معه الى (ايمي ؤكادير) فرايت اخلاقا وخصالا وشمما . ثم لما تحولت الى (البيضاء) سنة 1370 هـ . وقد اكفهر الجو ، واحمر الحدق ، وظهرت السرائر . وقد صار الطيب يتميز من الخبيث ، وأعمال جوان وكيوم تسعى فيما تسعى فيه . صرت أسمع عنه ما يسرني سرا . وان كان يحاول أن يغطي ما في قلبه عن الحكومة ، لانه موظف معها . ثم لما ابنا من الصحراء يوم انطلاقنا من الاعتقال ، وقد كاد الفجر يطلع والاستقلال على الابواب . ورد علينا أنه كشف عما في صدره ، وأنه كاد يصرح بفكرته الوطنية ، ثم بلغنا خبر انتحاره ، واليك وصف ما وقع له ، نرويه عن أحد خلصائه قال كان القائد عارفا لوقته . يستفزه الشعور الوطني ، وقد كان الفقيه السيد الحسن بن أحمد الرسموكي التيمكيدشتي (1) مشارطا في (أكرض) فكان هو الذي تأسس على يده فرع الجمعية الاستقلالية هناك . فدخل فيه اناس بينهم القائد الذي سبقت اليه الفكرة ، فدخل معه هناك في الحزب أناس معروفون من كبار القوم . وقد كان من بينهم انسان يسمى العربي من (أكاديرإنزرنو) من (أقا) وآخر من (ساموكن) يسمى محمدا ، ويلقب بابن بوفوس . وقد كان الاول دفعته الحكومة الى القائد ، ووصته عليه أن يرد اليه باله لئلا

(1) قاضي هشتوكة بسوس الآن 1379 هـ .

يهرب، وقد وصت أيضا العريبي سرا على أن يكون عينا على القائد ، والثاني الساموكني مخلص. وقد كان القائد يوم اختمرت فيه الفكرة،اشترى دارا في (أكادير) فينقطع اليها . ويخالط احمد بن الحاج التملي الوطني المشهور. وغيره من الاولين في الوطنية بسوس، ويتصل بالحزب بوساطتهم، ثم تسرب الى رجال الاحتلال ما يصنعه القائد في (أكادير) فمنعوه من (أكادير) وقد كان يعطي من ماله للحزب في كل فرصة . وقد أعطى لصندوق الحزب فرصة واحدة سبعين الف ريال . ثم لما انقطع عن (أكادير) وقد اشتدت أعمال الفدائيين . صار يستنهض من الناس ، بوساطة أصحابه . فقد قام يوما محمد ابن بوفوس الساموكني الى ملعب في قريته (ايغير) بوادي (سا-و-ن) فنادى في مجمعهم ، : أيها المسلمون ، ايعتقل سلطانكم . وتنتهك حرمه عرشكم ثم يطيب لكم اللعب ؟ فسرى على الناس الحاضرين في الملعب.وصار يذكرهم أعمال الفدائيين الابطال . ففاومه مقدم القرية ، فخصمه ، ثم خرج هاربا فورد المقدم الى رجالات الاحتلال في مركز (ايمي انو تادير) فاخبرهم بما فعل الرجل ، وقد وصفه لهم . فنبه المراقب جميع المراكز على اعتقاله اينما وجد. فصودف في (بنوز اكنارن) فاعتقل وأتي به الى القائد . وهو القائد محمد صاحبه . فلما قدم اليه في المحكمة ، قال لهم ان هذا لاحمق ، فكان ذلك هو السبب حتى سرح بعد ما سجن نحو شهر ، وبعد استنطاق لم يصح عليه فيه شيء . ثم أصبح خيط من خيوط التليفون مقطوعا يوما هناك حول المركز فبحث عمن فعل ذلك بحثا مدققا ، حتى نودي بأن من أخبر الحكومة عن فاعل ذلك سيعطي أربعة آلاف ريال . فقام ذاك العريبي الاقاوي المنقدم ، فاوصل الى الحكومة كل ما يعرفه عن القائد ، وأن أصحابه هم الذين قطعوا الخيط باذنه ، وأن القائد ينوي الثورة . فعنده السلاح ، وكثيرون من الناس استحلفهم على ذلك ، فحقق لرجال الاحتلال ما يقوله هذا الجاسوس أن القائد قد صار يتعاظم عليهم ، ويقابلهم بالخشونة أحياناً . والحقيقة ان العريبي نفسه هو الذي امر ثلاثةحراطين فلانا وفلانا وفلانا . ان يقطعوا الخيط، وزعم ان القائد هو الذي قال له ذلك وقد تكرر قطع الخيوط التليفونية قبل هذه المرة ، ولكن الحكومة لم تتهم به احدا . ثم أن المراقبة في (ا يمي أوكادير) ارسلت الى القائد أن يقدم اليها والمسافة قريبة – فاعتذر بالمرض ، فارسلت اليه يوما طبيبا فحصه ، ويوما آخر ممرضا كذلك . ثم لما ابى أن يصل المراقبة واكثر من الاعذار . جاء المراقب نفسه مع اعوان كثيرين في حافلتين. فوقفوا أمام الباب . فارسل الى القائد ان يخرج اليه فخرج . فطلب منه المراقب أن يذهب معه ، فاعتذر ايضا بمرضه . فقال المراقب للاعوان احملوه الى السيارة . فاهووا اليه ليحملوه ، فاذا برجل من بني عمومة القائد يسمى

الحسن بن زبير اطلق من بندقيته ثلاث طلقات ، فقتل العون الذى أخذه باحداها ، فأجفل المراقب والاعوان . فرجع القائد الى داره ، فاغلق الباب دونه ؛ وهى الدار السفلى المحدثة . ثم ان المراقب ومن معه انحازوا الى (السوق الجديدة) بعد ما كانوا يطلقون بنادقهم تخويفا بكثرة ، وقد ارسل الى المركز فى (ايمى أنوكادير) فسرعان ما جاءت الجنود والرشاشات ، وقد كان وقع ما تقدم نحو العاشرة صباحا . كما كان المراقب أرسل الى كبار القرية، فارسلهم الى القائد ليأتى ، ولكن القائد ابى من الاجابة ، الا انه قال للناس أما أنا فلا يمكن أن أتلاقى مع أعداء الله وأعداء وطنى ، فان اردتم انتم ان تذهبوا بى الى أعداء الله فافعلوا ما شئتم . فقالوا له حاشا أن نذهب بك الى أعداء الله . فرجعوا الى المراقب معتذرين عنه بالمرض . هذا وقد وقف مع القائد اذ ذاك حراطين من أعوانه نحو عشرين . وهم يقولون له اعطنا السلاح ان كان عندك . فقال لهم : لا سلاح عندى . وقد كان الناس أول مرة كثيرين نحو مائة ، فلما علموا أنه لا سلاح عنده ، صاروا يخرجون عنه متسللين ؛ حتى لم يبق معه الا نحو عشرين من أعوانه ، ثم رجع رؤساء القرية من عند المراقب يقولون له عنه: ان أبى أن يأتى الينا فاننا سنوجه أفواه المدافع الى القرية لنحطمها . فقال لهم القائد : اذهبوا الى المراقب ونادوا عليه بشرع الله لئلا يهلك قريتكم ، وأما أنا فلا يمكن لى أن يرى وجهى . قال الراوى : فذهبنا ، فأعلنا ذلك امام المراقب ، فأمر باعتقالنا . وسلسلونا بالاغلال ووجهوا الينا أفواه البنادق ، تقابل صدورنا . والجند اذ ذاك يطلق من الرشاشات نحو القرية . قال الراوى : ثم ساقونا حتى قربنا من دار القائد. فأرسل المراقب من يطلب ثانيا من القائد اما أن يخرج واما أن يرسل بندقيته فدخل عليه الرسول ، ووجده قد سدد بندقيته نحو فسيان كان مع الجند ، وقد تراءى له فى محل تمكن فيه اصابته، فمنعه من ذلك. ثم حاوره أن يخرج الى المراقب أو يدفع سلاحه ، فأبى كل الاباء ، ثم رجع الرسول . فأخبر عنه أنه لا يخرج ولا يعطى سلاحه ، ثم عمد هو اذ ذاك ، فجعل فم بندقيته تحت لحيته فأطلق الرصاص على رأسه ، فخر ميتا . وقد غادر الدار كل من كانوا فيها فى ثقب من جدار . فأمر المراقب أن يوتى بجثته الى الوادى ، وذلك فى نحو الرابعة والنصف عشية . ثم أمر المراقب ، فأتى ببقرتين من دار القائد . فذبحتا فى الحين للجند. وقد ذهب الاعوان حتى أختاروهما ، هذا . وقد تفرق جميع رجال أهل القرية فارين . قال : ثم أتى بنا نحن المعتقلين الى وسط السوق ، فأطلقونا . ثم خطب المراقب فى الناس قائلا لهم : ان أرباب الرأى منكم يردون بالهم ليجمعوا كل السلاح . فقد قال لى العريبى الافقاوى ان تحت يد القائد سلاحا كثيرا ، ثم تفرق الناس . فذهب المراقب ومن معه ، وقد حملوا جثة القائد الى المركز فى (ايمى أنوكادير) فامر المراقب أن لا

يدفن . بل يطرح في حفرة ، ولكن صاحب المراقب ـ الشاوش ـ راجعه في ذلك » حتى انعم بأن يغسل ويكفن ويدفن . وهكذا فعل به . فصلي عليه ؛ فدفن في مقبرة (ايمي أوكادير) رحمه الله . وقد كان انتحاره في مفتتح صفر قبل أن يرجع الملك بشهر ، وكن من يعلم كيف الجو اذ ذاك يعلم بديهة ما هو السبب، حتى لم يفلت المراقب ومن معه بأهل (أكرض) كعادتهم في أمثالها.
قال الراوي : وفي اثناء الليل المقبل جاء ثلاثون ناقلة مملوءة بالجند ، فباتو في السوق. وفي الصباح جاء رجال الشرطة و كوماندارات وقباطين ، فاستدار الجند بالقرية ، فدخلوا الى دار القائد ، يفتشونها ، لعلهم يجدون سلاحا . ولكنهم لم يفوزوا ولو ببندقية واحدة. نعم اختلسوا على عادتهم ما خف حمله، وامكن ان يجعلوه في الجيوب، وكذلك ما لفت أعينهم من الاواني ومن الزرابي، وقد ذكر أهل القائد أنهم فقدوا كثيرا من الذهب والفضة ، ومن الامتعة. وكل ما يمكن أن يستميل عين المفتشين من الاجانب ، وقد قلبوا كل ما في الدار ظهرا لبطن فلم يتركوا صندوقا ولا حجرة ، حتى الكتب فتشوها ، لان لهذه الأسرة مكتبة متسعة فيها ذخائر فيما قيل .
هكذا ذهب هذا البطل الوطني ولسان حاله يقول : بيدي لا بيدي عمرو .

الشيخ أحمد بن البشير

هذا هو الذي قام بالرياسة في هذه الدار اليوم على صغره ، وهو سبط الفقيه عابد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عمهم ، وقد تخرج هذا الفقيه من (نيمكيدشت) وتوفي 1365 هـ واخوه الفقيه محمد الطيب توفي قبله 1363 هـ. فبقيت سمعة دارهم طيبة . وقد نفعت المترجم هذه الحادثة التي وقعت لاخيه فكان رئيسا في كل ما يرأس عليه أخوه . بل زيد له كثيرا وايالته هم : (أكرض) و (ايت علي) و (ساموكن) و (القصبة) و (ايكيواز) و (ايغير) و (تاكجنكالت) ، وهو الآن شاب لبق ، كان اخذ اخذا لا بأس به ، فقد كانت له ثقافة مزدوجة من العربية والفرنسية . ولد 1360 هـ . وقد حضر عندي اثر الاستقلال ، فوصيت عليه ، فنفعه ذلك . فاتصل بالملك ، وأمكن له أن تبقى الرياسة في دارهم وحدها دون جميع الدور التي كانت فيها الرياسات السوسية في عهد الاحتلال . وقد كنت كتبت هذه التراجم في دارهم يوم زرتها في رحلتي المذكورة . ثم بقي كل ما كتبته عند القائد محمد لينسخ منه ، ولم اتوصل به الا اليوم سادس ربيع الاول 1379 هـ . فقد اتاني به الشيخ احمد هذا ، فأتممت ما بقي فيها عن رواة مسنين حضروا كل ما زدته اليوم ، فكان هذا ما فازت به هذه الاسرة الماجدة حفظها الله .
كان احمد بن البشير يزور (أكادير) فاتفق أن بات فيه ليلة الزلزال ليلة 3 من رمضان 1379 هـ . ففقد بين المفقودين . ولم يترك اهله مستشفى ولا

مركزا الا زاروه، الى أن وقع على اثر له بين انقاض نزل بات فيه . فكان آخر رجالات هذه الاسرة الماجدة . ولم يترك من يخلفه في اهله . فبقيت دارهم شاغرة الى الآن : 2 رمضان 1380 هـ .

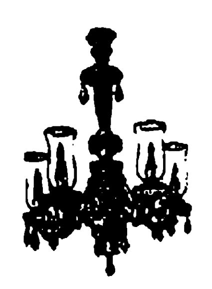
نجز الجزء العشرون . وبه تم كتاب (المعسول)

نجز الجزء العشرون

وبه تم كتاب (المعسول)

بفضل الله





خاتمة

(كتبت هذه الكلمة سنة 1360 هـ وانا لا ازال في المنفي)

اليوم نجز بحمد الله كتاب (المعسول) باقسامه الخمسة . فقد رسمت معالمه .وبينت مناهجه.وحرر في كل قسم ما عندنا الآن من تراجم الذين يليقون لكل قسم من الاقسام الخمسة . ولم يبق الا تحرير ذلك وتصفيته . وتتميم ما لا يزال منه ناقصا واصلاح ما عسى ان نقع عليه من خطا . ومتى انحلت العقدة.وأزيل عنا هذا الحصار الذي نحن فيه . نبذل جهودنا ان شاء الله في تحرير كل ما سودناه الآن . وتخريجه من مبيضته وادخال ما لا نزال نرجو الحاقه بالاصل . وعلى الله وحده التكلان . وحسبنا الله ونعم الوكيل :

أكتب هذا في دار أهلي بـ(الغ)حيث جمعت من مواد الكتاب ما جمعت وأنا في عزلة تامة عن العالم الذي يتلظى بهذه الحرب الثانية.وفي غربة أرخت على عزاليها.وأنا منفرد في غرفتي هذه البدوية الساذجة . وولدي عبد (1) الله يقفز امامي ، واخوه سعيد المولود لنا منذ شهور ، يرقد في مهده.وأمه تحركه بيدها ليتنام وهو لا يزال في بكاء مستمر . لكن لبكائه الحان ونغمات . وأنا أجد منها ما لا أجده من الحان أم كلثوم . ومن نغمات عبد الوهاب . وعادتي ان أشتغل وأفراد اسرتي الصغيرة يذهبون ويأتون حولي . وظهري الى جدار ، ففي النهار أستند ازاء قويس صغير مفتوح الى دائرة وسط الدار . فاستمد من نور النهار. وفي الليل أستند في حجرة الى جدار آخر . وعن يساري ازاء راسي مشكاة (2) فيها سراج من السرج المعتادة (3) ذوات الشعب الاربع وبنور فتيلته الغريقة في الزيت كتب بعض هذا الكتاب الذي سيقرأه غدا ان شاء الله من يتصلون به من أهل الحواضر الذين لا يألفون الا الكهرباء الوهاجة . في قصورهم الشماء البهجة . هذا وانا احمد الله حين وجدت الآن هذا المنعزل في هذه الحرب الضروس التي تتموج في العالم . وتضيق على الناس بغلاء الحاجات الضرورية . فلا شمع ولا ملبوس ولا سكر . والى الله المشتكى . وعسى ما نحن فيه ان يكون له فرج قريب بحول الله .

---

(1) استأثر الله به بعد رجوعنا الى مراكش

(2) المشكاة : كوة غير نافذة من الجدار . وهي التي يوضع فيها السراج الصغيرة عادة عند الالغيين .

(3) هذا النوع رأيته بعينه في متحف قرطاجنة . وهو مما اعتيد من عهد الفينيقيين .

محتويات الكتاب

كان الغرض الاساسي في الكتاب من اول يوم هو تخليد اهل هذا البسيط (الغ) في التاريخ. أداء لحق هذه الأسرة الصالحة العالمة : أسرة ءال عبد الله ابن سعيد . ثم لما جمعت منهم وممن يساكنونهم أخبار صلحائهم وعلمائهم وادبائهم ورؤسائهم ما أمكن ، تعالت همتي أن أمد السماط لغيرهم من جميع السوسيين الذين يمكن لي أن أدخلهم في الكتاب . على شرط اشترطته على نفسي. ففتحت بذلك الباب على مصراعيه. فأتتبع أشياخ الالغيين من الصوفيه والعلماء . ثم الذين أخذوا عن الالغيين من العلماء والصوفية . وقد اقتصرت في الاخذين عن الالغيين على الذين اخذوا من المدرسة (الالغية) ومن الزاوية الدرقاوية (الالغية) خاصة . فسرت أتتبع من الفريقين كل من يقعون تحت شرطي هذا فأجدني أؤدي أكبر واجب لغالب السوسيين المخالطين للالغيين من اهل هذين الجيلين الماضيين ، بل ومن أهل هذا الجيل أيضا . فقد أمكن لي أن أتصل بوساطة من هم على شرط الكتاب من أشياخ الالغيين ، وممن أخذوا عن الألغيين . بكثير من رجال الأسر العلمية الجزولية ، وحين اشترطت أن أذكر أسرة كل من هم على شرطي ، ذكرتا ليعقوبيين أولاد سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي . والمافامانيين السملاليين والوكاكيين والاكضيضيين والكوساليين . وءال يعزى السملاليين . والعباسيين والبوشيكريين . والواسخنيين والازاريفيين والشرفاء التازروالتيين ، والانساكيين الافرانيين. وءال سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ النامانارتيين وآل محمد بن عمرو الاسريريين . وءال يعزى و هدي الاساويين ، وآل محمد بن مبارك الاقاويين ، وءال الطيفور الساموكنيين ، واليزيديين الايسيين ، والساليين الايسيين، والتمكيدشتيين الايسيين ، والايديكليين التمليين والجشتميين التمليين ، والتاسكدلتيين ، والتيكيين العبلاويين والكرسيفيين ، والدويملانيين ، والتمليين الردانيين ؛ والخياطيين التمليين الردانيين ، والتاكوشتيين . والركراكيين التاوريرتيين ، والافاريضيين الصوابيين ، والبوشواريين والواغزنيين ، والاسغاركسيين ، واليعقوبيين الايلالنيين . والاكناويين الايلالنيين ، والريشميين ؛ وءال عبد الله بن داود الايسافنيين والاسكاريين ، والكنيريين ، والمزواريين الرسموكيين ، وءال تامرة ، وءال أنزاض والمحجوبيين الرسموكيين . وءال سيدي علي بن أحمد الرسموكيين ، والمضاتيين الرسموكيين ،والناغاتينيين الرسموكيين وءال ابن عمرو البعقيليين . والاغرابوئيين البعقيليين . وءال سيدي عمر البونعمانيين ، والسكراديين الجراريين ، والفرهيين الجراريين ، والمسكداديين والتوماناريين،والاكراريين ، وءالالسملاليين الساحليين.وءال

تادرارت البعمرانيين،وءال الغبالو الماسيين ، والالياسيين ؛ والناصريين ؛ السوسيين ، والبننسعيديّين ، وآل حسين الطاطائيين ، والركنيين ؛ زالماتلنيين ، والشرحبيليين ، وآل تاغارنغرنت ، وآل سيدى ابراهيم بن على التيغانيءينيين، وآل الشيخ ماء العينين الذين صاروا يعدون من السوسيين ومن أشياخهم . وغير هؤلاء مما سنقف عليهم فيما بعد ان شاء الله، يوم نملك أنفسنا فنذهب ونأتى كما نريد ، ممن لهم تعلق بالالغيين . استاذية او تلمذية أو صداقة وربما جرى ذكر بعض أسر أخرى ان ذكر بعض رجالاتها أثناء تراجم أسرة من هذه الاسر . كئال حمزة ، وآل تيختنيست ، وآل أكنرئامو السملاليين ، وكئال البرج الرسموكيين ، فهذا عملنا فى كل من لهم اتصال بالالغيين من العلماء . ثم لم ننس الرؤساء أصدقاء الالغيين . ازاء هؤلاء العلماء . فأتينا (فى القسم الخامس) بفذلكة من القواد والشيوخ السياسيين الذين لهم مواصلة تامة مع الالغيين. والمقصود افادة المؤرخين غدا. هذا عملنا في هذا الكتاب ولا ريب أنه لا يدخل تحت شرطنا فيه الا قليل من العلماء والرؤساء من مطلق السوسيين . ما لم يكونوا من رجالات هذه الأسر العلمية أو الرياسية . ولذلك خصصنا كتابا عاما جمعنا فيه من يذكرهم مورخونا السوسيون فى كتبهم . كالبعقيلى فى (كراسته) والتامانارتى فى (الفوائد الجمة) والرسموكى فى (وفياته) والكرامى فى (بشارة الزائرين) والحضيكى فى (طبقاته) والجشتمى فى (خضيكيين) والايكرارى فى (روضة الافنان) وابن الحبيب فى (تعطير الطروس) وضممنا الى ما فى هذه الكتب ما تيسر لنا من غيرها . وسنبنى على هذا ان شاء الله فنجمع كل سوسى من اى كتاب آخر الى ذلك . ليكون سجلا خاصا بكل علماء سوس. وقد سميناه (رجالات العلم العربى فى سوس) (1) كما أن هناك مجموعا آخر خصصناه للرؤساء . ولما نتمش فيه الا خطوات . قلنا هذا لئلا يغتر القارئ بـ(المعسول) فيظن أنه تاريخ عام لكل علماء سوس ولكل أدبائه . بل هو صوان لطائفة خاصة يجمعها شرط خاص . نعم انفرد (المعسول) بسوق كثير من الآثار الادبية المختلطة مع الاسهاب فى التراجم . فتلك مزيته الخاصة وازاء ادبياته . كتابان آخران . احدهما (مترعات الكؤوس) خصصناه لآثار أدبية حسنة لمن ليسوا على شرط (المعسول) والثانى (جوف الفرا) جعلناه كسلة المهملات نلقى اليه ما غث وما سمن بحسب رزقه مما يبقى عن تراجم (المعسول) وهذا كله عمل من يجلس وحده فى هذا المنفى ، بزجى الايام بتسويد الطروس ، ومداعبة القلم ، حتى يفرج الله ولعل كل ما سودناه يكون له شأن فيكون أفضل هدية لمن سنفد عليهم غدا ان شاء الله يوم تنفرج الازمة

(1) كان هذا هو الجزء الثانى لكتاب (سوس العالمة) ولكن آثرنا أن نفرق بينهما ليؤدى كل واحد منهما مهمته الخاصة .

بحول الله .

كيف أحرر التراجم

يألف المؤرخون كالبعقيلي ، والتامانارتي ، والرسموكي ، والحضيكي والكرامي ، والجشتيمي ، والايكراري . وابن الحبيب . منذ صاروا يكتبون عن رجالاتهم الايجاز المطلق في تراجم كل من يترجمونهم في كتبهم . ويكون ذلك غالبا ايجاز مُخِلاً لا يستفيد منه المطالع الباحث عن النواحي التي ترتكز عليها معرفة حياة الرجال . فكنت أتألم كثيرا متى احتجت الى معرفة رجل من الرجال المذكورين في تلك المؤلفات التاريخية . حين لا أجد ما أتطلبه من الاحاطة بترجمة من ابحث عنه . ومن هنا حرصت كل الحرص أن أسهب في التراجم غاية جهدي حتى لا يقع غيري بعدي فيما وقعت فيه فالتزم أن أذكر كل ما استطعت اليه سبيلا مما يتعلق بنسب المترجم مع ذكر ما اعرفه من وقت الولادة ووقت الوفاة أولا تحت اسم المترجم ، ثم أذكر نسبه ومن له من الاساتذة في القرءان والمعارف . مع ذكر الامكنة التي أخذ فيها القرءان والمعارف (والمعهود ان يغفل أساتذة القرءان في التراجم) ثم أذكر اعمال المترجم من كل ناحية في التدريس وفي غيره مع التزام ذكر المدارس التي درس فيها . وذكر التلاميذ الذين أخذوا عنه ـ ان عرفتهم ـ ثم أذكر مختلف الانباء التي تتعلق بالمترجم ، والاطوار التي تطور فيها.والاثار الادبية ان كانت له . وبالاجمال أذكر كل ما أعرفه عن المترجم . الا أنني من كتاب اليمين الا من كتاب الشمال ـ الا لبيان ما لا بد منه ـ وان باشارة من بعيد ، ثم اختم بذكر أولاد المترجم وبمراثيه ان وجدتها . هكذا سرت في التراجم التي وجدت لها مستمدات تمدني بكل ما أريد . ثم ان كان المترجم من أسرة علمية أذكر جميع رجال اسرته . من اولهم الى آخرهم.بكل ما اعرفه عنهم نسبا ومولدا وأساتيذ وتلاميذ واعمالا وءاثار ادبية . وان لم تكن الا تافهة كرسالة ساذجة أوقوافي موزونة معربة ، فلذلك أمكن في الكتاب جمع رجالات الاسرة الواحدة في صعيد واحد . فيخرج القارئ من كل أسرة ، وقد ألم بغالب أحوالها . حتى ليمكن للقارئ ان يعد مجموع كل اسرة مؤلفا خاصا ، فيكون كتاب (المعسول) مجموعة مولفات شتى ، بعدد ما يحتوى عليه من الاسر التي جمع شملها . وهي عشرات فعشرات .

انني احرص في الكتاب أن أذكر الاحياء (1) بين الاسر ، متى وجدت لهم الماما بالعلوم ، بحيث يقراون العربية ويكتبونها بلا لحن ، او بنحن قليل ، مع مرورهم على المتون ، وان اسوق الاثار الادبية ، وان لم تكن ذات قيمة في نظر اصحاب الاذواق السليمة ، لايقاني ان ما لا يصلح للاديب الماهر ، يصلح

(1) صار غالب الاحياء اذ ذاك 1360 هـ . في عالم الموتى الآن 1380 هـ .

للمؤرخ الماهر . التي يستنتج من اثر سقيم ما يدل عليه سقمه . فاذا بـذلك يعود عليه مع غيره بفائده عامة . عن آثار ادبية في عصر من العصور او فـي اقليم من الاقاليم . او لا يرى المؤرخ الماهر الحريص على الاستنتاج ان هذا من الفوائد العظمى؟والكتاب ليس كتابا مدرسيا ينتقى له.بل كتاب تاريخ يحشر فيه كل ما امكن كيفما كان جيدا او غير جيد . مـا دام عربيا وان لـم يكن من الروائع . فقد يستفيد المؤرخ من عبارات الرسائل الساذجة ما لا يستفيده من الرسائل الرائعة ، كما انني أذكر الصوفية كما هم في بيئتهم وعند معتقديهم فان ذلك ان لم ينقل كما هو في بيئتهلايفيد المؤرخ،سواء كان ذلك على مبدا ى السلفي أم لا . وليت شعري كيف يعرف رجال عرفوا بخرق العوائد ، ان لم يذكر معهم ما عرفوا به .

الشلحيون والعلوم العربية

ينشا الفاسي في بيئة تتكلم اللغة العربية الدارجة . يسمعها من ابويه ومن الخدم ، ومن اقرانه في ملاعب الازقة . ثـم اذا دخـل مكتب القرءان يجـد في كتاب الله الفاظا لا يغيب منها عن فهمه الا بعض كلمات لا تستعمل في بيئته. ثم لا يكاد يدرك التمييز حتى ترى والده يصاحبه الى مجالس العلم خصوصـا بين العشاءين (1) والى المساجد حيث يحضر خطب الجمعة . فيمكن له ان يفهم ولو تفهما بسيطا ما يقوله الاستاذ في مجلس علمه . والخطيب في خطبته.هذا اذا كان والده عاميا . واما ان كان الوالد احد العلماء. فان الولد يسمع ايضا في وسط الدار العربية الفصحى من بعض العلماء الزائرين لابيه . في اثنـاء المذاكرات مما لا بد أن يفهم منه القليل ان لم يفهم الكثير . ثم اذا جمع القرآن او كاد يدفع به الى تعلم اسس العربية الفصحى . فسرعان ما يتذوقها . فـلا تمضى عليه الا شهور ، حتى يعرف مواقع الكلام العربي المرتـب بمرفوعاتـه ومنصوباته ومخفوضاته . ثم لا يقطـع الا شوطا او شـوطين حتى ترى كمـه يتفتح عن الزهرة . التي تتبعها الثمرة وشيكا .

هكذا يكون ابن فاس الذي ينشا في بيئة عربية علمية . فلا يمضي عليه في تلقي العلوم الا قليل حتى يظهر بفطنة وذلاقة وفهم مكين . قبل ان يمضي عليه احيانا حتى سنة .

واما الشلحي البربري القح الذي يحيا في مثل جبـال (2) جزولة الـذي

(1) هذا وصف لاهل فاس في الجيل الماضي حين تحتفل بمجالس العلم بين العشاءين كما كانت عليه كل الحواضر اذ ذاك .

(2) هذه الجبال لا عربي فيها ، وانما تسكن القبائل العربية ، هوارة وأولاد يحيا والمنابهة فيما حوالى (تارودانـت) في السهـول . وأولاد جرار حـوالى (تيزنيت)ولم تزدهر العلوم العربية بالدراسة منذ قرون الافي جبال جزولة،حتى أن أبا زيد الجشتيمي قال : لا يكون قضاة أو عدولا في (تارودانت) الا مـن قبيلة أملن من جزولة، يعنى ان ذلك كثير لا أنه لا يقع الا ذلك .

ينشأ في بيئة لغته الشلحية البعيدة عن العربية ، فانه قد يحفظ القرءان - وكثير منهم لا يستتمون حفظه الا عند البلوغ او أكثر - وهو لا يدرى حتى معنى الخبز والسمن والبصل والحصير والفاس ، لأنه ينشأ في اقليم منزو منكمش على نفسه ، قلما يزوره عربي أجنبي عنه - كما هو الحال في جبال جزولة قبل الاحتلال - وقلما يخرج منه أهله الا تجارا قليلين اذ ذاك . وهم الذين يلمون وحدهم بالعربية الدارجة ويبقى سواهم مرتطمين في لغتهم الخاصة فمن حفظ منهم القرءان لا يفقه من معناه أى شيء . ما لم يلم بدراسة العربية في المدارس . وهكذا يكون حافظ القرءان الذى تبلغ سنه غالبا نحو ثمانية عشر عاما . فتراه اذا افتتح الجرومية يتحير في معنى (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) ثم يزداد تحيره يوم يغرق في (باب معرفة علامات الاعراب) فلا يأخذ كل ذلك الا تلقينا وتقليدا.وحفظا لما يكتب له (وقد يتم الجرومية ثم يعيدها مع (الجمل) و (الزواوى) وهو لا يفقه ما يزاوله الا توهما . وترديد كلمات يحفظها كالتصريف في (اللامية) على قواعدها . يلقنه اياها الاستاذ تلقينا ليجيب بها . وهكذا يسير كما يسير الاعمى المقود بيده . وقد تمضى سنتان او ثلاث، وهو بعد بعيد عن تفهم ما يتعاطاه حق التفهم (1) . حتى أن الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغي يقول :

نذ يمك قبل ثلاث سنين   فلا تهجرنه أخير أنيس

فإن الثلاثي مصدره   أجل مواضيه غير مقيس

يقصد أن الاستاذ لا يتطلب من تلميذه تمام الفهم فيما يقرأه من العربية الا بعد مزاولة ثلاث سنوات (2) فاذا ذاك فقط يؤاخذه اذا لم يفهم ما يزاوله . وضرب لذلك مثلا بالمصادر التى تبنى من الافعال الثلاثية) فان غالبها غير مقيسة بخلاف الافعال الرباعية فما فوق فانها مقيسة .

ذلك هو التلميذ الشلحي الذى تدرس له العلوم العربية باللغة الشلحية على ما هو العادة فيقرأ الجرومية والالفية حتى مختصر خليل بلغته المعتادة (3) ، فمتى يا ترى يتمكن في اللغة العربية؟حتى اذا تمكن من قواعدها بكثرة الاكباب

---

(1) أكبر مؤخر للشلحيين عن الفهم الباكر هو التدريس بغير العربية . وقد كنا في مراكش ونحن لا ندرس بالشلحة بل بالعربية الفصحى نرى فهما مسرعا منهم. وفى المعهد الرداني اليوم وفروعه دليل قوى . فلا يكاد الشلحى يمضي عليه الا قليل حتى يتفتح فهمه بسرعة ، بل يظهر من ذكائهم نوادر عجيبة . نعم ان لعموم العربية الدارجة المنتشرة اليوم لسببا كبير في ذلك .

(2) قد تنخرم هذه القاعدة في بعض الشلحيين الذين ينشأون في الأسر العلمية ، ولكن العبرة بالكثرة الساحقة . وهذا أمر نشاهده هناك الى الآن

(3) والعجب أن نحو العربية يقرأ ويفسر بالشلحة . كما يقع مثل ذلك بالفرنسية. فقد حدثني الوزير المعمرى أنه ماقرأ نحو العربية أولا الا بالفرنسية.

سنوات فانه لا يتذوق لبابها وآدابها الا بعد جهود أخرى بين تلاوات الكتب أدبية كثيرة خارج الدروس المعتادة ـ كما هى عادة بعض المدارس التى تكب على امثال هذه الكتب فى عطل الاسبوع يوم الخميس والجمعة والعواشر وبعد مدارسة أمثال المقامات ، ولامية العجم ، ولامية العرب ، والشمراطيسية . وبانت سعاد ، والهمزية ، والبردة ، وقلائد العقيان وديوان المتنبي . والمعلقات السبع وأمثالها مما يدرس فى كل المدارس أو فى بعضها . ثم لا بيئة علمية الا فى المدارس أو فى مجالس العلماء . اثناء الدراسة فقط . وأما لغة التخاطب فهى اللغة الشلحية دائما .

فلتسمع الآن أيها الفاسي ما يقاسيه صنوك السوسي فى تطلعه الى التمكن فى اللغة العربية . والتضلع منها . حتى يمكن له ان سافر من بلده الى (القرويين) أن يجاورك في الاخذ عن اساتذة (القرويين) فربما لم يمض لك أنت في الدراسة الا سنتان أو ثلاث مع انه مضى له هو فيها زهاء عشر سنوات . ثم لا يفوق مستواك غالبا . والعلة فى ذلك ظاهرة بيناها غاية البيان . ومتى ظهر السبب ، بطل العجب .

(وبعد) أفلا تشكر هذا الجزولى المكب على العربية وآدابها حتى استطاع ان يتذوق منها بعد سنين كثيرة فى فقر واقلال فى باديته القاحلة . ما تتذوقه أنت ، وانت فى أعظم حاضرة تجبى اليها ثمرات كل شيء . افلا ينبغى أن تعتبر ما كان يلاقيه حتى استطاع أن يتطلع الى التعبير بالعربية وأن يقول فيها ما يقول ، ميدانا عظيما تجلت فيه التضحية فى أعلى مجاليها .

ثم لا يحسبن القراء أننا نشيد بكل ما فى هذا (الكتاب) من منظوم ومنثور. فلسنا والحمد لله من أهل الغباوة حتى نحسب الجمرة تمرة.والقضة(1) فضة . وانما كل مقصودنا أن يدرك القارئ بتمهل أن ما فى هذا الكتاب صدر عن أناس شلحيين . تربوا في غير العربية . ثم لايتصل سلك أحدهم بالعربية الا بعد جهد جاهد ، فان أحدهم لا يزال يتخطى من الاجرومية فالتى تتلوها من الكتب المدرسية شيئا فشيئا . وهو يأخذ من القواعد العربية بلسان أبويه . ثم لا يزال يتعالى الى العربية فتتسرب اليه قليلا قليلا بمقدار ضئيل . حتى يتاتى له بكثرة المزاولة وشدة الامعان ، وبطول الحرص ان يسلس له قياد تلك اللغة ، وأن لا تحجب الفاظها المعاني التى تقمصتها ، ثم ان كان قدر له أن يكون كاحد هؤلاء الادباء المذكورين فى هذا الكتاب . فانه يسير قدما . يواصل الاسئاد بالتاويب.ولا يفتأ عن سير الميقاب (2) حتى يتبحبح اللجج . ويسبح فى العباب ، ثم لا يقنعه الا أن يتسربل شملة عربية ، ويستلئم فكرة

(1) القضة ، الحصاة .

(2) الاسئاد : سير الليل كله.والتاويب : سير النهار كله.وسير الميقاب: السير فى الليل والنهار معا بلا نزول

مضرية . وان يتصور انه من جبلي (نعمان) فيستخلص اليه نسيمه . او انه احد بني عذرة فيتهالك على نفسه هياما أن توهم انه سنحت له احدى الحسان. أو أنه عنترة العبسي فيلحظ جلده كانه خافية الغراب . ويرفع عقيرته وقد اغلظ من صوته فينشد كما يحسب انه عنترة ينشد كذلك :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم

او أنه أبو نواس فيغازل الكاس والطاس . ويتاثنى بالسين ان جرى على لسانه ذكر محبوبه عباس (1) أو أنه ابن زيدون في اكناف (الزهراء) وهو يراسل ولادة بقواف رقيقة . ومعان تفعل بالالباب ما تفعل الخمر)

هكذا يعود ذلك الشلحي عربيا مبينا . وقد سلخ عنه مسلاخ أبويه ، وعادات قومه ، ونسي كل ما يسامته . أو يكون على أيمانه وعن شمائله من الشلحين والشلحيات . يطير كل ذلك عنه . كما طار عن جده الاول كفره يوم حلق دين الاسلام عليه بأجنحته البيضاء ، وقد أعار أمس للعرب قلبه وشعوره على عهود أجداده . ثم أتبعه اليوم لسانه وذوقه فيستطيب السبح في بحور اشعارهم وآدابهم . كما يستطيب الصب السبح في مغازلة من تميّت فؤاده وملكت عليه مشاعره . كاين من شلحي جزولي تراه في شملته السوسية وفي سحنته الجزولية . تكشف لك عما في طواياه . فرايت أديبا عربيا يمد اليك راحته ليصافحك ، كأنما انتساخ الارواح صحيح . فجالت أرواح بعض أدباء العربية في العالم . فلم يطب لها ان تتقمص الا أشباح بعض افراد من السوسيين الكرام ومن تختارهم الارواح من علييها . فتعود بهم ثانيا الى هذا العالم . افلا تختارهم انت أيها القارئ الذى تحدّر جسمه من اصلاب عربية حقيقية ، فتقدم اليهم يدك.فتشكرهم على ما قاموا به من الجهود الجبارة، حتى حرصوا على لغة ءابائك العربية ، فحنوا عليها حنو المرضعات على الفطيم؟

لا يهمنا من هؤلاء الادباء أنهم مجيدون فيما يقولون او غير مجيدين ، بل هل كل أدباء الحواضر يجيدون دائما . فالاجادة رهن الحظ ،ومن بنات البخت وكم من اديب كبير عالم بالفنون التى اتقنها حتى في الحواضر لا يحسن ان يضم كلمة الى كلمة عند مناجاة ربة القريض . كما هو المعتاد عن المفلقين في القريض ، ولهذا ينبغي ان تكبر من هؤلاء الادباء الجزوليين هذه الهمم المتحفزة الطيارة التى تقطع جواء فجواء فيحاء واسعة ، قبل أن تطل على ما هو الادب العربى الذى كان منها بمنزلة السماء السابعة ممن هم في الارض السفلى .

لا نشك في أن غالب هؤلاء أدباء ، ما دمنا نحد الادب بأنه الاطلاع الواسع على اللغة العربية . والنفوذ الى روحها المكنونة .والاتصاف باوصافها تخلقا، حتى

(1) قال أبو نواس فيما اسمه عباس :

وشادن سألت عن اسمه ، فقال لي باللثغ عباث
فصرت من لثغته الثغا فقلت أين الكاث والطاث ؟

يكون خلقا راسخا ، ذوقا واريحة وشعورا . فاننا ما دام هذا هوالادبالعربي، وأن المتصف به هو الاديب العربي . نحكم بأن غالبهم مع تفاوت اقدارهم ادباء. بلا شك يعترينافيمجموعهم ان كان بعضشك يعترينا فيبعضهمإن سحبعليه وصف كاتب بارع ، او شاعر مفلق ، او علامة كبير .

قد يتراءى من بين بعض عباراتهم اختلالفي التراكيب . وضعف في التعابير ، وهلهلة في النسج ، ولكن لا ينسين القارئ انّ هؤلاء المذكورين في هذا الكتاب متوزعون على عدة قرون،كمالاينسين أن الادب العربي بـ(سوس) جزء متصل دائما بوساطة (القرويين) و (الجامع اليوسفي) و (تامكروت) بالادب العربي المغربي العام مدا وجزرا ، افلاقا واسفافا . فليدرس الادب المغربي العام في هذه القرون كلها في جميع اجزاء المغرب وليدرس هذا الجزء في ضمن ذلك . ثم لا علينا ان صدر حكمه لهم او عليهم ، فان الجهود المبذولة – وهي وحدها مفخرتهم الوحيدة – لا يمكن أن ينساها هذا الحكم . وان أمكن ان يكون عليها . فمهما بلغ أن يلسعها من الشدة والعنف ما يلسع ، فان جهودهم لا تنسى في اتقان العربية وعلومها وآرائها . وعلى المرء أن يسعى وليس عليه أن يساعده الدهر . ومن بذل جهده فقد اَعذَر .

على أننا لو قدرنا أن أمة من أمم الهند أو امريكا او اوربا اعتنى افرادها من عند أنفسهم باللغة العربية كما اعتنى بها هؤلاء الشلحيون الاقحاح حتى برز في علومها من بينهم في أعصار متتابعة كثيرون تحصيلا وتاليفا وآدابا وشعرا . ثم أحصى باحث علماءها في ذلك ، فوجدوا نحو أربعة (1) آلاف ، والمؤلفون في علومها عشرات فعشرات فعشرات ، ثم القيت نظرة عجلى على أدبائها فحشر ممن تيسر منهم أن توضع اليد على الاثار التي بها يكتنه القدر ويسبر الفوز فيلفون عشرات فعشرات وبينهم نخبة منتقاة منتخلة ممن مروا في قرون قليلة . ولعل اضعافهم موجودون . ولكن انما هي جولة قليلة في زمن قصير تحت شرط خاص ملتزم . من رجل ليست يده بطولى علما ومتناولا . لو قدرنا أمة ما هكذا . ثم خفي أزمانا عن الاعين كثير مما تنطوي عليه هذه الامة من آثار العروبة . وءايات لسانها الذلق . ثم قام اليوم احد الباحثين فاكتشف لنا ما اكتشفه هذا الكتاب المتواضع . فليت شعري كيف يقابل عند القراء في هذا العصر الذي تقدر فيه جهود الامم . ويشار فيه بنبوغ النوابغ؟ فما هؤلاء الشلحيون واعمالهم تحت لواء العربية الفصحى . وما قاموا به خير قيام قرونا متوالية بلا ملل ولا فتور . الا مثل امة من تلك الامم فاذا لم ترسل صيحة عالية تعجبا واستغرابا تمثل أمام الاعين جهود ادبائها المستعربين . كما لا شك أنها ترسل مثل تلك الصيحة لو ظهر مثل ذلك فجاة من احدى

---

(1) في يوم من أيام المنفى الطويلة ، جلست أعد علماء سوس في كل القرون ، فجزرتهم بهذا القدر .

تلك الامم.فما ذلك الا اغماض في الحق . ونكران مجهود بعض الامم دون بعض واشادة بقوم . واحتقار امثالهم من أقوام آخرين .

وختاما أقول ان كل طلبتنا وراء هذا العمل أن يعرف أن هناك في قاصية الجنوب المغربي لعلوما عربية، وآدابا مسترسلة ، منذ أوائل القرن الخامس . يعتريها اتباعا للحركة العلمية المغربية العامة جزر ومد ، وقوة وضعف ، ولم يزل ذلك مسترسلا الى الان . وما هذا المجموع في هذا الكتاب الا كعنوان على ما يروج في عصور مختلفة . خصوصا في الاجيال الاخيرة ، فاذا قرأه قارئ أو قرأ بعضه ان لم يتركه ذوقه العصري أن يقراه كله . أو تصفحه ورقة ورقة ، كما يفعل أناس غير قليلين من انصاف المتعلمين ، أو القى نظرة على عنوانه . ثم ألقاه كما يفعله بعض من أولعوا بمس كل كتاب في دكان (الكتبي) ثم لا يشترون أي كتاب اذا قرأه أحد هؤلاء كله أو بعضه ، ثم ألقاه استثقالا لادبه القديم . أو تصفحه متعلم أو لمسه من أولع بصدع رأس (الكتبي) ثم أدرك أن هناك منذ أوائل القرن الخامس في (سوس) علماء وأدباء عربيين كانوا يعيشون بالهواء المغربي في قرى مختلفة كما عاش امثالهم من العلماء والادباء في الحواضر والبوادي التي في ضواحيها ، وتحت احضانها . اذا أدرك القراء هذا ، وأدركوا من ورائه أن من في تلك الزاوية الجنوبية المغربية شاركوا أيضا في النبوغ المغربي في العلوم العربية وآدابها . فان ذلك هو مقصودي الوحيد الذي انقطعت له منذ سنين .

ثم لم يبق لي الا كلمة ان لم تكن في ذهن بعض من يطالع هذا الكتاب . فانه يتأفف ان وصل بعض من كانوا عاشوا في هذا الجيل ، ثم درجوا أخيرا . لأنه يصب عليهم جام غضبه حين لا يزالون عاضين بالنواجذ على ما يزعم انه ادب أمشاج كمومياء . لا روح فيه الا المحاكاة . والقاء الالفاظ في بحور العروض بترصيف أو بلا ترصيف . ويقول قد كنا نقرأ ذلك لمن عاشوا قبل هذا الجيل فنقبله منهم . لأنهم عاشوا في عصور لا تعرف الا ذلك . ومن يكلف احد أبنائها ما ليس في مستطاعهم من نبوغ في عصورهم . وعلو عما كان معهودا بين أيديهم من غير أن يبعثهم الى ذلك فكر عال ، وشعور وثاب وقريحة جياشة ، فقد حكم عليهم بالمحال ، وحاول منهم أن يطيروا بلا جناح، وأما من عاشوا في هذا العصر الذي انبعثت فيه الاداب العربية كما هي في عصرها الذهبي العباسي . وصرخت بصرخاتها الصاخة ، حتى ارتجت بها المسامع ، وتهاوت بها من الادب المهلهل الفقاقع . وحتى أبصر الاعمى الصراط المستقيم ، وسمع حتى الاصم كيف يكون الادب العربي ابن الشعور الحي . لا ابن افكار ميتة معانيها كالودع الملقى في سيف كل بحر ، وفي متناول كل يد لا قيمة لها . ولا يحتفل بالتقاطها عاقل ذو عينين . من عاش في عصر هذا ادبه المتواطأ عليه ، ثم لا يزال يغمض عينيه ، وينكر الشمس ، وينسج

بخيوط العنكبوت ، فانه لا يستحق الا ان يرفس من قراء هذا العصر الحاضر بركلة يندحرج بها الى الدرك الاسفل.اليه يقود مثل ذلك الادب المنحط اليوم .

ذلك بلا ارتياب ما سيقوله بعض القراء الحاذقين او المحتذلقين او جلهم ، ولكنني تنازلا لهم على فكرتهم وان لم يكن بعضها الا خطلا . اقترب من اذن أحدهم فالقى اليه سرا . لئلا يسمعنا سامع من هؤلاء السادة الذين احترم شعورهم . وأحافظ على ود راسخ وشجت بيني وبين كثير منهم أواصره من قديم . وكان فضلهم على عظيما ، فأقول : ان اهل تلك الناحية لا يزالون الآن 1360 هـ . بعيدين عن عذاب تأنيبك.لأن البعثة الى الآن لا تزال متوقفة دونهم أو لم تحفظ قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »فليلحقوا بأصحاب الفترة كلهم اجمعون أكتعون أبتعون أبصعون الا ما كان من ثلة منهم كانوا هاجروا فرأوا كيف ترقى الادب العربي اليوم . وأما ما عدا هذه الثلة ممن كانوا يعيشون فى هذه الجبال ، فلا يزالون بعيدين عن تاثير روح شوقي وحافظ والزهاوي والرافعي والرصافي والمنفلوطي في الآداب العربية اليوم والواجب أن يقابل كل من فى تلك الجهة الدارجين منهم والاحياء بشكر جزيل على محافظتهم على اللغة العربية الفصحى في ذلك الاقليم . وعلى الادب العربي من حيث هو الادب العربي . فان الزمان كفيل اذا أراد السعد أن يستمر الأدب العربي فى (سوس) بتلقيح الفكر الادبي هناك ، بروح حية وثابة . حتى يترقى التعبير . ويتفوق هناك الشاعر اليوم ، كما تفوق سلفه أمس.وتباشير فجر ذلك على الافق . وحسبنا بالبونعماني والتناني والرداني (1) وأمثالهم دليلا ناصعا .

هذا ما يجب نحو اولئك الفضلاء المستعربين الكرام الذين جعلوا مناغاة العربية هجيراهم . وموضوع أسمارهم ، وعاهدوه معاهدة مستمرة الوفاء . لم يخسها الابناء ، كما لم يخسها الاباء ، يضحي الاستاذ بجميع عمره في تعليم التلاميذ كما يضحي التلميذ بشرخ شبابه في اتقان الفنون مع المحافظة على المثل العليا الاسلامية .

تذييل

ذلك ما كتب عن (المعسول) يوم كتابته الاولى . وظن ان اتمام ما ينقصه ربما يكون على طرف الثمام . وان تنقيح تراجمه المكتوبة . وزيادة تراجم اخرى أمر سهل ، لا يستدعي جهودا أخرى . ولا مواد أوسع . ثم لما أفرج عني الافراج الاول . في (سوس) وحدها مختتم 1360 هـ.فصرت أتنقل في الاسفار السوسية التي سجلت رحلاتها في كتاب (خلال جزولة) وقفت على ما ازيده

(1) ولم أكن أدري وأنا أكتب هنا أن النابغة العثماني شرقت شمسه في الادب الحي ، في هذا الوقت نفسه .

في التراجم التي كنت كتبتها في تلك العزلة . كما وجدت بحرا زاخـرا مـن تراجم اخرى يدخل اهلها تحت شرطي في الكتاب . فملأت مـا بين 1360 هـ . الى مختتم 1364 هـ . بالكتابة في ذلك ، حتى تضخم الكتاب وقارب ما يراه عليه القارئ اليوم. ثم لما انتقلت الى سكنى (مراكش) في مختتم 1364 هـ . واندغمت في الدراسة مع طلبة جدد ، اجتمعوا ايضا حولي فـي (باب دكالـة) بقـي الكتاب في حقيبة كبرى منسيا يندب شجوه . حتى كانني لم اكتبه، فلا يجري ذكره على لساني ، ثم لما دهمت الازمه سنة 1370 هـ ، وانتقلت الى (البيضاء) صرت التفت الى ما في هذه الحقيبة فازيد الكتاب أشياء ظفـرت بها جديـدا . وحين غام الافق وكان الاعتقال على الابـواب ، وخيف مـن تفتيش الشـرطة الفرنسية . نقلت كل مخطوطاتي في حقائب . ومن بينها حقيبـة (المعسـول) الى انسان أمين . ثم اعتقلنا فكان ما كان . وحين رجعت من الاعتقـال ، كان أول ما اشتغلت به وشغلت به من يلتفون حولي . كالاستـاذ سيدي أحمـد الاقاوي ـ لسان الحق ـ والاستاذ الحوزي سيدي محمد بن همّاد الكلميـوي . والاستاذ سيدي محمد بن مبارك السوسي المراكشي . أن اكببنا على تخريـج كل مسوداتي في ذلك المنفى .ومن بينها (المعسـول) ، وقد عـزمت على أن انتهز الفرصة السانحة من خلوي من الدروس ، فقطعنا أشواط تلك السنـة في ذلك العمل . ثم جاء الاستقلال . فدهمت الوظيفة على غرّة . فكنت فينـة بعد فينة ، التفت أوقات فراغي الى عملي الخاص هذا ، فاذا بـه قد اشـرف على التمام . فاذ ذاك خطر في بالي ان الكتاب اذا لم يطبع في حياة صاحبه ، وتحت اشرافه.فانه يكون عرضة للضياع.وهذه مجلدات بقيت من تاريخي استاذينا الكبيرين : المراكشي والمكناسي .فأين هـي الآن ؟ وهل يحـرص على انجـاز اكمال المؤلفات الا من أسسها من أول يوم . وقدرهـا قدرها . وعرف مواقـع الاغلاط فيها . وما الطبع تحت نظر المؤلف حقيقة الا النظرة الاخيرة التي يتم بها العمل . على أن هناك أمورا أزيدها كلها الآن من جديـد . والكتـاب تحت الطبع مثل حياة (القائد الناجم) التي زيدت كلها أخيرا . والمنة لله أولا وآخرا.

(وبعد) فليعلم القارئ أنني أعرف الناس بكل ما يستهدف له المؤلف ان نشر مثل هذا الكتاب . في مثل قطرنا هذا.في مثل وقتنا هذا.فانه سيسمع ما لا يحب كل ذي قلب حي أن يسمعه . ولكن ذلك كله هين فيسبيل المصلحة العامة ، ولكل ورد شوك،وازاء كل عمل مادح وقادح.على أن في اخراج المؤلف لكتابه وهو حي لمنافع أخرى . فانه هو بنفسه سيستفيد من التنبيه على اغلاطه من القراء ، وخصوصا ان كانت اغلاطا لا يتسامح فيها . ومنذ ايام بعد نشر (الجزء التاسع) توصلت من الاستاذ الكبيـر (لسـان الحق) سيدي احمـد الاقاوي ، برسالة ينبهني فيها على اغلاط واضحة في ترجمة استاذه سيـدي عبد الرحمن الفاسي . فقد ذكر انـي غلطت في ترجمـة الفقيه سيدي عبـد

الرحمن الفاسي . الاقاوى في ثلاث نقط اولاها حين جعلته اصغر من اخيه القاضي ، مع انه اكبر من اخيه . والثانية حين قلت انه اخذ عن اخيه وعن الأستاذ الآخر من(آتّكا ايكنزن)في المتون مع انه انما اخذ عن الاستاذ سيدي سيبلاتي الجاكاني . والثالثة انني نسبته لقرية (تاووريرت) مع انه من أهل قرية (تاكاديرت) ذلك ما نبهني عليه الاخ المذكور ، جزاه الله خيرا . ولا احب الى من ان ينبهني كل من وقع على خطإ مني لاستدركه.ولا فائدة في نشر الكتاب في حياة المؤلف الا ذلك . وقد قال عمر : رحم الله من اهدى الى عيوبي) والكتاب كالمكلف لا يرفع عنه القلم ولو طبع .

الغث والسمين في الكتاب

ان في كل كتاب - وفي مقدمتها كتاب (المعسول) - غثا وسمينا ، ورخيصا وثمينا ، وصدفا ودرا . وتبنا وحبوبا . ذلك ما لا ريب فيه ، زيادة على ما سيحتوى عليه من اخطاء ، عن جهل او عن نسيان . واختلاف بعضه عن بعضه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكن بعد اقرارنا لكل هذا ؟ الا تزال هناك أسباب اخرى.وربما كان التمييز بين الغث والسمين من مسبباتها؟او ليس أن من ليس في اقليم اذا كان يقرأ بعض تفاصيل اخبار محلية ، يعد ذلك كله من الغث ؟ او ليس من لم يكن بأديب يستثقل ما يعدم الادباء من الروائع ؟ أو ليس أن من هو أديب محض لا يستلذ كل ما لا يمت الى الادب ، ، وأخبار الادباء ؟ خصوصا ما يتعلق برؤساء وصوفية يزخر بهما مثل هذا الكتاب ، او ليس ان من له ذوق عال لا يستطيع أن يسمع ولو منظومة واحدة من غالب ما في هذا المجموع الذى سقناه للمؤرخ لا للاديب ؟

ان النقطة التي تنطلق منها النظرة التي تفرق ما بين الغث والسمين هي نفسية القارئ نفسه غالبا . ولذلك لا أقدم هذا المجموع الا للمؤرخ وحده . الذى يستنتج من السقيم ، كما يستنتج من الصحيح.ويتشوق الى أن يعلم عن ذلك الاقليم السوسى الذى هو أحد أقاليم المغرب كما يود لو يعلمه عن جميع الاقاليم المغربية . وأما غير المؤرخ . فانه يعرف وينكر ، ويقبل ويرد ، ويستحسن ويستهجن ، ويستغث ويستسمن ، ولكنه ان اقرأ ما ذكرته آنفا من مقصودي في جمع الكتاب - على عواهنه - فانه سيجدني موافقه في كل ما يقر عليه حكمه . ومن باع وبين عيوب مبيعه فانه غير ملوم . ولو انصف القراء لنظروا الى الصحيح لا الى السقيم ، والى الصواب لا الى الخطا . لان الانسان مجبول على الأخطاء الا من عصمه الله ولهذا اعلن أنني لا ابيع كتابي على البراءة ، واستغفر الله مما اخطأت فيه فيما بيني وبين الله . او بيني وبين الناس . وما أنا الا بشر أصيب واخطئ . والكمال لله :

والآن

انني قد عمدت الى طبع أجزاء من الكتاب على غير ترتيب لسببين اولهما ان في بعضها ما لا يزال يحتاج الى مراجعة ما . والثاني انني انحين الاجزاء المفيدة من كل قسم من أقسام الكتاب الخمسة . اكثر من غيرها، لاتمام تصميم هذه السنة من طبع أكثر أجزاء الكتاب ان شاء الله . ولهذا تنكبت الاعلان عن الكتاب في الجرائد والاذاعة ، حتى يتم هذا العدد ، ان شاء الله . فلم اهد الى اية جريدة ، ولا أوعزت الى من يكتب عن الكتاب ادنى كلمة . ولا عرضته في المكاتب . فكل من كتب عن الكتاب انما كتب من عند نفسه . مع محاولتي الخاصة توقيف ذلك .

هذا فهاكم أيها السوسيون كتابكم الذى لففه واحد منكم من قبل عشرين سنة أيام نفيه بين ظهرانيكم.فلولا النفي لتم كتاب(مراكش في عصرهاالذهبي) الذى كنت أجمع مواده قبل النفي سنة1355 ه . ولكن أراد الله الاشتغال بكتابكم. لأنه يعلم ان في أبناء مراكش من العباقرة من سيقومون بهذا الواجب وا تي بي اليكم مرغما . لأكتب عنكم راضيا . فالحمد لله على ما اسدى،والشكر له على ما هدى . والفضل له أولا وآخرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تقــاريظ

بين يدى الآن حول كتاب (المعســول) كتابــات كثيرة . للذيــن قــراو؛ الكتاب،وابتهجوا بصدوره فى عالم الطباعة.وفيهم سوسيون وغير سوسيين. ولما كان الكتاب، سوسيا مفعوعما بأخبار السوسيين . ءاثرت الآن أن لا أذكر هنا التقاريظ التى كانت بأقلام سوسية . لأن ذلك كاشادة الانسان بعملـه نفسه . فاقتصرت على ما تخيـرته من تقاريظ غيــر السوسيين . من الايمـة الاعلام ، ومن بينهم أناس كانوا هم السبب حتى عجلت بطبــع الكتاب ، فلـم يزالوا يحفزونني حتى لبيت مرادهم ، وانى لهم لمن الشاكرين .

هذا ، واننى غير غبى - والحمد لله - فيحملنى ما فى هذه التقاريظ حتى اغتر . واننى لبصير بكل ما فى الكتاب مما لا يسلم منه اى كتاب كيفما كان، وانما نشرنا التقاريظ للتاريخ أيضا كما جمع الكتاب من اساسه للتاريــخ ، فالله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وساتتبع التقاريظ على حساب تواريخهــا ، ان شــاء الله . واصحاب هــذه التقاريظ هم المؤرخون اليوم فى (المغرب) لا يعلى عليهم فى هذا الميـدان . حفظهم الله .

قال الاستاذ البحاثة الاخ النقـادة

سيدي مصطفى العربي الرباطي

لقد كان من دواعي غبطتي في السنة الماضية تمكني من الاطـلاع على جـل انتاج اخينا في الله البحاثة الكبير ، والمؤرخ الخبيـر : سيدي الحـاج المختـار السوسي . وبصفة خاصة كتابه (المعسول) تلك الموسوعة السوسية التـي تضم تاريخ رجالات سوس ، ومدارسها التي كان لها الاثر العظيم في تكوين حركة علمية هنالك ، تدعو للاكبار والاعجاب . وهي تحتوي على عشرين مجلدا. وهي كما عبر عنها في مقدمة الكتاب (مجموعة مهيأة لمن سيستقي منها غدا) وقد حرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار والنكات الادبية والنوادر والمستملحات والقوافي ، وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية في الادب. والمقصود اولا وآخرا منها ـ كما قال ـ أن يرى القارئ مشاهدة مـا يقوم بـه جانب مـن جوانب المغرب . يضم طائفة من أبناء امَازيغ الشلحيين البدويين في نشـر اللغة العربية ، وعلومها وآدابها . وقد أولعـوا بذلك ولوعـا غريبا . فقامـوا باعظم دور في ذلك بجهودهم الخاصة ، من غير أن تعينهم الدولة .

وكان السبب الرئيسي في انكباب أخينا لجمع هذا التراث القيم من تاريخ سوس من (المعسول) وغيره منفاه الاول لقرية (الغ) مسقط راسه . التـي بقي محصورا فيها خمس سنوات متوالية لا يـرى ولا يجتمـع ولا يجالس الا بعض مَن يتسـربون اليه في زاوية أبيه الصوفي الكبيـر ، والمربي الجليـل ، الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي . فكان يقتنص منهم ما يفيده في غايته التي رَسَم خططها ، زيادة على كتب عثر عليها في تاريخ تلك الناحية ، فكـان من نتائج هذه الجهود الطيبة التي ملأت فراغ تلك السنوات وآنسته الغربة والوحدة اخراج كتب جزيلة الفائدة غزيرة المادة مع الطرافة في بحوثها.وهي (من أفواه الرجال) و (الترياق المـداوي) و (ايليـغ قديمـا وحديثا) و (مترعـات الكؤوس) و (خلال جزولة) رحلاته العلمية الاربع التي استوفت تصوير تلك الناحية الكبيرة من سوس .. وكتاب (المعسول) الـذي أتحدث عنـه الآن ، وغيرها مما لا يزال لم يخرجه من مسوداته ولقد كان أغـراه وحثه قبل ذلك على جمع هذا الكتاب ـ كما يقول ـ زيارته للزاوية الدلائية من (ايت اسحق) في سفح الاطلس الكبير ، وعبرته باندثار آثار علمائها وادبائها العظام ، حتى لم يبق لها اي اثر . فكانت هذه العبرة من الحوافز القوية على قيامـه بهـذا المجهود الجبار ، كأن العناية الالهية استجابت لهذه الامنية التي اختمـرت فـي نفسه بمنفاه مختتم 1355 هـ . لقرية (الغ) ليتفرغ كامل الفراغ مدة سنوات لمهمته النبيلة . ولما استقر به المقام في المنفى اثار فيه بعض اهله هذا الكـامن

الدفين الذى كان يساور ذهنه أثناء اقامته بـ(مراكش) ولكن لم يجد لتنفيذه وقا حين رءاه بلتقط ما تيسر ممن يحالطهم من الذكياء من يعرفون زاويتهم . وتسجل ذلك فى كتاب (من أفواه الرجال) فلاحظ عليه بكلمة استفزت نشاطه لهذا العمل الذى كان قبل فى نفس المؤلف من المتمنيات (المعسولة) وقد قال له الاجدى من كل هذا ان تهيء لنا كتابا ككتاب ال زاوية (تيمكيلشت) الذى الفه العربى المشرفى الفاسى . فكانت هذه الكلمة من ذلك الاخ - كما قال - هى البذرة الأولى من هذا الكتاب

ويشتمل الكتاب على غالب أعمال زوايا سوس العلمية الارشادية ومدارسها التربوية مع الالمام بأخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم ، وجمع رجالات الأسر العلمية فى مكان واحد تفصيلا.وقد رتب المؤلف الكتاب على خمسة أقسام واشترط أنه كلما ذكر رجلا على شرط الكتاب أن يذكر كل ما حواليه من رجالات أسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن أساتذته ، وبهذا تضخم الكتاب ، وتفرعت اجزاؤه العشرون ، الى اختصاص ثلاثة منها فى الالفيين العلماء والرؤساء ، وخمسة فى أساتذتهم ، وثلاثة فى تلامذة مدرستهم ، وستة فى الآخذين عن زاويتهم ، وثلاثة فى أصدقائهم السوسيين . وصار متشعبا لهذا النوع من الترتيب الذى اقتضاه حال البحوث المبتكرة ، وسوغته الاحاطة المرغوب فيها فى التراجم المكتشفة ، على تسجيل أكثر ما يمكن تسجيله للغد عن هذه الناحية المجهولة من تاريخ المغرب . نعم ان القارئ غير المتأنى ، المحروم من التركيز الذهنى، قد يصل لهذه التشعبات والتفرعات الاسرية. فلا يستطيع ربط الفروع بالاصل ، فيسأم ويدع الكتاب ، فيحرم بذلك من معلومات عديدة ذات الاهمية والفائدة ، حول احداث ووقائع تاريخية مهمة ، لم تدون فى كتاب آخر، كحركة (الهيبة) بن ماء العينين ، وأسرته المجيدة . وصفحات مجهولة من ثورة (أبى حمارة) وعن الثائر الذى قاوم الاحتلال بـ(تافيلالت) ومذكرات قيمة عن حياة القائد الناجم الشهير الكفاحية ضد قوات الاحتلال ،والمتعاونين معها من قواد ورؤساء وباشوات ، التى أملاها بنفسه على المؤلف باه احداثا عظاما فى المقاومة ضد الاجنبى وعملائه . وقعت فى الاصقاع السوسية ، لم ينشر عنها بيننا فى الحواضر اى حديث. فللقارئ ان يغض الطرف عن هذه التفرعات والاستطرادات التى يعتبرها غير لازمة ، ما دامت تجلب له هذه المعلومات القيمة . وتكشف له عن كثير من الحقائق تتمم ما كان ناقصا من التاريخ المغربى فى تلك الربوع. ولقد شعر مؤلفنا الكبير بما يمكن ان يحسه قارئ من شبابنا بما يعده فى ذوقه من الخرافات التى لا ينبغى ذكرها فى كتاب يستفيد منه العموم . فقال ردا على هذا الشعور المتوقع بسطور فى آخر المقدمة ، تعطيك صورة واضحة عن مهمة المؤرخ النزيه . (هذا وقد يجد من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لا ينبغى ان يهتم به . مما يعده هو عند نفسه فى ذوقه من الخرافات

ولكن لا ينسين انني مؤرخ،وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل شيء أمامها حتى ما تتقذى به الأعين . فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة ، تلتقط الظلال القاتمة . فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك . فانه قلم المضليل والمسخ للحقائق ، لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة يراعته الى الذي يتحدث عنه،حتى كأن القارئ يشاهده عيانا.وأما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد ، حتى يضلل القارئ عن الحقائق. فذلك هو الزور بعينه.ولهذا احرص انا في التراجم أن اذكر كل شيء مدحا وقدحا ، وان كنت أعمل فكري واختار وارجح ، لان هذه أيضا من وظائف المؤرخ . ولا خير في مورخ جماع فقط من غير أن يظهر أثر فكره فيما يكتب)

هذا والكتاب غير مقتصر على الاحداث التاريخية ، والوقائع الحربية فحسب ، بل هناك حكايات طريفة ، واخبار مفيدة : واشعار عديدة . تصور الحياة الاجتماعية تصويرا دقيقا ، فضلا عن الثروة الادبية الغزيرة من شعر ونثر،تعثر عليها خلال مطالعتك في تراجم اعلام رجال) نعم فيها الغث الكثير في بعض الانظار . ولكن المؤلف يبرر غير ما مرة نشرها في الكتاب ، رغم مباينتها لذوق القارئ . للفائدة التاريخية ولتسجيلها النظرات الحق عنها . ولتصويرها للحياة الاجتماعية التصوير الصحيح ، ولكونها كذلك تعطيك بدقة لا تكلف يشوبها البيان الواضح ، عن حياة المترجم من مجموع انتاجه . وقد تجد مغمورا وسط هذه الغزارة من منظوم ومنثور ، عيونا من الشعر الجيد ، تبلغ أحيانا درجة التحليق ، وصفحات شيقة من النثر الفني بقلم المؤلف تستحق الالتفات ، بين رجالات من تراجمه تكون مجموعة ثمينة من الادب العالي تعزز الادب العربي المغربي،وتقوي مادته الصالحة بالوان طريفة من القول ، وتظهر ما كان مجهولا من شخصيات أدبية تزيد في قيمته .

اجل ومن هذه الآلاف من الصفحات الزاخرة بعديد من المعلومات في جميع الميادين الحيوية المختلفة عن تلك البلاد ، وعن كل ما يتعلق بها من تاريخ وأدب واجتماع ، التي جمعها من هنا وهناك مؤرخ سوس الكبير.او دبجها يراعه تلقيا من افواه الرجال ، او استفادة من كتب هزيلة عثر عليها في الموضوع وقد يظهر للمطلع على نوع الحياة التي ترتكز عليها تلك النواحي ، والازمات التي تتخبط فيها حينا بعد حين . أن هذا سيكون قليلا بالنسبة لما ضاع . وخصوصا اذا اعتبرنا تلك الحروب التي كانت لا تفتر رحاها الساحقة هنالك بين القرى والمداشر بين نحلتي (تاكوزولت) و (تاحكتات) وتتقد نار اوارها لأدنى سبب حتى خلت من اجلها ديار ، فانجلى عنها باقي السكان ، علاوة على الاوبئة والجفاف والجراد العدو الفتاك الدائم لتلك الاصقاع ، فياتي في بعض السنين على الاخضر واليابس ، ويحصد الحياة في المواقع المار بها حصدا ، ويجتمع مع كل هذا قلة الامكانيات اللازمة في بناء الدور التي يمكن ان تحفظ

هذا التراث من الامطار الواكفة من السقوف ، وتصونه من الرطوبة الراشحة من الجدران ، ويزيد على هذا انعدام الوسائل الواقية من الارضة والجرذان . والمانعة من الاحداث الداعية للضياع والفساد .

وبعد ، فقد حملني على كتابة هـذه الكلمـة حول كتـاب (المعسـول) تقديري واكباري لهذه الجهود المحمودة التي بذلها المؤلف لتهيئي هذه المجلدات الضخام كي تكون كمرجع نافع ، ومصدر صالح ، لمن يرغب في التعـرف عن ذلك الجزء المغمور ، من قبل ان يفكر في طبعها . فكان من الواجب والانصاف ان أعلق على عمل وطنينا البحاثة ، مع اعترافي بجميله في تقديم هذه المجموعة للاطلاع عليها بما سنحت به القريحة ، وتدوين ما عنَّ لي عنها من ارتسامات وخواطر يوم طالعتها كلها قبل ان تقدم للطبع ؛ ولعل قارئها المنصف الراغب في الإستفادة بعد استيعابه لمعلوماتهـا الطريفـة يشاركنـي برأيه فيمـا كتبت حولها ، ويدرك بذلك الاسباب الوجيهة التي دعتني للتنويه بها ، والتشييـد بذكرها والتعليق على قيمتها. وبطبيعة الحال لا استطيع ان أجد من قارئي التصبر على مطالعة فهارسها ، والالمام بأسماء أعلامها ، واختزال مواضيعها ، والتنقل من هنا وهناك ، أن يرى رأيي فيها ، وهو قد تجاهـل كنوزها ، وتغافـل عن محتوياتها الثمينة ، التي توجد وسط خضم مفعم بألوان عديدة من الكلام . بل اعتقد انه قد يرميني بالمبالغة فيما وصفت، في بعض ما ذكرت من قبيل التقريظ المجرد ، لقصوره على هذا النوع من الاطلاع وعدم تتبعه لاقسام الكتاب بامعان والسـلام .

اواخر قعدة 1380 هـ .

قال العلامة المؤرخ الكبير سيدى العابد الفاسى فيم خزانة القرويين

ربما كان من اصعب الصعب ان يكتب الانسان تقريظا او ملاحظة من الملاحظات حول كتاب لمطلق صديق من الاصدقاء ، فكيف بصديق تجمعه معه عدة روابط وعلاقات، من اهمها اتفاق في المبدا،واخلاص لروح العمل ، وسير فيه الى النهاية . صديق تمثل فيه الاخلاص والتواضع منذ شبابه الى كهولته . هذا ما حدث لى عند ما حاولت أن أكتب كلمة لشرح بعض ءارائى فيما نشر من كتب الاستاذ الكبير الشاعر الفحل سليل الايمة الصالحين ابى عبد الله محمد المختار الالغى السوسى ، ولكن ماذا عسى أن أعمل وأنا بين تيارين ! تيار الصداقة الطارفة والتالدة كما قلت ، والتى يرجع شأنها الى عهود سحيقة تزيد على الثلاثين سنة ، فى الوقت الذى كانت تجمعنا فيه حلقات الدروس فى مجالس الاساتذة الكبار بجامع القرويين . وكانت ندواتنا الخاصة لا تتجاوز دائرة البحث العلمى ، ومراجعة النصوص ، ومسايرة مبادئى الثورة الفكرية ، والحركة الوطنية فى مراحلها الاولى ، يتخلل جميع ذلك نكتة لاذعة ، وحكمة لامعة ، وشعر متين ينشد ، او قصة ادبية نجعلها محور البحوث ، وهدف الحديث ، وبين تيار آخر تيار حب الصراحة ، وصدق القول . وشرح ما اشتملت عليه كتب الصديق من نقط يتعين لفت النظر اليها ، واستكناه حقائقها ومصادرها ، ونقد ما يتعين نقده منها ، ثم اخيرا معرفة مقدار مالهذا الادب السوسى من اثرفىالحياة العامة بالمغرب،وما هو حظه فى تاريخ المدرسة العلمة فى البلاد،وليس من السهل أن أتحدث عن سائر كتب الاستاذ (المختار) وليس من الهين ان افرد مقالا او كتابا فى موضوع كتاب (المعسول) خاصة لأنى اعتقد أن الامر جد وليس فى الامكان استقصاء البحث مهما حاولت فى هذه العجالة الموجزة ، لذلك اخترت ان ابدا حديثى بكتاب (المعسول) بصفة عامة لا اتعرض فيها للجزءيات ، وعسى ان اكون بهذه المشاركة المتواضعة قد اديت بعض الواجب ، ونجحت فى تقديم هذا الاثر الجليل لعموم الادباء ، وهذه رغبتى . وكل ما أرجوه من أفراد الامة العاملين أن يقبلوا على هذا النوع من الانتاج ، حتى يمكنهم الاطلاع على صفحة خالدة من صفحات تاريخهم المغربى المملوء حكمة وعبقرية وايمانا .

رتب صديقنا الاستاذ الكبير كتابه هذا على خمسة اقسام ، وفى كل قسم فصول . وقد احتوت الاقسام والفصول على كثير من الغرائب والنوادر بعد وصف (الغ) جغرافيا ، وذكر كثير من عوائد البلاد الالغية فى الاعراس والمئاتم ، والحلاقة ، وغير ذلك من ضروب معاملاتها ونوع تجارتها ، مما يجعل المرء على بصيرة من اجتماعيات هذا البلد الامين ، وان الموضوع الذى اختاره

المؤلف لكتابه من الحديث عن بلده ، وسائر نواحي سوس المعروفة بالخصب الفكري ، والانتاج العلمي ، وما ينشا عن ذلك بالطبع من ذيول في تراجم شخصيات علمية ، وحوادث أدبية ، سواء في عصر المترجمين الموضوع فيهم الكتاب مبدئيا ، أو قبله وبعده كيفما كان الحال هو موضوع مهم،يكاد ينفرد به التدوين الاسلامي . وليس من السهل ان يدعي شخص خلاف هذا ، ويذهب الى أنه من قبيل التفاخر ، او التحدث بمآثار الاباء والاجداد ، وآثرهم في المجتمع ، بل نحن نرى الامر من زاوية اخرى لا يراها هؤلاء الناقدون. ونذهب الى ان من العقوق للعلم والادب أن لا يتعرض الانسان لما كان عليه اسلافه ومواطنوه من المجد والعلم والنباهة . وهل تاريخ أمة من الامم الا مجموعة من قصص هؤلاء وأولائك ، على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، وهل هؤلاء الافراد المترجمون الا خلية متينة من جسم كل أمة ينبض قلبها بالحياة ؟ وهل يتكون تاريخ امة من الامم الا بعرض عام لكل ظروفها وملابساتها،وطريقة تفكيرها، واسلوب انتاجها ، وليس لذلك من سبيل الا طريق النشر ، وذكر الشاذة والفاذة من آثار الاسلاف .

لقد كان للمغاربة القدح المعلى في هذا الموضوع ، حتى اننا ربما نعتبر تدوين الطبقات والتراجم نوعا خاصا برز فيه مؤرخوهم ، وامتازوا به ، فكثيرا ما نجد المؤلفات ذوات المجلدات في خصوص عائلة من العائلات ، او بيت من البيوتات ، ممن كان له شفوف في التاريخ المغربي ، بله ناحية من النواحي ، او قطرا من الاقطار .وكان لهذا النوع من التأليف وقع كبير في مجرى التدوين المغربي ، حتى صرنا اليوم نعتبره مصدرا من المصادر الصحيحة ، التي نلجأ اليها في كثير من الاحيان ، اذا أعيانا البحث ؛ وغمت علينا النتائج . نلجا اليها في كثير من قضايا التاريخ المغربي بسبب ما تذكره هذه الكتب عرضا من استطرادات مدهشة ، لمسائل غامضة ، لا نجد لها أثرا في مظانها الا قليلا، ولنضرب لك مثلا بكتاب (مرآة المحاسن) المطبوع بفاس ، فرغما عن كون الكتاب في موضوع خاص اختاره المؤلف ، وهو ترجمة والده الشيخ أبي المحاسن ، فقد ملاه بحوثا وقضايا تاريخية ، يعز نظيرها ، ويصعب العثور عليها في غيره ، وارجع ان شئت الى بحثه في قضية ثورة ابي عبد الله الشيخ المامون على والده المنصور (ص 29) والى ذكر الخزانة العلمية المحدثة في قبلة جامع القرويين (ص 30) والى ذكر غزوة (تامدة)او وقعة (وادي المخازن) (ص 34) والى البحث القيم في محاريب فاس واختلافها (ص 41 43) وانظر (ص 142) ففيها ذكر أسماء قواد وأشخاص لعبوا دورا مهما عندثورة القائد محمد القرطوسي بـ (مالقة) زمان أبي الحسن علي بن سعد من بني نصر ، مما لا يعرف في غيره ، وانظر ص (145) في موضوع التعريف بـ (القصر الكبير) المدينة الاثرية الواقعة على نهر (لوكس) ففيه من الفوائد

الغريبة ما لا تجده في كتاب ، أتيت لك بهذا كنموذج لهذه الكتب المؤلفة فـي تراجم العلماء والصالحين ، من وضع أبنائهم وأحفادهم وغيرهم ، لأبرهـن لك على ان هذا النوع من التأليف ، فيه اشياء وأشياء ، ممـا لا نعرفه فـي كتب التاريخ المكتوبة في خصوص مدينة أو قطر ، وكتاب (الروضة المقصـودة) و (البدور الضاوية) لأبي الربيع سليمان الحوات خير مثال شاهد لما قررناه، وان هؤلاء المؤلفين او بعضهم حين أقدموا على هذا العمل ، كانوا من دون شك يشعرون بما يمكن أن يقوله المتقولون الجامدون ، ولكنهم رغم شعورهم هذا ، فانهم يشعرون في الوقت نفسه شعورا آخر كان الباعث القوى على قيامهم بهذا الواجب ، مهما كانت العراقيل ، ومهما كانت الانتقـادات واستمـع الى مؤلف المرآة يقول في ديباجة كتابه . وقد شعر بما يمكن ان يخطـر ببال المتقاعسين (ولعل متهورا يرى ما نشر من الحلى ، واثبت لمن يتصل به من المراتب العلى. فيتسرع الى الملام : ويقول مادح نفسه يقرئك السلام،وعلى رسله فان المحابـاة اذا كانت لا تحمد ، وليس يحسن في كل عين من تود) وشهادة الجار الى جاره تسقط في المرافعة وترد . ومادح نفسه هازل في الحقيقة وان جد.فانه لا يحمد العقوق ولا اضاعة الحقوق ولا الخروج عن العدل والمروق ،ولا بخس النـاس اشياءهم فانه فسوق ، (وكلا طرفَيْ قصـد الامور ذميم) والعـدل هـو القسطاس المستقيم

بمثل هذا يتضح لك ان الاستاذ الكبير في كتابه (المعسول) لم يات ببدع في طريقته ، انما هي سنة العلماء الاقدمين في نشر العلم والادب من أي ناحية اتت ، وفي اي فصيلة نبتت ، لا يهمهم الا افادة العموم وبث الاداب والعلوم ، ولو اردت ان اورد لك فهرسا عاما للذين كتبوا عن عائلاتهم وأمجادها ؛ لطال الحال . وغزر المقال ، والاوروبيون انفسهم اخذوا من هذه الطريقـة بالنصيب الوافر ، بل ذهبوا الى ابعد من ذلك ، فنشروا تراجم أنفسهم ، وشرح مذاهبهم وما المذكرة المختلفة التي تنشر بين الحين والحين الا فصل من فصـول حيـاة الكاتبين لها ، والقائمين بتمثيل أهم ادوارها . وصديقنا الاستاذ لم يخـرج عن هذه الدائرة،فقد جعل محور تأليفه وأساسه حياة علماء قبيلته كالاستاذين الكبيرين محمد وعلي ابني عبد الله ووالده الشيخ الامام الصوفي الكبير سيدي الحاج علي . ثم اتبع ذلك فصولا ممتعة في تراجم تلاميذهم والمتصلين بهـم من علماء وادباء واصحاب حيثيات ، وتبسط فـي الموضـوع ؛ فكتب الصفحـات المتوالية في كثير من حوادث بلاد (الغ) الجبلية ، ثم أتبع الكلام في كثير من اقاليم (سوس) وعقد التراجم الواسعة لجمهرة من علمائها وأدبائها ورؤسائها.

لقد طالعت ما ظهر من كتاب (المعسول) مطالعة باحث منتقد مستفيد ، فصدق الخبر الخبر . ووجدت الكتاب فوق ما يظن ويتحدث عنه بصفـة يمكـن للمغربي معها لا خصوص الالغي . او السوسي ان يرفع راسه عاليـا بوجـود

شخصية من أمثال (المختار) يظهر في هذا الوقت القريب ، حيث لم يبق من معالم التضلع في اللغة العربيــة الا الآثار والاطــلال ، ولست أستغــرب هــذه الظاهرة من صديقي الالغي ، فمنذ عرفته عرفت فيه الشاب النشيط الواصل ليله بنهاره في الكد والبحث والاستطلاع . عرفت فيه العبقريــة والشخصيــة والشمم الديني، والاخلاص للعقيدة،ومثلها العليا . عرفت فيه معنى التصوف في حياته البيتية ، وجميع مظاهره العادية ، عرفت فيه حب المزيد دائمــا من العلم ، والتفاني في طلبه ، والارتواء من مناهله ، والاقتداء بئاثار آبائه وسلفه.

وهل ينبت الخطــي الا وشيجــه وتغرس الا فــي منابتها النخــل

وبالجملة فكتاب (المعسول) مدونة جامعة، ومعلمة تاريخية أدبية ، لمجموع عصور سوس ، على اختلاف مظاهر تلك العصور ، ارتفاعا وانخفاضــا حسب المؤثرات التي يتأثر بها مسيروا الحركة هناك ، وحسب المدرسة التي تخرجوا منها وهي لاتتجاوز في الغالب الحاضرتين فاس ومراكش،وكثير منهم ممن اشتهر بالطابع الحضري في الادب لم يرض بغير فاس بديلا ، وهذا شيء يقرره المؤلف نفسه في كثير من المناسبات ، ويعترف به ، ولست في حاجة الى ايراد كثير من تصريحاته ، فالكتاب مملوء بنصوص لا تقبل التشكك ، وان كنت لا أبرئه في بعض الاحيان من تغلب النزعة التي لا محيد للانسان(1)عنها،وربما حاول ان يجتل شخصا أو أشخاصا ممن عرفوا بالتبريز ، وحمل راية الادب ، متخرجين من مدارس سوس،ومناهلها العرفانية، من دون أى أثر أدبي لغيرها ، وحينما تتشوق نفوسنا الى عناصر الدعوى وبراهينها ، نجدها سلسلة من الاحتمالات والامكانيات مما لا يمكن أن يكون قاطعا فــي الموضوع ، وأستسمــح القارئ فقد التزمت في الحديث أن أعرج على ذكر ملاحظاتي على المؤلف الاستاذ ، مما يشبه أن يكون نقدا ، وسوف أدع ذلك الى رسالة خاصة ، أقدمهــا لصديقــي المخلص ، في صورة بحث علمي ، حبا في الاستفادة ، واستزادة من اطلاعاتــه الواسعة وأحاديثه العذبة ، وساجد فيه على العادة انصافا ونزاهة في الحكــم، وفصلا في القول ، وأكتفي الآن بلفت أنظار الشباب ، والطبقات الواعية فــي هذه الامــة ، الى ما حــواه هذا الكتــاب الثمين من ضروب الفوائد ، وجميــل العوائد ، ففيه يجد المؤرخ بغيته من الحــديث عن عصور مختلفــة ، وحــوادث بعللها المنطقية ، ونتائجها الصحيحة ، وفيه يجد الاديب باقة ملونة من أزهار الشعر القديم ، والجديد مما يبلغ في بعض الاحيان الدرجة الممتازة في البلاغة والمتانة والخيال والابداع ، والتصوير الشعرى ، والاحســاس المرهف ، وفيــه يجد الاجتماعي مجالا واسعا لدراسة كثير من الاوضاع في اقليم احتفظ بطبيعته وسجيته ، وصقلته روح الاسلام وتعاليمه ، وفيه يجد الفقيه دراسات واسعة

---

(1) حقيقة يا أخي العابد : لا يمكن طبيعة أن انسلخ من سوسيتي ، ولا أن تنسلخ من فاسيتك بالكلية،ولكن نتحرى معا الحق حين نضع الموازين القسط.

عن تطور الفقه ، ومبلغ سمو الفكر السوسى فى تطبيـق النصوص ، وتفهـم القواعد العامة ، وفيه يجد السياسى مجالا خصبا ،ومرآة ناصعة ، لكثير من قادة البلاد، وزعماء الثورة السياسية ، وما قامـوا به من محـاولات لاصــلاح سياسى فى نطاق ظروف خاصة ، واخيرا يجد الصوفى ما يشبع نهمه ، ويثلج فؤاده ، من سيرة أولائك الصالحين الذين عرفوا المقاصد ، وتفهموا الحقائق ، وتناولوا هذه الحياة الدنيا تناول قـوم تفهموا اهدافهـم ، وتبينوا طريقتهـم . ولعمرى لقد ابدع المؤلف الاستـاذ فى كل هذه الميادين ، ووزع القسمـه على طريق العدل بين الروح والعقل . واى خير فى هذا الوجود لـولا بصيص من شعاع الروح يغمر قلوبنا ايمانا ، ويملأ افئدتنـا نورا ويقينـا ، ونسأل الله تعالى اعانة مؤلفنا حتى ينشر جميع بحوثه ، وانتاجـه العلمى الغزيـر ، والى اللقاء فى سانحة اخرى . 1380/11/20

تقريظ العلامة النظار كاتب رابطة العلماء

سيدي عبد الله كنون الفاسي ثم الطنجي

معالي الوزير الاثير العلامة الكبير اخينا سيدى الحاج المختار السوسي حفظكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته (وبعد) فقد وصلني (الجزء التاسع) من كتابكم (المعسول) ، بل معلمتكم الكبرى عن (سوس) التى أصبح بها هذا الاقليم من وطننا العزيز يجر ذيل الفخار عما سواه من الاقاليم ، بما أبرزتم من شوئد له عظيم في تاريخ (المغرب) ، وما سجلتم له من تاريخ ادبي حافل ، يكفي وحده لاستظهار هذا القطر بتراثه الفكرى الضخم . وما عرفتم به من تراجم رجاله الافذاذ ، وأبنائه النبغاء ، فضلا عما ضمنتموه من صور رائعة ، لطبيعته البديعة ، وحالته الاجتماعية ، وعوائد اهله وتقاليدهم،وتفسير واضح لما انبهم من أقوالهم والفاظهم التى يجرى الكثير منها على السنة عموم المغاربة ، ولا يعرف اصله ولا مدلوله بالتدقيق ، فهو ولا نكران للحق مجهود طائل . ينوء به العصبة اولوا القوة . وهو مع ذلك منسوج على غير منوال سابق . فاذا كان غيركم يعمد الى مجهودات الناس فيهتضمها ، أو الى كتابات الاجانب فيترجمها ، ثم ينسب ذلك الى نفسه مع انه ليس فيه الا النسخ بل المسخ ، فانكم برئتم من الخلتين اعنى الانتحال والتقصير . وجئتم بعمل تام مشكور ،

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

على أن كلمة الانصاف التى اقولها تقديرا لعملكم الجلل (1) وليس فيها مبالغة ينبغي ان تتجنب عند النقد والتحليل . هي ان من يرى (المعسول) ولم يكن يعرفكم لا يشك في انه انتاج جيل من الباحثين ، ومشروع تضافر على انجازه غير واحد من العاملين.ولكننا نعرف أنكم وحدكم ابو عذره فنقدركم قدركم بهذا ، ونحكم بانكم في تاريخنا الثقافي بمثابة جيل كامل من العاملين في ميدان البحث والانتاج ، والافراد من هذا القبيل ليسوا ممن تدفعهم الحالة العادية ، المنطوية في المبالغة النواسية ؛ ولكنهم على كل حال قليل ؛ وقليل جدا . وكفاكم ان تكونوا منهم . والغريب في الامر هو تاليف موسوعة كـ (المعسول) عن اقليم لا اقول انه لم يكن شيئا ، ولكنى اقول انه لم يكن عند الناس كل هذا الشيء الذى تحدثهم عنه . وقد الف العلماء موسوعات كثيرة كـ (نهاية الارب) للنويرى و (صبح الاعشى) للقشتندي وسواهما، ولكن فيما يتناول اقطار الاسلام ، وبلاد العرب وغيرها لا في اقليم واحد من تلك الاقطار ، وناحية من نواحي هذه البلاد ، فسبحان الله الذى يوتى الحكمة

(1) الجلل يقال لمعنيين متناقضين ، عظيم وحقير ، والمقصود هنا الاول .

من يشاء . لهذا فاني اهنيئكم من صميم الفؤاد بهذا الفتح المبين ، بل اهنىء البلاد بما أحرزت عليه من هذا الكنز الثمين . متمنيا لكم دوام العز والسلامة حتى تخرجوا بقية أجزاء الكتاب لياخذ مكانه في الخزانة المغربية علقا نفيسا . ومرجعا رئيسيا ؛ لا غنى عنه لمؤرخ او كاتب ؛ وعلى خالص المودة والسلام .

طنجة 24 قعدة 1380 هـ .

تقريظ المؤرخ البحاثة سيدى عبد السلام بن سودة
مؤلف (دليل المؤرخ)

اذا كان الباحث فى عصور ما قبل التاريخ يتطلب كثيرا من العناء ويبذل كثيرا من الجهد المستمر عشرات السنين والاعوام .

واذا كان الباحث عن الحقيقة التاريخية الضالة ينفق من زهرات شبابه بغير حساب ، متنقلا بين القارات والمحيطات مستطلعا الاحجار . ومستنطقا الرمم والاطلال؛ ليقدم للانسانية الظمأى وشلا من المعلومات ونزرا من الاخبار عن ماضى الانسانية الغابر .

فان الباحث فى تاريخ المغرب يتطلب مجهودا اشق وزمنا أطول وثقافة اوسع واطلاعا اشمل ، ذلك لان كثيرا من الآثار المغربية قد عملت على ابادتها عوامل الارض والسماء والشر والخير والجهل والعلم . والاهمال والنسيان تارة . والتعصب والانتقام تارة أخرى .

فكثير منها أصبح فى خبر كان بينما يظن ان اكثرها فى خبر ليس من العدم المحض ، وما بقى من الوثائق والمستندات المكتوبة عبثت به أيدى الزمان فبعثرته بين المتاحف ، والخزائن الخاصة والعامة وألقته الى من لا يستفيد ولا يفيد ليحبسه فى زاوية من زوايا المهملات فريسة للارضة وأخواتها من الهوام الحشرات مع انه علم نفيس وكنز ثمين .

وعند ما هبت نسمات النهضة المغربية على الشباب المغربى تدعوه الى العمل البناء لتجديد شباب الأمة الذابل وانعاش حظها العاثر ؟ ونشر دفائن الامجاد ومفاخر الاجداد وربط حلقات الماضى بالحاضر . كان بعث التاريخ المغربى فاتحة فى سفر العمل فنشطت الهمم . وشحذت العزائم وتضافرت الجهود وانكب كل فى ناحية باحثا منقبا ينشر ما طواه البلى ويبعث ما دفنه الاهمال ولسان حاله يقول نحن أحفاد اولئك الاجداد وفروع تلك الاصول ؛ وأغصان تلك الادواح . فلم لا نسود كما سادوا ولم لا نعتز كما اعتزوا ولم لا نبنى كما بنوا ...

فظهرت المحاولات الاولى فى بواكير الاقلام . وأسهم كثير من العاملين بمجهودات دلت فى معظمها على جهد منقطع النظير . وصبر عديم المثيل وأذكر انى نشرت سنة 1355 هـ . 1936 م . مقالا فى بعض الجرائد الوطنية أدعو فيه الى العمل على جمع الوثائق التاريخية وتكوين لجنة من المختصين لكتابة تاريخ المغرب .لكن المعركة السياسية التى كان المغرب يخوض غمارها شبابه وشيوخه وعلماؤه وقادته جعلت الجهود تتكتل لمقاومة العدو وتحرير البلاد من قبضته فكانت البلاد لا تخرج من معركة حتى تجد نفسها امام اخرى ولا تنفض غبار شدة حتى تتلوها اخرى .

وفي غبار هاته المعارك استطاعت كثير من الهمم ان تقدم للخزانة المغربية مؤلفات وابحاثا ونشرت مخطوطات ومستندات قيمة غزيرة الفائدة . جليلة القدر تصلح لان تكون مادة للباحث ؛ ودليلا للمؤرخ . ومنارا يهدي الحائرين.

ولنذكر على سبيل التمثيل لا الاستقصاء . ما كتبه اخونا المأسوف عليه المرحوم محمد الكانوني عن (آسفي وما اليه) وما كتبه المؤرخ الواعية الشيخ مولانا عبد الرحمن ابن زيدان العلوي عن مكناس والاستاذ الاخ المطلع محمد داود عن تطوان والقاضي عباس بن ابراهيم عن مراكش ، والسيد الرجراجي عن الصويرة والاستاذ محمد أبي جندار ودينية عن الرباط ؛ والشيخ محمد ابن علي الدكالي عن مدينة سلا . والشيخ سكيرج عن مدينة طنجة فهؤلاء وإن كانوا قد بذلوا جهودا مشكورة . وأسهموا في حفظ تاريخ المغرب . وقدموا للباحثين موادَ لكتابة التاريخ المغربي العام فان الفائدةمن عملهم ظلت مقصورة محدودة في نطاق ضيق لم يشمل النواحي الاخرى . مثل سوس التي ظلت محتفظة بسرها الودود الولود المخصب بالاعمال والرجال والربط والمدارس والزوايا والمدن والقرى .

وقد ظلت منذ فجر الاسلام هذه الديار معتزة بالعروبة والاسلام . يضرب ابناؤها آباط الابل الى الشرق والاندلس ويرحلون الرحلات الواسعة في طلب العلم ، حتى اذا عادوا الى سوس كانوا مصابيح الدجى . وايمة الهدى .

ولا تنسين الرؤساء والشعراء والفقهاء ورجال الحرب والسياسة ورجال التصوف من هؤلاء السادة غير أن الزمان وعوامل الاهمال العام جعلت الوصول الى أخبار هذا الجزء النشيط من الوطن ، صعب المنال ، لعدم جمع الوثائق والمستندات في سفر من الاسفار ، حتى قال الناس عن اهل سوس[4] انهم تجار اذكياء لا أقل ولا اكثر[4] .

وقالوا عن سوس انها جزء قاحل شحيح التربة،لا يسمن ولا يغني من جوع. وكأن الزمان كان يسخر من هؤلاء حين غاب عنهم أن (المعسول) يكون اخيرا فتنسى حلاوته ما تقدم من الطرف والفواكه ؛ وتمحو اشعته ما سبقه من الظلام الحالك . وذلك بفضل ما قام به مؤلفه أخونا العلامة الواعية الحجة مفخرة هذا الجيل وصاحب الذكر الجميل معالي وزير التاج الشيخ محمد المختار السوسي حفظه الله .

وقد كنت وانا اقرا الاسفار التي صدرت من (المعسول) اشعر انني امام دائرة معارف ادور فيها بين العلم والادب والدين والتاريخ واللغة والتصوف . لا اكاد أحصي ما يمر امامي من اخبار خاصة وعامة تافهة أو جليلة. ولا اكاد أودع موضوعا طريفا حتى يتلقاني ما هو أطرف وأجمل . كل ذلك وقلم الشيخ محمد المختار قابض على الزمام ينتقل بك احببت أم كرهت الى رياضه الغناء لتقتنص الشوارد . وتقيد الاوابد . ولسان حاله يقول هذه سوس بقضها وقضيضها تلقى اليك بخبايا زواياها . واسرار خلاياها ، وكنوز

دفائنها فان كنت من هواة الادب فاغرف من حياضها وان كنت من هواة اللغة فاشرب من معينها ، وان كنت من هواة التاريخ فاقرا وادرس ، ثم استنتج فها هى المادة الدسمة بين يديك . والشيخ محمد المختار فى مؤلفاته (سوس العالمة) و(خلال جزولة) و(الرسالتين)البونعمانية والشوقية و(المعسول) وفى كل كتبه عن ذلك الاقليم هو الشيخ محمد المختار فى احاديثه ومحاضراته ودروسه تصوف شرعى . وبحث علمى واطلاع موسوعى . وتواضع عمرى ، وصراحة فى القول واستقامة فى السلوك ومحافظة على القديم واستفادة من الجديد المفيد . ولا نشك أن الاجزاء الباقية من (المعسول) ستكون هى الاخرى حافلة بكل شاذة وفاذة من أخبار (سوس) الادبية والاجتماعية والدينية والسياسية ، ولا نشك انها ستكون اضخم موسوعة تنشر لاول مرة تحت سماء المغرب المستقل،يملك صاحبها من الصراحة والشجاعة والصبرما يجعله مثلا يضرب ونموذجا يحتذى وما أظن أنه يوجد بالمغرب من لا يجثو امام هذا المجهود الجليل ، وهذا الصبر العظيم ، وهذه العزيمة القوية التى تحدو هذا العبقرى الفذ الى بناء هذا الصرح الشاهق من مجدنا التاريخى الذى هو أولا وقبل كل شيء مجد المغرب وابناء المغرب . لا فرق بين من ودعوا هذه الحياة ، وبين من لا يزالون فى معركتها الصاخبة .

وأما الاجيال القادمة فستعرف كيف يقدر ابناؤها الشيخ المختار ويطاطئون رؤوسهم قائلين انه عمل ألف رجل لا عمل رجل واحد ، اما نحن الذين بلونا البحث فى الاوراق وعرفنا اى جهد يمثل تحرير عشرين مجلدا فى كتاب واحد لا يسعنا الا انتفاخر بعمل اخينا ونهنئه ونقدرجهوده ونعتز به غاية الاعتزاز:

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

بارك الله فى عمر اخينا العلامة الواعية الوزير الجليل وأعانه على تتميم مشاريعه العلمية حتى يحقق ما يصبو اليه من نفع لوطنه وخدمة للغته ودينه . وتخليدمنالذكر لا تذوى زهرته،ولا تبلى جدته . وأنا له من الشاكرين والسلام

فى 10 ذى الحجة الحرام 1380 هـ . 26 ماى 1961 م .

تقريظ الوطني الغيور السلفي سيدي ابراهيم الكتاني أبو المزايا قيم المخطوطات في الخزانة العامة

لم يتح لواحد منا أن يستفيد من سجنه ومنفاه ما اتيح لصديقنا الحميم الوفي لأصدقائه . العلامة النفاع السيد المختار السوسي . وذلك عند ما اختطف سنة 1937 م . من مدرسته الحرة بـ (مراكش) حيث كانت دروسه تستغرق من وقته النهار كله . وطرفا مهما من الليل أيضا . ونفي الى مسقط رأسه قرية (الغ) باقليم سوس . وكان قد لمس أثناء طلبه للعلم معنا قبل ذلك بعشر سنوات ، بعاصمة العلم والثقافة والحضارة ، ومنبعث الوعي الوطني (فاس) الفيحاء مسيس حاجة المكتبة العربية المغربية لمجموعة من المؤلفات التي تسجل أحوال مختلف الاقاليم المغربية في جميع نواحي الحياة . وخصوصا الثقافية والدينية والاجتماعية منها .

وقد اشتدت هذه الحاجة عند ما جرؤ العدو المحتل على ان ينكر في وقاحة منقطعة النظير عروبة البلاد المغربية واسلامها . وهما العاملان الفعالان في تكوين المجتمع المغربي ، وتكييفه وتماسكه واستعصائه على الغزاة والفاتحين . وشرع يعمل في تنفيذ خطته الاجرامية الرامية لاقتلاع جذور هذه العروبة وهذا الاسلام من البلاد . وذلك بتشجيع الرطنات الاعجمية ، واللهجات المحلية. واحلال الاعراف الجاهلية محل الشريعة الاسلامية ، وتشجيع الدعاية الصليبية وفرض اللغة الاجنبية ، وجعلها وحدها لغة الادارة ، مع مقاومة اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، واضطهاد أهلها ، والتنكيل بهم ، ومطاردتهم في كل مكان . الا من قبل منهم أن يتخلى عن رسالته ، ويعين العدو في جريمته .

فلما تهيأ للصديق المختار فرصة نفيه وفصله عن تلاميذه وطلبته وأصدقائه اغتنمها فرصة سانحة لتسجيل كل ما امكنه تسجيله من غث وسمين . من اخبار اقليمه وأحواله . مما شاهد بنفسه ، أو سمعه من أقوال الرجال والنساء والتقطه من ثنايا الوثائق والمستندات العائلية ، والتقاييد الشخصية على ظهور الكتب الدراسية ، متصلا بكل من هب ودب ، الى أن رجع من منفاه بهذه المكتبة الضخمة ذات المجلدات العديدة التي استمر في الزيادة فيها وتنقيحها أزيد من عشرين سنة ، والتي لا يوجد في موضوعها ما يغني عنها .

وان قارئ هذه المؤلفات ليستطيع ان يتعرف منها الى مقدار استعراب هذا الاقليم ، ومدى انتشار الثقافة العربية ، والمدارس الاسلامية فيه . والجهود التي بذلها السكان لاحتضان هذه الثقافة . وتشجيعها وحمايتها بدافع من انفسهم ، وخصوصا لعقيدتهم الدينية التي تغلغلت في نفوسهم ، وسيطرت على حياتهم ، من غير أن تتبنى أية حكومة من الحكومات المتعاقبة على البلاد ،

فرض هذا الاستعراب ، أو وضع تصميم عملي لرعايته وتسييره .
ولم يكتف المؤلف الجليل بما بذله من جهود ، وما صرفه من وقت طويل . وما تحمله من تنقلات واسفار في سبيل البحث والاستقصاء ، والتنقيب في المكتبات العامة والخاصة ، والاتصال بكل من يتوقع من الاتصال به العثور على ما يفيده في موضوعه . بل أضاف الى كل ذلك قيامه بطبع هذه المجلدات دفعة واحدة على نفقته الخاصة.مستخدما لذلك جل المطابع الاهلية الموجودة بمختلف المدن المغربية ، الامر الذي مكننا لحد الآن من الحصول على زهاء عشرة اجزاء في اقل من عشرة اشهر . وهو أمر لم يسبق للنشر بالمغرب أن عرف له نظير من قبل.وذلك في وقت تتعرض فيه الثقافة العربيه لمحنة عنيفهقاسية،بسبب طغيان الاستعمار الثقافي واللغوي،الذي هو أشد خطرا على الامه من الاستعمار السياسي والعسكري والاقتصادي مجتمعا. وهي صورة حيه لايمان المؤلف بمستقبل الثقافه العربية بهذه البلاد . وان خانها اليوم وتآمر عليها ، وكاد لها ، وتخلى عنها من أبنائها بعض من كانت تنتظر منهم حمايتها ورعايتها ، والدفاع عنها (فان يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) وذلك ان اليوم الذى تسترجع فيه الامة وعيها ، وترجع الى نفسها ، وتتجه الى ميدان التطور ، ومحاربتها ترزح فيمن تخلفكري وثقافي وتربوى واجتماعي وصناعي واخلاقي وحضاري ، في نطاق حماية مقوماتها الاساسيه ، من لغه وثقافة ودين وحضارة واخلاق ، لهو يوم آت لا ريب فيه (ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله) .
ان صديقنا الاستاذ المختار قد ادى بعمله الجليل هذا خدمة مهمة للمكتبة العربية المغربية ، وابان عن مقدار مسؤولية المثقفين باللغة العربية في بقية الاقاليم الأخرى من أنحاء المغرب في التعريف باقاليمهم وأحوالها واخبارها ورجالها،فعسى أن يكون ظهور هذه المجلدات حافزا لبعض بقية الاقاليم الأخرى فياخذوا انفسهم بمثل ما أخذ به المؤلف نفسه .ليملأوا ما في مكتبتنا من فراغ في هذا الميدان .
كما نرجو أن يكون في ادباء الاقليم السوسي من له نصيب من علم المؤلف واطلاعه وصبره واخلاصه . فياخذ نفسه بدراسة هذه المجلدات ومحاولة التعقيب على ما عساه أن يكون فات المؤلف من معلومات أو وقع فيه من أخطاء ، كما يقترحه المؤلف دائما في كل مناسبة أثناء كتابته .
جزى الله صديقنا المؤلف خير الجزاء ، على ما بذل من جهود ، وصرف من وقت ، وانفق من مال . واعانه على نشر بقية مؤلفاته لعلها تحفز لتاليف مؤلفات اخرى أمثالها :
وكتب بالرباط يوم عيد الاضحى المبارك عام 1380 هـ .

تفريظ محيي (تطوان) بكتابه العظيم الاخ العلامة سيدي الاستاذ محمد داود

الاستاذ المختار ومؤلفه (المعسول)

زارني احد التلاميذ النجباء منذ أيام ، وسلم لى بطاقة اتى بها من مدينة (سلا) فاذا فيها ان المجلد الاخير من كتاب (المعسول) على وشك الخروج من المطبعة . وان من المناسب أن اكتب فيه كلمة تضاف الى ما يكتبه أصدقاء (المعسول) من المعجبين بهذا الكتاب من روائعه . وفكرت وطال تفكيرى ، لأنى لم أفكر فى الموضوع من قبل . وجالت بذهنى خواطر كان من جملتها أن مؤلف (المعسول) هو حقيقة أخ كريم ، وصديق حميم . الا أنه وزير يقصده الطالبون لقضاء الحاجات ، والراغبون فى حل المسائل والازمات ، ومن كان كذلك فان من المنتظر أن تتقاطر عليه تقاريظ من الذين يصطادون هذه المناسبات ، ليتوصلوا الى مختلف الغايات . وهنا تساءلت النفس الامارة بالسوء ؟ أتستبعد يا داود أن تجد اسمك غدا مسطرا بين أسماء أولئك الطالبين الراغبين . ونحن يا عزيزى قوم اذاوصل الحال لمثل هذا السؤال نفف روحنا وترْبيتنا ونفسيتنا موقفا يصعب معه اذعانها ،فضلا عن خضوعها وعدلت عن التفكير فى الموضوع موقتا .

ثم بعد ذلك ببضعة أيام زارني علامة الشمال المغربى أخي الاستاذ عبد الله كنون صحبةبهجة الاخوان ، وتحفة تطوان ، أخي الاستاذ محمد بنونة . فسألنى هل كتبت كلمة عن (المعسول) فأجبته بأننى لم أعزم علىذلك.وهولحسن أدبه ، ولطف أخلاقه ، ودراسته لنفسيتي: لم يلحّ علي فى الامر. ولم يسألنى لماذا ؟ وعلى ماذا ؟ ثم بعد بضعة ايام جاءتنى من (الرباط) رسالة يقول كاتبها - وهو اخ عزيز ، وصديق محترم : انه لا يناسب أن لا تكون من بين تقاريظ (المعسول) كلمة للاستاذ داود . النفه الذى يعرف ما يكتب وما يقول . واذ ذاك استانفت تفكيرى،فى الموضوع.ولم يخطر ببالى قط أن تكون تلكالتزكيةلى كرشوة من احد المعجبين بالاستاذ المختار وكتابه (المعسول) ، وما أكثرهم وأنا منهم :

وتجاهلت الوظائف والموظفين . والالقاب والملقبين . ونسيت التملق والمتملقين ، واصحاب الحاجات والراغبين . وانشدت ما ينشده العازمون على الامور .

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

وزدت على ذلك ان من اكثر من التردد،والخوف من القيل والقال،ضيع اصحابه وغبن اقرانه واترابه . وحملت القلم،واطلقت له العنان،فاذا به يتلكا ويحجم امام وصف الوزير الذى يقف ببابه الطامعون فى تقلد الوظائف ، او تسنم

الدرجات ، ثم يحرن ويتعثر حتى يكاد يتكسر في يدي ؛ ويتركني وحدي في الميدان . واخيرا رايت أن لا محيد لي عن سلوك طريق السياسة والمناورات ، لاني رايت أن سوقها هي الرائجة في هذا العصر ، وتجارتها هي الرابحة في هذا المصر . ووقفت مسعاي ، واستطعت ان اقنع نفسي بأنه لا خوف عليها من الاتهام ، ولا تهمة تحوم حولها في هذا المقام . لان لنبهاء الناس موازين ، يفرقون بها بين الغث والسمين . ولهم قوانين تجعل حدا بين الطامعين المتملقين ، والنزهاء المترفعين ، والانفس والاقلام يا عزيزي شأنها شأن بعض مشاهير الرجال . تخدع بالثناء فتنخدع ، وتوتى من باب ضعفها فتسلس وتتضع .

(أما بعد) فدونك ياعزيزي هذه الخطرات التى كتبها هذا القلم المستعصي، وأنا خائف من أن يحدث حادث، أو يدس داس. فنعود لاستيناف المعركة من جديد بيني من جهة ، وبين نفسي وقلمي من جهة اخرى .

كنت منذ بضع سنين قرات ، في كتاب : (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) لاخينا الاستاذ أبي محمد ابن سودة أسماء عدد وافر من الكتب . ذكر أن مؤلفها هو الاستاذ المختار السوسي . فتساءلت نفسي هل يمكن أن يكون هذا العدد العديد من هذه التاليف كلها لهذا الطالب السوسي الذى لم يدرس الا في نفس المعهد الذى درست فيه ، وهو جامعة القرويين . أليس في الامكان أن يكون هذا الشخص من ذلك الصنف الذى سمعنا وقرأنا عنه ، ورأينا منه غير قليل ، هذا الصنف الذى يفكر الواحد منه في موضوع من الموضوعات التي يؤلف فيها الناس . ويضع برنامجا مفصلا ، ثم يتوجه باسم لماع براق . ثم يسجل اسمه في لائحة تاليفه التي كلها خيال في خيال . وقد يتحدث عنها في مجالسه بالاحاديث الطوال . والحال أنه لم يكتب منها الا الاسم والمقدمة والمشروع ان هذا الصنف من الناس موجود ، وقد عرفنا من أشخاصه من عرفنا ، وسجلنا اسماءهم في لائحة الاغبياء والمغفلين .

ولكني لم ألبث أن اجبت نفسي بنفسي : ان شخصا لم يبلغنا عنه الا أنه مخلص في دينه ، نزيه في اخلاقه ، متين في علمه . لا يمكن أن يصدر منه مثل هذا . وجزمت أو كدت اجزم بأن للاستاذ المختار السوسي مؤلفات لا مشروعات فحسب. وزرت الاستاذ المختار بـ (مراكش) وزارني بـ(تطوان) وتعارفنا من قريب ، بعد ان كان تعارفنا بالسماع من بعيد ، فوجدنا انفسنا سائرين ، في اتجاه واحد ، ثقافتنا اسلامية عربية . عواطفنا تعتز برجال السلف الصالح ، وتحترم شيوخنا الابرار ، مبدؤنا الاعتزاز بالاسلام ثم بالعروبة ، ثم بالوطنية الاستقلالية الحرة الصادقة المخلصة . والافتخار بامجاد قومنا وماضي امتنا ، واحتقار الثرثارين ، من انصاف المتعلمين . والقرود المقلدين للمتحذلقين ، من جهال المستشرقين .

وذات يوم ناولني الاستاذ المختار احد المجلدات من تاليفه وقال لي ، ان كان لديك فراغ ، في الوقت فلك ان تطلع على هذه المخرمزات (1)

وتناولت من يده الكريمة ذلك المجلد بكامل الارتياح ، لان حبي للمطالعة، وشغفي بالمعرفة ، أشد من ولوع بعض رجالنا بلعب الكارطة وشرب الراح ، وتصفحت الكتاب ثم قراته . ثم تذوقته ، فاذا بي في ذلك المجلد أمام عذب سلسبيل ، في أرض أريض،وظل عريض . أسلوب بديع ؛ وأدب رفيع . ونثر بارع ، وشعر رائع . فقلت سبحان الله : ايصدر مثل هذه الجواهر والدرر عن اناس يتكلمون في أوساطهم العادية بغير لغتنا،ويتفاهمون بلهجة غير لهجتنا، أياتي بهذا السحر الحلال من يصفهم بعض الناس بان في كلامهم عجمه ، وفي لسانهم لكنة . ان هذا لشيء عجاب ، ولم يطل تعجبي ، ولم يكثر تساؤلي اذ وجدت أن الواقع هو ما ارى وما أقرأ ، لا ما افهم ولا ما اسمع .

وتتابع اعجابي ، ولاحظ الاخ المختار ، وهو الذكي النجيب : الدقيق الملاحظة ، السريع الادراك ، بالرغم من تغافله أو تغابيه في بعض الاحيان . اني ألتهم مؤلفاته وآدابه التهاما ، فتابع امدادي بالمجلد تلو المجلد.فاذا بي أمام نيف وثلاثين (2) جزءا الفهاهذا الطالب المدرسي البلدي النشأة ، الدارس بالقرويين ، عن بلده اقليم سوس ، ورجال سوس ، وادب سوس ؛ (وحوادث سوس . فالتفت الى حبيبتي (فاس) سائلا ماذا عندك ياعزيزتي من هذا ؟ فاذا بها لا تمدني ولا بعشر ما وجدته عن (سوس) فكبرت في نفسي سوس وعظم في عيني ابن سوس البار . وأصبح في نظري هو بلبلها الصداح ، ونابغتها المختار . وقلت الله اكبر (ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

ورجعت ببصري وبصيرتي الى عزيزتي (فاس) فاذا بها تميس وتتقدم نحوي . وتضع راحتيها على منكبي وتهمس وقد خنقتها العبرات ، الا ترى الى ما حاق بي من اعراض واهمال ، وما صرت اليه من مرقعات واسمال . وفي صناديقي من الدرر واليواقيت مثل الجبال ، ولي من الثروة الدفينة ما لا يخطر لك ببال ؟ وارتمت في احضاني وقد أجهشت فاغرورقت عيناي ورفعت طرفي الى السماء . وقلت يا رب يا رب اهد اخانا العابد الفاسي لتاليف (معسول) عن فاس ، التي شاع حبه لها بين الناس وسمعت عن يميني أنينا فاذا بي اجد الاخت (سلا) وهي تستعطفني فقلت يا رب يا رب اهد اخانا محمدا التطواني لتاليف (معسول) عن (سلا) محل البرور والاحسان ، ومركز العطف والحنان ، ومرتع الاحباب والخلان .

---

(1) أصل الكلمة من المخرمشات ، وهذه عربية فصحى .

2) يعني من (المعسول) و (خلال جزولة) و (الالغيات و (حول مائدة الغداء) و (من أفواه الرجال) وغيرها .

والتفت الى يساري ، فاذا بغادة تتهادى وتجر وراءها الاذيال وقد اماطت عن محاسنها الخمار.ووقفت امامي وقد احمرت وجنتاها . وتهدج صوتها تقول: ايكون جمالي سببا فـي حرماني من عطف علمائنا الابرار ، واعتناء فقهائنا الاخيار ، خوفا في الاتهام باخلاق الفجار . فاغضيت حياء وخوفا على نفسي وحسبلت ، وقلت يا رب يا رب اهد الخانا ابن العباس ، لالهاء غادة (الرباط) بـ (معسول) تطيب معه الانفاس . ويحجب فتنتها عن الناس .

وعزمت على الانصراف لحال سبيلي . فاذا بابنة اسماعيل تنادى الا يوجد الجمال الا عند جارتي ؟ الا يفتنك ايها الجميل الا بياض(فاس) الا تتلوق ايها اللطيف حلاوة سمرة (مكناس) فقلت وقد تكاثرت على الظباء . وانا حديث العهد بالعودة من (قباء).اللهم لا تفتننا، اللهم اهد الخانا محمدا المنوني لشغل هذه الفاتنة بـ (معسول) يتوج به (اتحاف اعلام الناس) (1)

وهرولت خوفا على نفسي من الفاتنات ، الكاسيات العاريات . فاذا بي امام شيخ وقور (الله اكبر) انه ابي (المغرب) العزيز،فتقدمت اليه وقبلت يده اليمنى على عادتي مع اشياخي،بالرغم من كوني اصبحت او كدت اصبح من الشيوخ(2) فقال لي بدون مقدمات ما هذا الكسل ؟ ما هذا الاهمال ؟ ما هذا الفتور ؟ الم يبق في الدنيا اعتناء وبرور ؟ ما هذه العجرفة والانانية ؟ ما هذه العنصرية الاقليمية ؟ ما هذه الافكار الضيقة ؟ ما هذا التزمت المحلي ؟ وخفت من استرساله في ارسال هذا الشواظ من الاتهامات التي اعلم انني ورفقائي منها براء ، فتراميت على يده اليمنى ، وقلت وانا اعلم ان الشيوخ تنحل عراهم عند ما يتواضع الشبان امامهم . ويقبلون ايديهم ـ عفوك ايها الاب الحنون ـ او منْ ونحن نمتثل ، فقال : اصحيح ؟ قلت بحقك علينا . فقال اذن لتتعاونوا جميعا على كتابة تاريخي الذي الى الآن لم يكتب . فقلت اطمئن ايها الاب العزيز ، وكن واثقا من اننا بتواريخنا الاقليمية الخاصة المتواضعة ، انما نمهد لتاريخك العظيم تمهيدا ، ونسهل تسهيلا . فقال احقا ما تقول ؟ فقلت ذلك ما نعتقد . والله على ما نقول وكيل . فاذ ذاك تفترت حدته وسورته وتلألأ جبينه وجبهته . وقال وقد سالت على ثلج لحيته قطرات فضية : اللهم اهد أبنائي الابرار ، اللهم ارض عنهم ، وكن لهم خير معين .

(وبعد) فهذا اقليم سوس قد حاز قصب السبق ، بتفوق ابنه البار ،اخينا الاستاذ الحاج المختار السوسي ابن الشيخ الصالح المربي الناصح . سيدي الحاج علي الالغي . في كتابه (المعسول) الكتاب الذي ملأه علما وادبا وتاريخا

---

(1) اما تطوان فانها لو تكلمت لملأت الجو زغاريدبما ظفرت به من(معسولات) لا معسول واحد في مؤلف الاستاذ الكبير الجامع الذي لا نظير له .

(2) محمد المختار ، والسادة : محمد داود.والحاج محمد بنونة . والتطواني هم اليوم في الرابعة والستين . او ليسوا بشيوخ يحال أمثالهم على المعاش .

وحكما . الكتاب الذى يبحث فى الاصول والاعـراق . وتدرس فيـه العوائـد والاخلاق ، ونجد فيه من تراجم اخـوان لنا ، وتصويـر لحياتهـم . وتسجيـل لروائع أدبهم . ما يضيف الى صفحات تاريخنا ، وباقات ادبنا ، ثروة لا تقـدر بثمن .

هذا الكتاب الذى لا ننتهى من قراءته ، الا وقد أحطنا أو كدنا نحيط بمعرفة الكنوز الثمينة التى يحتوى عليها هذا الاقليم من بين اقاليم هذا الوطن المغربى العزيز ان بعض الذين تعودوا قراءة نوع خاص من كتب التراجم والتاريخ ، قد يرون أن (المعسول) وامثال (المعسول) - ان كـانت له امثـال - فيـه معلومات تافهة أو تفصيلات دقيقات ليس لها فى نظرهم من الاهمية ما يدعو لتسجيلها وتخليد ذكرها . والذى ارى أن ذلك الرأى قصر فى النظر ، وتاثر باد يستوقراطية فرضها بعض المؤرخين الذى كانوا خداما لبعض الولاة ، أو ابواقا لأصحاب السلطة والجاه .

وان التاريـخ الصحيـح فى نظـرى هـو الذى يؤرخ للشعـب كمـا يؤرخ للحكومات ويترجم للافراد فى الشعب كما يترجم لكبار الشخصيات ، ويصور مختلف الأفكار والنفسيات والاتجاهات والحيثيـات ، وخصوصا فـى الأوساط التى يعيش فيها المؤرخ تصويرا يجعل قارئى الكتاب ، يشعر بأنـه يكاد يعيش فى تلك الاوساط . وهذا المعنى يجده متجليا بأكمل وضوح فـى مؤلفات الاستاذ المختار . وخصوصا فى كتابه (المعسول) .

لقد كنت قبل اتصالى بالاخ المختار . لا أكاد اعرف شيئا عن سوس ، وادباء سوس . واتصلت أولا بأخيه الاديب النابغة الاستاذ ابراهيـم الالغى ، الـذى قضى زهرة شبابه عندنا بـ (تطوان) فوجدت فيه من علـو الهمـة ، ولطف الاخلاق ، وسمو الافكار ، وبارع الادب . ما أكبر فى عَيْنَىَّ هذا الاقليم الذى يصدر مثل هذه الدرة اليتيمة. ثم اتصلت بالاستـاذ المختـار نفسه ، وهـو مدرس حر بـ (مراكش) ثم فى (الدار البيضاء) فاذا بى فى بحر زاخر من العلم والادب . وجبل شامخ فى الدين المتين ، والخلق القويم ، والهدى النبوى والكرم الحاتمى ، الى باع طويل فى علوم اللغة العربية والادب الممتاز . واطلاع واسع على مجرى السياسة والاحداث فى الداخل والخارج ، مع سداد فى الرأى واتزان فى الفكر ، وبراعة فى الاسلوب . ثم قرات جل تاليفه عـن سوس . فانتهيت الى نتيجة وأية نتيجة ، وهى أن من الانتاج الادبى العربى بالمغرب ما يحق الافتخار به أمام بقية أقطار العروبة فى القديم والحديث ، ولولا ابتعادى عن المبالغة . وكانت لى فى مجالس الاحكام كلمة - لا قدر الله - لحكمت بأن الاخوين عبد الله كنون والمختار السوسى ، هما فى عصرنا هذا معجزتان مـن معجزات هذا المغرب العظيم .

(تطوان) فاتح محرم الحرام عام 1381 هـ .

تقريظ الاديب الكبير الاخ شقيق الروح
سيدي محمد بن العباس القباج الرباطي

سيدي الاخ الكريم الاستاذ الكبير العلامة البحاثة محمد المختار السوسي.
وتحية وتقديرا هذا كتابك (المعسول) بين يدي الآن . وقد طويت آخر صفحة منه بعد أن أنهيت مطالعته مطالعة المستوعب المتفهم وارتويت من موارده وتمليت من فوائده ولا أكتمك انني انتفض انتفاضة الماخوذ اعجابا وسرورا كلما خرجت من ترجمة عالم الى حياة اديب ، وانتقلت من عرض أخبار حافلة الى آثار ادبية تتمثل في كل سطر من سطورها شخصيات اولئك الذين عاشوا او يعيشون في جزء من المغرب مغمور كنا نحسب عن حسن نية انهم بمنأى عن اللغة العربية بعيدون عن أجواء الحضارة ومقومات العلم وفنون المعرفة .
وهكذا سيظل يتراءى لمن لم ينح له الاطلاع على ما تضمنه (المعسول) أن الحضريين هم وحدهم الذين حباهم الله دون سواهم بنور العلم والعرفان .

ولعلك وأنت تعكف على انجاز مؤلفك القيم (المعسول) وتبذل في سبيله جهدا وغناء تهدف الى الغرض السامي المحبب الى قلب كل غيور وتنشد الامنية الغالية التي تتجمع في تعريف مواطنيك بأخبار وآثار اخوان لهم بتلك الجهة التي ظلت أحقابا في عزلة وانزواء أو ظل المواطنون انفسهم في انكماش وانعزال لا يتطلعون اليها ولا يتحدثون عنها فيما يكتبون ويؤلفون وتود أن تصحح من اخطائهم وتبث في روعهم أن بني عمك فيهم رماح ، وتضع امام انظارهم سلسلة موصولة الحلقات عن مقومات سوس العالمة وطائفة من رجالات الاسر العلمية هناك ، وحتى لا يعود مفتر يقول: ان تلك الجهة لم تكن منذ الاجيال غير صحراء قاحلة لم تتخللها دوحة عرفان . ولم تتفتح فيها براعم أدب . ولا تفجرت فيها ينابيع الثقافة التي اصطلحوا على أنها وليدة الحضارة ومؤئل الحضريين . وكأني بك وانت تسمع ما تسمع من قول مفترى . أو تقرأ ما تقرأ من تحامل على الصقع السوسي الواعي تزداد وثوقا وايمانا أن الايام كفيلة بتوفر الاسباب لوضع مؤلفات تتركز في التعريف بسوس واظهار مكانتها العلمية والادبية . ولامر ما احببت الانصراف الى شرع الأقلام والانقطاع الى المحابر . وعزفت عن الادب والقريض ، الا عند من يجيش به صدرك وتحس بدافع قوي الى لوك النظم وهكذا اشتد حرصك على ارتياد زوايا العلم المشهورة المنبثة بين شعاب سوس وهضابها تستقصي الوثائق الشخصية . وتستمد من مراجعها ومصادرها التي قلما تتهيأ لراغب الا في خبايا تلك الزوايا . ثم كانت مشيئة القدر ان تمتحن بالنفي السياسي ، وما عهدتك الا الاديب الملهم والعالم الباحث ، وكيف يهتبل بالسياسة ويمارسها من لا يفرغ من الدرس والافادة

الا عند انصرام الهزيع الاول من الليل ، ولا يكاد يستريح جنبه قليلا الا وقد ايقظه داعي الفجر ليستانف مهمته ويواصل في سبيل نشر العلم والدين ماموريته . ولكن لله حكمة بالغة . فقد كتب في تدبيره لهذا القطر عائدةعميمة وفائدة جزيلة . فكان في نفيك الخير الموفور والبركة المدخورة .
خَيّر كله هذه المجموعة من التاليف التي تخرجها للناس تباعا مليئة باخبار وسير علماء وادباء سوس وتراثهم الفكري وانتاجهم الادبي وبركة . حيث هياك الله لصون ما الهمت اليه من عوامل الاندثار وحفظه من أن تمتد اليه غوائل البوار.ولكن كان هناك فريق لا يرضيه هذا الضرب من التاليف . ويقصر فهمه عن ادراك مرماه ويتساءل عن مبلغ ملاءمة هذه الموضوعات لمقتضيات الحياة العصرية الجديدة الزاخرة بالوان الابداع والاختراع فأنا لا نقول أكثر من ان مجالات النشاط لاتقف عند غاية وهي تختلف باختلاف الميول وتتعدد بتعدد الاتجاهات . وكل يعمل على شاكلته ، وحسبك انك اديت أمانة لم يكن سواك قادرا على ادائها بحثا وتدقيقا واستفاضة . وبينت لنا مبلغ ازدهار اللسان العربي بين قوم شلحيين بالرغم عن اللهجة السائدة في وسطهم وبيئتهم ومجتمعاتهم .
فليهن أخي الكريم بتوفيقه . وليسعد بما يتحف به المكتبة المغربية من مؤلفات قيمة ومجهودات مشكورة . 8 محرم 1381 هـ .

تقريظ الاديب الكبير عبد القادر زمامة الفاسي
(المعسول)
بين الادب والتاريخ

بين يدي الآن اجزاء من هـذه الموسوعة الكبـرى التي تضافـرت المطابـع المغربية على اخراج الواحد منها تلو الآخر . وقد لبس كل جزء منها رداء واحدا في العنوان ، والورق ، والحروف ؛ والحجم . مما يجعل القارئ يظن لاول وهلة ان المطبعة الواحدة لفظت هذا التراث الضخم في وقت واحد ، ولكن هيهات ، فلو اشتغلت مطبعة مغربية واحدة بهذه الموسوعة لاحتاجت الى معدات ورجال وأزمان .. والمؤلف ــ حفظه الله ــ كان موفقا كل التـوفيق حين وزع الاجـزاء بهذه الكيفية ، اختصارا للوقت ، مع المحافظة على الحلة الانيقة التي توحد بين الاسفار ..

فاذا تخطينا هذا المظهر العام الى ما تضمنته تلك الاسفار من اخبار الاعصار والامصار . فاننا نجد انفسنا امام مؤرخ اديب رحالة ، يغرف من بحر وينفق من جم :: ويربط التاريخ بالادب :: والحاضر بالماضي ، ويقدم لكل الوانا من المعلومات . قد تكون انت بالذات في غنى عنها ، ولكنها في الوقت نفسه ضالة قارئ غيرك وطلبة باحث سواك . والمؤلف في كل ذلك يدهشك بتقييد الاوابد واقتناص الشوارد ، من اخبار سوس ، ورجال سوس على العموم ، و (الغ) ورجالها على الخصوص :: ويظهر ان المؤلف كان منذ الساعة الاولى التي فكـر فيها في انجاز مشروعه ــ حريصا كـل الحرص على الانتقـام :: من الاهمـال والمهملين . حريصا كل الحرص على تسجيل ما اهمله التاريخ . وما زال يهمله الى الآن . فهناك حواضر في المغرب ، وامصار وقرى ، ورباطات ــ وزوايـا ــ كانت مصابيح متلألئة في سماء المغرب برجالها وعلومها ومدارسها ، اصبحت في خبر ليس وكان . وما (تكنور) و (البصرة) و (الدلاء) و (سجلماسة) و (أغمات) و (داي) و (تيط) و (تامكروت) و (زاوية العياشي) الا امثلة لما جناه الاهمال على تاريخ المغرب الفكري والسياسي . وقد حظيت (الغ) من ابنها البار بما لم تحظ به غيرها من أبنائها في القديم والحديث ، مع العلم ان (الغ) ليست للالغيين وحدهم . ومـراكش ، ليست للمراكشيين وحدهـم . وكذلك تطوان ومكناس وفاس وغيرها من مدن المغرب وقراه بل ان المغرب بجميع أقاليمه للمغاربة اولا وأخيرا . وتاريخه العـام ليس الا عقـدا نفيسـا استهمت فيه كل ناحية من نواحيه بطائفة من العلماء والادباء ، ورجال الفكر والسياسة يكونون فرائده الدرية اللامعة .

وأول ما تلاحظه في الجزء الاول من (المعسول) هذه المعلومات الجغرافية التي تلون لاول مرة تاريخ المغرب بقلم خبير مختص ، يكتب عن البيئة الطبيعية والاجتماعية ، والحياة الاقتصادية والعلمية والادبية ؛ ومشاغل السكان في جدهم وهزلهم، وأفراحهم وأحزانهم وعلائقهم الشخصية والاجتماعية: الامر الذى يجعلك محيطا بظرف الزمان والمكان لهذه السلسة من المعلومات التي يقدمها اليك هذا العلامة الخبير . وقد استغرقت هذه المقدمة الجغرافية خمسا وسبعين صفحة ، أتى فيها المؤلف بكل طريف ممتع :: ولا يعوذها من عين الكمال الا حرمانها من مصور جغرافى مفصل لاقليم سوس بالقبائل والمدن والقرى والمراكز المهمة . ، والاعلام التاريخية . ولعل المؤلف اخر ذلك ليلحقه ببعض الاجزاء التى لا تزال تحت الطبع .. اذ لا تخفى أهمية التخطيط الجغرافي لتتبع وقائع الاحداث ، لاسيما عند الذين لم يسبق لهم ان تعرفوا عن ذلك الاقليم من المغاربة أو غيرهم .

ثم ياتى المؤلف بتقسيم الكتاب ، فيقسمه الى خمسة اقسام ذات فصول وفروع ، وهذا التقسيم ليس الا ترتيبا للاخبار والاحداث والشخصيات ، والاسر السوسية التى لها شفوف واعتبار فى الدين أو العلم أو الرياسة . وبذلك استغنى المؤلف عن ترتيب تراجم الاعلام على الحروف (1) الهجائية أو الابجدية :: كما استغنى عن الترتيب الزمانى بالترتيب المكانى . ولم يراع الزمان الا فى الفصلين الاول والثانى من (القسم الاول) وقد احيا المؤلف سنة الروايات والافادات والانشادات والوجادات ،فلا يترك مناسبة تمر دون ان يكشف لك سرا مكنونا . ولولا العلامة المختار لبقى مجهولا فى المجاهيل أو نكرة فى النكرات.وهكذا يرضى بعلمه المؤرخ البحاثة الذى لا يقنع بالامشاج، والاوشال ، بل يتطلع دائما الى المنابع الثرة والعيون الدافقة ، ليحكم على الشخص او العصر حكما مستمدا من أدلة ومستندات وافية شافية .

فاذا تخطينا ناحية التاريخ ـ وهي بيت القصيد ـ الى ناحية الادب ، وجدنا المعجزة الكبرى والآية العظمى . معجزة اللغة العربية ، والادب العربى بشعره ونثره وامثاله وحكمه . فلا تخلو ترجمة من تراجم اعلام سوس من قصيدة او مقطعة او رسالة تريك مدى سيادة لغة الضاد فى تلك الارجاء الشاسعة :. فهى لغة العلم والعلماء . ولغة الادب والادباء ـ وهى لغة الدين .. عبادة ومعاملة . وهى لغة الحكم والادارة ، بها تعقد العقود . وبها تنفذ الاحكام . منذ عرفت سوس الاسلام الى الآن . وكفى بذلك نعمة وخيرا وفخرا لهذا القطر المغربى المسلم .

ولا يعزبن عن البال ان ادبيات (المعسول) هى الادبيات التى تتضمنها عادة الكتب الموسوعة التى يكون هم مؤلفيها التدوين والتسجيل والجمع . فلا

(1) سيقوم بذلك الفهرس العام للكتاب كله ان شاء الله .

يضيرها ان تكون معرضا فيه المختار الجيد ، الى جانب الفاتر المتكلف . وقديما عرفنا شعر الفقهاء والنحاة . كما عرفنا شعر ذوى المواهب الحية ، والعواطف المشبوبة . وشعراء سوس فيهم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين . والقراء هم المحظوظون الرابحون على كل حال..حيث انهم يجلون المواد الاساسية للدراسة الادبية أو التاريخية بجميع عناصرها .

ـ وفي يقيني ان هذا الكتاب سيسد فراغا ظل شاغرا الى الآن . وسيجد فيه الادباء والمؤرخون معينا لا ينضب ، وينبوعا لا يغيض ، وقبل ان اودع هذا الكتاب اود ان يتم الله نعمته على مؤلفه ، فيهبه من تمام العافية ، وجميل الصبر ، ما يتم به اخراج مؤلفاته الاخرى التى علمنا منها شيئا ، وغابت عنا اشياء ... .

وما ذلك على همة هذا النابغة العبقرى بعزيز ... فما ضاعت اخبار ولا آثار وراءها علامة مختار ......   فاس ، 8 محرم الحرام 1381 هـ .

تقريظ الاديب الكبير سيدى عبد الكريم ابن الحسنى الرباطى
(المعسول)

في أعلام (الغ) ورؤسائها وشيوخهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسيين ومن اليهم من الاقارب

سوس اقليم كبير فى المغرب يكتنفه البحر الاعظم ، والطود الاشم . والساقية الحمراء . والصحراء الفيحاء ، وفى تحديد رقعته وتميز أقصاه من ادناه قد تتفاوت العبارات . وتختلف الاعتبارات ، فصاحب (الحلل الموشية) يقول : (سوس الاقصى هو بلاد ماسة وهو على يمين القبلة من جبل (دَرَن) الى أن يتصل بالصحراء) ويقتصر التادلى الرباطى فى (المطلع) على قوله(سوس الاقصى اقليم عظيم فوق مراكش)ويقول السوسى المرغيتىفى (الممتع(1)) وهو (سوسان أدنى وأقصى، فالادنى وادى العبيد الى سجلماسة ، الى وادى درعة ، الى مراكش ، مع الجانب الذى يليه من جبل درن الى حاحة الى دكالة الى وادى أم الربيع ، وسوس الاقصى هو ما بعد ذلك الى الساقية الحمراء ، من ناحية الصحراء ، والى البحر من ناحية ماسة ، وجبل كنفيس ؛ ومدينة ردانة مع الجانب الذى يليها من جبل درن) .

وكأن الشيخ محمد بن عبد الله بن الحسين الدليمى الاصل . الدرعى النشأة الورزازى الدار ، المكى الوفاة سنة 1174 هـ . لم يجل فيما حوله.ولم يستمتع بهذا الممتع ، فاحتاج ـ وهو من (ورززات) التى قال بعضهم انها بنواحى سوس ـ الى الفير وزبادى الشيرازى اليمنى ، للتعريف بسوس ؛ ورأى نفسه . فى شرحه المبيض سنة 1164 للمقنع مضطرا الى نقل قول القاموس ، متصرفا فى نصه . الذى ذكر فيه سوس الاهواز وبلدا آخر بالمغرب ، وهو سوس الاقصى . بينهما مسيرة شهرين) وكل ذلك ليرتب عليه قوله (ولهذا نسب الناظم رحمه الله نفسه) .

اما معاصره عبد الله بن ابراهيم النفيسى فقد اتى البيوت من أبوابها ؛ فقال ملخصا كلام المرغيتى فى(رحلة الوافد)التى الفها فى هجرة والده المتوفى سنة 1134 (قلت : وبلاد السوس عندهم على قسمين:سوس الاقصى،وسوس الادنى ، فالاقصى من بلاد ماسة قرب مدينة (تارودانت) وهو على يمين القبلة من جبل درن الى أن يتصل بارض الصحراء ، والادنى من وادى العبيد قرب مراكش الى ماسة . نص عليه الشيخ سيدى محمد بن سعيد المرغيتى وصاحب

---

(1) المطلع والممتع شرحان على رجز (المقنع)

الحلل) .

ولم يزد الشيخ مرتضى في شرحه للقاموس على قوله في (التكملة) كأنه لم يلق سوسيا ولا حدثه عن سوس أو سوسة أحد من أعلام المغرب الذين لقيهم ، فأخذ عنهم او اخذوا عنه ، مع أنه يوجد في شيوخه باللقاء : علي بن محمد السوسي ، وبالمراسلة أحمد بن عبد الله السوسي التونسي .

أما تلميذه الشيخ محمد ابو راس المعسكري المتوفى سنة 1239 فقد قفى بكلمة سوس في أواخر قصيدته السينية (الحلل السندسية ، في شانوهران والجزيرة الاندلسية) المتضمنة لذكر ما ضاع من بلاد الاسلام وما استردمنها . وذلك عند تعرضه لتطهير السعديين لسواحل سوس من البرتغال . وقد نبه في شرحها الى التعريف بسوس) فأتى بحدود المرغيتي غير منسوبة اليه . وانما قال اثرها (وتلك الجبال هي بلاد محمد بن سعيد الذي اختصر نظم أبي مقرع المشهور) .وذكر بعضهم أن (ابن سرـكاو) من (اداوتنان) هو أول سوس (1) .

ولكل من سكان سوس ومكانه خصائص ومزايا معروفة ، يذكر بها في سائر المغرب، وتبرز فيها الاقليمية واضحة ، حتى كان بعض المؤلفين والكتاب يطلق عليه قطر سوس . وأهله فيهم الذكاءوالنبوغ والنشاط في الاعمال . وطبيعة جيلهم وبلادهم المختلفة الاحوال بين الخصيب والجديب ، والعامر والغامر . يغلب عليهم الاجتهاد والكد والحرص والاقتصاد والاتحاد ، والاغتراب في طلب الرزق بالعمل والتجارة في سائر الجهات . ولهجتهم الشلحية مغايرة لباقي اللهجات غير العربية بالمغرب ، والمستعرب منهم يكون نطقه بمفردات العربية أفصح وأقوم من نطق العربي عندنا بها (2) .

وقد تكلم المؤرخون واصحاب المسالك قديما على حالة سوس الفلاحية والعمرانية وذكروا ما كانت عليه من اتصال العمارة بالقرى والمزارع ، وأنواع الاشجار والفواكه والثمار والمعادن ، واحوال المدن والسكان ، وخصب البلاد ؛ ورخص الاسعار ، ورفاهية العيش .

اما الناحية العلمية والدينية فقد كانت سوس على المعروف من تاريخها دار علم ودين وتصوف ، زاخرة بالقراء والفقهاء والادباء والصلحاء .كثيرة المساجد

---

(1) ابن سرـكاو قرية كبيرة ازاء أكادير .

(2) من الملاحظ أن نطق الشلحيين بالحروف هو نطق العرب بها حتى الضاد فانه شلحي فصيح الا ما كان من الثاء والذال والظاء فانها ليست في الشلحة . كما ليست أيضا اليوم في اللغة العربية الدارجة . وأما الكاف المعقودة فانها لهجة عربية فصيحة كما نبه عليه اللغويون ، كالسيوطي في (المزهر) .

والزوايا والمدارس والخزائن. عامرة القرى والمداشر بالايمة والمعلمين. ينصب اهل كل قرية قارئا فقيها يرتبون له ما يكفيه من المؤنة اليومية ويشترطون له عليهم غيرها من العطاء والحراثه والحصاد كل سنه . فيعتكف فى مسجدهم على اقامة الصلوات والامامة بهم وتسجيل عقودهم وتعليم اولادهم الكتابة وتحفيظهم القرآن فمن ذلك كانت تقل فيهم الامية ، ويكثر الحفظة بينهم بنحو ربع غالب القرى .

واذا ظهرت نجابة الابناء انتقلوا الى المدارس لحفظ متون العلم ودراستها والتمكن من العربية والفقه. وكان لكل قبيلة مدرسة اومدارس للعلوم أوللقراءات حتى زاد عددها على المائتين . ويقارب طلبة المدارس الزاخرة منها مائتين (١) ، او يبلغ ثلاثة ارباعها ، وكانت كل قبيلة تقوم بمدرستها فياتون الى خزينتها بثلث اعشارهم ، ويدفعون لها كل سنة غير ذلك ، مما تتوقف عليه لتموين طلبتها ، ومدرسها الذى تكون له شروط على القبيلة ، ويكون فقيهها يفصل نوازلها، والقيم على المدرسة وهريها وطلبتها الذين يجدون فيها ما يحتاجون اليه من المأوى والمآكل والدراسة مجانا . فاذا حصلوا من العلم كفايتهم ، قاموا بمثل عمل شيوخهم . فانتصبوا للامامة والتعليم والتدريس والفتوى والشهادة والقسم للتركات والقضاء والارشاد والاصلاح وكان يغلب عليهم التمكن مما تعلموه ، فيكون علمهم معهم لا يغرب عنهم ولا يحتاجون عند التدريس الى مراجعة او مطالعة لانهم يمتثلون ما يقولونه:العلم ذهب به الحفاظ ومنهم من كان يلازم كتب الادب والتاريخ حتى يصير مستحضرا لها ولما فيها من المفردات اللغوية والامثال والحكم ، ويستعمل ذلك فى حديثه وكتابته ، ناسجا على التراكيب البليغة ، حافظا لشوارد الاسماء . وغريب الالفاظ التى قد تخفى على غيرهم ممن أصله عربى . ولا يكاد يرددها فى استعماله وقد يمهر بعضهم فى سائر العلوم الاسلامية ويتفوق فى علمه او ادبه أو صلاحه . فتطير شهرته وينفذ به خارج اقليمه .

وتكلفهم للتعرب ـ مع ما يستنفد ذلك منهم من جهد ، وما يقتضيه من وقت، لم يقصر عملهم على القراءة والتدريس ، ولم يصدهم عن التأليف بالعربية والكتابة فيها ، وحوك الشعر والاجادة فيه. على أوزانه. فقد صنفوا بالعربية كتبا فى القراءات والتفسير والحديث والسيرة والفقه والعربية والادب والتوقيت والطب ، وكتبوا على الرسالة والتلقين والتنقيح والمدونة ومختصرى ابن الحاجب وخليل وجامعى خليل وبهرام ، والشفاء والاربعين والبردة والهمزية واللاميات والتسهيل والالفية وغير ذلك مما اشتهر بعضه عند الطلبة والفقهاء والمسندين حتى خارج اقليمهم.فكان يستعمل فى الدراسة والفتوى والمراجعة مثل شرح الرسموكى على جمل المجرادى ، ومقنع المرغيتى وشرحه ، ونوازل السكتاني والعباسى ، وصلة ابن سليمان الردانى وفوائد

(١) كما كانت عليه مدرسة أدرز وتيمكيدشت وبونعما حينا .

التامانارتي ، وقد نقلوا الى لهجتهم الشلحية بعض الكتب المشهورة في الاعتقاد والفقه والسيرة والقصص . تسهيلا على الذين فاتهم تعلم العربية، وحرصا على ارشادهم لامور دينهم . فترجموا مختصر خليل ، ومرشد ابن عاشر ومجموع الامير . ورياض الصالحين للنووي ، واربعينه وبردة البوصيري . وحكم ابن عطاء ونور اليقين والمقنع والفرائض وغيرها .

وكذلك انجبت سوس في مختلف مراحلها التاريخية طائفة من رجال الدين والعلم والادب والحرب والسياسة والحكم ، كان لهم اثر في تاريخ المغرب السياسي ، والعلم الديني ، من أشهرهم : وجاج بن زلوا اللمطي (نحو 445) تلميذ أبي عمران الفاسي ، صاحب دار المرابطين المؤسسة لطلبة العلم ، وقراء القرءان وتلميذه عبد الله بن ياسين الجزولي التامانارتي (451 هـ) داعية الاسلام بالصحراء ومؤسس دولة المرابطين . والمهدي بن تومرت الهرغي (485-524 هـ) مقيم دولة الموحدين تلميذ الغزالي ، ومحمد المهدي مؤسس الدولة السعدية الناشيء في تيدسي هو وابوه قبله نحو (917) وأبو موسى عيسى الجزولي (- 606) المراكشي النحوي صاحب المقدمة ، والشيخ محمد بن سليمان الجزولي - 870 هـ) صاحب الدلائل . والشيخان محمد بن المبارك الاقاوي وبركات التيدسي اللذان لهما ذكر في اقامة دولة السعديين بسوس (920) وفي تحريض القبائل على الانقياد اليهم ، لجهاد البرتغال ، والشيخ أحمد بن موسى السملالي (- 971) وأحمد بن علي البوسعيدي الهشتوكي دفين فاس (- 1046) صاحب بذل المناصحة ، و وصلة الزلفى ، وعبد الرحمن التامانارتي (- 1060) قاضي تارودانت المحدث صاحب (الفوائد الجمة في اسناد علوم الامة)والشيخ محمد بن سعيد المرغيتي الاخصاصي (1007 - 1089) دفين مراكش صاحب الفهرسة ، والمقنع ، والمطلع ، ومحمد بن سليمان الرداني (1037 - 1094 هـ) نزيل الحرمين دفين دمشق ، الحكيم المحدث الراوية ، صاحب مجمع الفوائد ، والفهرسة صلة الخلف بموصول السلف ، ومحمد بن أحمد الحضيكي (1118 - 1189) الراوية . صاحب الطبقات ، والرحلة ومحشي البخاري ، والشفاء ، ويحيا بن عبد الله الجراري المعمر (نحو 1240) صاحب الفهرسة.ضوء المصباح،وعبد الرحمن الجشتيمي (1185 - 1269) واحمد بن محمد التيمكيدشتي (- 1274 هـ) ومحمد بن عبد الله الالغي (1265 - 1303 هـ) مؤسس مدرسة (الغ) ، ومحمد ابن العربي الادوزي المؤلف (1248 - 1325)والشيخان الحاجان الحسين الافراني التجاني (1275 - 1347) وسيدي الحاج علي الالغي الدرقاوي (1268 - 1328) واحمد بن محمد التيمكيدشتي (1328 هـ .) والقاضي الاديب علي بن عبد الله الالغي (1275 - 1347) والشاعر المجيد الطاهر الافراني (1285 - 1374) الى غيرهم من اعلام جزولة وسملالة ورسموكة وهوزالة وبعقيلة وهشتوكة ورجال الاسر التي تسلسل العلم فيها اجيالا .

واخيرا جاء صاحب (المعسول) الذى اغتنم تلك الغربة التى كان فيها منفاه الى مسقط رأسه فحرر ما يهديه الينا اليوم ، وقد يكون الانسان غريبا في بلده وأهله حوله هالة ، على نحو ما قاله فى المائة الرابعة ابو سليمان حمد الخطابى صاحب معالم السنن ، وشرح البخارى ، وهو بستى كالحافظ ابن حبان ، والاديب ابن الفتح .

وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست واهلها وان كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقال غيره فى سجستان التي ينسب لها أبو داود أحد اصحاب الكتب الست :

وليس اغترابي في سجستان انني فقدت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكنني مالي بها من مشابه وان الغريب الفرد من يعدم الشكلا

واذا كان هذا حال الحر المطلق الارادة ، فكيف بحال سجين بيته : الممنوع من الاتصال بالناس ، يكون كالطائر المقتنص من الروض الاغن ، الموضوع فى القفص الضيق فلذلك كان مثله لا يفتأ يحن الى بهجة مراكش ، وأسرته الروحية فيها ، وينفث كذلك شعرا ونثرا مما ملأ به مذكراته (الالغيات) الا ان ظاهر هذه النقمة ، كان في باطنه نعمة . وقد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد . فقد كان هذا النفى مباركا على تاريخ سوس . ميمونا على خزانة المغرب اذ خلا فيه واعية تاريخ سوس الى نفسه . لما بان عن خلانه وعن عمله ، فبات لايجد انيسا غير القلم والقرطاس.ولم يكن له بد من الاعتكاف على البحث والتسلي بالتقييد . فشغل نفسه بالجمع والتدوين فى هذا الاغتراب الروحي ، وانصرف الى التصنيف والتسجيل والتقسيم ، وأمكنه من ذلك في حالة العسر ما لم يمكنه في حالة اليسر .

وامره في حاله هذا يشبه بعض الاعلام الذين اشتغلوا بالاملاء والتصنيف اثناء الاعتقال ، وقد حبس الشمس ابو بكر محمد بن أبى سهل السرخسي الحنفي (- 483) لنصيحة قالها فالف كتابه (المبسوط) فى الفقه، املاء وهو بالحبس باوزجند (1) . وأصحابه يكتبون في أعلاه . وقد طبع فى ثلاثين جزءا . وجلد في نصفها . ولما سجن المستنجد العباسى (518 - 555 - 566)القضاة كان منهم أحمد بن على المعروف بابن المامون (509 - 586 ﻫ) فاقام في الحبس احدى عشرة سنة ، وكتب فيها ثمانين مجلدا ، وشرح الفصيح ، وجمع كتابه أسرار الحروف الى ان ولى المستضىء فافرج عنهم.وكذلك صنف التقى أحمد بن تميمة (661 - 728) فى السجن كتابه البحر المحيط فى التفسير فى نحو اربعين مجلدا . والتمس منه صاحب سبتة ان يجيز له بعض مروياته،فكتب له لما كان معتقلا بالاسكندرية - وكان ذلك بين سنيى (709 - 712 ﻫ) جملة من ذلك .

(1) (اسم محل)

في عشرة أوراق بأسانيده من حفظه . بحيث يعجز ان يعمل بعضه من هو أكبر من يكون) ولما اعتقل بقلعة دمشق سنة 726 أقبل على التفسير، وكتابة الرسائل في الرد على المخالفين ، والتصنيف فيما حبس بسببه . الى ان جرد من الكتب والاوراق والمداد . وقد ألف غيرهم من المعتقلين كتابا سماه(ما علق بالبال في زمن الاعتقال)وهكذا يتفجر العلماء في الخلاء بما لايتفجرون بهفي الملاء

ولما تنفس ابن (الغ) اخذ يستكمل عمله ، ويجوس خلال الديار ، باحثا منقبا مستقصيا . رواية وتلقيا من الافواه . وأخذ أو وجادة من الاوراق ،حتى اجتمع لديه من اخبار سوس ورجالها وأحوالها . ما ملأ عشرات الأجزاء(1) اختصت (الغ) وما حولها من ذلك بخمس المتحصل . فكانت بذاك (مجمع همومه . ومجال يراعه) وكان يتداوى منها بها .

وبعد عودته للحمراء ، وانتقاله الى البيضاء ، ثم الاعتقال الاخير بتينجداد وكردوس الذي أعقبه انفراج الازمة،وزوال الغمة وحصول النعمة لم يشغله مايحوم حوله من المناصب العليا والمجالس التي يشارك فيها ، عن مجموعته التاريخية السوسية . فاقبل على تخريجها وهي خمسينية الاجزاء ، مختلفة العناوين والاسماء ، بحسب الموضوعات والمباحث . ثم اخذ يقدمها الى المطابع ، ثم يجلوها للباحثين متلاحقة الاجزاء، ناعمة الغلف، صقيلة الترائب، مكتنزة الاطراف

وقد أبرز (سوس العالمة) مدخلا لتلك المجموعة ، وفاتحة لها ، مخلصة تلخيصا يشرف منه المطالع على أحوال الثقافة العربية الاسلامية في (سوس) ويحصل منه على فذلكة جامعة لما فصله تفصيلا في غيرها . وبعد بيانه فيها لما يعنيه بسوس في كل اجزائه التاريخية (وهو ما يقع من سفوح درن الجنوبية الى حدود الصحراء ، من (وادي نول وقبائله من تكنة والركائبات وما اليهالى حدود طاطة وسكتانة) (16) تكلم على حالة العلوم بسوس في عصري الغموض والنهوض الواقع في المائة التاسعة ، وازدهار القرون بعدها . وقد ذكر العلوم المعتنى بها في سوس . فنافت على عشرين علما . ملقيا نظرة على كل علم منها ومقدار انتشاره ، وكيف كانوا يدرسونه ، ومن اشتهر أو ألف من أعلامهم فيه . ثم فصل القول في الادب العربي السوسي . مشيرا لازدهاره في الدولة السعدية . ودويلة (ايليغ) السملالية ، وخلافة المولى محمد العالم الردانية، ولما تلا ذلك من فتور وانتعاش وازدهار . وأتبع ذلك بالكلام على الأسر العلمية بسوس . فذكر 157 بيتا ، من مختلف القبائل والقرى . تسلسل العلم فيها اجيالا بما يقارب المائة عالم الى سبعين ، أو خمسين الى اكثر من اربعة . ثم تكلم على بعض مدارس سوس الزائدة على مائتين ، فعد منها خمسين مدرسة كنماذج عما لم يذكر . ثم ذكر بعض خزائن الكتب السوسية فسمى منها اكثر من ثلاثين خزانة . ثم تعرض للمؤلفين السوسيين وبعض مؤلفاتهم ، من القرن السادس الى الرابع عشر . وختم بذكر مراجع

(1) يعني الخمسين التي كتبت كلها عن سوس

تاريخ سوس التي صنفها السوسيون انفسهم ، مما سنح له . فبلغ ذلك 112 تمابا من موجودها او المظنون وجودها .

وقد تبين بهذا العرض أن هذا الجزء وحده – وان كان مهفهف الخصر – له قيمته فى تاريخ المغرب الثقافى ، ومنزلته فى الخزانه العربيــه . وان سواحى المغرب الاخرى تغبط فيه اقليم ســوس وتــود ودادا لو ان لهــا مثله ، فيمــا يختص بها .

أما (المعسول) فقد افرد مؤلفه أجزاءه (العشرين) لذكر أعلام (الغ) ومن اليهم.وقد صدره بوصفها الجغرافي،وذكر قراها ، وبعض عاداتهافيالاعياد والحفلات ، وحرفها والصنائع ، والحالة الدينية والعلمية والاخلاقية : والاطعمة والاشربة ، والفلاحة والالبسة والفرش . والمساجدوالدراسة والمراة والامثال والالعاب وما قيل فى وصفها .

ثم قسم الكتاب الى خمسة اقسام . أولها فى المرابطين السعيديين الالغيين: علمائهم ورؤسائهم أمواتهم واحيائهم – وهذا القسم استغرق الجزءيــن الاول والثاني – والقسم الثانيفي غيرهم من الالغيين الذين ساكنوهم فى بسيطهم – وقد انفرد بالجزء الثالث – والقسم الثــالث فى شيــوخ الالغيين فى القــرءان والعلم والتصوف – وقد ملأوا خمسة أجزاء من الرابع الى الثــامن – والقســم الرابع فى تلامذتهم فى العلم والتصوف – وقد شغلوا تسعة اجزاء من التاسع الى السابع عشر – والقسم الخامس فى أصدقائهــم السوسيين (والمقصــود بسوس جنوب مراكش ، 1 ، 76) وقد استغرقوا ثلاثة أجزاء من الثامن عشر الى العشرين.فان كان المترجم فى تلك الاقسام من بيت علم أو رياسة استطرد المؤلف ، فذكر معه جميع علماء او رؤساء ذلك البيت . الحاقــا لهم بالمترجــم الاصيل . وجمعا للفوائد ، واسهابا فى القول . وبذلك اتسعت دائرة الكتاب.

وقد كنت اشرت فى الكلمة التى صدرت بها تاريخ مكناس من سنة 1348 هـ الى استحسان الطريقةالتى يسلكها بعض الافاضلالذين تفرغوا لجمع ما يتعلق بتاريخ بعض المدن المغربية . وتقصــي أحوالهــا ، واستيعاب تراجــم أهلهــا ، والواردين عليها ، وابراز المكنون من ذلك . وقد كــان فــي عملهم تسجيــل لحقائق من تاريخ المغرب ، كان جلها من قبل غير مذكور ولا معروف ، فكشفوا عن جوانب مهمة كانت مهملة . وقد يعسر على غيرهم الاهتداء اليها والوصول الى وثائقها . فكان لعملهم اثر فى تاريخ المغرب العام الذى يقوم هيكله بمثــل هذه التواريخ الخاصة . ولا يتأتى للفرد الواحد القيام به مستقلا وان استغرق فيه الاوقات . وجمع الوسائل ، وبذ فــي ذلك الاواخــر والاوائــل . وجــل المصنفات الموضوعة فى تاريخ البلاد والمدن والجهات ، مما كتبه أعلام أهلهــا . كان الناس يستفيدون اخبارهامن اقلام ابنائها،ويشكرون صنيعهمولا ينكرون.

ولم يــزل الابناء والاحفاد . يعتنون بتراجم الآباء والامهــات والاجــداد :

فيذكرونهم في مواضعهم من تواريخهم أو يفردون لهم كتابا خاصا بهم ، ومن المؤرخين الذين جمعوا ابناءهم في كتبهم الخطيب البغدادي في تاريخه ، والتاج ابن السبكي في طبقاته ـ وقد ترجم فيها أيضا لاخيه الحسين ولابن اخيه محمد ابن البهاء أحمد . ولجده عبد الكافي ، ولعم والده يحيا ؛ ولحفيده محمد بن عبد اللطيف بن يحيا ـ وابن فرحون في الديباج.والسيوطي في البغية،والشوكاني في البدر ، والسوداني في النيل ، وابن الموقت في (السعادة الابدية) ودنية في (مجلس الانبساط) والايكراري في (روضة الافنان) وممن ترجم امه القاضي ابن عسكر في (دوحة الناشر).

ومن الذين أفردوا ابناءهم بكتاب : القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض (ـ 595 هـ) وأبو حامد العربي الفاسي في (مرآة المحاسن) وابو زيد عبد الرحمن الفاسي في تاليفين ، أحدهما (تحفة الاكابر ، في اخبار الشيخ عبد القادر) والآخر (بستان الازاهر في أخبار الشيخ عبد القادر) ، والف في تلامذته (ابتهاج البصائر فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر) ولولده محمد بن عبد الرحمن فيه (اللؤلؤ والمرجان . في مناقب الشيخ عبد الرحمن) والشيخ الطالب ابن الحاج أفرد والده بـ (رياض الورد . فيما انتقى اليه هذا الجوهر الفرد) وابن الموقت بـ (اظهار المحامد في التعريف بمولانا الوالد) ومن الذين أفردوا أمهم بالكتابة:الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي.وضع كراسة في التعريف بوالدته السيدة حفصة الانصارية . وكذلك السيد محمد ابن الشيخ المختار الكنتي الشهير (الطارفة والتالدة . في مناقب الشيخ الوالد والشيخة الوالدة) والحسن التيمكيلشتي (رسالة الانوار) في والده ، وللشيخ النعمة مؤلف في والده، وكذلك مربيه ربه ،ووالدهما هو الشيخ ماء العينين الصحراوي .

وممن أفرد جده الادنى أو الاعلى أبو العباس احمد بن ابراهيم بن أحمد ابن الشيخ ابي محمد صالح . أفرد جد أبيه بكتابه (المنهج الواضح ، في تحقيق كرامات أبي محمد صالح) وأبو زيد عبد الرحمن الفاسي بن عبد القادر بن علي ابن يوسف الف (ابتهاج القلوب ، بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب) وله في عم جده العارف (ازهار البستان في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمان) ولابن عمه محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف ، (روضة المحاسن الزاهية بمناقب ابي المحاسن) واختصرها في (الجواهر الصفية ، من المحاسن اليوسفية) وللسيد العربي ابن بنداود الشرقي (الفتح الوهبي . في مناقبه جده الشيخ العربي) ، ولدنية (النسمات الندية) وممن الف في اهل بيته وعشيرته ، السيد عبد السلام بن الطيب القادري الف (العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر) وعبد الله بن عمر العياشي له (الاحياء والانتعاش في سادات زاوية ايت عياش) واحمد بن ابرهيم الدكالي له (سلسلة الذهب المنقود . في ذكر الاعلام من الاسلاف

والجدود) والسيد الوليد العراقي . له (الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس)) والسيد أحمد بن خالد الناصري له (طلعة المشتري ، في النسب الجعفري) والسيد توفيق البكري الاديب المصري له (بيت الصديق)
ومن العلماء من ترجم نفسه في كتابه كابن خلدون في آخر عبره : وصاحبه ابن الخطيب في آخر (الاحاطة) وابن حجر في (رفع الاصر) والسخاوي في (الضوء اللامع) والسيوطي في (حسن المحاضرة) وبعضهم أفرد نفسه بكتاب ذكر فيه نشأته وترجمته كالنقيب الحوثات في(ثمرة انسي في التعريف بنفسي) والقاضي البلغيثي في (تحبير طرسي) وأبو حامد البطاوري في (جزء) وطه حسين في (الايام) واحمد امين في (حياته) .

والاستاذ صاحب (المعسول) قد سلك هذه المذاهب فألف في احوال (الغ) وتراجم أعلام ورؤساء أسرته السعيدية . وترجم لهم والوالديه ولاهله ولم يخص نفسه فيه بترجمة . كأنه اكتفى بما ذكر عن نفسه مفرقا في مواضع منه ومن غيره . أو بما كتبه عنه مفردا في كتابه (على قمة الاربعين(1)) كما افرد أباه بكتابه (الترياق المداوى) .

واذا كان موقع (الغ) في بسيط (أجرد بلقع مسطح) (ــ 1 . 26 ــ) وكانت أرضها (لا تخصب كثيرا . والجدب والاقلال هو الغالب على من فيها) (ــ 1 . 27 ــ) وكانت الغ (عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت عنه زهرة الحياة الدنيا) (فما هناك الا أعاصير شمالية أو قبولية أو دبورية تصرصر في هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع تتدافع متتابعة وهي قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء كأنها صفوف نخيل متدافع .وصرير الجواء يصك الاذان،وتلاطم مختلف الرياح كأنه صفير الجنة في أوديتها) (ــ 1 . 160ــ) فلن يكون لذلك أثر يؤدى لاهمال شأنها ، والتغاضي عنها ، والتفريط فيها ؛ والتنكر لأمومتها . من ابنها البار ، الذي كانت مثوى أسرته ، ومهد صباه ؛ ومسرح نشأته، ومبدأ شهرته . فلما أشار عليه اخوه مونسه فيها بتخصيصها ببعض ما يكتبه بادر لذلك غير متجانف ولا متوان ولا مقصر . ولئن كانت (الغ) مهمها قفرا، وقرية ساذجة، فقد من الله عليها برجال فجروا فيها ينبوع المعرفة والهدى ، فأخصب ربعها ، وأينعت ثمارها ؛ واصبحت مهد العلم والحكمة ، ومنتجع الطلاب ، ومحط رحال ايمة الدين والعلم والادب . فصار من حقوقها على نابغة ابنائها أن يخصها بهذا الكتاب ، وان يطلع الناس على حقيقة أمرها . وما يجهلون من شأنها . وان ينوه بذكر الاعلام الذين نبغوا منها ، أو درجوا حواليها ، والذين اثروا فيهم أو تأثروا بهم . فسرى الأثر الجميع الى حيث انتهى به المسير.كما ان من حق المغرب عليه أن يكشف للناس عن مواطن الفضل والخير فيه حيثما كانت . ومن حق التاريخ عليه ان يسجل

(1) رسالة صغيرة بين محتويات (الالغيات) .

حقائق كما هي ، غير متعمد اطراحها ، ولا غمط أخرى . واذا كان حب الوطن من الايمان ، فمن حبه التعريف به . وحفظ مئاثر أهله في عهد بدات فيه امارات الانقلاب . وأخذت النفوس تتحول عن معتاد ابائها ،وتنصرف الى غير وجهتهم ، حتى لا تنطمس فيه المعالم . وتندثر بقايا المئاثر ، وصالحوا الابناء أعرف بمزايا الاباء،وأولى بحفظ ذكراهم . وأهل مكة أدرك بشعابها ، وابصر بمواقع البحث عن رجالها .

وبالاستجابة لهذه الدواعي المتزاحمة ، واداء حقوق الاسرة والبلد والتاريخ صارت لقرية (الغ) المنة على اقليم سوس كله،ثم على المغرب اجمع . بما كتبه واعية ابنائها في التعريف بسوس ورجاله واحواله ، وتسجيل حوادثه ، والاحتفاظ بتراثه التاريخي .

وبذلك تالق اسم (الغ) وسطع نجمها بما قام به المرابطون آل عبد الله ابن سعيد من نشر العلم والدين والادب فيها وفيما حولها بمدرستهم المثقفة للعقول ، وبزاويتهم المهذبة للنفوس . ثم بدائرة معارفهم التاريخية المتسعة الابحاث والارجاء ، الخمسينية الاجزاء .

وبذلك كله عظم شان هذه القرية الصغيرة المغمورة بسوس الاقصى . وطالت بتاريخها الحفيل (المعسول) الامصار الكبار ، وطاولت قواعد الملك العظام ، اذ جاء متبخترا يجر ذيوله الفضفاضة على (سلوة) فاس (واتحاف مكناس) و (أعلام) مراكش وحلب . و (عمدة) تطوان و (احاطة) غرناطة و (معالم) القيروان و (خطط) القاهرة ، وتاريخ بغداد وغيرها من البلادالتى لم يؤلف فيها كتاب مفرد يماثله جرما . أو يقاربه حجما،فاذا صفت الصفوف واستعرضت الرفوف ، ظهر تفوق اجزائه (العشرين) على تواريخ البلدان الاخرى ، حتى لا يكاد يذكر أمامه الا ما يقال عن تاريخ الحافظ ابن عساكر لدمشق ، المعدود في ثمانين مجلدا ، المسرود في أربعة وعشرين سفرا . وتاريخ الكمال عمر بن العديم لحلب . المسمى (بغية الطلب) في نحو ثلاثين مجلدا أو اربعين . (1)

و لا أستحضر الآن مغربيا ألف كتابا يقارب أو يماثل هذا (المعسول) في عدد أجزائه ، الا ما كان من رجلين ، أحدهما عمر بن علي بن يوسف بن محمد ابن هادي ، المعروف بابن الزهراء ، والورياغلي العثماني العمراني . فقد شرح (المطا) بكتابه المهد الكبير الجامع لمعاني السنن والاحكام وما تضمنه موطا مالك من الفقه والاثار في واحد وخمسين مجلدا . فرغ من آخرها عام 720 هـ . وفرغ من السفر الحادي والاربعين عام 709 هـ ومن الخمسين عام

(1) عنا أنشد رأينا جامع(المعسول) ازاء ما ساقه هذا السيد من هذه الموازنه التي فيها ما فيها .

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

710 هـ . ويوجدان بخطه في مجلدين ضخمين بجامع القرويين من فاس رقم 40 ـ 178 ـ) محبسا عام 766 هـ . من محمد بن ابي القاسم بن أبي محمد العثماني ، صاحب العلامة سنة 757 عند السلطان أبي عنان المريني ، اما المؤلف الآخر فهو الشيخ محمد المعطى بن محمد الصالح بن محمد المعطى الشرقي التادلي البجعدي (ـ 1180 هـ .) فقد الف في السيرة النبوية (ذخيرة الغني والمحتاج ، في الصلاة على صاحب اللواء والتاج) في نيف وسبعين مجلدا . من القالب الكبير ، توجد كاملة في الخزانة السلطانية بفاس الجديد ، ادخلها اليها السلطان المولى الحسن ولا توجد مجموعة في غيرها . لكثرة أجزائها وعسر اجتماعها . وتوجد اجزاء منها منتشرة في الخزائن ويوجد في الواحدة ما لا يوجد في الاخرى .

ومزية (المعسول) غير مقصورة على ناحية الكم . فكما امتاز بعدد اجزائه حتى يمكن عده الكتاب المغربي الثالث . كذلك يمتاز من جهة الكيف . بما انفرد به من تراجم الرجال ، وحقائق الاخبار . وتفصيل الوقائع ، وتاريخ الحوادث وايراد الاشعار ، وتسجيل أيام المقاومة . ومواقف الجهاد ، وتراجمه الكثيرة الجامعة لطائفة كبيرة ممن كانوا بسوس من العلماء والادباء والصالحين والرؤساء وما كان يجري بينهم في زوايا العبادة . وحلق التدريس ، ومجالس الادب . ومعترك النزاع في مواسم الطلبة في الانشادات . وفي المراسلات ما بين الناشئين من المبتدئين . فضلا عن الادباء الماهرين . وفي مجاذبة النوازل الفقهية ، كما فيه أخبار السياسة والحرب والعلم والارشاد والدين والزوايا والمدارس والخزائن وبيوت العلم والرياسة ، بحيث يكون مطالعه على علم ودراية لحقيقة الاحوال في اقليم كبير من أرض المغرب قل الاعتناء بتدوين اخباره ، ونشر انباء احباره وهو في كل ذلك جم الفوائد . كثير الصلات بالعوائد . مشتمل على تراجم وتفاصيل ، لا توجد في غيره ، ولم يتعرض لها سواه . وقد خلت الديار من وعاتها وغادرت الطيور وكناتها . وكاد كل ما هناك يدخل في خبر كان .

وقد صور المؤلف فيه نبوغ السوسيين في لغة العرب وعلوم الاسلام . وأوضح حرص اولائك البدويين العجم الا مازيغ الشلحيين على تفهم الدين وحفظه ، والتفقه فيه . والقيام بعلومه واركانه ، وبين ولوعهم الغريب بتحصيل العربية وحذقها . ونشر علومها وآدابها ، واجادة القول فيها . واسهب اسهابا في تفصيل وسائلهم الى التوصل لتلك المقاصد ، واظهر ما كانوا يعانونه في سبيلهم من جدب الارض ، وضيق المعيشة ، وقلة ذات اليد : وشرح كيف كانوا يكلفون انفسهم تعلم العربية تحت لهجتهم الشلحية ، واتقان قواعدها ، وحفظ مفرداتها واستظهار كتابها ، لياخذوا الدين من منبعه ، ولينذروا قومهم ويقيموا فيهم شعائره . ويحفظوا بينهم كتابه . ويلقنوه ابناءهم ، ويبثوا فيهم

دعوته مستسهلين كل صعب ، صابرين على القلة ، مكتفين بالمضغة والجرعة : مقتنعين من العيش بالكفاف ، متبلغين منه بالضروري أو ما دونه . غير عابئين لا بتحصيل المراد ، وأداء الواجب،ودرء الزيغ عن النفوس . واعلان كلمة الله بين الناس ، واقامة شريعته في البلاد . ومنهم أناس جعلوا ذلك هجيراهم . فافنوا فيه حياتهم ، وبذلك صار العلم والدين في سوس غضا طريا .
وقد أتى في كتابه بما يعرفه أو ما بلغه كما هو . لا كما كان ينبغي أن يقع فهو يورد الشيء كما عرفه أو سمعه ، ثم يعلق عليه بما قد يبدو له غير منزه نفسه عن خطأ أو غلط.وقد نزل مترجميه أو من عرض له ذكرهم فيه منازلهم. فلا يسمو بهم عن مستواهم . ولا ينحط بهم عن رتبتهم ، ولا يلبسهم من الاوصاف والحلي ما لا يناسبهم ، أو يخالف ما يراه فيهم ، وقد أنكر المجازفة في مثل ذلك . بقوله (قد صارت الاوصاف تنثر يمينة ويسرة ، حتى صار من يريد أن يضع الاشياء في مواضعها . والاوصاف ازاء مستحقيها ، يستحي أن يصف بأحد تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف أن يظن انه القى ايضا ذلك الوصف بغير تبصر أو أنه ممن يخبطون خبط عشواء ، ككثيرين غيره) . 1 ـ 325 ـ وهو يذكر الرجل بما احسن فيه الى جانب ما ساء منه. ولاتصرفه سيئات المسيء عن ذكر حسناته.ولا حسنات المحسن عن الاشارة لسيئاته . ولا اجلاله لشيخه ، ووفاؤه له ، ولا صلته باقرب قرابته وبره لهم . من التصريح بالواقع ، وذكر الزلة والعورة ولو بالايماء لحال من وقع منه ذلك من بعيد بألطف تعبير.وهو ـ سدده الله ـ في هذا كله يحافظ في كتابه على التاريخ الهجري.محافظة أحمد تيمور عليه في كتابه(أعيان القرن الرابع عشر) وهو فضيلة في عصر تفرنج التاريخ فيه ، واستعجمت الاذواق في التفكير والتعبير وقد اضطر الى الشذوذ عن ذلك في مواضع قليلة ، أبقى فيها بعض ما جاء مخالفا لعادته على حاله.لأن هذا التاريخ الاجنبي قد غلب على الاستعمال فيما تنطق به الالسن وتكتبه الاقلام ، وتتصور عليه حوادث الايام ، حتى صار يعلق في بعض المساجد ، وينقش على بعض القبور ، وذلك ما جعل بعض المحافظين من فضلاء الباحثين ، مضطرين الى مسايرة الواقع . فصاروا يلتزمون الجمع بين التاريخين في سائر الحوادث ، ويتكلفون عناء ذكر الموافقة . كلما ذكروا الوقائع والسنين . وان الذي يسر الجلاء ، ووفق للشروع في التعريب لقادر على سحب هذا التاريخ الدخيل . والرجوع بالناس الى تاريخهم الاصيل
ومن محاسن هذا (المعسول) اشتماله على بعض الرسائل النادرة ، أدرجها المؤلف فيه لعظيم فائدتها وغرابتها . مع حسن فائدتها) كذكره في (الفصل الخامس) من (القسم الثاني) ترجمه الاديب محمد بن أحمد المانوزي بقلمه فانها ـ على اوهام له فيها ـ شيقة السرد . مشتملة على تفصيل أخباره ، وتصوير تنقلاته ومشاهداته . وعوائد سوس واحوالها ، وحوادثها الاخيرة .

وما قام به صناديد الرجال ، من مكافحة الاحتلال . غير عابئين بمايكتنفهم من الخلاف والاختلال ، وكذكره في (القسم الخامس) لرسالة (نفحات الشباب) التي تصور مجالس الادب بـ (تارودانت) في العهد الاسماعيلي ، وكادخاله في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) ما كتبه أحمدأ َدَافَال عن الشيخ أحمد بن موسى . وكادخاله بعض مؤلف يتعلق بالشيخ يعزى وهدى في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) وكتلخيصه مؤلفات أخرى مثلها وادخلها في محلاتها . وهذا صنيع معروف من كبار المؤلفين ، فقد ادرج ابو العباس العزفي السبتي في كتابه (الدر المنظم . في مولد النبي المعظم) رسالة ابن العربي (تبيين الصحيح في تعيين الذبيح) وملأ ابن رشيد السبتي (عيبته) بالفوائد الكثيرة ، وربما ينقل الجزء بتماله ، من أجزاء الخلعي . واورد التاج ابن السبكي في (الطبقات) كل رسالة القشيري (شكاية أهل السنة ، بحكاية ما نالهم من المحنة) قائلا انه يخشى على مثلها الضياع . فان هذا شان المصنفات اللطاف) كما أدرج رسالة الضياء احمد بن محمدبن عمر بن يوسف القرطبي (زجر المفترى ، عن أبي الحسن الاشعرى) ورسالة الشهاب احمد ابن يحيا بن جبريل الكلابي في الرد على ابن تيمية في الجهة ، وكذلك ادرج أبو سالم العياشي في رحلته عدة رسائل كـ (التحفة المرسلة) لمحمد بن فضل الله الهندي لوجازتها وغرابتهافي مغربنا وكرئاسة الاسماء الادريسية،من خط شيخه الملا ابراهيم الكوراني ، وإن كان فيها طول لاشتمالها على فوائد كثيرة قل ان توجد في غيرها و (منقذة الموهوم . من مزلقة الوهوم) لسالم شيخان و (الاقماع المحيط) في مسئلة الكسب،لشيخه الكوراني . ثم روى في الاخير عن شيخه أبي مهدى عيسى الثعالبي ، رسالة القشيري ـ الشكاية المذكورةعند السبكي ـ وذكرها باختصار . كما أورد ما سمعه منه من أحاديث رسالة ابن حجر في (الخصال المكفرة للذنوب) وكذلك لخص صاحب (الاعلام) ترجمة المنصور الذهبي من (المنتقى المقصور) لابن القاضي ،اتيا بمقاصده كلها ، كما اختصر فيه أيضا رحلة العبدرى الحاحي لعزتها . كما فعله صاحب (المعسول) برحلة (العيني) الايكراري .

هذا ولو لم يكن من مزايا (المعسول) الا ما ضمه من خرائد السيد الطاهر الافراني لكفى.فقد كان فضله بابرازها عظيما على الادب المغربي،لا علىخصوص ادب سوس . وقد كنت مولعا بهذا الشاعر السلس التعبير ، منذ لمحت احدى درره في أعقاب (الدرر الفاخرة) للشريف الرضى نقيب مكناس . فنبهتني (غريزته) الى صاحبها بحسن سبكها ، ومتخير لفظها ووزنها ـ كما نبهت قصيدة (حياك حياك رب العرش يا دار) الشيخ حمدون بن الحاج الى صاحبها ابن ادريس ،ونفسهالغريباذ ذاك؛فكان ذلك هو السبب حتى اشتهر (فجعلت اتتبع نفثاته ؛ ولا أكتفي بالنتف التي عثرت عليها تقريظا في آخر (الابتهاج)

ومديحا اواسط (عواطف الشعراء) وامثلة في (الادب العربي) وغير ذلك مما التقطه من بعض المذكرات الخاصة ، فلما تناولت (المعسول) وجدت خلال تراجمه واجزائه.من شعر الافراني ما حرك الساكن من اعجابي القديم،وزادني اعجابا بجيد من شعره المحكم الرصف . الرقيق النسج . المستعذب الالفاظ الفاتن الالحاظ .

ما ثغور الزهر في أكمامها	ضاحكات من بكاء السحب
نظم الوسمي فيها لؤلؤا	كثنايا الغيد او كالحبب
عند من يقضي بابهى منظرا	من (لئاليه) التي تلعب بي
بسمت للنفس فاستهوت نهى	مغرم الفضل وصب الادب

وقوافيه الجياد في آل ماء العينين وغيرها . من منتخب شعره ، تجعله في طليعة شعراء المغرب ابن حبوس والكراوي والملزوزي والفشتالي وابن ادريس. والفضل في الامتاع بها لـ (المعسول) .

والمؤلف عليم بمواقع النقد من كتابه الضخم ، المشتمل ـ حسب تعبيره ـ على اللؤلؤ والصدف ، والذهب والخزف ، والسمين والغث . بحسب الواقع قليلا ، وبحسب اختلاف الانظار كثيرا.الا من كان مؤرخا فانه كله لؤلؤ وذهب سمين عنده. فالمؤلف يسبقك بعدء قبل أن تلاحظه بنقدك . ويقربان كتابه ككتب الناس غير منزه عن الخطا . ويعتذر للقارئ عما يكون فيه من تفاوت في التفكير والتعبير ، بين اطناب الاديب اللغوي ، وتلميحاته . وبين ايجاز المستوفز الضيق العبارة (لان الكتاب كان يجمع من أزمان شتى ، فيستلحق فيه كل طرف أو ترجمة ، أو تتمة ترجمة . كيفما يتيسر ؛ لحينا بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة، وحينا يحاول أن تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق . وحينا تغلب فيه فكرة الادباء وحينا فكرة الصوفية الاصفياء . وحينا اكون من هؤلاء العصريين الذين لا تدور أعينهم الا في مجالاتها المعتادة) ـ 25 . 1 ـ

كما يعتذر عن بعض ما أودعه فيه بالحرص على اقامة الدليل على الاستعراب والمحافظة على آثارها واظهار ما يعانيه القوم في التعرب فمنهم من يحلق فيسمو فيشكر . ومنهم من يطير فيقع فيعذر ويقول : (اننا نكتب للتاريخ لا للادباء أصحاب الاذواق وحدهم ، فليسامحونا في سوقنا لامثال هذه الابيات. وما اكثر امثالها في الكتاب) ـ 1 . 291 ـ (وحين كان مقصودنا نحن أن نشيد بئاثار المستعربين من آلنا كنا نسوق ذلك كيفما كان) ـ 4 . 252 ـ .

(وبعد) فان هذا (المعسول) جملة كتب لا كتاب واحد . وقد احتوى على تراجم عدة بيوت من بيوتات العلم والرياسة على حدة ، بحيث تجيء تراجم كل أسرة متناسقة في موضع واحد ، كأنها في جزء مفرد قائم لتلك الاسرة بخصوصها . وقد ملأ فراغا عظيما في تاريخ المغرب . وسجل ما لم يكن معروفا

وصور ما كان مجهولا . وجله متلقى بالسماع مستمد من الافواه ، وهو مجهود فرد لا تنا لافراد ، استقل وحده بما تنوء به الجماعة . ومزيتـه تظهر واضحـة اذا حاول الانسان معرفة بعض ما فيهعن غير طريقه.أو تذكر ان فيه مالايوجد في كتاب،لانه يستقى من الصدور لا من الكتب.فلذلك انفرد بكل ما فيه وحده.

واذا كان مؤرخو المغرب يتهمون سلفهم بالاهمال،وبدفنهم فضلاءهم في قبري تراب واخمال ، ويقولون كم من فاضل نبيه . طوى ذكره عدم التنبيه . فصار اسمه مهجورا كان لم يكن شيئا مذكورا (1) فالمؤلف ــ حفظه الله ــ قد خرج من نطاق تلك القولة المشهورة . والوصمة المتواترة المسطورة . مرفوع الرأس موفور الكرامة حاملا جوانب الزعامة والامامة . اذ قام بواجباتـه التاريخيـة . ووفى بما عليه منها بهذه المجموعة الكبرى . وتبرع بما لم يسبقه اليه سابق، والظن انه لا يلحقه بمثله لاحق .

ثم لا يقعن في نفسك استكثار كل هذه الاجزاء (العشرين) أو (الخمسين) عن صقع سوس . ولا تحسبن هذه المجموعة السوسية المختـارة ــ على وفـرة اجزائها . وتنوع مباحثها ، وتقسيم موضوعاتها ــ قد جمعت كل أخبار سوس وأحوالها ، وتراجم رجالها . فجامعها يستصغر ما فيها بالنسبة لموضوعـه ، ويستقل صنيعه على عظمه . ويأسف على ما فاته على كثرة ما حصله ، ويصرح في مقدمة (سوس العالمة) بقوله : (لا تظنوا انني في كل ما سودته مماكتبته في مختلف تلك الاجزاء (الخمسين) مما خصص بالرجـال او بالحـوادث أو بالرحلات اديت به حتى عشر المعشار من الواجب عن سوسهم.فانني ما عدوت أن جمعت ما تيسر جمعا بسيطا ، كيفما اتفق . بقلم متعثر ؛ وأسلوب لا يزال يتتبع خطا أساليب القرون الوسطى . الا أنني لا أنكر أنني حاولت فتح الباب فبذلت جهدي ، وأفرغت وسعي . فكـم من غلط لا بـد أن يقع لي . وكـم من تحريف أو تصحيف اسم لا جـرم واقع فيه ، ويقول فـي آخرهـا انني ــ وان بذلت من المجهود ما بذلت مـا جمعت مما أمكـن جمعه الا قليـلا ضئيلا . لاتساع الرقعة . ولعدم تيسر الاتصال المطلوب مـع كل احد ، حتى التاريـخ العلمي للعهود الاخيرة فان كـل ما حرصت على جمعـه حوله . لن يبلغ الحـد المطلوب، ولا نصفه ولا قاربه،لعدم حرية التجول أمس. وللاشتغال بالوظيفة بعد استقلالنا اليوم . وكل ما تقممته هنا وهناك فانما خطفتـه كمـا يخطف الباشق من ثمرات البستان الذي لا يغفل ناطوره) ــ 232 ــ .

أما نحن فنقول ليت لنا مثل هذه المجموعة،او مثل هذا الكتاب او نصيفه او ربعه أو عشره ــ في تاريخ كل حاضرة او قرية أو قبيلة أو ناحية من المغرب بذكر حدودها ومواقعها . ومجمل تقلبات الدهر بها ، ومـا اشتملت عليـه من

(1) هذا كلام بعض المؤرخين الذين يشكون على تضييع المغاربـة لفضلائهـم بعدم الاشادة بهم .

السكان والامكنه والمعالم . ويصف ما فدم فيه من الاثار والمعاهد والمساجد والزوايا والخزائن والمكاتب والمشاهد والحصون والجسور،وسائر المرافق . ومن نبغ ودرج فيها من رجال العلم والدين والسياسة والادارة . وما عليه اهلها من العوائد فى جميع احوالهم .

وعسى الله ان يصرف الانظار الى هذه الوجهه . ويحول بعض الجهود المبذولة فى غيرها الى ما هو اولى وانفع واجرى . فيلهم بعض النبغاء من كل جهة الى القيام بهذا العمل المفيد المتأكد . ويرشدهم لابتكار الكتابة فى الجهات التى لم يؤلف فيها شيء بالخصوص ، أو التذييل والتهذيب لما سبقهم السلف الى بعض الكتابة فيه . فيحتفظون بذلك للاجيال القادمة ، بصور واضحة من بقايا الماضى والحاضر . ويشاركون بحظ وافر فى اعداد تاريخ المغرب العام وترصيع أبوابه وفصوله .

وانى لأهنئ الاستاذ الكبير مؤلف (المعسول) بظهور أثر عمله العظيم . وأقدر جهده الفائق، وصنعه الرائق . وخطوه الشاسع ؛ وبذله الواسع وادعو له بتمام التوفيق،وكامل الاعانة على موالاة ابراز هذه الذخائر التاريخيه واتمنى حصول الانتفاع بها ، وتمام الاستفادة منها ، والسلام .

9 ـ 9 ـ 1381 هـ .

وقال البلبل الصداح مجاور سيدى الرسل
محمد بن اليماني الناصرى

اخي في الله ، منذ صباه ، من نظمه الله في سلك اللئالى . وحلاه بصاحب المعالي ؛ وامده في العلم والدين بالسند العالى،وحماه على رفعة قدره من التعاظم والتعالى ، فازداد بذلك قدرا ، واطلع في سماء المجد بدرا . ورشحته نوازعه الدينية لان يكون على قدم الامام الطوسي وزير الناج العلامة الاديب السيد محمد المختار السوسي . أيد الله بكم هذا الدين ، وأوضح بكم لهذا الشعب سنن المهتدين .

اما بعد اهداء عاطر السلام وادادة حق الاخوة على الدوام . فان كتابكم (المعسول) غني بغزاره والحجول. وما اعتز به من أصالة الاصول ؛ ووجاهة الابواب والفصول ، عن تقريظ الكتاب والشعراء الفحول :

كتاب لو تأمله ضرير لعادت مقلتاه بلا ارتياب

فلقد آذ نى منه جمال الاسلوب وبراعة البداهة . وكدت عند رؤية ديباجته أن أعد نفسي من اهل العي والفهاهة ولولا لطف الله لحال الجريض ، دون القريض . ولما جادت القريحة ، بهذه الملحة المليحة :

اعدت لنفسى كل الامل بما شدته من رفيع العمل
فاصبحت أومن أن لنا رجالا اذا عملت لا تمل
وان لاقلامهم أن جرت مضاء يفل الظبا والاسل
فتى (الغ) أطلعت فى أفقنا بمعسولكم كل نجم افل
فأحييت تاريخ سوس وما يمت لامجاده من ملل
وأخرجت منه لنا أمة اساء لها من غفا أو غفل
تحريت صوب الصواب به فأصلحت كم خطأ أو خطل
وابديت آثاره بعد ما تداعت عليها دواعى الهمل
وأبرزتها اليوم مجلوة مرفلة فى بديع الحلل
مذيقك (معسول) أبكارها لمى أدب يزدرى بالعسل
ويصبح (أملو) (1) بجانبه على طيبه من قبيل الممل
وما ذاك الا جنى همة ترى عز اهل العلا فى النقل
وتسمو بأفكار امتها فتزدان اجيادها من عطل
فلله درك من كاتب بدائوره تستنير المقل
ويزكو الحجى وينم الرجا ويضرب بين الهداه المثل
تراه بهالاته يحتفى وعلم جديد به يحتفل

(1) أملو . طحين اللوز ، ويؤكل مع العسل عادة .

ورأى سديد به يشتفى وسبع بديع به يشتمل
وآدابه حولها راية بها يستظل الاديب الاجل
اذا ما تذوقها ثمل بخمرتها لم يجد من ملل
واصبح نشوان من رشفها يطيب له في هواها التمل
فتى (الغ) لا زلت بين الورى حليف المعالى لغير اجل
وخلد ذكرك مقترنا مدى الدهر بالصالحات الاول
ونلت المقاصد كاملة تلازمها بهجة وجذل

(وبعد) فانك قد أصبحت انت بنفسك تاريخ امتك في الاجادة والافاده والاشادة والتاريخ . اذ سقيت دوحة عزها بعزيز علمك ، حتى ترعرعت منها الشماريخ . فأوفيت على الغاية ، وبلغت النهاية . جزاكم الله خير الجزاء ، في هذه الدار وفي دار الجزاء .

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف لها الف امينا

في أوائل ربيع الثاني عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف كتبه بقلمه محمد اليمني الناصري عفا الله عنه آمين .

وقال شاعر العروبه اليوم على الاطلاق الزركلي السفير الجليل مؤلف « كتاب الاعلام »

انووس من السلاف الشمول؟ ام سطور تلى من (المعسول)؟

سكرت هذه وتلك عقولا ومن الرشد بعض سحر العقول

ما سطور (المعسول) الا ينابيـ ـع عذاب من سائغ سلسبيل

واقتناص لشارد من روايا ت ، وصيد لآبد من نقول

وسجل لحادثات وعادا ت ، وكشف لعالم مجهول

هي ان شئتها أحاديث سمّا ر ، وان شئتها اساطير جيل

يا صديقي المختار اطلعت معسو لك ضوءا ينير كل سبيل

انت آنستنا باخبار (السغ) خبر النازلين حول النيل

وباخبار ال بربر في اسو س أحاديث آل اسماعيل(1)

وبمنظوم «طاهر» شعر در الرء ـه والبحترى والضليل

وبهتموكنه وحاحة والكر سيف أخبار حاشد وبكيل (2)

كنت اوفى الملا لاشياخ فصـ صفت دنيا فروعهم والأصول

رحت تحصى آثارهم من نظيم ونثير ومنشد ومقول

وضممت الاشتات منهم نجوما وشكولا لأنجم وشكول

ثم لم تنس اهل قرباك فيهم من أب او عمومة أو خؤول

فكان (المعسول) سوق عكاظ جمع الناس في فناء ظليل

حقبة دونت ، فصينت ، وقطر كان نسيا فعند في المأهول

الرباط ، في 2 ذي الحجة 1380

كلمة أخيرة للمؤلف

هذا كتاب يجب أن يعد ككتب القرون الوسطى.لأن مؤلفه وموضوعات الكتاب وأساليبه وكل ما يضم عليه جنبيه مما اصطلح الناس أن يسموه بالقديم ، فمن اراد ان ينظر اليه ككتاب عصري فقد ظلم مؤلفه وظلم الكتاب من جميع نواحيه . اقول قولي هذا واستغفر الله واتوب اليه من كل ما زل به القلم في جانب الله أو في جانب عبد من عباده . (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) والحمد لله رب العالمين .

(1) المقصود بآل اسمعيل ملوك مصر المتأخرون .

(2) حاشد وبكيل : قبيلتان يمنيتان معروفتان من قديم الى الآن .

تنـــبيــه

ان الاخطاء والتحريفات والاوهام من عادات كل مؤلف مؤلف.
فرحم الله من صحح نسخته على هذه التصحيحات التي في ءاخر
الكتاب ، ثم نبهنا على ما سيقـع عليه بعـد ذلك ـ ولا يكـون
قليلا ـ لنستدركه فيما بعد . كما نرجـو من كل مطالـع أن
ينبهنا الى الاخطاء والى كل ما يراه محرفا عن اصله . فاننا لا
نبيع الكتاب على البراءة . وخصوصا امثالنا الـذين يعتمدون
على النقل من الأفواه غالبا. فالوهم قد يكون منا أو من المخبرين
أو منا معا . فكل من فيه غيرة فلينبهنا على ما يقـع عليـه من
الأخطاء والاوهام . كما نبهنا الأديب سيدى أحمـد بن بـريان
البعمراني على أن شيظاظا ـ وهو اسم اللص المعلوم ـ ككتاب
لا كسحاب . كما وقع في رقم 337 من الجزء الثـالث عشـر .
ولو تتبع الكتاب لنبهنا على كثير . المؤلف

الفهـــارس خمسة

الفهرس لاول فى اسماء الذين تأسس عليهم الجزء

» الثانى فى محتويات الجزء المعنونات

» الثالث في الاخطاء المطبعية

» الرابع في الاسر

» الخامس فى الظهائر والرسائل الرسمية

= الفهرس الاول =
فى اسماء الذين اسس عليهم الجزء

الفهرس الثانى العام
فى محتويات الجزء المعنونات

ولم نتتبع غير المعنونات ، لنترك للقارء ما يكتشفه بمطالعته .

= الفهرس الثالث =

في الاخطاء المطبعية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
19	12	يسى	يسمى
30	31	القائد سعيد بلخير	القائد بلخير
62	27	فكا ان	فكان
77	23	هذا الدار	هذه الدار
97	1 في الحاشية :	كسكاب	سكاب
103	15	لا يردون	لا يريدون
183	5	فقال	فقالوا
192	14	دون	درن
202	19	متابة	مثابة
205	3	1304 وفاة	1306
205	5	هكذا سلسلة النسب	الحسن بن أحمد بن مبارك بن الحسن ابن أحمد بن منصوربن مسعود بن علي
206	10	وذلك قبل 1286	وذلك سنة 1280 هـ
206	14	ونشاطا	ونشاط
207	12	ولا يخلو مجمع	ولا يخلو منه مجمع
208	28	بعد 1360 هـ	12 ـ 3 1371 هـ .
208	6	ولسان حال	ولسان حاله
278	6	ايجاز	ايجازا
280	8	تبلع	تبلغ
282	16	تكشف	لو تكشف
287	24	كما	كل ما
311	4	وتحية	تحية
319	29	1325 ـ وفاة	1323 هـ .
319	30	(1275 ـ 1347 هـ)	(نحو 1259 ـ 1328 هـ)
319	31	وأحمد بن محمد التيمكيدشتي	1328 هـ) يسقط ذلك كله
321	17	مخلصة	ملخصة
325	29	(المطا)	(الموطا)

= الفهرس الرابع = في الأسر

= الفهرس الخامس =

في الظهائر والرسائل الرسمية

طبع بمطبعة الجامعة = الدار البيضاء
المغرب الاقصى
عام 1381 هـ . = الموافق سنة 1961 م

